

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

قسم :. الدعوة والاعلام والاتصال
تخصص : الإعلام الثقافي



كلية أصول الدين
الرقم التسلسلي:.....
رقم التسجيل:.....

الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع الثقافي
- دراسة تحليلية وميدانية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم
تخصص : . الإعلام الثقافي

إشراف الأستاذة

نصيرة بونيدر.

إعداد الطالب

سهام ذيب.

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ليلى فيلاي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -
نصيرة بونيدر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة باجي مختار - عنابة -
الطيب صيد	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة محمد الشريف مساعدي - سوق اهراس -
فضيل دليو	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة صالح بونيدر - قسنطينة -
وردة بوجلال	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -
نعيمة هالي	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -

السنة الجامعية 1443/1444 هـ - 2022 / 2023 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

قسم : الدعوة والاعلام والاتصال.
تخصص : إعلام ثقافي



كلية أصول الدين
الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:

الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية في
ظل التنوع الثقافي
-دراسة تحليلية وميدانية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د
تخصص: . إعلام ثقافي.

إشراف الأستاذة

نصيرة بونيدر

إعداد الطالب

سهام ذيب.

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ليلي فيلاي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -
نصيرة بونيدر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة باجي مختار - عنابة -
الطيب صيد	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة محمد الشريف مساعدي - سوق اهراس -
فضيل دليو	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة صالح بونيدر - قسنطينة -
وردة بوجلال	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -
نعيمة هلاي	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -

السنة الجامعية 1443/1442 هـ - 2021 / 2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

جامعة الإمام

طهوفم

الإسلامية

إلى

إهداء

أهدي هذا العمل إلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى من حصد الأشواق عن دربي

ليحمد لي طريق العلم إلى أبي الغالي بعد فضل الله ما أنا فيه يعود إلى أبي..

شكراً أبي..... إنناجي ما هو إلا تربيتك أنت من وهبني القلم.

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى التي جعلت الجنة تحب أقدامها، إلى من ربنتني و كستني

بعطفا إلى المطرة التي أينما وقعت نضعت، دكتورتي الأولى، حديقة أيامي، هي التي

ظلت دعواتها تضم اسمي دائما،

إلى رفيق دربي مؤنس وحشني وسندي زوجي الغالي الذي كان لي معينا في مساري

"عادل"

إلى بهجتي في الحياة و قرة عيني أولادي " يقين " ، "محمد الأمين"

إلى إخوتي وأحبابي وسندي

" ، إيمان، أميرة، ماجد ، هناء، طاطا حورية، حكيمة"

إلى رفيقاتي دربي

إيمان - ظود - سلمى - سميرة - شفيقة - سامية

شكرًا

الحمد لله الذي بذمته تتم الصالحات وبفضله تذلل العقبات
أما بعد: أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في بناء وإخراج
هذا الجهد إلى النور سواء من قريب أو من بعيد
ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة نصيرة بوبنيدر التي تعجز
الكلمات عن وصفه عظيم فضلها وسعة علمها ورعاية صدرها في
الإشراف على هذا العمل، شكرًا أستاذتي الفاضلة، أدامك الله
نبراسا للعلم.

كما أتوجه بشكري الجزيل إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على
تكرمهم لقراءة ومناقشة هذه الأطروحة العلمية.

ولا أنسى كل من كان له بصمة في هذا الجهد وعلى رأسهم:
أ.صيد الطيب - أ. فيلاي - أ. بن طبة - أ. عبدلي - أ. بوخالو - أ.

رواينية ن - أ. بشارة ح - أ. حميدان س - أ. خيزاوي ع

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل شكري وامتناني لمن سهر على

إخراج هذا العمل زوجي "عادل"

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على واقع العلاقة الاتصالية عبر شبكات التواصل الاجتماعي في ظل التنوع الثقافي الذي يتمتع به المستخدمون داخل هذا الفضاء الافتراضي، ونظرا للاختلاف الكبير الذي تتوفر عليه هذه الشبكات اخترنا الثقافتين العربية الاسلامية والغربية كنموذجين بارزين يمثلان بوضوح معالم ذلك التباين، لنطرح انطلاقا من ذلك السؤال الرئيسي: ما هو واقع الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع الثقافي العربي الإسلامي والغربي؟.

تم معالجة الموضوع على ضوء المقاربة النسقية وكل من نظريات التفاعلية الرمزية، بالو ألتو والفعل التواصل، إضافة إلى نموذج التل الجليدي لـ "كلوتيه".

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي وأسلوب التحليل الكمي والكيفي انطلاقا من مدخل "الثلاثي"، باستخدام العينات الاحتمالية المتمثلة في كرة الثلج الافتراضية بـ 60 مبحوثا، والعينة المريحة بـ 9 مشاركين، ثم العينة القصدية متعددة المراحل على مستوى الفضاء الافتراضي بـ 91 تعليقا في موقع اليوتيوب كميدان للدراسة، وذلك من خلال جمع البيانات بالأدوات المتوافقة مع العينات على التوالي: الاستبيان الالكتروني، المقابلة، وأخير أداة تحليل المضمون.

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج نلخصها انطلاقا من الأدوات البحثية في النقاط الآتية: 1- تساهم كل من السياقات الدينية والقيمة واللغوية في ضبط العلاقة بين عينة الاستبيان والآخر العربي في حدود ديانة المستخدم العربي التي هي الإسلام، ثم القيم الإنسانية عامة، ثم لغة المستخدم الأجنبي على التوالي، وذلك في حدود العلاقة الشخصية بينهما.

2- تمتلك عينة المقابلة صورة حسنة عن عناصر ثقافتها العربية الإسلامية نظريا، إلا أنه يعاني من بعضها على المستوى التطبيقي للتواصل مع الآخر العربي. في مقابل الصورة الضبابية عن الآخر التي تتراوح بين الإيجاب والسلب، ولكنها لم تحل دون العلاقة التواصلية بينهما في سبيل السعي لتحسينها.

3- تبيّن لنا من خلال تحليل مضمون تعليقات المستخدمين في موقع اليوتيوب ضعف تحليها بقيم الاتصال في أغلب الفيديوهات، وقد برز السياق الديني بقوة في عرض الآراء التي كانت تنحو نحو الاتجاه السلبي، أين اعتمدت بدرجة أكبر على أسلوب النقد اللاذع، من طرف هويات افتراضية عبرت عنها أسماء غير عربية، موظفين أشكال تفاعل مختلفة طغت عليها الإعجابات من جهة، ثم الردود الحادة المتهجمة من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الاتصال - الشبكات الاجتماعية - التنوع الثقافي - التواصل بين الثقافات.

Abstract

This study aims to explore the reality of communication relationships through social media networks in light of the cultural diversity experienced by users within this virtual space. Due to the significant differences available on these networks, we have chosen Arab-Islamic and Western cultures as prominent models that clearly represent this contrast. Based on this, we pose the main question: What is the reality of the communication relationship between users of social networks in the context of Arab-Islamic and Western cultural diversity?

This study, belonging to descriptive studies, has been approached using a qualitative framework and theories such as symbolic interactionism, Bal & Goudet's approach, and the communication act, along with Cloutier's iceberg model.

This study, which employs a The triangulation method aligned with the nature of the subject, utilizes non-probability samples represented by a virtual snowball of 60 researchers, a convenience sample of 12 participants, and a multi-stage purposive sample within the virtual space, consisting of 91 comments on YouTube as the study field. Data was collected using suitable tools for each sample, namely an online questionnaire, interviews, and finally, content analysis.

Through this study, we have obtained a set of results summarized based on the research tools as follows:

Religious, cultural, and linguistic contexts all contribute to shaping the relationship between the questionnaire sample and the Western other within the boundaries of the Arab user's religion, Islam, followed by general human values and the language of the foreign user, respectively.

The interview sample holds a positive theoretical perception of its Arab-Islamic cultural elements. However, it faces challenges in the practical application of communication with the Western other. Conversely, the image of the other is ambiguous, ranging from positive to negative. Nonetheless, it did not hinder the communication relationship between them in their pursuit of improvement.

Content analysis of user comments on YouTube revealed a weak adherence to communication values in most videos. The religious context strongly influenced the presentation of opinions, which tended towards a negative direction. It predominantly employed a critical tone through virtual identities expressed by non-Arabic names, utilizing various forms of interaction dominated by likes on one side and sharp, attacking responses on the other.

Keywords: Communication, social networks, cultural diversity, intercultural communication.

Résumé

Cette étude vise à comprendre la réalité des relations de communication à travers les réseaux sociaux dans le contexte de la diversité culturelle dont les utilisateurs bénéficient dans cet espace virtuel. En raison des grandes différences présentes sur ces plateformes, nous avons choisi les cultures arabes islamiques et occidentales comme deux modèles distincts représentant clairement cette disparité. À partir de là, nous posons la question principale suivante : quelle est la réalité des relations de communication entre les utilisateurs des réseaux sociaux dans le contexte de la diversité culturelle arabo-islamique et occidentale ?

Cette étude, qui relève des études descriptives, a été traitée à la lumière de l'approche qualitative et des théories de l'interaction symbolique, de Bal & Goudet et de l'acte de communication, ainsi que du modèle de l'iceberg de Cloutier.

Nous avons adopté une méthodologie d'échantillonnage adaptée à la nature du sujet, comprenant un échantillon non probabiliste représenté par une boule de neige virtuelle de 60 participants, un échantillon de convenance de 12 participants, puis un échantillon intentionnel à plusieurs niveaux au niveau de l'espace virtuel avec 91 commentaires sur YouTube comme champ d'étude. Les données ont été collectées à l'aide des outils appropriés pour chaque échantillon, à savoir un questionnaire en ligne, des entretiens et enfin une analyse de contenu.

Cette étude nous a conduit à une série de résultats que nous résumons à partir des outils de recherche, notamment :

1- Les contextes religieux, culturels et linguistiques contribuent tous à réguler la relation entre l'échantillon du questionnaire et l'autre occidental, dans les limites de la religion de l'utilisateur arabe qui est l'islam, puis des valeurs humaines en général, puis de la langue de l'utilisateur étranger respectivement.

2- L'échantillon des entretiens a une perception positive de ses éléments culturels arabes islamiques sur le plan théorique, mais il rencontre des difficultés au niveau pratique de la communication avec l'autre occidental. En revanche, l'image de l'autre est floue, oscillant entre positif et négatif, mais cela n'a pas empêché la relation de communication entre eux dans le but de l'améliorer.

3- L'analyse du contenu des commentaires des utilisateurs sur YouTube a révélé un faible niveau de respect des valeurs de communication dans la plupart des vidéos, où le contexte religieux a été fortement mis en avant dans la présentation d'opinions tendant vers une attitude négative. Il a été principalement utilisé un ton critique par des identités virtuelles exprimées par des noms non arabes, utilisant diverses formes d'interaction, dominées par les likes d'un côté, et des réponses dures et agressives de l'autre.

Mots clés : communication, réseaux sociaux, diversité culturelle, interculturalité

الخطا درس

جامعة الأمير عبد القادر للطب والعلوم الإسلامية

أولا: فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	الملخصات.....	
	الشكر.....	
	الإهداء.....	
	فهرس المحتويات.....	
	فهرس الجداول.....	
	فهرس الأشكال.....	
	فهرس الآيات.....	
أو	مقدمة.....	
الفصل الأول: الطرح الإشكالي والظنفة المعرفة للدراسة		
أولا-	الطرح الإشكالي للدراسة.....	16-8
1.	إشكالية الدراسة وتساؤلاتها.....	15-8
2.	تحديد أهداف الدراسة على ضوء العناصر البحثية.....	16-15
ثانيا-	الخلفية المعرفة للدراسة.....	72-16
1.	البنية النظرية والإجرائية للمفاهيم المؤسسة للدراسة.....	42-16
2.	- عرض الدراسات السابقة بين الأسس العلمية والفجوة المعرفة المحققة.....	72-42
الفصل الثاني: جدلية العلاقة الاتصالية بين الثقافات في سياق تطورها التاريخي من		

العالم الواقعي إلى الفضاء الافتراضي		
100-74	التنوع الثقافي بين سيرورته التاريخية وتجلياته الواقعية.....	أولاً-
86-74	المتغيرات التأصيلية للتنوع الثقافي في سياقها التاريخي.....	1.
74-76	أهمية الثقافة في سيرورة المجتمع وتطوره.....	1-1-
78-76	التغير الثقافي في ظل اكتساح العولمة للساحة العالمية.....	1-2-
79-78	الاختلاف بين الحتمية والوعي والواقع.....	1-3-
80	الخصوصية الثقافية ورهان المحافظة عليها في إطار كوني متعدد الثقافات.....	1-4-
82-80	أبرز المحطات التاريخية للتنوع الثقافي.....	1-5-
85-82	شروط إثراء وتعزيز التنوع الثقافي وسبل حمايته.....	1-6-
86-85	التنوع الثقافي وإفرازاته بين الإيجاب والسلب.....	1-7-
95-86	إشكالات الثقافة العربية الإسلامية في حدود الذات ومع الآخر.....	2.
88-86	الثقافة العربية الإسلامية وتسييرها للاختلافات في المجتمع.....	1.2
90-89	الثقافات العربية الإسلامية أمودج في التلاقي الثقافي.....	2-2-
91	تعدد الثقافات الفرعية في المجتمع العربي الإسلامي.....	2-3-
92-91	الهوية العربية الإسلامية وتمديداتها الغربية.....	2-4-
94-92	الصورة الذهنية للذات العربية الإسلامية من منظوري الأنا والآخر.....	2-5-
95-94	سبيل النهوض بالثقافة العربية الإسلامية ودفعها للتقدم.....	2-6-
100-95	خصائص الثقافة الغربية في حدود علاقتها بالثقافة العربية الإسلامية.....	3-
97-95	الاعتقاد الغربي بتفوق ثقافته وقيمها.....	3-1-
99-97	الهوية الغربية ومخاوفها من تعدد الثقافات.....	3-2-
100	الصورة الذهنية للثقافة الغربية لدى المجتمع العربي.....	3-3-
125-101	عناصر التنوع الثقافي وتمثلاتها في الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.....	ثانياً-
108-101	الدين وأهميته في تكوين ثقافة المجتمع وخلق التباين بين الثقافات.....	1-
103-101	تعريف الدين وأهميته في حياة الفرد.....	1-1-

104-103	الدين بين التعددية والوحدة.....	-2-1
105-104	خصائص الدين ووظائفه في المجتمع	-3-1
610	الدين أحد أهم العناصر الفاعلة في الثقافة	-4-1
107-106	الدين الإسلامي وارتباطه بالمجتمع العربي.....	-5-1
108-107	انعكاسات التغيرات الثقافية الغربية على الجانب الديني.....	-6-1
117-108	خصوصية القيم في تشكيل ثقافة المجتمعات واقعيا وتقنيا.....	-2
110-109	القيم مفهومها وأهميتها:.....	-1-2
111	اختلاف القيم كأبرز مظاهر اختلاف المجتمعات.....	-2-2
113-111	اختلاف القيم الانسانية مع الحفاظ على الخصوصية في فضاء التلاقي.....	-3-2
114-113	سلطة المجتمع في فرض النظام القيمي على الأفراد	-4-2
116-115	تغيير القيم وتجديدها من ضروريات تحقيق المعاصرة.....	-5-2
117-116	القيم العالمية في ظل العولمة ودعوات التواصل.....	-6-2
125-117	اللغة تعبير لثقافة المجتمع ورسم لحدود بين الثقافات.....	-3
118-117	تعريف اللغة وأهميتها في نقل الثقافة	-1-3
119-118	خصائص اللغة وكيفية تشكلها.....	-2-3
120-119	التقسيم الأنثروبولوجي للغات العالم.....	-3-3
121-120	ضعف اللغات بين الأسباب والمظاهر.....	-4-3
122-121	اللغة وعلاقتها بالرموز في بعدها الثقافي	-5-3
123-122	امتيازات اللغة العربية ومكانتها في الإسلام.....	-6-3
125-123	اللغة العربية وإشكالاتها في العالم الافتراضي.....	-7-3
147-125	مآلات الاتصال الثقافي بين استنطاق التاريخ ومساءلة الواقع وحتمية الافتراضي	ثالثا-
136-125	إشكالات العلاقة الاتصالية بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية...هل هي صدام أو حوار؟1
126-125	التغير الثقافي وتداعياته على التواصل بين الشعوب.....	-1-1
128-126	اختلاف الثقافات مسألة قديمة وطرح متجدد لتنمية الإبداع وتحقيق التواصل....	-2-1

129-130	العلاقة الاتصالية بين الثقافة العربية الإسلامية والغربية على ضوء الاختلاف الثقافي	3-1
132-130	تحديات الثقافة العربية في تفعيل العلاقة الاتصالية مع الثقافة الغربية.....	-4-1
134-132	أهمية الحوار في إثراء التنوع الثقافي العربي الإسلامي والغربي.....	-5-1
136-134	شروط الحوار لانجاح الاتصال بين الثقافات	-6.1
147-136	شبكات التواصل الاجتماعي نقلة نوعية للتواصل بين الثقافات في العالم الافتراضي	-2
136	الإطار التاريخي لظهور شبكات التواصل الاجتماعي.....	-1-2
138-137	الإشباع النفسية والاجتماعية للمستخدم في فضاء الشبكات الاجتماعية.....	-2-3
138	الافرازات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي على نفسية الفرد وعلاقاته الواقعية	-3-2
140-138	شبكات التواصل الاجتماعي من الفردانية إلى المشاركة.....	-4-2
141-140	العلاقات في شبكات التواصل الاجتماعي بين العالمين الافتراضي والواقعي.....	-5-2
143-141	أهمية الشبكات الاجتماعية في خلق الاتصال والتفاعل بين الأفراد.....	-6-2
143-144	شبكات التواصل الاجتماعي و الفجوة الرقمية في الوطن العربي.....	-7-2
146-144	الخصوصية التقنية لشبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق التواصل بين الثقافات.....	-8-2
147-146	الشبكات الاجتماعية وتهديدها للعلاقات الاتصالية بين الثقافات.....	-9-2
الفصل الثالث: الظاهرة الإمبريقية للدراسة وفق مقاربتها النظرية وإجراءاتها المنهجية		
176-149	نظريات الدراسة والنموذج التفاعلي في إطار المقاربة النسقية.....	أولاً-
153-149	المقاربة النسقية.....	-1
161-153	نظرية التفاعلية الرمزية لـ "هربرت ميد Herbert Mead".....	-2
165-161	نظرية بالو ألتو (Palo Alto) لـ "غريغوري باتسون Gregory Bateson".....	-3
170-166	نظرية الفعل التواصلي لـ "يورغن هابرماس Jurgen Habermas".....	-4
176-171	نموذج التل الجليدي لـ "كلوتيه Cloutier".....	-5
212-176	الإجراءات المنهجية للدراسة.....	ثانياً:
181-176	منهج الدراسة.....	-1
190-181	أدوات جمع البيانات وصدقها.....	-2

192-191	مجتمع الدراسة.....	-3
212-192	عينة الدراسة وخصائصها.....	- 4
الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية		
304-215	تجليات السياق الثقافي الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية	أولا
238-215	أنماط استخدام العربي للشبكات الاجتماعية في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي.	.1
267-239	تجليات السياق الثقافي الديني الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.....	.2
287-267	تجليات السياق الثقافي القيمي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.....	.3
304-288	تجليات السياق الثقافي اللغوي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.....	.4
392-306	الصور الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم العربية الإسلامية والآخر الغربي في حدود العلاقة الاتصالية بينهما.....	ثانيا
341-306	الصورة الذهنية للذات الثقافية لدى المشاركين من خلال اتصالها مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.....	.1
360-341	الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى المشاركين من خلال العلاقة الاتصالية بينهما عبر الشبكات الاجتماعية.....	.2
374-361	توجهات المشاركين نحو شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق الاتصال مع الآخر الغربي.....	.3
392-375	توجهات المشاركين نحو الرسالة في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.....	.4
493-394	كيفية ظهور العلاقة الاتصالية بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستويين	ثالثا

فهرس المحتويات

	المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب.....	
456-395	فئات المضمون التي تجيب عن السؤال ماذا قيل؟.....	1.
493-457	فئات الشكل التي تجيب عن السؤال كيف قيل؟.....	2.
496	عرض النتائج العامة للدراسة	رابعا
518-496	عرض نتائج الدراسة على ضوء الأسئلة الفرعية.....	1.
522-519	الاستنتاج العام للدراسة على ضوء المقاربة النظرية.....	2.
527-524	الخاتمة.....	
544-529	قائمة المصادر والمراجع.....	
559-546	الملاحق.....	

القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	توزيع عينة الدراسة حسب متغيري مكان الإقامة والمجال الجغرافي.....	203
02	المتوسط الحسابي المرجح.....	205
03	توزيع عينة الدراسة حسب مستوى اللغة لدى مفردات العينة.....	205
04	خصائص عينة المقابلة.....	208
05	خصائص عينة فيديوهات تحليل المضمون.....	209
05	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الموقع الأكثر استخداما لديها في التواصل مع الآخر الغربي.....	216
06	توزيع عينة الدراسة حسب متغير عدد الآخرين الغربيين الذين يتواصلون معهم	220
07	توزيع عينة الدراسة حسب متغير انتماء الآخر الغربي الأكثر تواصلًا معه	221
08	توزيع عينة الدراسة حسب متغير أسس اختيارها التواصل مع هذا الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية	223
09	توزيع عينة الدراسة حسب متغير دوافع تواصلها مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي.....	226
10	توزيع عينة الدراسة حسب متغير السيرورة الزمنية لتواصلها مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي.....	230
11	توزيع عينة الدراسة حسب متغير كثافة تواصلها مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي.....	232
12	توزيع عينة الدراسة حسب متغير فترة التواصل المفضلة لديها مع الآخر الغربي...	233
13	توزيع عينة الدراسة حسب متغير عدد الساعات التي تقضيها في التواصل مع	234

 الآخر الغربي	
236	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الوسائط المتعددة التي توظفها في التواصل مع الآخر الغربي	14
240	توزيع عينة الدراسة حسب متغير ديانة الآخر الغربي الذي يتواصلون معه.....	15
243	مستوى المتوسط الحسابي المرجح الخاص بجدول الموضوعات الدينية.....	16
244	توزيع عينة الدراسة حسب متغير بعض القضايا الدينية المعروضة للنقاش بينها وبين الآخر ومدى اشتراكهما في المواقف	17
254	توزيع عينة الدراسة حسب متغير استجابات التواصل بينها وبين الآخر الغربي في سياق مناقشة المواضيع الدينية	18
263	المتوسط الحسابي المرجح لاتجاهات عينة الدراسة.....	19
263	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الاستجابات التي يحققها لها انتمائها الديني في سياق علاقتها بالآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي	20
269	توزيع عينة الدراسة حسب متغير مدى التحلي ببعض القيم التواصلية الإنسانية في العلاقة الاتصالية بينها وبين الآخر الغربي	21
279	توزيع عينة الدراسة حسب تغير قيمها نتيجة التواصل مع الآخر الغربي.....	22
282	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الاستجابات التي يحققها السياق القيمي لديهم في تواصلهم مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية	23
289	توزيع عينة الدراسة حسب متغير اللغة الأكثر توظيفاً في التواصل مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي	24
294	توزيع عينة الدراسة حسب متغير مدى استعانتها بالترجمة أثناء التواصل مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي	25
295	توزيع عينة الدراسة حسب متغير مدى فهم الآخر الغربي لغتهم العربية.....	26
297	توزيع عينة الدراسة حسب متغير رأي الآخر الغربي في لغتهم العربية.....	27
301	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الاستجابات التي تحققها لهم لغتهم العربية في	28

	التواصل مع الآخر الغربي.....	
396	فئة قيم الاتصال من حيث التحلي وعدم التحلي.....	29
425	فئة نوع السياق.....	30
447	فئة الاتجاه نحو القضايا.....	31
458	فئة الأسلوب اللغوي للاتصال.....	32
469	فئة نوع اسم المستخدم.....	33
478	فئة أشكال التفاعل.....	34

ثالثا: فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
37	النموذج التحليلي المفاهيمي للدراسة.....	1
176	نموذج التل الجليدي لـ "كلوتيه" "Cloutier".....	2
188	مخطط ملخص لأدوات جمع البيانات في الدراسة.....	3
199	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الجنس.....	4
200	توزيع عينة الدراسة حسب متغير السن.....	5
202	توزيع عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي.....	6
203	توزيع عينة الدراسة حسب متغيري مكان الإقامة والمجال الجغرافي.....	7
206	توزيع عينة الدراسة حسب متغير مستوى اللغة.....	8
522	نموذج تلخيصي لنتائج الدراسة.....	09
527	نموذج تلخيصي لآفاق الدراسة.....	10

حَقَائِقُ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتغير عالمنا بسرعة وتتبدل ملامحه باستمرار في ظل التطور التكنولوجي الذي يتضاءل أمامه كل ما تحقق خلال القرون الماضية، فهو الذي أكسب للفعل التواصلي مكانة في الحياة الاجتماعية سيطرت على الكثير من المجالات، وأرست قواعدها على أغلب التخصصات، مما أحدث ثورة حقيقية أكدت ما ذهب إليه "ماكلوهان" McLohan حول سيورة العالم نحو القرية الكونية خاصة بفضل انتشار استعمال شبكة الأنترنت.

إن من الأبعاد الأكثر تجديدية في الأنترنت تمكين المتفاعلين ضمن فضاءها من تجاوز الإكراهات الفيزيائية المرتبطة بسياقات الحضور وطقوس المكان، واستحداثها لسياقات افتراضية تطبع التبادل بطابعها، حيث غدا ممكنا، ولأول مرة في تاريخ الاتصال البشري الحديث إلى الآخرين الغرباء ومحاورهم بطريقة تتيح للفرد التكتّم التام على هويته الفعلية والحضور غير التجسدي، وتضفي على التبادل صيغة تزامنية.¹ أقل ما يقال عن المجتمعات الحالية أنها مجتمعات اتصالية بامتياز، فاللا تواصل مصطلح لا معنى له، إذ مادام الإنسان موجود فهو يتواصل في مستوى الواقع، أو في مستوى الممكن مع كل العالم، لتصدق المقولة الشهيرة لمدرسة (Palo Alto) أنه "لا يمكن ألا نتواصل" «On ne peut ne pas communiquer»²، وتصبح شعارا جديدا للعالم الافتراضي بكل متغيراته وفاعليه.

إن الفضاء الافتراضي وفرّ مساحات اتصالية جديدة، مساحات تعطي لكل فرد ينتمي إلى مجتمع المعلومات الحق في حرية الرأي والتفكير، الحق في حرية استيقاء المعلومات وتبني الآراء دون أي تدخل من أي كان، ثم الحق في حرية التعبير عن شخصه وهويته وثقافته، ليحدث هذا الأخير تحولات على مستوى الأدوار في اتجاه بروز فاعلين جدد لم تسمح لهم ظروف معينة أن يكون لهم صوت أو رأي، ولكن التكنولوجيا اليوم قد أتاحت لهم ذلك وأكثر، أين أصبح الواحد يمكنه التعريف بهويته وثقافته ليس للقريب فقط بل للعالم بأسره، فاستطاعت بذلك شبكة الأنترنت أن تكسر كل القيود التي كانت تكبل الفعل

¹ - الصادق رايح، فضاءات رقمية قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2015، ص124

² - جوهر الجموسي، المجتمع الافتراضي، ددن، تونس، 2007، ص ص 60-61.

التواصل في المجتمع الكوني، وتعطي للثقافة ترتيبا مفاهيميا ومعرفيا جديدا يمنحها الشرعية والسلطة في هذا الفضاء.

تعُدّ الثقافة من أهم المتغيرات الاجتماعية التي تلقى حضورا بارزا على المستوى النظري والممارساتي، أين اهتم المفكرون بدراسة هذا المصطلح من مختلف جوانبه، والبحث في عناصره وانعكاساته وتمثلاته في المجتمع، وبهذا أخذت الثقافة حيزا كبيرا من الدراسات الاجتماعية عامة والأنثروبولوجية خاصة، باعتبارها الواجهة والمرآة العاكسة لهوية المجتمع، وهنا بات الحديث عن الثقافة يطرح الكثير من الإشكالات لكونه موضوع مشعب الأبعاد، تتجاذبه الكثير من القضايا والمفاهيم المتشابهة معه حول الذات والهوية والآخر والتواصل...، مما يستدعي إعادة النظر في الوعي بهذا المصطلح، خاصة في ظل اجتياحه العالم الافتراضي، الذي لا يزال يكتنفه الكثير من الغموض في علاقته بهذه القضايا.

مما لا شك فيه أن الأنترنت قد أحدثت قفزة نوعية في عالم الاتصال من جهة، وأعطت روحا جديدة للثقافة من جهة أخرى، أين انتقلت بالفرد من عالم واقعي يتميز بمحدودية علاقاته القائمة بين أفراد المجتمع الواحد والثقافة الواحدة في ذات المكان والزمان، إلى عالم افتراضي فتح أبوابه لاتصال غير مألوف، عالم تجتمع فيه مختلف الثقافات على تباعدها الجغرافي وتنوعها الفكري، لتمكنهم من تحقيق أهداف اتصالية ومد جسور تفاعلية لم تكن متوقعة منهم ولا مسموحة لهم من قبل.

تشهد ظاهرة التنوع الثقافي بين المجتمعات الافتراضية تجاذبات فكرية كثيرة حول حتميتها وكيفية استثمارها في الانفتاح على الآخرين بدل الانغلاق على الذات، فالاتصال بين المجتمعات المختلفة ثقافيا أصبح ضرورة ملحة ومطلبا رئيسيا لسيورة التقدم، إذ لا يمكن لأي ثقافة إذا ما أرادت السير في عجلة النمو ومسايرة تحديات العصر بما يحمله من متغيرات أن تنطوي على نفسها وتغلق حركات التواصل مع الآخرين، أو أن تشعل نار الصراع والصدام مع باقي الثقافات، وذلك لأن العقل والمنطق وحتمية الاتصال في الحياة كلها عوامل ترفض ذلك وتجعله تعدّ على حق الاختلاف والتنوع والتفاعل الإيجابي.

إن الحساسية التي تكتسي موضوع الاختلاف بين الثقافات وضرورة التواصل بينها في حدود العقبات الكثيرة التي تشهدها تحت ضغوطات العولمة، تثير لدينا الكثير من الفضول العلمي والقلق المعرفي لمحاولة

استكشاف بعض زوايا هذا الغموض الذي يطرح العديد من الصعوبات المنهجية والمفاهيمية، في وقت تضطرب فيه الحقائق الاجتماعية، ويغيب فيه النظر الموضوعي للطابع الديناميكي والتعددي للثقافة.

كل هذه التناقضات فتحت لنا طريقا معرفيا جديدا وأفقا أوسع في هذا الموضوع الذي زادت أهميته وتعززت خصوصيته في رحاب الفضاء الافتراضي، فضاء أفرز لنا آليات جديدة من شأنها أن تساعد في معالجة موضوع الاتصال بين الثقافات بنظرة أكثر عصرية وواقعية.

وعلى تعدد زوايا البحث في هذا الموضوع يعد السياق الاتصالي وكما تقرره نظرية بالو ألو (PALO) (ALTO) من المسائل التي تفرض نفسها بقوة على بساط البحث في المجال التواصلي، فهو الذي يمكننا من معرفة الظروف والمرجعية الاتصالية في مختلف أبعادها، واستجلاء العوامل التي تتحكم في توجيه العلاقات بين مختلف الثقافات، وقد عمدنا إلى الكشف عن تمظهر السياق الثقافي كأحد الأبعاد المرجعية الهامة لهذه العلاقات، لما له من أهمية خاصة تتيح له المساهمة أيضا في تشكيل الصور الذهنية لدى المتواصلين عن ذواتهم وعن بعضهم البعض، وهو ما تؤكد عليه نظرية التفاعلية الرمزية التي أثارت لدينا الفضول بدورها للتقصي عن حقيقة تلك الصور الذهنية لدى المستخدمين مختلفي الثقافات، دون تجاهل البحث في شكل ومضمون تلك العلاقة في الفضاء الافتراضي، كنوع من الفضاء العام الذي تحدث عنه هابرماس Habermas، ودعا على ضوئه إلى ضبط الفعل التواصلي بعيدا عن العقل الأداة المتمركز حول الذات.

إن البحث في الفضاء الافتراضي عموما يثير لدينا الكثير من الارتباك المنهجي على المستوى المعانية، ونظرا لرغبتنا في مواءمة متطلبات هذه الدراسة مع متطلبات الواقع الاجتماعي والتاريخي والثقافي اخترنا الثقافتين العربية الإسلامية والغربية كنموذجين يمثلان التنوع الثقافي الإلكتروني في أوضح صورته، ويثيران سلسلة من الأسئلة التي تشير إلى التعقيد الأيديولوجي الذي تشهده هذه العلاقة، والتي حاولنا الإجابة عن بعضها من خلال تعدد مستويات التحليل في هذه الدراسة.

ومما يؤكد العلاقة بين الثقافتين أنه في الأدبيات السياسية المعاصرة، وعلى نحو ما استقر عليه قاموسنا الإعلامي أن المقصود بـ "الأنا" أو "الذات" أو "نحن" في معرض الحديث عن حوار الحضارات أو حوار

الثقافات هو العربي تحديداً أو المسلم، وأن المقصود بـ "الآخر" هو الغربي بوجه عام، سواء كان مسيحياً أم علمانياً أم غير ذي دين، فحيثما ورد حديث "الأنا والآخر" فهو يحوم بالضرورة حول علاقة العربي المسلم بالغربي المسيحي أو العلماني، على الرغم من أن معنى "الآخر" مشتمل بالبداية على كينونة حضارية خارج دائرة العروبة والإسلام كالصين أو اليابان أو الهند أو حتى أمريكا اللاتينية، وغيرها من الدول التي يمكن أن تشارك العالم العربي الإسلامي كثيراً من همومه ومؤثراته.¹

يمكن القول عموماً أن حيوية المواضيع ذات البعد الاتصالي التي تجعل استفادتنا منها تتعدى الإطار النظري إلى الفعل الممارساتي اليومي، تدفعنا وبقوة للكشف عن حيثيات هذه الظاهرة، والتي ازدادت تعقيداً بدخولها العالم الافتراضي، الذي تتصدر قائمته شبكات التواصل الاجتماعي كأبرز تقنياته في المجال الاتصالي العلائقي، والتي أتاحت الاتصال بشكليه الشخصي والجمعي. وقد كان من نتائجه الحضور البارز والمؤثر للمستخدم، حيث زادت أهميته في السنوات الأخيرة لما أصبح له من آراء ومواقف واتجاهات وقدرات على الإنتاج والإبداع استطاع أن يترجمها من خلال هذا العالم، وفي مجالات مختلفة منها مجال الاتصال مع غيره من الثقافات الأخرى، بعيداً عن قيود وسلطة الجهات الرسمية، مما أمكنه من أن يفرض نفسه على بساط البحث كأحد العناصر الفاعلة في هذا التواصل الثقافي الذي لا يزال يعاني الكثير من القصور على مستوى الآليات والأساليب العلمية لدراسة هذا الواقع التي لم تظهر ملامحه الكاملة لحد اليوم، وهو ما جعلنا نحاول الخوض فيه بما يتناسب مع المتاحات المعرفية والواقية التي نمتلكها، لنختار المستخدم العربي المسلم كمصدر للمعلومات يثري بحثنا بوجهة نظره في هذا الدراسة.

إن اجتماع كل المتغيرات السابقة مع تكاثر المفارقات والمتناقضات يعطي للموضوع خصوصية عن غيره من المواضيع المشابهة، ويمنحه قيمة إضافية لا تتوفر عليها الكثير من الدراسات، خاصة في ظل تعقيدات هذا الواقع الافتراضي ورهاناته، من هنا جاءت هذه الدراسة في محاولة منا لاستثمار كل الحقائق الماضية في استكشاف واقع العلاقة الاتصالية بين الثقافات العربية الإسلامية والغربية، ورصد معالمها ليس على المستوى الواقعي وإنما في رحاب الفضاء الرقمي الذي تمثله هنا شبكات التواصل الاجتماعي.

¹ - فاروق ناجي محمود، استراتيجية الاتصال مع الآخر، ط1، دار الفجر، بغداد. دار النفائس، عمان، 2010، ص 22.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى أربعة فصول حاولنا من خلالها الإحاطة بالموضوع في مختلف جوانبه المعرفية والنظرية والمنهجية والميدانية الإمبريقية فكانت على النحو التالي:

الفصل الأول اختص بالطرح الإشكالي والخلفية المعرفية للدراسة من حيث إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، وأهدافها، ثم ضبط مفاهيمها، وعرض الدراسات السابقة لها، توصيفا ومناقشة.

أما الفصل الثاني فيتعلق بالإطار النظري لهذه الدراسة، والذي يتمحور موضوعه حول جدلية العلاقة الاتصالية بين الثقافات في سياق تطورها التاريخي من الفضاء الواقعي إلى الافتراضي، حيث قسم بدوره إلى ثلاثة أقسام، قسم حول التنوع الثقافي وتحليلاته على مستوى العالم الواقعي بين الثقافات، وقسم حول عناصر التنوع الثقافي وتمثلاتها في الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وأخيرا قسم ثالث يتعلق بجمالية الاتصال بين الثقافات من الواقع إلى شبكات التواصل الاجتماعي.

أما القسم الثالث فتضمن الخلفية الإمبريقية للدراسة في حدود مقاربتها النظرية بما تشمله من نظريات ونموذج يعبر عنها، ثم الإجراءات المنهجية للدراسة، والتي تتعلق بنوع الدراسة ومنهجها وأدواتها وعيناتها وخصائصها.

أما الفصل الرابع وهو الأخير فتضمن الدراسة الإمبريقية بشقيها الميداني والتحليلي، أين أدرجنا فيه عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها انطلاقا من أدوات جمع البيانات الموظفة، فاخصت العنصر الأول منها بعرض وتحليل وتفسير النتائج التي تتعلق بالاستبيان حول تجليات السياق الثقافي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، أما العنصر الثاني فاهتم بعرض وتحليل وتفسير النتائج التي تتعلق بالمقابلة حول الصورة الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن الذات العربية الإسلامية والآخر الغربي في حدود العلاقة الاتصالية بينهما، وفي الأخير جاء العنصر الأخير لعرض وتحليل وتفسير النتائج التي تتعلق بأداة تحليل المضمون حول كيفية ظهور العلاقة الاتصالية بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب.

بعدها تمّ عرض النتائج العامة للدراسة على ضوء الأسئلة الفرعية، ثم الاستنتاج العام على ضوء المقاربة النظرية، وأخيرا جاءت الخاتمة لتفتح آفاقا بحثية حول هذا الموضوع.

كغيرها من الدراسات لقيت هذه الدراسة الكثير من الصعوبات على المستويات النظرية والميدانية، فكان الوصول إلى العينة المطلوبة التي تتوفر على شروط اختيارها، ودرجة تفاعلها واستجابتها لأدوات جمع البيانات من أهم الصعوبات التي واجهتنا في دراسة هذا الموضوع، مما جعلنا نحاول التكيف مع الوضع بما هو متوفر من معطيات، محاولين سد الثغرات التي أحدثتها هذا الإشكال قدر المستطاع. كذلك هو الأمر بالنسبة للجانب التحليلي الذي سعينا بداية إلى البحث عن مجموعات في الفايس بوك تشمل مختلفي الثقافات وتعبر عن تواصل فعال ونشط بينها، ولما تعذر علينا ذلك بعد طول بحث واستشارة قررنا - بالاتفاق مع الأستاذة المشرفة- تغيير التوجه البحثي عن العينة التحليلية بما يساير الواقع، وبما لا يحدث خلا منهجيا كبيرا يؤثر على مصداقية نتائج هذه الدراسة.

المفصل الأول:

الطرح الإشكالي للدراسة وخلفيتها المعرفية

أولاً: الطرح الإشكالي للدراسة

ثانياً: الخلفية المعرفية للدراسة

أولاً- الطرح الإشكالي للدراسة:

1- إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تشكل شبكة الأترنت نقلة استثنائية علمية ليس لها مثيل، فمنذ ظهورها ونظراً لأهميتها في تحقيق الاتصال لم تتوان جهود العلماء عن تطوير أدواتها وتحديث خدماتها، بما يتناسب مع احتياجات البشرية ويخدم مصالحها ويوفر لها الرفاهية والاستقرار، فبعد الويب 1.0 ظهر لنا الويب 2.0 أي الويب الاجتماعي الذي ساهم في ابتكار تقنيات ووسائط جديدة تدعم هذا الفضاء بصفة أكبر في المجال التواصلي، لتخلق فرصاً اتصالية لم تكن متاحة للجميع، وتقدم امتيازات حديثة في عرض المضامين بمختلف الأشكال التي لم تتوفر عليها سابقاً، فبات المستخدم يشارك ويعلق وينشر المحتويات في جو من الإبداع يقدم له كل التسهيلات والضمانات لوصول الرسالة في أقصر وقت إلى أي مكان بجودة عالية وبمساحة حرية غير معهودة من قبل.

ساهم هذا التطور في انتشار مواقع مختلفة للتواصل والبث الإلكتروني والتدوين، وكذلك مشاركة الأخبار والصور والفيديوهات، لتشكل لنا في مجموعها الشبكات الاجتماعية التي وضعت بين أيدينا كل الوسائل المتعددة التي تتيح للمستخدمين أنجع الطرق في التواصل، أين أصبح الاتصال لا يحتاج للحضور الفعلي في نفس المكان والزمان، ليتجاوز بذلك عقبات الواقع ويضع بين يدي المستخدم كل ما يسهل عليه خدمة مصالحه وتحقيق أهدافه في هذا المجال.

تثبت عدة قراءات نقدية مدى مساهمة هذه الشبكات في إحداث التغييرات على جميع المستويات، وإيجاد أرض خصبة للتواصل والتفاعل والإبداع بعيداً عن الأهداف الربحية التجارية، وإيجاد مواطن مستخدم نشط يفكر ويناقش وينتقد دون خوف أو قيد، وكل هذا في ظل مفاهيم المساواة وذوبان الفوارق الاجتماعية

والاهتمامات المشتركة والإتاحة المعلوماتية،¹ ثم مفاهيم الانفتاح على الآخر والتواصل الثقافي والتعايش السلمي.

أزالت شبكات التواصل الاجتماعي الحدود التقليدية التي تعيق التواصل بين مختلفي الثقافات، فاختلفت بذلك مبررات البعد الجغرافي والاختلاف الزمني والضعف التقني، التي تعكس عجزا عن التقريب بين الشعوب، لتحل محلها تناقضات بين القيم التقليدية أو القيم الحديثة، الخصوصية أو العالمية، الانفتاح أو الانغلاق. من هنا تبدأ مرحلة بحث جديدة عن التوازن الذي يلي رغبات الشعوب واحتياجاتها، في عالم له قوانينه الخاصة ومعادلاته التي باتت تطرح الكثير من التعقيدات، في هذا الفضاء الذي أصبح محط أنظار الباحثين والمهتمين بالشأن الثقافي، ليخلق هذا الواقع الجديد بمتغيراته قدرا كبيرا من الاهتمام العلمي بالثقافة ودورها المؤثر في التواصل.

إن الثقافة التي تمثل الوعاء الذي يعبر عن الشعور بالانتماء إلى أي مجتمع أو جماعة معينة، وتلك التوليفة بين القيم السائدة والتقاليد والعادات المتبعة والديانة المعتقدة واللغة القائمة والناقلة والتاريخ الشاهد على الماضي والحاضر...، أضحت المعيار الأول في الحكم على اختلاف المجتمعات وتمايزها عن بعضها البعض، مما أوجد تنوعا ثقافيا بينها جعلها تعيد صياغة أفكارها وتوجيه أفعالها وبناء علاقاتها على ضوء ذلك التنوع والاختلاف، وفي سياق مستجدات الفضاء الافتراضي.

يطرح الحديث عن الاتصال بين الثقافات عبر هذا الفضاء عموما والشبكات الاجتماعية خصوصا الكثير من الإشكالات على المستوى الممارس، تتمحور حول استحالة الانغلاق في مقابل الخوف على الخصوصية، وضرورة التواصل في مقابل ضبابية الوعي بقيم التواصل، وحتمية التبادل والانفتاح في مقابل الخلل المعرفي بالذات والآخر، فهل يمكن أن يكون هناك تواصل بين الثقافات يتحدى كل هذه الرهانات المتعددة الجوانب؟، وهل يسمح لنا بالحديث عن إثراء التنوع الثقافي أمام الصيحات المتعالية للثقافة الكونية التي تروج لها العولمة وتدعهما وراء قناع العالمية والإنسانية؟.

¹ - ثريا أحمد البدوي، مستخدم الأنترنت - قراءة في نظريات الإعلام الجديد ومناهجه-، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2015، ص23.

لا يمكن الحكم هنا بمدى نجاح أو فشل شبكات التواصل الاجتماعي في تحقيق تواصل فعال وبناء يضمن الحفاظ على خصوصية التنوع بين الثقافات دونما النظر إلى مختلف السياقات التي تضبط وتوجه العلاقات التواصلية بين مختلف الثقافات. وعلى تعدد هذه السياقات وتنوعها بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي... يعتبر السياق الثقافي بمختلف أبعاده من أهم ما يمكن أن يؤثر على الاتصال بين الثقافات المتنوعة التي يحتضنها هذا الفضاء، الذي لا يمثل في عمومها إلا انعكاسا للواقع، واقع تحكمه وتوجهه مجموعة سياقات نحو قبول الثقافة الأخرى أو رفضها بل وحتى الصدام معها.

لعل من أهم الثقافات التي يشهد الواقع على ضباية علاقاتها ومن قبله بصم التاريخ على ذلك، العلاقة بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وهي علاقة لم يستطع البحث العلمي بعد تحديد مسارها والتوقيع على خاتمها، فهي علاقة لا تزال تعكس "انشغال العرب بمشكلة تحديد الهوية أو الذات في مواجهة الآخر، وعلى الدوام كان الغرب أو الأوروبي ولأسباب تاريخية وحضارية هو الذي يمثل الآخر أمام العربي".¹ فلا يتوقع من علاقة حددت الآخر بالنسبة لها أن يستطاع الفصل فيها بسهولة، في عالم كثير التقلبات، تتجدد أحداثه باستمرار لتشكل بدورها سياقات تنعكس على اتجاه العلاقة. وعن أهمية السياق الثقافي فإن خصوصية العلاقة بين الثقافتين تحدد لنا بعض أبعاده المثيرة للجدل والتي يمثلها كل من الدين، القيم واللغة، حيث تساهم ولا بد في تحديد الاستجابات التي تسلك على إثرها، وتثير الإشكالات التي تطرح انطلاقا من خلفياتها، فما هي أهم مدلولاتها وتحليلاتها في حدود العلاقة بين الثقافتين؟.

يعدّ الدين من أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في ثقافة الإنسان، هذا بالإضافة إلى أنه عنصر فعال وأساسي في تكامل الثقافة وتجانسها، فالدين يدعم القيم والعادات ويتضمن جزاءات أخلاقية لضبط اتصال الأفراد بعضهم ببعض، مما يحقق الثبات والاستقرار والمحافظة على النظام الاجتماعي والتوافق معه.² فهو يمارس وظيفة ضبط مزدوجة، وظيفة منها لتحديد السلوك الصادر من أفراد المجتمع باتجاه المعايير المتعارف عليها في المجتمع، والأخرى لإرشاد النسبة القليلة باتجاه التقويم الصحيح للسلوك ضد الانحرافات

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة، الأزاريطة، 2007، ص 387.

² - المرجع نفسه، ص 228.

التي تظهر في كل مجتمع.¹ وعليه فإن ما تقوم عليه الديانة من معتقدات وأحكام وشعائر ووظائف لها انعكاساتها على العلاقات التواصلية أيضا في الشبكات الاجتماعية، خاصة وأن الفرد بطبعه يمتاز -في الغالب- بسعيه للحفاظ على ديانته والالتزام بقواعدها والعمل وفق ما تمليه عليه، إذا ما اجتمع بالآخر المختلف عنه دينيا، بل إنه لطالما تجاوزت الثقافات أو تصارعت من منطلقات دينية، فكانت الاختلافات بينها على هذا المستوى عاملا قويا في رسم حدود العلاقات بينها.

إن الدين في العلاقة بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية كأحد عناصر التنوع الثقافي في هذه الدراسة يثير بدوره نقطة استفهام حول تجلياته لدى أفراد الثقافتين، وانعكاس ذلك على التواصل بينهما، خاصة بالنظر إلى تباين المكانة التي قد يحتلها الدين في كل ثقافة، فكيف يجسّد كل منهما هذه المكانة أثناء تواصله مع الطرف الثاني؟ وما هي الاستجابات التي يحققها السياق الديني في سبيل تحديد وتوجيه مسار هذه العلاقة؟.

تتمتع القيم من جهة ثانية بقدر لا يقل أهمية عن سياق الدين في ضبط هذه العلاقة، فالقيم "من الدوافع الرئيسية للفرد تحرك سلوكه وتحدد أسلوبه في تعامله مع البيئة التي يعيش فيها، إذ يتعذر فصل سلوك الإنسان عن قيمه أو عن قيم مجتمعه في أي موقف من المواقف"،² وهي تدفع الإنسان إلى كل ما يجلب له المنفعة ويبعد عنه المضرّة، باعتبارها أفكار اعتقادية تتعلق بفائدة كل شيء من وجهة نظر حاملها، فتصبح دوافع لسلوكه الاجتماعي مع غيره من الناس، كما أنها تختلف باختلاف الثقافات، فما يعد قيمة إيجابية في ثقافة ما، قد يعد سلبية في ثقافة الأخر. ولكل ثقافة نسق من القيم، وهو ما يؤكد على العلاقة بين الثقافة وبين ما اشتملت عليه من قيم مستمدة مباشرة من أنماط وسلوكيات معينة واقعية.³

تساعد القيم التي تتبناها وتتحلى بها كل ثقافة من الثقافتين في تحديد الأسلوب الذي تتعامل به مع الجهة الأخرى، والذي لا يخرج أو يتعدى حدود مبادئها ومعاييرها، ولكنها في المقابل تتحدى موجة التغيير

¹ - أسعد شريف الإمارة، جدل الإنسان -قراءات نفسية اجتماعية-، ط 1، دار المنهجية، عمان، 2016، ص 157.

² - أسمي نوري صالح، القيم السائدة في الدراما التركية والمصرية، دار غيداء، عمان، 2015، ص 45.

³ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص ص 406، 407.

القيمي التي تدفع بها العولمة خاصة داخل أسوار الفضاء الإلكتروني، فهي "تعيد صياغة العديد من القيم والأفكار والمعتقدات في المجتمعات الإنسانية بحيث تصبح في النهاية متشابهة إلى حد كبير"¹.

أمام هذا التحدي الكبير الذي يقف أمام منظومة القيم عموماً وفي تمثّلها عبر الشبكات الاجتماعية خصوصاً، باتت هناك ضرورة وإلحاح على الثقافتين لمراجعة نسقهما القيمي في سياق العلاقة الاتصالية بينهما، مراجعة نقدية تعطي نفساً جديداً لسيرورة تلك العلاقة، وتدعو كلا الثقافتين لفك كل الالتباسات المفاهيمية التي يمكن أن تقع على قيمهما، والتي قد تسبب لهما الافتقار إلى الواقعية، مما يعرقل انفتاح كل منهما عن الآخر، وعلى تعدد دعوات لتجديد القيم وأخرى للحفاظ على القيم التقليدية وثالثة للتخلي بالقيم العصرية ورابعة لترشيد القيم...، وعلى اختلاف كل ثقافة في التعامل معها، ومدى استثمارها أو استغلالها في التواصل بينهما، يطرح هنا السؤال نفسه: ما هي الاستجابات التي يحققها السياق القيمي في حدود العلاقة الاتصالية بينهما؟.

كما تعمل القيم ومثلها الدين على توجيه سلوك الأفراد من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية في العلاقة القائمة بينهما، كذلك هو الحال بالنسبة للغة، فهي تعدّ عاملاً فعّالاً في تحديد الاختلاف بين الثقافات وتمييزاتها، وتمثّل الوسيلة التي ينقل من خلالها الثقافة. وتستطيع اللغة شأنها شأن الدين والقيم "أن تثير استجابات عاطفية قوية، فاللغة هي الرحم أو القلب الذي تتشكل فيه ذكرياتنا المبكرة وتعليمنا ومعتقداتنا وثقافتنا، وقد نجد في بعض الشعوب أن ما يهدّد اللغة يعدّ من الخطورة بحيث يهدد وجود الفرد ذاته"²، واللغة تمثّل مجموع الرموز والدلالات التي تنقل بين الثقافتين تحقيقاً للتفاعل بينهما، رموز يجب أن تكون مفهومة من كلا طرفيها.

لقد أحدثت شبكات التواصل الاجتماعي قفزة نوعية في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية واللغوية، حيث تعد دراسة تأثيراتهما اللغوية والهوياتية على مستوى الفرد والمجتمع العربي مطلباً مستمراً في ظل ما يموج فيه المجتمع المعاصر من تغيرات متلاحقة. وتعد الهوية اللغوية واحدة من القضايا التي دار ومازال يدور

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، التصنيف القيمي للعولمة، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2001، ص 29.

² - السيد عبد العاطي السيد، البيئة والمجتمع، دار المعرفة، الأزاريطة، 2007، ص 50، 51.

حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث، ولا سيما مع تنامي موجات العولمة وما رافقها من تطورات هائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والتواصل، وما أحدثه ذلك من تأثير في النسيج اللغوي والثقافي.¹

لا يمكن فهم الرسالة واستيعابها في غياب لغة يتفق الطرفان على اعتمادها في تسيير العلاقة التواصلية بينهما، وفي سياق هذا العالم الافتراضي الذي اختلطت فيه الأوراق بين لغات تصارع من أجل البقاء، وبين أخرى فرضت وجودها على هذا العالم بما تملكه من سلطة العلم والتكنولوجيا، بات السؤال يطرح نفسه: فيم تتجلى الاستجابات التي يحققها السياق اللغوي الذي يدور في فلكه التواصل بين الثقافتين؟.

رغم أهمية السياقات السالفة الذكر، لا يمكن أن نلغي أثر السياقات والأبعاد الثقافية الأخرى في التفاعل بين الثقافات عموما وبين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية خصوصا، كبعد التاريخ والعادات والتقاليد والمكانة الاجتماعية للفرد والتوجه السياسي...، وهي كلها أبعاد تساهم في رسم صورة ذهنية عن الذات من جهة، وعن الآخر من جهة أخرى في حدود العلاقة القائمة بين الطرفين.

يملك الأفراد من الثقافة العربية الإسلامية صورة ذهنية عن أنفسهم وثقافتهم، تشكلت انطلاقا من سياقات مختلفة، وهو ذات الأمر بالنسبة للصورة الذهنية التي تم تشكيلها عن الثقافة الغربية وأفرادها، مما جعل تحديد اتجاه العلاقة مع هذه الثقافة مرهون بتلك الصور التي تتراوح بين الإيجابية والسلبية. وبما أن هذه الصور لم تخلق من فراغ، ولها من المبررات ما يوثقها ويثبتها، فالأمر يحتاج نظرة تفحصية على مستوى الأحكام التي تتضمنها، خاصة في رحاب العالم الافتراضي الذي وفر كل المعلومات التي يمكن أن تساهم في بناء حكم وتصوّر لكل ثقافة عن الأخرى، ومنه التواصل بينهما وفق تلك الخلفيات والانطباعات، فما هي إذن معالم تلك الصور الذهنية التي يمتلكها كل منهما عن الطرف الثاني، والتي تتدخل في توجيه العلاقة بينهما؟.

¹ - حسن مالك، شبكات التواصل الاجتماعي وأزمة الهوية اللغوية في العالم العربي، مجلة باحثون، ع1، مطبعة وراقة بلال، المملكة المغربية، 2017، ص 35.

يعمل كلا من السياق الثقافي والصورة الذهنية كأنساق اتصالية على توجيه العلاقة بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية عبر الشبكات الاجتماعية، والتي تظهر في أنماط متعددة، منها ما هو فردي يوفر خصوصية في التواصل ويمنح العلاقة صفة الاتصال الشخصي، ومنها ما هو جمعي يتم على مرأى الجميع، وتعتبر التعليقات هنا من أهم الأشكال الاتصالية تمثيلاً له، من خلال تبادل الآراء ووجهات النظر علناً، كما يعتبر موقع اليوتيوب من بين مواقع الشبكات الاجتماعية الهامة التي أتاحت هذه النمط التواصلية بشكل مكثف، بفضل "تدعيمه للمشاركة بين الثقافات، عبر تشجيع المستخدمين بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية على مشاركة الأنشطة المختلفة، كرفع الفيديوهات "Up loading" والمشاهدة "Viewing" والمناقشة "Discussing"، وإنشاء قنوات خاصة بهم على الموقع لإنتاج محتوى إبداعي ومشاركة مقاطع الفيديو التي تخصهم مع المستخدمين حول العالم.¹ فالناظر للتعليقات في هذا الموقع يجد أنها هناك تنوعاً كبيراً يصعب حصره أو تحديده نوعه من حيث الهويات المشاركة في حدود هذا المجال العام الافتراضي، أين تبرز ظاهرة الأسماء المستعارة التي يستحيل من خلالها تحديد جنسية الشخص أو ثقافته أو ديانتها إلا ما جاء من المستخدم من تصريح ضمني أو صريح عن هويته الشخصية، فكيف يظهر الفعل الاتصالي بين المستخدمين من خلال تعليقاتهم على مواضيع موقع اليوتيوب؟.

إن كل الإشكالات السابقة تدفعنا للبحث نظرياً في واقع العلاقة الاتصالية بين الثقافات عموماً، وميدانياً في تخصيص تلك العلاقة بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية للتعرف على حقيقتها ونقاط القوة والضعف فيها من منظور المستخدم العربي المسلم، وذلك في نسق شبكات التواصل الاجتماعي كفضاء افتراضي ساهم في تذليل صعوبات التواصل التقنية، وبقي محل شك في النواحي الأخرى. من هنا جاء هذا البحث الذي يسلط الضوء على هذه القضية في حدود السؤال الرئيسي الآتي: ما هو واقع الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع الثقافي العربي الإسلامي والغربي؟

¹ - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 48.

يندرج تحت السؤال الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية كآتي:

- فيم يتجلى السياق الثقافي الذي يوجه الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية؟
- فيم تتمثل الصور الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم العربية الإسلامية وعن الآخر الغربي في حدود الاتصال بينهما؟
- كيف يظهر الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستويي المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب؟

2- تحديد أهداف الدراسة على ضوء العناصر البحثية:

تسعى هذه الدراسة في مجملها إلى التعرف على واقع العلاقة الاتصالية التي تتم بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في حدود التنوع الثقافي القائم بين كل من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وذلك في المستويين النظري والتطبيقي.

2-1- أهداف الدراسة على المستوى النظري: وتتمثل فيما يلي:

- الانتقال بالمشكلة البحثية من المستوى التجريدي إلى المستوى الواقعي الملموس، بما يقنع القارئ بأهمية الموضوع.
- الكشف عن الخلفية المعرفية للدراسة على المستوى المفاهيمي وصولاً للمفاهيم العملية الإجرائية.
- الإحاطة بالمنطلقات المعرفية لهذا الموضوع من خلال عرض الدراسات التي أعطته الأسس العلمية والشرعية البحثية في سبيل تحقيق الفجوة المعرفية.
- عرض الأدبيات النظرية للدراسة بما يغطي متغيرات الدراسة وأبعادها في سياق تطورها التاريخي.
- التعرف على الخلفيات الإمبيريقية في بعدها المقارباتي النظري والمنهجي.

2-2- أهداف الدراسة على المستوى التطبيقي: وتتمثل فيما يلي:

- الكشف عن تجليات السياق الثقافي الذي يضبط الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.
- التعرف على حقيقة الصورة الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن الذات العربية الإسلامية والآخر الغربي في حدود الاتصال بينهما.
- الكشف عن كيفية تظهر الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستويي المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب.

ثانيا- الخلفية المعرفية للدراسة:

1- البنية النظرية والإجرائية للمفاهيم المؤسسة للدراسة:

لا يمكن للباحث فهم موضوعه وحل المشكلة التي يبحث فيها ما لم يحدد بدقة تعريفات المفاهيم التي يعالجها ويضبط خصائصها، ويعمل على نقلها من المفاهيم المجردة إلى المتغيرات الملموسة الإجرائية التي يمكن ملاحظتها في الواقع، بما يساعده على الإجابة على تساؤلات الدراسة.

لأننا نبحث في مجال العلوم الإنسانية تبقى المفاهيم التي تشكل هذا المجال فضفاضة تحمل الكثير من آراء المفكرين والعلماء التي تختلف باختلاف التخصصات ووجهات النظر الخاصة بكل عالم، لذا سنحاول في هذا العنصر عرض بعض التعريفات الخاصة بكل مفهوم في الجانبين اللغوي والاصطلاحي، ثم نحدد مفهومنا الاجرائي له، والذي يتوافق مع ميدان الدراسة ويساعدنا على تحقيق أهدافها.

قمنا بتقسيم هذه المفاهيم إلى المفاهيم الأساسية للدراسة والتي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، والمتمثلة فيما يلي: الاتصال - الشبكات الاجتماعية - التنوع الثقافي - الاتصال الثقافي.

أما القسم الثاني فتضمن المفاهيم الحافة التي لها علاقة غير مباشرة بمتغيرات الدراسة، لكنها لا تقل أهمية عنها تعكس أبعادها والمفاهيم المرتبطة بها، وتتمثل فيما يلي: الخصوصية الثقافية - السياق - الصورة الذهنية - المستخدم.

1-1- المفاهيم الأساسية للدراسة:

هي التي تتعلق بمتغيرات الدراسة التي تظهر في العنوان، والتي عن طريق ضبطها يمكن للباحث تحديد مسار بحثه ومرتكزاته الأساسية فيه.

1-1-1- تعريف الاتصال (Communication)

أ- لغة: الاتصال من (و ص ل) في الفلسفة وهو اتحاد النهايات، واتصل اتصالاً أي اجتمع ولم يتفرق، ويعني أيضاً الانتماء والاتصال بالشيء أي بلوغه،¹ ويقصد به أيضاً التقى.²

ب- اصطلاحاً: عرف مصطلح الاتصال تعدداً في التعريفات وتطوراً دلالياً ملحوظاً، شأنه في ذلك شأن المصطلحات الشائعة ذات الاستعمال المتنوع بتنوع الحقول المعرفية واختلاف وجهات النظر بين الباحثين، خاصة في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة.

تشتق كلمة اتصال من الأصل اللاتيني "communio" وتعني مشترك، وفي الأصل الإنجليزي تعني كلمة "commun" أي شائعاً ومألوفاً، ومن خلال المفردات السابقة نستطيع أن نلم بمعنى كلمة اتصال على أنها تعني عملية نقل وتبادل المعلومات، وجعل معانيها معروفة بين الناس لتحقيق غرض ما أو أثر ما. وهي كمصطلح أساسي يقصد به العملية الرئيسية التي يمكن أن ينطوي عليها كافة أوجه النشاط الإعلامي والدعائي والتوعوي... بالإضافة إلى أنشطة العلاقات العامة والمعلومات التي تتفق جميعها فيما بينها في أنها عمليات اتصال بال جماهير، وإن كانت تختلف من حيث أهدافها ووظائفها ووسائلها وجماهيرها، وجوانب التأثير الناتجة عنها.³

أعطى هذا التعريف معنى واسعاً للاتصال، فاعتبره أوسع من أنه مجرد عملية نقل معلومة من مرسل إلى مستقبل في حدود ضيقة، ليكون جزءاً لا يتجزأ من مختلف الأنشطة التوعوية والدعائية والإعلامية، التي وإن اختلفت أهدافها تبقى خاصية الاتصال تجمعها، بل لا يمكن تعريفها دون ذكر البعد الاتصالي فيها.

¹ - جبران مسعود، الرائد - معجم لغوي عصري، ط 7، دار العلم للملايين، لبنان، 1992، ص 17.

² - جمال بن الشيخ، قاموس البدر، ط 1، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 26.

³ - محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، ط 1، دار الفجر، القاهرة، 2004، ص ص 9، 10.

يعتبر الاتصال مادة أو نسيج العلاقات الإنسانية التي نصنعها لكونه يتخلل كل شيء نفعله، إنه التيار الذي يسري خلال تاريخ الانسان كله ليوسع باستمرار من مدركاته وقنواته للمعلومات، بل إن الاتصال هو أعظم مهارة عند الإنسان، فالشخص يدخل في علاقات اتصالية مع غيره لأنه يريد أن ينتسب إلى البيئة أو بالأخص البيئة الإنسانية من حوله، وليس هذا فحسب بل إن المجتمع عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات التي يحافظ عليها الاتصال.¹

إن تشكيل بيئة إنسانية كما يظهرها هذا التعريف هي أسمى أهداف الاتصال، بيئة يسودها أشكال مختلفة من العلاقات تحقق انتسابه للمجتمع بل للبشرية جمعاء.

يعرف الاتصال أيضا بأنه "العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين، يختلف من حيث الحجم ومحتوى العلاقات المتضمنة لدى جماعة صغيرة أو مجتمع محلي أو مجتمع قومي أو حتى إنساني ككل".² وبما أن النسق الاجتماعي يختلف من مجتمع إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، فهو بالضرورة يتبعه اختلاف في سيرورة العملية الاتصالية داخلها، وفي توجيه العلاقات وتنظيمها.

من خلال التعريفات الاصطلاحية نستخلص خصائص الاتصال والمتمثلة في:

- الاتصال حاجة اجتماعية تتم في إطار نسق معين.
- هو عملية ديناميكية تقوم على نقل وتبادل معلومات بين طرفين أو أكثر.
- الاتصال يتم في سياق معين.
- يسعى لتحقيق الفهم المشترك بين أعضائه لتحقيق أهداف محددة.

¹ - طارق قاسي أحمد الخليلي، معجم مصطلحات الاعلام إنجليزي-عربي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الإسكندرية، 2008، ص70.

² - أحمد عزوز، الاتصال ومهاراته - مدخل الى تقنيات فن التبليغ والحوار والكتابة-، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، وهران، 2016، ص22.

من المفاهيم التي تتقاطع أحيانا وتتداخل أحيانا أخرى مع مفهوم الاتصال ليحمل في الكثير من المواقف نفس معناها مصطلح التواصل، لذا سنحاول التعرف على معانيه ثم التمييز بينهما بتبيان أوجه الاختلاف والتشابه التي من خلالهما يمكن الحكم على العلاقة بينهما.

✓ تعريف التواصل (communication): يمكن إرجاع مفهومات التواصل إلى معنيين: تقني محض، ووظيفي خصب بحسب مجالات التوظيف. فالتواصل بالمعنى التقني؛ يفيد نقل معلومات من مرسل إلى متلق بواسطة قناة بحيث يستلزم ذلك النقل من جهة وجود شفرة، ومن جهة ثانية تحقق عمليتين هما: ترميز المعلومات [Encodage]، وفك الترميز [Décodage]، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث أثناء عملية التواصل، وكذا أشكال الاستجابة للرسالة والسياق الذي يحدث فيه التواصل.¹

إلا أن هذا التعريف وجهت له انتقادات من طرف عدد من الباحثين لكونه يحصر وظيفة التواصل في الإبلاغ والاطلاع والإخبار ونقل المعلومات، في حين يتضمن مفهوم التواصل المجال السيكلولوجي الاجتماعي الذي يهتم بدراسة تبادل الرسائل اللغوية وغير اللغوية بين الأفراد والجماعات، وذلك لأن كل فرد يجد نفسه مجبرا على التواصل مع غيره، لتلبية حاجته الاجتماعية للاعتراف به، وهي حاجة رئيسية تفرض إقامة علاقة مع الغير، إيجابية كانت أو سلبية أو محايدة.²

أما التواصل من المنظور الوظيفي فهو ليس مجرد نقل المعلومات والأخبار إلى المخاطبين، بل هو عالم يتفاعل فيه الناس، وتبرز فيه العلاقات البشرية بكل زخمها وحمولتها الاجتماعية والنفسية، وهو تفاعل إيجابي نابع من رغبة صادقة في صلة الآخر بما فيها من دلالات الصيغة الصرفية للمصطلح فضلا عن الأصل المعجمي، ذلك لأن التواصل يفيد المشاركة في مقابل الاتصال الذي يحمل دلالة المبادرة من جهة واحدة، وأصله الوصل بما يحيل عليه من الإحسان والعطف والرفق المتبادل، والإحساس بمعنى الرحم الإنسانية الجامعة.³

¹ - عبد الحليم آيت أمجوض، الحوار في الواقع المعاصر المفهوم، المشروعية، والأبعاد التواصلية والحجاجية، ط1، مطبعة تامونت، أكادير، المغرب، 2009، ص 62.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

لقد فرق بعض الباحثين بين الاتصال والتواصل، أين يشير هذا الأخير وهو المأخوذ من فعل (تواصل) إلى حدوث المشاركة بين طرفين، مع الرغبة في إقامة العلاقة المتينة بينهما، كما يشير إلى انفتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تنقطع حتى تعود من جديد، أما الاتصال المأخوذ من كلمة (اتصل) فيعبر عن رغبة أحد الطرفين في إقامة علاقة مع الآخر، إلا أن هذا الآخر قد يستجيب متفاعلا مع تلك الرغبة أو قد يرفضها.¹ ونحن في دراستنا هذه سنعمد على كلا المصطلحين للتعبير عن دلالة واحدة وهي العلاقة بين المشاركين دونما النظر إلى رغبة الطرف الآخر.

ج-إجرائيا: يمكن أن نعرف الاتصال انطلاقا من ميدان الدراسة بأنه العلاقة التواصلية التي تقوم على نقل الأخبار والمعلومات وتبادل الخبرات بين أفراد الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، في حدود سياقات ثقافية مختلفة، وصور ذهنية متنوعة لدى الطرفين، توجه العلاقة الاتصالية وتتحكم في سيرورتها، وسط مجال عام افتراضي له محدداته الخاصة.

1-1-2- تعريف الشبكات الاجتماعية (Social Networks) :

أ-اصطلاحا: الشبكات الاجتماعية هي مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب، وهو ما يعرف باسم ويب 2.0، حيث تتيح هذه الشبكات التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات اهتمام (بلد، جامعة، مدرسة، شركة...)، كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر مثل إرسال الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين، وغرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض.²

¹ - حليلة قادري، التواصل الاجتماعي، ط1، الدار المنهجية، عمان، 2016، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص 103.

تعرف أيضا بأنها مجموعة واسعة من خدمات الأنترنت والهاتف المحمول والتي تسمح للمستخدمين بالمشاركة التفاعلية عبر الأنترنت، ونشر المحتوى الذي تم إنشاؤه من طرفهم والانضمام للمجتمعات الإلكترونية.¹

ركز هذان التعريفان على البعد التقني للشبكات الاجتماعية، ومختلف الخدمات التي تقدمها للمستخدمين، أين تجمعهم في بيئة افتراضية تحت جماعات لها ما يجمعها من عوامل تتعدى حدود الزمان والمكان.

هناك منظور آخر لهذه الشبكات التي يحضنها الفضاء السيبراني، وذلك باعتبارها تمثل نسقا من القيم والمعايير التي يكتسبها الفرد عن طريق مختلف التفاعلات والرموز المنتجة، التي تعبر عن تجربة إنسانية جديدة أفرزت معارف جديدة في نطاق واقع افتراضي تعيش فيه الجماعات متحدية المكان الأعراف والثقافات. وهذه التفاعلات إما أن تكون قائمة على المعارضة لتحمل الاختلاف والمنافسة، أو تكون بالتكيف لتعبر عن الامتزاج والانصهار، أو بالوسطية القائمة على الموازنة وحسن الانتقاء.²

يظهر من خلال هذا التعريف البعد السوسيولوجي لكونه اعتبر هذه الشبكات نسقا قيميا يتبادل في حدوده الأفراد مختلف الرموز التي تعبر على ثقافتهم متجاوزين القيود الزمكانية، ليكونوا بذلك علاقات متعددة الأشكال والأنماط قد يسيطر عليها التفاهم أو الانصهار أو الصراع.

كما تسمى أيضا بمواقع التواصل الاجتماعي، ويقصد به الموقع الذي يمارس فيه النقد، وتولد أفكارا وطرقا جديدة للتنظيم والتدريب بين أفراد المجتمع، وربما الأكثر أهمية يشير إلى الإعلام البديل الذي يتناول الموضوعات الحساسة في الآليات الاجتماعية السياسية والاقتصادية والتوترات بين السيطرة والحرية، وبين العمل والبطالة وبين المعارضة والحكومة، وينحصر الإعلام البديل من مرجعية عفوية وغير منظمة، تأخذ من مبدأ حرية التعبير والاستقلال عن كل الالتزامات الأيديولوجية أو الاقتصادية القائمة دون أية قيود،

¹ - OUALID Habib, **Les outils de la communication digitale- 10 clés pour maitriser le web marketing**, Edition Eyrolles, Paris, 2013, p19.

² - حليمة قادري، مرجع سابق، ص 194.

وهو ما يشير إلى أن الإعلام البديل هو حصيلة مواقف فكرية تعمل بالاعتماد على قاعدة الشكل الذاتي، وبعيدا عن النظرة القيمة يجب أن نتعامل مع هذه الظاهرة الاتصالية والاعتراف بها بحثيا، وتأطيرها ضمن تحولات المثل الجماعية التي تشقها العديد من الإفرازات، ونتيجة لسلطات رمزية خصوصية فأصحاب الإعلام البديل يسعون لكسب رأسمال رمزي أكثر من انخراطهم في تحقيق رأسمال مادي.¹

ب- اجرائيا: انطلاقا من ميدان الدراسة وبالاعتماد على التعريفات الاصطلاحية يمكن أن نعرف الشبكات الاجتماعية بأنها تقنية من تقنيات الفضاء الافتراضي تتكوّن من مجموعة مواقع الكترونية مختلفة (الفايس بوك، اليوتيوب، والأنستغرام....) تتيح للمنخرطين فيها من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية التواصل فيما بينهم، باستخدام وسائط متعددة (صور، فيديوهات، نصوص، روابط...)، حيث تسمح هذه الشبكات بتبادل المعارف والخبرات والثقافات فيما بينهم، على مستويين: المستوى الشخصي والمستوى الجمعي.

1-1-3- تعريف التنوع الثقافي (Cultural Variation) :

لا يمكن أن نعرف هذا المصطلح مباشرة إلا بعد أن نعرف مفهوم الكلمات التي تركبه وهما كل من: التنوع والثقافة.

✓ تعريف التنوع (Differentiation)

أ- لغة: يعرفه سنسر بأنه الانتقال من المتجانس homogène إلى غير المتجانس hétérogène ومن المتشابه إلى المختلف.²

ب- اصطلاحا: يعرف التنوع حسب الموسوعة العربية للعطاء الاجتماعي على أنه مجموعة من الفوارق المرتبطة بالعرق والجنس والهوية والجنسية والأمية والعمر والدين وأسلوب المعرفة ومستوى التعليم والوضع الاقتصادي والاجتماعي والطبقة والقدرة الجسدية والأصول الوظيفية وغيرها الكثير،³ أي أن التنوع لا

1- ابراهيم جابر السيد، الإعلام والمجتمع، ط1، بار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2015، ص 58.

2- مراد وهبة، المعجم الفلسفي: معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء، القاهرة، 1998.

3- أحمد عبد المنعم حالو، بشرى أحمد حالو، التنوع البشري في القرآن والسنة، ط1، دار الكنوز، عمان، 2015، ص ص 20، 21.

يرتبط بمجال معين، إذ أن كل فارق يحدث بين شيئين أو مجالين مهما كان تخصصهما، وكل اختلاف حاصل بينهما نسميه تنوعا.

وهناك تعريفات أخرى يمكن أن نذكرها في نقاط كالآتي: ¹

- التنوع هو الآخر، أو تلك الصفات الإنسانية التي تختلف عن عاداتنا وتقاليدينا وخارج الجماعات التي تنتمي إليها، والتي مازالت موجودة لدى الأفراد والجماعات الأخرى حتى الآن.

- التنوع هو فهم الاختلافات واحترامها والاعتراف بأوجه التشابه وتوسيع أفاقها، واحتضان نحو الأمية الثقافية.

- مفهوم التنوع يشمل القبول والاحترام، وهو ما يعني فهم كل فرد على أنه فريد من نوعه والاعتراف بالفروق الفردية بين البشر.

إن الناظر لهذه التعاريف يستنتج أن التنوع المقصود هنا هو اختلاف البشر فيما بينهم في كثير من الخصائص، مع التأكيد على شرط التعامل في بينهم، والذي يقوم أساسا على احترام وتقبل الآخر المختلف.

وهناك عدة آيات قرآنية تقرر مبدأ التنوع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ²

• قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْعَالَمِينَ ۝ ۳ ﴾ وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ ۴ ﴾.

• ومن إقراره التنوع الجنسي والعرقى أنك لا ترى جنسا واحدا أو عرقا من البشر فريدا، وإنما خلق

الله الخلق من ذكر وأنثى وجعلهم شعبا وقبائل كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ ۵ ﴾.

¹ - أحمد عبد المنعم حالي، بشرى أحمد حالي، مرجع سابق، ص 21.

² - المرجع نفسه.

³ - سورة الروم: الآية [22].

⁴ - سورة هود: الآية [118].

⁵ - سورة الحجرات: الآية [13].

● ومن مظاهر التنوع في القراءان تنوع الأديان والعقائد، فلم يكره المولى عز وجل الناس على دين معين، ومع هذا التنوع العقدي دعا المسلمين إلى احترام أصحاب الأديان الأخرى خاصة السماوية منها، وحسن معاملتهم لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾¹ وقوله تعالى في هذا السياق أيضا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾² أي أن التنوع يعتبر وجها من وجوه الاعتراف بالاختلاف والمختلف، أي الإقرار بالغيرية كمكون أساسي من مكونات الوجود البشري والاستقرار الإنساني سواء في جانبه المحلي أو جانبه الكوني. فالتنوع شأنه شأن الاختلاف والتعدد يسكن الثقافة واللغة والهوية، ومن هنا جاءت ضرورة حماية الثقافة من كل نغمة وتنميط يوقعها في اللبس والأحادية.³

خلاصة الأمر تتمثل في ضرورة البحث عن تنظيم التنوع، ونحن هنا نشدد على التنوع بدل التعدد لكوننا نريد أن نصل إلى تنوع تتم فيه عملية تحييد لعناصر الصراع التي يمكن أن يثيرها التعدد. إن تنظيم التنوع يحتاج إلى دراسات معمّقة في مكونات المجتمع، ومحاولة إيجاد تلك العناصر التي تساعد على تثبيت الاستقرار، ورعاية الحقوق والمصالح وحفظ الكرامات بين القوى الاجتماعية كافة.⁴

✓ تعريف الثقافة (Culture)

يعتبر مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تداولاً واستخداماً في المجال الاجتماعي، ولكنه لا يزال يلاقي الكثير من الغموض والالتباس كلما طرح كموضوع للنقاش، وقد تعددت تعريفاته باختلاف التخصصات والاتجاهات الفكرية للباحثين، وهو ما سنحاول عرضه فيما يلي:

¹ - سورة الممتحنة: الآية [08].

² - سورة العنكبوت، الآية [46].

³ - سالم يفوت، الديمقراطية سبيل حماية التنوع الثقافي (من كتاب: التنوع الثقافي و أسئلة التعبير و التدبير، تنسيق: حسن أوريد وحسن حافظي علوي، ط1، مركز طارق بن زياد، د م ن، 2010)، ص5.

⁴ - يوسف بن الغياثية، مناقشات في الفصل بين الدين والتنوع الثقافي، مجلة عمران للعلوم الانسانية، مج 1، ع 6، 2012، ص219.

أ- لغة: تنسب كلمة ثقافة إلى الفعل ثقف الذي يدل على عدة معان منها الحدق والفهم وسرعة التعلم، كما يدل أيضا على التسوية والتقويم،¹ ومن المجاز التثقيف أي التهذيب والتأديب، يقال: لولا تثقيفك وتهذيبك ما كنت شيئا، وهل تثقفت وتهذبت إلا على يديك.²

واللفظ العربي مأخوذ من تثقيف الرمح أي تسويته. يقال ثقف الرمح ويراد: قومه ونفى عنه الاعوجاج وجعله أداة صالحة من أدوات الحرب، ثم اتسع معناه شيئا فشيئا فأصبح المهارة في صناعة بعينها. ثم تجاوز هذا المعنى وانتقل إلى معنى يتصل بحياة العقل والذوق. فهي ذلك المجموع الكلي لأنماط السلوك المكتسب والاتجاهات والقيم والمعايير التي يشترك فيها وينقلها أفراد مجتمع معين.³

أما في المعاجم الكلاسيكية غير العربية فكانت كلمة ثقافة الفرنسية "Culture" تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية، وأصبحت تعبر عن فلاحه الأرض في القرن السابع عشر، وفي القرن الثامن عشر كانت تعبر عن التقدم الفكري للشخص خاصة، وهو ما يتطلبه ذلك من عمل، وما ينتج عنه من تطبيقات.⁴

ب- اصطلاحا: يمكن أن نعرف الثقافة انطلاقا من منظورين مختلفين:

➤ من منظور غربي: يعدّ اصطلاح الثقافة صناعة الأنثروبولوجيين بامتياز، لذلك فإن مفهوم الثقافة هو الحقل الأكثر ارتباطا بالدراسات الأنثروبولوجية، على الرغم من المساهمات الكثيرة والمتنوعة لمختلف العلوم الأخرى في هذا الحقل، خاصة في مجال تقديم تعريف لمفهوم الثقافة.⁵

¹ - ابن منظور، لسان العرب المحيط، مج 3، دار صادر، بيروت، د ت ن، ص ص 28-29.

² - محمد مرتضي بن محمد حسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 12، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص ص 34-35.

³ - محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص 191.

⁴ - أمين سعيد عبد الغني، الثقافة العربية والفضائيات - رؤية إعلامية من منظور منهجية التحليل الثقافي-، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص 16.

⁵ - عزام أبو الحمام، الإعلام الثقافي - جدليات وتحديات-، دار أسامة، عمان، 2010، ص 73.

من أقدم التعريفات وأكثرها ذيوغا حتى الآن تعريف الأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد تايلور "E.B.Tylor" الذي قدمه في كتابه "الثقافة والبدائية" عام 1871م، حيث يذهب فيه إلى التعريف الآتي: "هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد، وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين"¹، أي أنها جميع السمات المشتركة لمجموعة معينة من الأشخاص التي يتعلمونها، وليست سمات طبيعية فيهم.²

كما عرفها في "روشييه Guy Rocher" بأكثر شمولية من تايلور "E.B.Tylor" مستفيدا من كل التعاريف السابقة بأنها: "مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة، والتي اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص، تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن واحد من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة".³

ربط هنا روشيه Guy Rocher العناصر التي ذكرها تايلور "E.B.Tylor" والتي تكوّن الثقافة بصفة عامة بطرق وأساليب محددة يساهم في تكوينها الفكر والشعور الجمعي، مع ضرورة مراعاة مبادئ الموضوعية والرمزية، مما يجعلها معيارا في التمييز بين مختلف الجماعات.

ورد في تعريف آخر للثقافة والذي صدر عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية تحت إشراف اليونيسكو والمنعقد بمكسيكو 6 جويلية إلى 6 أوت 1982 ما نصه: "إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمع بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والأدب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم

¹ - عبد الغني عماد، سوسبولوجيا الثقافة، - المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة-، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 31.

² - Jens Allwood, **Intercultural Communication**, in the book "Papers in Anthropological Linguistics 12" published by the Department of Linguistics at the University of Göteborg ,p 2.

³ - عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 32.

القيم والتقاليد والمعتقدات".¹ ويعتبر هذا التعريف أيضا من التعريفات الواسعة التي جعلت الثقافة تضم كل شيء في المجتمع بمختلف جوانبه المادية والمعنوية، والتي تساهم في خلق تمايزه عن المجتمعات الأخرى. كذلك ينظر إلى الثقافة على أنها "عنصر مركزي في الحياة الاجتماعية والأعمال البشرية، وهي مفهوم معقد ومتنوع ومتحرك، ويمكن تعريفها على أنها مجموعة من المعاني والقيم والمعتقدات ذات الطابع الجماعي والتي تتمتع بثبات معين تميز مجموعة من الأفراد على أساس وطني أو عرقي أو غيره، وتوجه سلوكهم".² وهنا تظهر أهمية الثقافة في توجيهها سلوكيات الأشخاص إزاء القضايا المختلفة أو حتى الأشخاص. يتفق أغلب العلماء الغربيين على أن كلمة ثقافة تغطي مجمل العادات والتقاليد الإنسانية، فهي مجمل التجربة الإنسانية المتراكمة أو المكتسبة، ومجمل التصرفات التي يتعلمها الإنسان الاجتماعي، هي كل ما يفرزه المجتمع من أفكار وأخلاق وقيم ومعتقدات يقدمها لعناصره فيتعلمونها ويتكيفون معها. ذهب مالينوفسكي Malinowski وهو من أبرز الذين ساهموا في مجال الثقافة بتعريفه إياها قائلا: "إن الثقافة هي في حقيقة الأمر كل ما نعيشه ونخبره، وكل ما نلاحظه ملاحظة علمية، هي باختصار كل ما يتعلق بعملية تنظيم بني البشر في جماعات دائمة"³، أي أن الثقافة هي المسؤولة عن تنظيم المجتمع بفضل ما تمنحه له من ملاحظات علمية تمكنه من التأقلم مع الأوضاع المعاشة. الثقافة إذن ليست مجرد مجموع من أجزاء أو عناصر من المجتمع والمنتجات المادية في مجتمع ما، وإنما يميل كثير من الباحثين في الثقافة على أنها تميل دائما للانتظام والتكامل،⁴ أي أن هناك تناسقا بين العادات والمعتقدات وبين التقاليد والأفعال بما يحقق التناسق بين الفكر والعمل، وينعكس كل ذلك بدوره على حياة المجتمع وتصرفاته حيال الأشياء.

من بين تعريفات الثقافة أيضا ما ذكره كل من كروبر وكالكهون (Cropper and Calhoun) في بحثهم المسمى "مفهوم الثقافة" و الذي عرضوا من خلاله الكثير من التعريفات، ثم صاغوا تعريفهم الخاص الذي

¹ - أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر، د ت ن، ص 23.

² - Houda ZARRAD. La négociation interculturelle : Proposition d'un cadre conceptuel de l'impact de la culture sur la négociation, Faure et Rubin, Newbury Park, California, SAGE, 1993, p 02.

³ - بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري وآخرون، ددن، دم ن، دس ن، ص 137، 138.

⁴ - علي عبد الرازق جلي وآخرون، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة، الأزريطة، 2005، ص 103.

ذهبوا فيه الى أن: "الثقافة تتأسس على نماذج مستقرة من طرق التفكير و الإدراك وردود الفعل، والتي تعبر عن نفسها في رموز تجسد المنجزات البشرية، والنواة الجوهرية للثقافة تتشكل من الأفكار التقليدية (المنتقاة والمنقولة تاريخيا) والقيم المرتبطة بهذه الأفكار...".¹

لعل ما يميز تعريفهما عن غيره من التعريفات هو الإشارة إلى كيفية تعبير الثقافة عن نفسها، أين ذكروا أن ذلك يكون في شكل رموز تعكس المنجزات البشرية، كما أشاروا إلى أن الأفكار التقليدية ذات البعد التاريخي هي لب وجوهر الثقافة التي تنتقل من جيل لآخر.

بالنظر إلى ما سبق نلاحظ أن التعريفات الأنثروبولوجية لا تستثني شيئا من مجالات الحياة الإنسانية المادية والمعنوية، بل إنها تعادل الحياة الإنسانية بمختلف مجالاتها والمجتمع بكل مكوناته، ليقع بذلك هذا المصطلح في تقاطع كبير مع مفاهيم أخرى، نظرا لعدم وضع المتخصصين لحدود فارقة وملامح مميزة تمنعه ذلك التداخل المفهمي.

إذا كانت الأنثروبولوجيا تنظر إلى الثقافة على أنها أساس الحياة في كل المجتمعات البسيطة منها والمعقدة، فإن علم الاجتماع يرى أن الإنسان كائن اجتماعي، ولهذا فهو في كل مكان وفي كل زمان يعيش حياته في اتصالات مباشرة وغير مباشرة مع أقرانه، ولا يمكن للإنسان أن يعيش دون الاعتماد على الآخرين، أي أن كل شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي يعبر عن طرق مقبولة من السلوك، وهي الطرق العامة في المجتمع وتسمى ثقافة.²

إن الثقافة كمفهوم سوسيولوجي تشمل كل ما في البعد الأدبي والتراثي والمسرحي والفني، كما تشمل البعد الأنثروبولوجي الذي يطال الأدب والفن كما يطال حقل التعبيرات التي نطلق عليها عادة صفة اجتماعية والتي تميز جماعة بشرية معينة كالتقاليد والعادات والاحتفالات على أنواعها، ومسالك التعبير وتقاليد الطبخ وأشكال اللباس فضلا عن التصورات والأساطير والمعتقدات.³

¹ - جمال مجدي حسنين، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة، الأزاريطة، 2005، ص ص 43، 44.

² - علي عبد الرازق جليبي وآخرون، مرجع سابق، ص 116.

³ - عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 87.

➤ من منظور عربي:

مع النصف الثاني للقرن العشرين بدأ تيار متنام من المفكرين والدارسين العرب بالتعامل مع مفهوم الثقافة من زوايا واقعية معاصرة، متجاوزين بذلك المناقشات الغربية القديمة التي غلب عليها الطابع الأنثروبولوجي أو التاريخي أو البنيوي، وبذلك بدأت النقاشات حول مفهوم الثقافة تعكس أدوات مفهومية واقعية أو إجرائية تمكّن الدارسين والباحثين وحتى الإعلاميين من الارتكاز عليها في أعمالهم ومقاربتهم الإعلامية.¹

من تلك الإضاءات حول مفهوم الثقافة ما قدمه برهان غليون حيث يتساءل: "هل هي نظام القيم والمعايير الذي ينظم حياة الجماعة ويتحكم بسلوك أفرادها وبسلوكها الجماهيري واستمراريتها؟ أم هو الإنتاج الفكري للهيئة المثقفة من علماء وأدباء وفنانين والذي يشكل مرآة صادقة أو كاذبة لحياة المجتمع بكل ما تعنيه كلمة مرآة من سلبية؟، فالثقافة تعني بالمفهوم الأول القاعدة الأساسية التي تقوم بضبط المجتمع لبيئته وتاريخه وسيطرته عليهما، أي في الواقع تعامله سلبا أو إيجابا معهما، وتصبح بالتالي مصدر المدنية وعلتها. وتعني بالمفهوم الثاني المتعة التي يحصل عليها الإنسان من الثقافة واستهلاك الإنتاج الثقافي، فالنظرة الأولى ترى في الثقافة مجموعة قواعد، وترى فيها الثانية جملة منتجات ومواضيع استهلاكية".²

تشابه نظره الأولى للثقافة مع المفاهيم الغربية الأنثروبولوجية، إلا أن الثانية أعطت للثقافة بعدا استهلاكيا يقترب أكثر من المفهوم السوسيولوجي، وهنا جمع التعريف بين البعدين ليعطي صورة أشمل عن الثقافة.

يعتبر أيضا تعريف مالك بن نبي من أشهر تعاريف المفكرين العرب، والذي يعتبر الثقافة: "المحيط الفكري والسيكولوجي الذي يكتنف الوجود الإنساني في المجتمع، ويزوده بالخبرة المعرفية والسلوكية التي

¹ - عزام أبو الحمام، مرجع سابق، ص 76.

² - برهان غليون، اغتيال العقل - محبة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 82.

تشكل طباعه وتصبغ شخصيته بصبغة متميزة¹. وهنا يظهر الدور الشمولي للثقافة في المجتمع بتزويده الخبرات السلوكية والمعرفية التي تشكل هويته الخاصة.

حاول الجابري كذلك ضبط هذا المفهوم بقوله: "الثقافة هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطور بفعل ديناميكيتها الداخلية، وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء"². ويقرر الجابري هنا الدور الهام للثقافة في الحفاظ على هوية المجتمع سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي مما يمنحها حصانة أمام كل المستجدات التي قد تطول تلك الهوية، خاصة في ظل التواصل بين مختلف الجماعات.

كما عرف عبد الرحمن عزي الثقافة بأنها: "كل ما يحمله المجتمع "الماضي" وما ينتجه الحاضر" و"المستقبل" من قيم ورموز معنوية أو مادية، وذلك في تفاعله مع الزمان "التاريخ" والمكان "المحيط بما في ذلك المحيط الاجتماعي" انطلاقاً من بعض الأسس التي تشكل ثوابت الأمة وأصولها"³.

ما يمكن أن نشير إليه بعد عرض هذه التعريفات هو أن كلمة الثقافة باللغات الأوروبية أوسع دلالة منها في اللغة العربية، والتي تميل غالباً إلى تركيزها في معاني الأدب والفن والفكر، وهو التركيز الذي له ما يسنده أيضاً على المستوى الثقافي العربي السائد أو الرسمي، حيث أن هذا المعنى تبنته أيضاً المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الألكسو" بعد جهد طويل استغرق حوالي عقد من الزمن، فعرفت الثقافة بأنها "تشمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناه الواسع، مع ما يتصل بها من المهارات والوسائل التي ترتبط بكل أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى، مؤثرة فيها ومتأثرة بها"⁴.

¹ - مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 13.

² - حسين مسكين، الثقافة في زمن العولمة، من موقع: www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n73_02.zenadin.html تاريخ الدخول: 12-3-2017 على الساعة 12:34.

³ - عبد الرحمن عزي، ثقافة الطلبة والوعي الحضاري ووسائل الاتصال، مجلة المستقبل العربي، ع164، 1992، ص 34.

⁴ - حسام الخطيب، الثقافة والإبداع من زاوية البعد الجماهيري، في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الثقافة والإبداع، تونس، 1992، ص 139.

يظهر هذا المفهوم بأبعاده السابقة في ممارساتنا اليومية من جهة، وفي دور الثقافة لدينا من جهة أخرى، فهي لا تعدو في نشاطاتها عرض الأعمال الفنية والأدبية كأبرز عناصر الثقافة عندها.

✓ تعريف التنوع الثقافي (Cultural Variation)

أ- اصطلاحاً: موضوع التنوع الثقافي من بين الموضوعات التي حظيت باهتمام علماء الأنثروبولوجيا، خاصة فيما يتعلق بمدى هذا التنوع، وارتباطاته والعوامل المؤدية إليه. ويشير مصطلح التنوع الثقافي عموماً إلى الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها.¹

إن مصطلح التنوع الثقافي في ضوء البيو-تنوع يذهب بعيداً من ذلك، فهو يشير إلى أن تعدد الثقافات يتم في أفق متناسق ونظامي بحيث أن كل ثقافة تتطور وتنمو باحتكاك وتماس مع الثقافات الأخرى.² قد يطلق عليه أيضاً التباين الثقافي، ويشير عموماً إلى الاختلافات الثقافية العميقة بين شعوب العالم المختلفة، أي الاختلافات بين النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد التي تسود الشعوب، أو الاختلافات الثقافية في الشعب الواحد من عصر إلى آخر، فنظام الزواج أو الطلاق أو ميراث وغيرها، أو النظم الاقتصادية والنظم الدينية والسياسية والتربوية إلى غيرها من العادات والتقاليد التي تختلف من ثقافة إلى أخرى.³

يظهر هنا أن اختلاف النظم في المجتمعات بمختلف مجالاتها هو أيضاً جزء من الاختلاف الثقافي الذي يطبع المجتمعات ويخلق لها التمايز عن بعضها البعض، بل إن الاختلاف كما يقع على المستوى الخارجي يظهر أيضاً داخلياً على مرّ التاريخ.

ب- اجرائياً: نقصد بالتنوع الثقافي في دراستنا هذه اختلاف مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي المنتمين إلى كل من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية في مجموعة من الخصائص الثقافية والمتمثلة في:

¹ - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2006، ص 96.

² - بشرى بوفتا، إشكالية التنوع الثقافي دراسة تحليلية لنظم وأسس تدبير التربية على التعدد الثقافي بالمغرب، (أعمال الندوة الدولية:

التربية على التنوع الثقافي بالمغرب 8،9 ومايو 2007)، مكتبة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ص 55

³ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 61.

القيم، الدين، اللغة، التاريخ، العادات والتقاليد، الانتماء الجيوسياسي...، حيث يكون لكل منهم خصوصيته الثقافية التي تميزه عن الآخر من الثقافة الأخرى.

هناك بعض المصطلحات الأساسية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذا المصطلح يجدر الإشارة إليها، وتتمثل فيما يلي:

● التعددية الثقافية (Multiculturalisme)

تعني التعددية الثقافية وجود "مكان يضم جماعات بشرية مختلفة من حيث الشرائع والثقافات والقوميات والأجناس والأعراف والأفكار والتيارات والطروحات، ضمن إطار تنظيمي اجتماعي وقانوني وسياسي يضع منع تعدي أي فئة على الأخرى ويمنحها حق المواطنة".¹

تتكون المجتمعات المعاصرة من مجموعات ثقافية متميزة، وقليلة هي الدول المتجانسة ثقافياً، وتقوم الفوارق أول الأمر على الإثنيات، لكنها تقوم أيضاً على الجنس والدين، وقد تتناول كل حالات الحياة الخاصة. لذا يجب على المجتمعات المتعددة ثقافياً أن تجد الوسائل التي تؤمن التعايش للمجموعات المتميزة. وتشير التعددية الثقافية أي المعالجة السياسية لهذا التنوع الثقافي إلى العديد من الرهانات المهمة، خاصة ما يتعلق منها بالمواطنة وكيف يمكن أن تكون مواطناً كاملاً من دون نفي الخصوصية.²

يمكن اعتبار التعددية الثقافية أنها وجهة النظر التي تذهب إلى أن الدول لا ينبغي عليها أن تساند فقط المجموعة المألوفة من الحقوق الاجتماعية والسياسية والمدنية للمواطنة التي تحميها كل الديمقراطيات الدستورية، ولكن ينبغي عليها كذلك تبني حقوق الجماعات الخاصة المختلفة، أو السياسات التي تهدف إلى الاعتراف والتكيف مع الهويات والتطلعات المتميزة للجماعات العرقية الثقافية.³

¹ - إدريس بوعباني، التنوع الثقافي المغربي، بين المحلية والكونية، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطبعة آنفو- برانت، فاس، المغرب، 2018، ص ص 48، 49.

² - جان فرونسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، تر: جورج كتورة، ط1، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ص ص 234، 235.

³ - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 49.

تعبّر التعددية عن التنوع الثقافي في المجتمع وكيفية التعامل معه ولكن من منظور سياسي يتناول أهم القضايا التي تثير الجدل حوله كالمواطنة والحقوق والواجبات ومختلف القوانين التي تتعلق بتسيير هذا التنوع من طرف السلطات الرسمية.

● التداخل الثقافي (interculturalité)

هو مجموعة العلاقات والتفاعلات بين الثقافات المختلفة الناتجة عن المواجهات والمؤهلة للتفاعل بين الثقافات، مما يعني التبادل، فهو يقوم على الحوار والاحترام المتبادل والحرص على الحفاظ على الهوية الثقافية الفردية. كما يمكن أن تتخذ الثقافات المتعددة أشكالا أكثر أو أقل، وغالبا ما تكون تجربة غنية مع أو بدون حاجز اللغة الذي يمكن أن يكون عقبة أمام التبادلات، هذه اللقاءات مع الآخر هي أيضا فرصة للتفكير في الذات وفي العالم، ويمكن أن تكون أصل الاختلاط الثقافي.¹

لم يكتف هذا التعريف بذكر محور هذه العملية الذي هو التبادل والتفاعل، وإنما أشار إلى نقطتين مهمتين، أولهما الإشارة إلى احتمالية أن تكون اللغة عائقا في التواصل، كما أشار إلى هدف مهم من هذا التواصل وهو التعرف على الذات، والذي لم تذكره التعريفات الأخرى التي كثيرا ما تركز على الهدف العام وهو التعرف على الآخر المختلف.

● الاختلاف الثقافي (Cultural difference)

ظهر الاختلاف كمصطلح في السياسة الثقافية مع أواخر الستينات مع ما يسمى بالحركات الاجتماعية الجديدة التي تكاثرت مع أواخر القرن العشرين، وفي هذا السياق تفقد كلمة "اختلاف" التي تعني عدم المشابهة أو عدم المماثلة براءتها الوصفية، لتغدو مفهوما مشحونا إلى حد كبير، لاسيما فيما يتعلق بمناطق السياسة الجنسية أو العرقية، فالحق في الاختلاف هو أحد الشعارات العامة في هذه القضية كتعبير عن مخالفة التماثل الاجتماعي الذي تفرضه القطاعات المهنية في المجتمع (البرجوازية أو الذكورية).²

¹ - Gérard Marandon, "**Toupictionnaire**" le dictionnaire de politique, Consulté le 30 mars, 2015, sur <http://www.toupie.org/Dictionnaire/Interculturalite.htm>. Date: 07-06-2023 .H: 16:22.

² - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص ص 54، 55.

1-1-4- تعريف الاتصال الثقافي (Cultural communication)

يعتبر الاتصال الثقافي من المفاهيم الأساسية في هذه الدراسة، لأن متغير الاتصال الذي يظهر في العنوان ليس هو المقصود بالدراسة بعينه، وإنما القصد ربطه بالتنوع الثقافي مما ينتج لنا مصطلحا جديدا يمثل المحور الأساسي لهذه الدراسة ألا وهو الاتصال الثقافي، والذي يمكن أن نعرفه كالاتي:

أ- اصطلاحا:

إن معنى هذا المصطلح هو أكثر من مجرد "الاتصال"، إذ هو نوع من التبادل بين الثقافات يحدث تداخل أو امتزاج بين مجتمعين أو جماعتين أو أكثر ينتميان إلى ثقافات مختلفة تمتلك كل منهما تراثا ثقافيا متميزا عن تراث الآخر، ويطلق البعض على الاتصال الثقافي مصطلح "الاتصال عبر الثقافات" "inter-cultural communication"، ويعرفه Sitoram بأنه: "عبارة عن التفاعل الذي يتم بين أعضاء من ثقافات مختلفة، مهما تراوحت ضآلة أو ضخامة هذه الاختلافات، وهو يشمل عادة شخصا متصلا من ثقافة ما وملتق (متصلا به) من ثقافة أخرى، ومن ثم فإن عملية الاتصال هي عملية ذات اتجاهين (process two-way)، ويقترن الاتصال الثقافي بمعنى آخر وهو الانتشار الثقافي، والمقصود به الدلالة على انتقال عنصر ثقافي أو مجموعة عناصر البناء الثقافي من جماعة محلية إلى جماعة محلية أخرى سواء كان ذلك في إطار المجتمع الواحد أو فيما بين مجتمعات منفصلة ومتمايزة".¹

يتبين لنا من هنا أن الاتصال بين ثقافتين مختلفتين في هذا المجال ذو بعد تفاعلي وليس خطي، حيث يقع من خلال ذلك الاتصال تبادل في الأفكار أو المعلومات بل وحتى في العناصر الثقافية لينتج لنا ما يسمى بـ "الانتشار الثقافي"، كما أن ذلك الاتصال له مستويات مختلفة سواء داخل المجتمع الواحد أو بين مجتمعين متميزين.

يعرف الاتصال الثقافي أيضا بأنه تفاعل بين أعضاء جماعتين لكل منهما ثقافته المتميزة، ويؤدي الاتصال الثقافي عادة إلى تعديلات في الثقافتين، وإن كان ليس من المحتم أن يحدث دائما طالما أن درجة التأثير المتبادل تختلف من موقف لآخر، فقد تتأثر ثقافته تأثرا عميقا بالثقافة الأخرى، بينما تمارس الأخرى أثرا طفيفا على الأولى، أو قد يكون هناك تبادل متعادل للسمات الثقافية بين كليهما. أما

¹ - محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص-ص 13، 14.

التعديل الذي يطرأ على ثقافة معينة نتيجة لاتصالها بالثقافة الأخرى، فهو غالبا ما يعتمد على الاتصال بين الأفراد أنفسهم. ويمكن أن يحدث الاتصال الثقافي من خلال التجارة أو الهجرة أو الحرب أو بعثات التبشير. ويبدو أن الاتصال بين الأوروبيين والمجتمعات البدائية، كان أهم عوامل تغير هذه المجتمعات، وخاصة بعد أن ساد اعتقاد بين علماء الأنثروبولوجيا مؤداه أن هذه المجتمعات تحافظ على شكل ومضمون بنائها الاجتماعي لفترة طويلة من الزمن.¹

لا يختلف هذا التعريف كثيرا عن سابقه، إلا أنه أشار إلى أن الاتصال على مستوى الأفراد* هو الذي من شأنه أن يحمل في طياته بوادر التغيير، كما بين الأسباب التي دفعت الثقافات للتواصل والتي كانت في مجملها تدور حول الحرب أو الهجرة أو التجارة.

يعتقد العالم الأنثروبولوجي البريطاني فورتس (Fortes) بأنه يجب أن لا يعتبر الاتصال الثقافي مجرد نقل معالم الثقافة من حضارة إلى حضارة أخرى، بل هو عملية تفاعل متصلة بين جماعات من حضارات مختلفة، ويطلق على هذه العملية عملية التثقيب من الخارج.²

يظهر لنا من خلال التعاريف الاصطلاحية للاتصال الثقافي أنها تعبر عن التواصل الذي هو عملية تفاعلية لها آثارها المختلفة مهما اختلف نسبتها على كلا طرفي العملية، وهو ما يجعلنا نؤكد ما قررناه سابقا من أننا سنعتمد على المصطلحين للدلالة على معنى واحد وهو التفاعل في حدود علاقة تجمع بين ثقافتين مختلفتين من حيث العديد من العناصر الثقافية.

يمكن أن نطلق عليه أيضا "الاتصال بين الثقافي" والذي يعرفه Christoph Barmeyer بأن "الاتصال البين ثقافي يرتبط بالتفاعلات والعلاقات بين الأفراد، على عكس المقارنة الثقافية (lacomparaison culturelle) التي تتناول المتغيرات وخصائص الثقافات. فالاتصال البين ثقافي هو نقل الثقافة عن طريق

¹ - محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 90.

* - وهو ما نسعى لمعالجته من خلال هذه الدراسة.

² - إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999، ص 20.

الاتصال، لا يعمل على فك التشفير (déchiffiable) من خلال نماذج التحليل بطريقة مترامنة متعاقبة (synchrone-diachronique).¹

بينما يذهب Allemands Karlfried Knapp & Annelie Knapp-Potthot إلى اعتبار الاتصال البين ثقافي تفاعل بين شخصي بين أعضاء مجموعات مختلفة على مستوى المعارف وأشكال التعبير، وكذا الفعل الرمزي، يمكن لهذه الاختلافات أن توجد بين مجموعات مجتمع معين أو داخل الأمة أو الدولة.² إن الاختلاف هنا واقع أساسا على مستوى المعارف وأشكال التعبير، ثم على مستوى الأفعال الرمزية التي تعبر على الاختلاف بين الثقافتين اللتين يقع بينهما التواصل.

ب- إجرائيا: انطلاقا من متطلبات الدراسة، ومن التعريفات الإجرائية للاتصال والتنوع الثقافي يمكن أن نعرف الاتصال الثقافي بأنه عملية تفاعل وتواصل وتبادل للأفكار والآراء والمعلومات أو بعض الخصائص الثقافية بين أفراد مجتمعين مختلفين ثقافيا، يمثلان في دراستنا كل من الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، وذلك عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي التي تحقق التواصل الافتراضي عن بعد.

انطلاقا من التعريفات الإجرائية لمختلف متغيرات الدراسة، يمكن أن نبني النموذج التحليلي كما يوضحه الشكل الموالي:

¹ - Barmeyer, C. **Management interculturel et styles d'apprentissage**. Etudiants et dirigeants en France, en Allemagne et au Québec. Québec: Les Presses de l'Université Lava, 2007, P 48

² Ibid- . P 49.

شكل رقم (1) يمثل النموذج التحليلي المفاهيمي للدراسة

تواصل على المستوى الشخصي

تواصل على المستوى الجمعي

الثقافة العربية الإسلامية

الثقافة الغربية

السياقات الثقافية

صور ذهنية

محددات المجال العام الافتراضي

شبكات
التواصل
الإجتماعي

التنوع
الثقافي

الاتصال

الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع الثقافي

1-2- المفاهيم الخافة للدراسة:

هي التي تتعلق بأبعاد متغيرات الدراسة، أو بعض المفاهيم التي لها تشابكا مع تلك المتغيرات، والتي تبرز بكثرة سواء على المستوى النظري أو التحليلي، وقد عرفت اصطلاحيا كآلاتي:

1-2-1- تعريف الخصوصيات الثقافية (Cultural Specialties)

معنى الخصوصية أن كل ثقافة تحمل في ذاتها وتعكس مجموعة من الفوارق التي تميزها عن غيرها، دون أن يعني ذلك انعدام الخصائص والمواصفات المشتركة بين هذه الثقافة وتلك.¹ والحفاظ عليها مطلوب من كل ثقافة، إذا ما أرادت أن تحافظ على نفسها وسط عالم تتصارع فيه ثقافات وتتقارب فيه أخرى. كما تعتبر الخصوصية أيضا سمات خاصة بمجموعة اجتماعية معينة، وغالبا ما تشير إلى مهارات، وممارسات، وصور معرفية معينة،² وهي الفاصل في تمييز هويات المجتمع عن بعضها البعض، وإذا ما غابت أو غيّبت زالت الحدود الفاصلة بين المجتمعات، وأصبحت عرضة للاضمحلال والذوبان في ثقافة أخرى.

يطلق عليها أيضا مصطلح "التفرد الثقافي" الذي يشير إلى الخصائص الفريدة والقيم والممارسات والمعايير التي تكون خاصة بثقافة محددة أو مجموعة ثقافية معينة.³ ويسلط الضوء فيه على العناصر المميزة والجوانب التي تميّز ثقافة واحدة عن ثقافة أخرى. ويعترف التفرد الثقافي بأن كل ثقافة لديها مجموعة خاصة من التقاليد والعادات واللغة والرموز والمعتقدات التي تشكّل طريقة تفكير الناس وسلوكهم وتفاعلهم داخل السياق الثقافي.⁴

¹ - أحمد عصيد، من أجل خصوصية تفاعلية أو تدبير التنوع في إطار كوني، (من كتاب: التنوع الثقافي وأسئلة التعبير والتدبير، تنسيق: حسن أوريد، حسن حافظي علوي، مرجع سابق)، ص 9.

² - محمد عبد الرحمان وآخرون، المعجم الشامل لترجمة مصطلحات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، عربي-الانجليزي-فرنساوي، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، 2013، ص 165.

³ - Chomsky, Noam . L'unicité culturelle. Dans Linguistique et l'impact de la culture, 2006, p p 86, 87.

⁴ - Hofstede, Geert L'unicité culturelle : Comment la pensée culturelle influence les individus et les sociétés. New York: Presses de l'Université de New York. 2010.p

إن فهم التفرد الثقافي ضروري للتواصل الثقافي عبر الثقافات المختلفة، حيث يساعد في تجنب التعميمات والنماذج النمطية حول الثقافات المختلفة. ويؤكد التفرد الثقافي على أهمية تقدير واحترام التنوع وتعقيد التقاليد الثقافية المختلفة ووجهات النظر، ومن خلال الاعتراف بالتفرد الثقافي، يمكن للأفراد تعزيز الحس الثقافي والتعاطف والشمولية أثناء التفاعل مع أشخاص من خلفيات ثقافية مختلفة¹.

1-2-2- تعريف السياق (Contexte)

يعد السياق الاتصالي أو البيئة الاتصالية (Context) من المقومات الأساسية في العلاقة الاتصالية، فجميعنا دون استثناء يتأثر بالجو العام أو البيئة، أو المناخ الاتصالي الذي تتم فيه العملية الاتصالية، ونعلم أن التواصل الاجتماعي لا يتم في فراغ بل في بيئة أو سياق ما له تأثيره الواضح، سواء أكان هذا التأثير سلبا أم إيجابا.²

يعرف السياق على أنه مجموعة الظروف التي ينبغي أن نكون واعين بها ونفهمها، لأن كل خاصية من خصائص السياق تؤثر على الاتصال، فلا يمكن فهم سلوكيات فرد معين بالاعتماد على شخصيته وحسب، وإنما من الضروري دراسة وسطه والنسق الذي يضبط سلوكياته (التفاعلات، الأسرة، المؤسسات، الجماعات، المجتمع، الثقافة...) وهو السبيل الوحيد لفهم هذا الفرد فهما لائقا.³

يوظف مصطلح السياق وفق طريقتين رئيسيتين: أولا، يمكن أن يشير إلى الخصائص المباشرة والآنية للمحيط أو الوضعية الاجتماعية التي تحيط تفاعلا محمدا أو تبادلا اتصاليا. ثانيا، وبمعنى أكثر شمولية يمكن استعماله لوصف تلك الظروف والشروط الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي يتم بداخلها تعيين بعض الأفعال والعمليات والأحداث ليضفي عليها المعنى.⁴

1- Holsti, Geert and Goodman, John . **Culture et intégration sociale** . Dans Société et nouvelle culture, 2013. p 69.

2- حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص ص39، 40.

3- السعيد بومعيرة، الحوار السوسيو-ثقافية في الاتصال الشخصي، المجلة الجزائرية للاتصال، ع 20، الجزائر، 2008، ص ص191، 192.

4- المرجع نفسه، ص 191.

إن هدف استخدام مصطلح السياق في كلتا الحالتين هو توجيه الانتباه إلى القوى غير المرئية بالضرورة، ولكنها حاسمة في تشكيل الحياة الاجتماعية وتنظيمها. من هذه الزاوية يعرف (Benoit) السياق على أنه؛ "وضعية الاتصال التي يتفاعل فيها فرد أو عدة أفراد وتشمل لقطات التبادل فيها وشبكات المعلومات أو تحديدًا، كمجموعة من الظروف التي تندرج واقعة".¹

ينطلق البشر في اتصالهم عموماً بالأطر المرجعية التي تعمل على توجيه تفاعلهم وتواصلهم مع الآخرين، وأطر الفرد المرجعية كثيرة قد تكون الدين أم الانتماء السياسي أو الحزبي أو المذهبي أو القومي. وهذه الأطر لا توجه الاتصال بالآخرين فحسب، بل تؤثر على الأحكام على سلوكياتهم وآرائهم ومواقفهم، فإن بدا من أحدهم سلوك أو موقف مخالف لهذه الأطر فإن الفرد يميل إلى تشويه هذا السلوك أو الموقف. وهنا تكون الأطر المرجعية قد حالت دون وصول رسائل الآخرين بوضوح وكانت بمثابة حاجز اتصالي بين الطرفين.²

1-2-3- تعريف الصورة الذهنية (Image mentale)

تنبه الباحثون في علم النفس الاجتماعي إلى أهمية الصورة الذهنية والانطباعات المسبقة في تكوين اتجاهات الفرد ومواقفه إزاء مختلف القضايا أو الأشخاص أو الأشياء التي من حوله، بل حتى إزاء ذاته وثقافته وممتلكاته.

إذا كان مصطلح الصورة الذهنية لا يعني بالنسبة لمعظم الناس سوى شيء عابر أو غير حقيقي أو حتى مجرد وهم، فإن قاموس "ويستر" في طبعته الثانية قد عرض تعريفاً لكلمة "Image" بأنها تشير إلى التقديم العقلي لأي شيء لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر، أو هي إحياء أو محاكاة لتجربة حسية، كما أنها قد تكون تجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة. وهي أيضاً استرجاع لما اختزنته الذاكرة أو تخيل لما أدركته حواس الرؤية أو السمع أو اللمس أو الشم أو التذوق.³

¹ - السعيد بومعيزة، مرجع سابق، ص 191.

² - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 57.

³ - علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 4.

يقودنا هذا التعريف بعيدا عن الوهم، فلا شيء غير حقيقي على الإطلاق في الصورة التي تتكوّن عن فرد معين أو منظمة ما في أذهان الأفراد والجماعات من وجهة نظرهم، لأن هذه الصورة هي ذلك الفرد أو تلك المنظمة كما يراها هؤلاء الأفراد أو تلك الجماعات. وسواء كانت الصورة صادقة أو زائفة فذلك موضوع آخر، فالشخص الذي تكوّنت لديه صورة معينة عن منظمة ما أو شخص معين سوف يتصرف حيالها تبعاً لهذا التصور الذي كوّنه أو تكون لديه.¹

يذكر علماء النفس والاتصال الذين درسوا هذا المصطلح أن الصورة الذهنية عادة تتكون لدى الفرد إما من خلال الخبرة المباشرة، ونتيجة لاحتكاكه المباشر بغيره من الأفراد والمؤسسات والأنظمة، أو من خلال الخبرة غير المباشرة التي تنقلها وسائل الإعلام المطبوعة والمرئية والمسموعة، الأمر الذي يشير إلى أن الاتصال بنوعيه (المواجهي والجماهيري) يشكل العامل الأساس في بناء الصورة الذهنية وتكوينها.²

تؤكد العديد أيضاً من التعريفات على دور التفاعل الاتصالي في بناء الصورة الذهنية، التي ترى أنها الأفكار والمعتقدات والمشاعر والأحاسيس التي تتكون في عقول ووجدان الجماهير اتجاه قضية أو منظمة أو فكرة أو شخص، وهي تتبادر إلى الأذهان عند ذكر اسمها لتعطي فكرة معيّنة أو مفهوماً عاماً عنها قد يكون طيباً أو سيئاً، وتتكون هذه الصورة مما اكتسبه الفرد من معلومات ومعارف وخبرات حول هذه القضايا أو الأفكار أو المنظمات أو الأفراد، وذلك من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة بغض النظر عن صحة أو عدم صحة المعلومات التي تتضمنها هذه التجارب.³

هناك أيضاً علاقة بين الصورة الذهنية والاتصال الثقافي وهي علاقة تبادلية، حيث يعد الاتصال الثقافي بين الشعوب والمجتمعات العامل الأساس في بناء صورة ذهنية لدى كل شعب عن الآخر، كما أن الصورة الذهنية المسبقة عن الآخر قد تصبح عاملاً مهماً من عوامل نجاح الاتصال الثقافي أو فشله، حيث يشير (لاري بارنا) إلى أن وجود صورة سلبية مسبقة عن الآخر تعتبر من أهم معوقات الاتصال الثقافي.⁴

1- علي عجوة، مرجع سابق، ص 4.

2- عبد الرحمن بن عبد الله العبد القادر، الصورة الذهنية وعلاقتها بالاتصال الثقافي، ط1، دار الكتاب الحديث، الرياض، 2012، ص22.

3- المرجع نفسه، ص23.

4- المرجع نفسه، ص24.

1-2-4- تعريف المستخدم (User)

المستخدم هو ذلك المواطن الذي استطاع الولوج الى فضاء الأنترنت من أجل تحقيق صالحه الخاص والعام، حيث يقوم بإنتاج واستقبال المحتوى المكتوب والمرئي والمسموع في فضاءات المواقع الالكترونية والشبكات الاجتماعية والوسائل المدججة، للتعبير عن رأيه والمشاركة بفعله إدارة التغيير بما يتماشى مع واقعه.¹

لا يشترط في المستخدم أن يحمل صفات خاصة تميزه عن غيره، وإنما يكفي فقط أن يكون لديه التقنيات التكنولوجية التي تمكنه من أن يكون جزءا من مجتمع المعلومات في الفضاء السيبراني.

2- عرض الدراسات السابقة بين الأسس العلمية والفجوة المعرفية المحققة:

تعتبر الدراسات السابقة أحد أهم أجزاء البحث العلمي، ووجودها شرط أساسي في فهم مشكلة الدراسة الآنية وزاوية البحث فيها والتي يجب أن تتمايز عن غيرها، فهي مجموعة الأبحاث التي تناولت الموضوع المدروس من قبل أو أحد متغيراته في ذات السياق، والتي تكسب الباحث خبرات كثيرة في مختلف عناصر بحثه.

لقد لاحظنا تعدد الدراسات الخاصة بكل متغير من متغيرات الدراسة على حدى وفي مجالات مختلفة، فهناك الدراسات التي تتناول الاتصال لكنها تركز على ممارسة هذه العملية في المجتمع أو داخل المنظمات، وكذلك هو الأمر بالنسبة لمتغير التنوع الثقافي، أين ركز الباحثون في هذا المجال على تعدد الجنسيات والثقافات داخل المنظمة أو وسط المجتمع الواحد وكيفية تعامل السلطات معه. أما عن متغير الشبكات الاجتماعية فقد ركز الباحثون في البحث في أثرها على مختلف فئات المجتمع، وكيف يستخدمونها في حياتهم

¹ - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 21.

سواء داخل المنظمات أو خارجها، لذا حاولنا نحن البحث والتركيز فقط على الدراسات ذات الصلة المباشرة والتي تخدم الموضوع وتثريه أكثر لأنها تقترب من مؤشرات دراستنا وأبعادها.

من هنا ركّزنا على الدراسات التي تعبّر في مجملها عن العملية التواصلية وكيف تتم بين مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي عموماً وبين المختلفين ثقافياً خصوصاً، أو التي تركز على العملية الاتصالية والتنوع الثقافي ولكن على المستوى الفردي لا الدولي، وعليه فكل دراسة تنتمي إلى هذا المجال في أحد متغيراتها هي دراسة سابقة بالنسبة لنا.

رغبة منا في تنظيم عملية عرض الدراسات السابقة ارتأينا تقسيمها على أساس المتغيرات كالتالي:

1-2- الدراسات التي تجمع بين متغيري الاتصال والتنوع الثقافي: وقد تمكنا من الوصول إلى الدراسات الآتية:

● **الدراسة الأولى:** بعنوان "أثر التواصل بين الثقافات على السلوك الديني - دراسة ميدانية"¹

تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على تأثير التواصل بين الثقافات على السلوك الديني وتحديد نوع ودرجة هذا التأثير، وقد وضعت افتراضاً أساسياً مفاده: كلما كان تواصل الأفراد المهاجرين مع أفراد وثقافة البلد المضيف (اللغة، الفن، وسائل الإعلام، العلاقات الاجتماعية) مكثفاً كلما كانت لهذه العملية انعكاس سلبي على السلوك الديني للمهاجرين. وللتأكد من هذا الفرض يجب الإجابة على التساؤل الآتي: هل عملية التواصل هي عملية تؤدي إلى الثقاف، لها أثر كبير على سلوك الأفراد الديني قد يصل إلى التخلي عن معتقداتهم وطقوسهم برمتها أم أن هذا التأثير محدود؟

اعتمدت هذه الدراسة على عينة تتكون من 250 فرداً من طلبة ومنتقنين يزاولون عملهم أو دراستهم في فرنسا وبالضبط في مدينة باريس ونواحيها.

¹ - محمد اعبابو، أثر التواصل بين الثقافات على السلوك الديني - دراسة ميدانية-، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - المغرب، ع 12، 2001، من موقع: <https://search.mandumah.com/record/420888>

تم استجواب هذه العينة بواسطة الاستمارة، إضافة إلى إجراء مقابلة حرّة مع 20 فردا من أجل تعميق النقاش حول بعض النقاط الهامة.

توصل الباحث في هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمها:

لكلما كانت مدّة إقامة المستجوبين طويلة في البلد المستقبل كلما ضعف ارتباطهم بالمعتقدات حيث أن الطلبة الذين هاجروا إلى فرنسا قبل 1985 لا تتعدى نسبة احترامهم لكل المعتقدات 26%، بالمقابل لاحظ الباحث أن أكثر من نصف الطلبة الذين وصلوا إلى فرنسا ما بين 1990-1993 يحترمون المعتقدات مؤشرات الدراسة.

توصلت الدراسة إلى أن نسبة الإيمان بكل المعتقدات المذكورة كمؤشرات للدراسة وهي: الإيمان بالله، وبالآخرة، وبالجنة والنار، وبالقدر، وبمحمد صلى الله عليه وسلم جدّ منخفضة (38%) حينما توجد نوع من الصداقة بين المبحوثين والفرنسيين والعكس، إذ بلغت النسبة في غيابها 62% وهي مرتفعة مقارنة بسابقتها.

كذلك الشأن بالنسبة لمتغير "أفضل اللغة الفرنسية أو اللغة العربية" كان له مفعول بارز عند مقابلته بسلم المعتقدات، حيث أن تفضيل اللغة العربية على الفرنسية يتلازم مع نسبة عالية من احترام كافة المعتقدات المذكورة والتي بلغت 60%، والعكس صحيح أيضا.

عموما يوجد ارتباط قوي بين طول الإقامة في فرنسا ووجود علاقة صداقة مع الفرنسيين وتفضيل اللغة الفرنسية على العربية، ومن جهة أخرى يوجد انخفاض في نسبة ممارسة الطقوس. وهذه الطقوس تتمثل فيما يلي: الذهاب إلى المسجد، أداء الصلوات الخمس، رفض اللحم غير الحلال، صوم رمضان، وأخيرا إعطاء الزكاة.

توصلت الدراسة عموما إلى أنه كلما كان الاتصال بالمجتمع المستقبل قويا والتقرب من ثقافته جليا كلما كانت نسبة ممارسة المهاجرين لمعتقداتهم وطقوسهم ضعيفة إن لم تكن منعدمة أحيانا. في المقابل كلما كان الانغلاق على الذات وعلى الهوية الثقافية الأصلية واضحا لكل المستجوبين كلما ارتفعت نسبة التثبث بالمعتقدات والطقوس.

لـ يوجد نواة صلبة من المعتقدات والطقوس تظل راسخة لدى أغلبية المستجوبين مهما كان مستوى ثقافتهم، مما يعني أنها تشكل عنصرا هاما من عناصر الهوية الثقافية للأفراد، وهو ما يجعل مجموعة منهم رغم ارتباطهم الضعيف بالمعتقدات والطقوس الإسلامية إلا أنهم يدافعون عن الثقافة الإسلامية سواء كان ذلك بطريقة عقلانية أو عاطفية أو أيديولوجية، وهو دفاع عن الذات الثقافية وخوفا من فقدان الهوية.

لـ إن المعتقدات والطقوس التي تشكل تلك النواة أصبحت عادات وتقاليد اجتماعية أكثر منها دينية لذا يستعصي التخلي عنها.

تنفق هذه الدراسة ودراساتها في متغير التواصل بين الثقافات، إلا أنها تختلف في المتغير الثاني، حيث تبحث في أثره على الدين، أما دراستنا فنود من خلالها معرفة سيورة العلاقة التواصلية ككل، أين كان الدين جزءا من السياق الذي نريد التعرف على تأثيره على العلاقة التواصلية بين مختلفي الثقافات.

اتفقت هذه الدراسة مع دراستنا من جهة أخرى في اعتماد كل منهما على أداتي المقابلة والاستبيان في جمع البيانات، إلا أنهما تختلفان في نوع الاستبيان أين كانت استمارتنا إلكترونية، إضافة إلى اعتمادنا على أداة ثالثة وهي تحليل مضمون تعليقات حول فيديوهات بمواضيع مختلفة للتعرف على طبيعة التواصل بين مستخدميها.

وقد أفادتنا هذه الدراسة بصفة خاصة في نتائجها التي تتعلق بمحور السياق الديني في الجانب الميداني، إلا أنها اكتفت بالتركيز على الأثر، ولم تشر إلى زاوية مهمة في البحث وهو كيفية تمثّل الدين في العلاقات التواصلية، وهو الجانب الذي ركزنا عليه في أحد أجزاء دراستنا.

● الدراسة الثانية: بعنوان « L'ENSEIGNEMENT DES LANGUES ET DES CULTURES D'ORIGINE EN France, Aspects socio-linguistiques, psychosociologiques, socio-politiques, institutionnels et pédagogiques Le cas de l'Arabe enseigné aux enfants issus de l'immigration algérienne »¹

الأصلية في فرنسا: الجوانب الاجتماعية واللغوية والنفسية والاجتماعية والسياسية والمؤسسية والتعليمية. حالة تعليم اللغة العربية للأطفال من أصول جزائرية المهاجرين .

تسعى الباحثة في هذه الدراسة إلى إثارة مشكلة تتعلق بالتلاميذ المنتمين إلى أقليات ثقافية ولغوية لا سيما أطفال المهاجرين الجزائريين، وهي استكشاف الغموض والمفارقات المرتبطة بمفهوم ثنائية اللغة وثنائية الثقافة، ولغة الأصل، والحق في الاختلاف، والحق الثقافي...، من أجل تحديد الصعوبات الخاصة بتعليم اللغة العربية والتعرف على خصوصية اللغة عند عينة الدراسة.

اعتمدت هذه الدراسة على مقابلات شبه منظمة مع 30 مراهقا تتراوح أعمارهم من [12-17] سنة من المهاجرين الجزائريين، ومن ناحية أخرى اعتمدت الدراسة على 80 مدرسا جزائريا سواء كانوا معارين أو مؤقتين، إضافة إلى تحليل مضمون المنهاج المدرسي.

توصلت الباحثة إلى مجموعة نتائج أهمها:

للـ تتخذ فرنسا من التوحيد الثقافي شعارا لها دون التطبيق الفعلي لهذه الأيديولوجية، أو السعي للأخذ بعين الاعتبار الخصائص الثقافية والعرقية والاعتراف بحقوقهم مما يحقق سياسة التعايش الثقافي السلمي والعربي والاندماج الوطني.

للـ عمدت فرنسا إلى تعليم اللغات والثقافات الأصلية، وهو أحد أشكال هذا الاعتراف، وهو قاعدة عمل مهمة يستند إلى بيانات نفسية تربوية يمكن أن يكون عنصرا في الاندماج المدرسي والاجتماعي للشباب من أصول أجنبية في المجتمع الفرنسي.

1- NACIRA BOUBNIDER , L'ENSEIGNEMENT DES LANGUES ET DES CULTURES D'ORIGINE EN France, Aspects socio-linguistiques, psycho-sociologiques, socio-politiques, institutionnels et pédagogiques Le cas de l'Arabe enseigné aux enfants issus de l'immigration algérienne), THESE DOCTORAT, UNIVERSITE PARIS VIII SCIENCES DE L'EDUCATION, Année 1990.

أظهرت الدراسة حول تعليم اللغات والثقافات الأصلية، وتحديدًا تعليم اللغة العربية لأطفال ذوي أصول جزائرية، أن هذه التجربة محكومة بالفشل في تنفيذها الحالي من خلال الفجوة بين الأهداف المعلنة والوسائل المستخدمة وتنفيذ التجربة الفعلي ضخمة.

يعتبر إنشاء برامج خاصة بناء على الأصول لتدرس اللغة العربية فقط كجزء من الثقافة الأصلية لتلاميذ الجنسية الجزائرية، وتشكيل أحياء عرقية وثقافية حقيقية في المدارس، طريقة تمييزية جديدة تضعنا في مواجهة أشكال جديدة من العنصرية تحت مسمى الحق في التفرد الثقافي.

لا تعترف فرنسا في هياكلها المدرسية بالبعد المتعدد لطفل المهاجر.

لم تستطع فرنسا أن توفر الأدبيات اللغوية والنفسية الاجتماعية التطبيقية التي تعمل على تشغيل اللغات والسلوكيات الثقافية لدى الشباب القادمين من الأقليات الثقافية والعرقية وصفات جاهزة للمربين، وما يوجد حاليًا هو متقطع للغاية.

من أكثر المشاكل الجدية التي تثيرها هذه التجربة تكمن في كفاءة المعلم، لكي يتبنى نهجًا ثقافيًا يبنينا، وهنا لا يكفي أن يكون لديه معرفة جيدة باللغات والثقافات المعنية وبأساليب التربية لنقل المعرفة، بل من المهم أيضًا أن يكون قد أدرك مسبقًا كيفية عمل اللغات والثقافات المعنية كأنظمة وتفاعلاتها.

هذه القضايا اللغوية يثيرها أساسًا مشكلة عدم التكيف الاجتماعي والمدرسي للشباب القادمين من الهجرة، وهي من تلك التي لا يمكن حلها إلا داخل المدرسة، التي أصبحت هدفًا لانتقادات حادة وحتى للتشكيك في سبب وجودها، إذا ما بقيت منعزلة عن الظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها وتؤثر في عملها

فيما يتعلق بالحفاظ على الحقوق اللغوية والثقافية وتكامل المجتمعات المهاجرة، فإنها لا تزال مرتبطة بالعديد من العوامل والشروط التي تعتمد بدورها على تقارب أو تباين مصالح السلطات العامة في البلد المضيف وحكومات البلدان الأصلية، بالإضافة إلى حالة العلاقات الاقتصادية والسياسية بين البلدين. وتتدخل أيضًا المصالح الاجتماعية والثقافية والهوياتية داخل المجتمع المضيف، فضلًا عن الديناميات الهجرة والسياسات الهجرة المتبعة.

للغياب نهج ثابت في إدماج سكان الهجرة الذين يتشاركون بين هويتين متجاورتين، أين يرغب الشباب القادمون من الهجرة في الحفاظ على هويتهم الخاصة، ويرغبون في أن يكونوا هم أنفسهم وليسوا مجرد تجسيد للمحيط الذي يعيشون فيه. في المقابل، يسعون إلى أن يحظوا بمرتبة المساواة مع جميع أفراد المجتمع والمشاركة بحق في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في بلد الاستقبال. إن إدماجهم لا يتعلق بوضعهم في خيار الاستبعاد، بل يتعلق بالاعتراف والتقدير لتنوعهم الثقافي مع توفير فرص متساوية للمشاركة والتنمية.

على الصعيد العملي، هناك خطوة جادة قد تمت مع قانون مكافحة التمييز، وإنشاء دروس في اللغات والثقافات الأصلية وخاصة الدعوة الأخيرة من جانب الحزب الاشتراكي لإنشاء "خلية حكومية دائمة" بمساعدة الأمين العام الدائم. هدف هذه الهيكلية هو تعزيز اندماج المهاجرين، لا سيما في مجالات الإسكان والتعليم والتدريب المهني.

تتفق هذه الدراسة مع دراستنا في التواصل بين الثقافات كمجال عام للدراسين إلا أنهما تختلفان في بعض نقاط خصوصية كل دراسة بأبعادها وميادنها، أين ركزت دراستنا على البحث في هذه الظاهرة بأبعادها المختلفة التي يمكن أن تعكس واقعها، وذلك في الفضاء الافتراضي الذي تمثله أساسا شبكات التواصل الاجتماعي بمختلف مواقعها المتاحة، أما هذه الدراسة فقد بحثت في الظاهرة على المستوى الواقعي وبالتحديد في فرنسا من زاوية كيفية تعاملها مع ثقافة الأطفال المهاجرين في بعدها اللغوي. وقد اعتمدت هذه الدراسة على تحليل البيانات التي تم تجميعها من خلال أدوات الاستبيان المقابلة وتحليل المضمون، وهي ذات الأدوات الموظفة في دراستنا.

استطاعت هذه الدراسة أن تقدم لنا نتائج هامة فيما يتعلق بتعامل فرنسا مع ثقافة المهاجرين الجزائريين العرب في بعدها اللغوي، نظرا لأن عينة هذه الدراسة غلب عليها الجزائريون الذين يتواصلون بدرجة أكبر مع ذوي الجنسية الفرنسية وباللغة الفرنسية، ولكن باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي وليس واقعا. كما أن المضامين التي اعتمدت عليها دراستنا في التحليل ترتبط بصفة أكبر بالدولة الفرنسية وتعاملها مع مجموعة من القضايا التي ترتبط بهؤلاء المهاجرين، وهو ما جعل هذه الدراسة تمنحنا سعة أفق

في التحليل، لتكون بذلك دراستنا ذات منحي شولي في معالجة هذه القضية التي لم تتغير تركيباتها الأيديولوجية رغم الفارق الزمني الشاسع بين الدراستين.

2-2- الدراسات السابقة التي تجمع بين متغيري: التنوع الثقافي وشبكات التواصل الاجتماعي

- الدراسة الأولى: بعنوان "محددات العيش المشترك في ظل مواقع التواصل الاجتماعي- دراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعيين-"¹.

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على محددات العيش المشترك في ظل مواقع التواصل الاجتماعي للتعرف على دور هذه المواقع في التقريب بين الثقافات وتعايشها، وهي تتساءل إلى أي مدى يتم خلق فضاءات التفاعل الإيجابية مع الآخر المختلف إثنيا، عقائديا، دينيا ولغويا؟ وهل تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في فتح مجال أوسع للعلاقات الاجتماعية؟

استخدمت الباحثتان المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة باستخدام تقنية الاستمارة، معتمدتان على عينة من الطلبة الجامعيين وصل عددهم إلى 188 طالبا (125 إناث و63 ذكور) موزعين على مختلف التخصصات في الجامعة.

لقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج تمثلت فيما يلي:

للدافع الأول لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي للتواصل مع الأصدقاء والتعرف على أشخاص جدد أو التواصل مع الأهل ثم كان دافع التعلم والتثقيف في درجة ثانية.

للأفراد العينة يستخدمون اللغة العربية بكتابة فرنسية دائما بنسبة 82.98%، ثم استخدام اللغة العربية بحروف عربية.

¹ - نورية سوامية، كلثوم صدراتي، محددات العيش المشترك في ظل مواقع التواصل الاجتماعي- دراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعيين-، مجلة العلوم الإنسانية، مج 10، ع1، جامعة وهران01، 2021. من موقع:

للم عبر أفراد العينة بأنهم يستخدمون اللغة الإنجليزية أحيانا بنسبة 51.06% كما أن جلهم يستخدمون الرموز والأشكال أثناء المحادثة.

للم يضع الطالب الجامعي جملة من الاعتبارات في اختياره للصديق عبر مواقع وهي على التوالي: صورة الحساب، البلد، ومنطقة إقامة الصديق، اسم الشخص الكامل، ثم اعتبارات الديانة واللغة وصفحة الحساب ومميزاتها، وهناك نسبة 2.86% من لا تعتمد على أي اعتبارات في اختبارات الصديق ليكون المجال مفتوحا للجميع دون أية شروط.

للم يفضل أفراد العينة الأصدقاء من جنسية جزائرية وديانة إسلامية ثم الأصدقاء العرب ثم الأصدقاء الأجانب.

للم في الأصدقاء الأجانب يفضلون أصدقاء أصحاب الديانة المسيحية على الديانات الأخرى.

للم من يفضلون الأجانب يبررون ذلك بمشروع الهجرة الذي يطمحون إليه، ثم اكتساب معارف عن شعوب مغايرة بديانات وأجناس مختلفة، ومنهم من دفعه إلى ذلك الرغبة في الاحتكاك بالثقافات الأخرى، وتبادل الثقافات فيما بينهم.

للم يرغب الطالب الجامعي في الانخراط في جماعات تشاركه نفس الاهتمام.

للم تفضل العينة في عملية التواصل الاجتماعي الحديث في مواضيع اجتماعية ثم العاطفية وبعدها العلمية وأخيرا المواضيع السياسية ولا يوجد فروقات حسب الجنس.

للم يفضل الطلبة غالبا التواصل بصدق وإعطاء بيانات صحيحة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

للم أغلب الطلبة لا يفضلون مشاركة الأصدقاء حياتهم الخاصة وذلك لغياب عامل الثقة مما يضعف بسببها المشاركة الاجتماعية والوجدانية.

للم أغلب عينة الدراسة يشعرون بالارتياح عندما يقرؤون منشورا عن التسامح والعدل كقيمتان أساسيتان للعيش المشترك.

للم الغضب بالنسبة للعينة لا يؤدي بهم إلى غلق حساب الصديق بعكس ردات الفعل العنيفة التي تؤدي إلى ذلك، في حين اقتربت الإجابات حول عدم الاتفاق في الرأي.

للأجواب أغلب عينة الدراسة بأنهم يشجعون حرية الرأي والتعبير 96.28% وبنسب متقاربة أيضا يشجعون ثقافة التعايش الاجتماعي، وينبذون خطاب الكراهية، كما ينبذون عوامل الفرقة والتناحر، إضافة إلى أنهم يحترمون الأديان والمذاهب بصفة مطلقة بنسبة 100%.

للنسبة كبيرة أيضا بلغت 98.94% بأنهم يرحبون بالحديث وتبادل وجهات النظر عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

لم يوافق جل عينة الدراسة على أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يشعرهم بالوحدة والعزلة عن المحيط الاجتماعي.

لبنسب كبيرة جدا صرحت عينة الدراسة بموافقتهم على أنهم ينشرون بمواقع التواصل الاجتماعي الأفكار التي تنمي مهارات التواصل والحوار الناجح، ويرون الحوار ضروري من أجل بيئة اجتماعية سليمة.

تتفق هذه الدراسة مع دراستنا في الموضوع العام وهو التواصل بين الثقافات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، إلا أن الاختلاف يقع في عينة الدراسة حيث كانت عينتنا تقصد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي العرب بصفة عامة، إلا أنها قصدت طلبة الجامعة الجزائرية بصفة خاصة أين استخدمت معهم استمارة الاستبيان الورقي، في حين استخدمنا نحن الاستبيان الإلكتروني إضافة إلى أداتي المقابلة وتحليل المضمون.

استفدنا من نتائج هذه الدراسة التي تتوافق مع نتائج دراستنا وتؤكددها، إلا أننا لاحظنا أنها سلطت الضوء في أسئلتها على التواصل مع الآخرين بصفة عامة أصدقاء أو أهل أو أجنب، وهو ما لا يعكسه العنوان، إذ لم تركز كما فعلنا نحن على الآخر الغربي فقط، كما أنها بحثت في آراء العينة حول بعض القيم التي تتعلق بالتواصل مع الآخر دون التعمق فيها، إلا أننا ركزنا على سؤال مفردات عينتنا عن ملامح تمثلها واقعيًا أثناء التواصل معهم، مما يمنح نتائجنا واقعية ودقة أكثر وإحاطة أشمل بالموضوع.

• الدراسة الثانية: بعنوان "التنوع الثقافي وانعكاساته على اللسان الجزائري في مواقع التواصل الاجتماعي - دراسة مسحية على عينة من الشباب الجزائري مستخدمي موقع الفاييس بوك-"¹

تهدف هذه الدراسة للوقوف على انعكاسات التنوع الثقافي على مستوى اللغات واللهجات المستعملة لدى المستخدم الجزائري على اللسان الجزائري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، والدور الذي يلعبه في إثرائه، انطلاقا من السؤال المحوري: ما هي انعكاسات التنوع الثقافي اللغوي لدى الشباب على لهجتهم ولغاتهم عند استخدامهم لموقع التواصل الاجتماعي فاييس بوك؟.

اعتمدت الباحثة في دراستها على منهج المسح عن طريق أداة الاستبيان في جمع البيانات، وتماشيا مع خصوصية الموضوع والعينة المستخدمة فقد صممت الاستبانة إلكترونيا.

يتمثل مجتمع البحث في هذه الدراسة في فئة الشباب الجزائري التي تمتلك حسابا على موقع الفاييس بوك، أما العينة فكانت قصدية نظرا لما يقتضيه الموضوع من توفر شرط السن في مفردات العينة.

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نعرضها فيما يلي:

☞ فاق عدد الذكور عدد الإناث في هذه الدراسة بفارق غير كبير بلغت نسبته 54%.

☞ الفئة العمرية التي تتراوح بين [20-24] سنة هي الأكثر استخداما لموقع الفاييس بوك.

☞ أغلب الشباب الذين أجابوا على الاستبانة الإلكترونية لديهم مستوى ليسانس.

☞ النسبة الكبيرة من عينة الدراسة تستخدم موقع الفاييس بوك باللغة العربية ثم الفرنسية ثم الدمج بين اللغات.

☞ أغلب أفراد عينة الدراسة يؤكدون على أن طبيعة الحروف والرموز التي يستخدمونها للتعبير على اللغة من خلال موقع التواصل الفاييس بوك تتمثل في الحروف العربية والأجنبية أولا، ثم العربية فقط، وبعدها الإشارات والرموز.

¹ - إيمان سكور، التنوع الثقافي وانعكاساته على اللسان الجزائري في مواقع التواصل الاجتماعي - دراسة مسحية على عينة من الشباب الجزائري مستخدمي موقع الفاييس بوك-، مجلة معالم، عدد خاص، مج 13، 2021.

لما أجابت العينة الأكبر من الدراسة بـ "أحيانا" فيما يخص تعزيز معارفهم في اللغة العربية، وكذلك الأمر فيما يخص تعزيز معارفهم في اللغة الأمازيغية، أما فيما يتعلق بتعزيز معارفهم في اللغة الفرنسية فقد أجاب أغلبهم بـ "نادرا".

لما صرحت أغلب عينة الدراسة بأنها "نادرا" ما تستخدم موقع الفاييس بوك لتعلم لغة جديدة.

تتفق هذه الدراسة ودراستنا في أحد متغيراتها وهو التنوع الثقافي إلا أنهما تختلفان في الأبعاد، حيث ركزت هذه الدراسة على بعد اللغة فقط، في حين تضمنت دراستنا مجموعة من الأبعاد التي كان من ضمنها بعد اللغة، أيضا اتفقت الدراستان في ميدان الدراسة الافتراضي وهو شبكات التواصل الاجتماعي، كما اتفقت دراستنا وهذه الدراسة في انتهاج المنهج المسحي في حين اختلفتا في أدوات جمع البيانات، حيث اعتمدت دراستنا على ثلاثة أدوات وهي المقابلة، الاستبيان الإلكتروني وتحليل المضمون، أما الأخرى فقد اقتصرت على الاستبيان الإلكتروني فقط.

لاحظنا على هذه الدراسة قصورا واضحا سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، حيث لم تغط الباحثة من الناحية النظرية إلا الإطار المفاهيمي تقريبا، أما من الناحية التطبيقية فهناك غياب شبه كلي للتحليل الكيفي، بل إن المؤشرات والأبعاد التي تناولتها بالتحليل لم تقدم الإجابة الكاملة عن السؤال الرئيسي، كما أن نتائج دراستها العامة لا تتوافق مع النتائج الجزئية، فمثلا تحدثت على أهمية اللغات الأجنبية في التواصل مع الآخر، وعلى ممارسة لغة جديدة في التواصل وليس لهما ما يؤكدهما من النتائج الكمية في الجداول المعروضة في الدراسة.

بالرغم من أن هذه الدراسة جاءت في شكل مقال ورقي يجعلها مقيدة بعدد محدد من الصفحات، إلا أنه كان بإمكانها انتقاء المؤشرات الأهم والأكثر ارتباطا بالموضوع، وعرض النتائج التي تجيب على السؤال الرئيسي بطريقة واضحة ومباشرة.

من هنا عمدت دراستنا على تجاوز كل قصور لاحظته في هذه الدراسة خاصة في الجانب التطبيقي، أين حرصنا على التركيز على التحليل الكيفي الذي يعطي دلالة ومعنى للجانب الرقمي، وحاولنا الإحاطة بأكبر قدر ممكن من المؤشرات التي تغطي كل جوانب السؤال الرئيسي وتجب عنه، وتأكيده لذلك فقد

استعملنا أدوات أخرى لا تقل أهمية عن الاستبيان الإلكتروني، وهما المقابلة ثم تحليل تعليقات المستخدمين للشبكات، مما يزيد البحث عمقا ودقة ومصداقية.

● الدراسة الثالثة: بعنوان «The Impact of Social Media on Intercultural Communication in Indonesia»، أي: تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على التواصل¹

الثقافي في إندونيسيا

تهدف هذه الدراسة إلى فحص اتجاه البحث حول العلاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي والتواصل الثقافي. وقد استخدمت أساليب البحث النوعية مع تقنيات جمع البيانات باستخدام الملاحظة والمقابلة ودراسة الوثائق، وتحليل البيانات الوصفية.

توصلت هذه الدراسة إلى ما يلي:

تشير النتائج إلى وجود علاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي والتواصل الثقافي في إندونيسيا، حيث توصل البحث إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي لا توفر فقط مساحة يمكن لأفراد ثقافات مختلفة التعبير فيها عن آرائهم وإقامة علاقات، ولكنها قد تتحدى أيضا وجود التواصل البشري في السياقات داخل الثقافة وبين الثقافات، نظرا لخصائصها المميزة التي تختلف بشكل كبير عن وسائل الإعلام التقليدية.

أثبتت النتائج أيضا استمرارية وسائل التواصل الاجتماعي في إنشاء أنواع مختلفة من المجتمعات الجديدة دون حدود زمنية ومكانية، مما يجعل الهوية الثقافية أكثر ديناميكية وسيولة ونسبية، وتفرض تحديات صعبة على استقلالية واستقرار الهوية الثقافية.

وسائل التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب وأنستغرام، قد مكنت الناس من جميع أنحاء العالم من تمثيل أنفسهم بطريقة معينة والبقاء متصلين في الفضاء الافتراضي، ومن الواضح أن مرونة المعلومات المقدمة والمشاركة في وسائل التواصل الاجتماعي ستؤثر مباشرة، إيجابيا أو سلبيا، على تطوير العلاقات الثقافية بين المجتمعات الافتراضية.

¹ - KISMIYATI EL KARIMAH ·ILHAM GEMIHARTO, The Impact of Social Media on Intercultural Communication in Indonesia, Faculty of Communication Science, Padjadjaran. University, Indonesian. ACCOMAC .Juli, 2017.

تقلص الزمان والمكان الناجم عن تلاقي وسائل التواصل الاجتماعي والعولمة يعزز تجارب جديدة للبشر، وطرق جديدة لتمثيل العالم، وعلاقات جديدة بين المستخدمين وتكنولوجيا وسائل التواصل الاجتماعي، وتصورات جديدة للعلاقة بين الجسد البشري ووسائل الإعلام التكنولوجية، وأنماط جديدة للتنظيم والإنتاج.

تشابه هذه الدراسة ودراستنا في متغيري التواصل الاجتماعي والتواصل الثقافي، إلا أنهما تختلفان في الإطار العام، حيث اهتمت دراستنا بالعلاقة بينهما في سياقها التأويلي الكيفي، في حين ركزت هذه الدراسة على السياق التأثيري الكمي الذي يظهر من خلال صياغة عنونها. كما اتفقت الدراستان في استخدام أداة المقابلة وتحليل البيانات الوصفية، إلا أنهما اختلفتا في باقي الأدوات حيث استخدم هذا الباحث أيضا أداة الملاحظة وتحليل الوثائق، أما دراستنا فأضفت أداتي الاستبيان الإلكتروني وتحليل المضمون.

قدمت لنا هذه الدراسة نتائج عامة تتعلق بخصوص شبكات التواصل الاجتماعي التي تناولتها مختلف الكتابات في هذا المجال من حيث تقليص الزمان والمكان وتعزيز تجارب البشر في التواصل، ثم أضفت لنا ما يتعلق بخصوصية الموضوع وهو من قدرتها على توفير مساحة للتواصل الثقافي في أندونيسيا وما يفرضه من صعوبات على مستوى الهوية.

أفادتنا هذه الدراسة في النتائج التي يمكن أن تكون تدعيما لنتائجنا، لكن عموميتها في العرض ضيع علينا الكثير من الفوائد العملية في هذا المجال، وخاصة أنها استخدمت أدوات كفيفة بإعطاء معنى معمق ومفصل عن الظاهرة، وهو ما حاولنا توفيره في دراستنا المتعددة الأبعاد والمؤشرات.

• الدراسة الرابعة: بعنوان Facebook for Intercultural Communication The Foreign Students' Experience¹

"فيسبوك للتواصل الثقافي: تجربة الطلاب الأجانب"

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تجربة الطلاب الجامعيين الأجانب الذين يستخدمون فيسبوك للتواصل مع أقرانهم المحليين، من أجل فحص نمط استخدام فيسبوك بين الطلاب الجامعيين الأجانب في ماليزيا، ثم تحديد مستوى الكفاءة الثقافية لدى هؤلاء الطلاب.

استخدمت هذه الدراسة مقياس الحساسية الثقافية (ISS)، الذي وضعه تشين وستاروستا (2000)، لتحليل أنماط التواصل لدى الطلاب الجامعيين الأجانب في ماليزيا الذين يستخدمون الفيس بوك كمنصة للتعلم والتكيف مع الاختلافات الثقافية، من خلال دراسة التفاعلات عبر الأنترنت بين الطلاب الأجانب وأقرانهم المحليين، باستخدام الفيس بوك.

تم تحليل بيانات هذه الدراسة من استبيان أجري على 210 طالبا جامعيًا أجنبيًا في وادي كلانج في ماليزيا.

تشير أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة إلى ما يلي:

للطلاب الأجانب الجامعيين يستمتعون بالتواصل مع أقرانهم المحليين من ثقافات مختلفة باستخدام فيسبوك.

الطلاب الجامعيين الأجانب يشعرون بالثقة عند التواصل مع أصدقائهم المحليين.

الطلاب الأجانب لديهم كفاءة ثقافية.

اتفقت هذه الدراسة ودراستنا في دراسة التواصل بين الثقافات في الفضاء الافتراضي، إلا أن هذه الدراسة قد ركزت من جهة على موقع الفيس بوك في التواصل، وتناولنا نحن في دراستنا مواقع التواصل الاجتماعي بصفة عامة، ومن جهة أخرى ركز الباحث على المبحوث الأجنبي وركزنا على المبحوث المحلي العربي، هناك اختلاف أيضا على مستوى المقاييس فقد استخدم الباحث مقياس الحساسية الثقافية (ISS) أما دراستنا فاستخدمت مقياس ليكرت كجزء من استمارتها الإلكترونية.

¹ - Raja Zainal Hassan, R. R., and others. **Facebook for intercultural communication: The foreign students' experience.** Journal of International Studies, 16, 2020 .

أفادتنا هذه الدراسة في النتائج التي قدمتها حول العينة من حيث الثقة والكفاءة الثقافية كنتيجتين من نتائج استخدام مقياس الحساسية، في مقابل محاولتنا دراسة الموضوع بطريقة أعمق في جوانب مختلفة، وباستعمال أدوات متنوعة.

● الدراسة الخامسة: بعنوان: **Influence of new media on intercultural communication: an example of an Erasmus student**

¹ « **communication: an example of an Erasmus student**، أي: "تأثير وسائط

الإعلام الجديدة على التواصل الثقافي: مثال على طالب إيراسموس".

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد تأثير استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في عملية التكيف الثقافي لطلاب إيراسموس الذين يأتون إلى تركيا لأغراض تعليمية. ضمن هذا الإطار، تم إجراء تحليلات مفصلة باستخدام كل من الأساليب البحثية النوعية والكمية، من خلال الاستبيان، بالإضافة إلى مقابلات مباشرة وأخرى عبر الأنترنت.

وتتمثل العينة في الأفراد الذين يعيشون تجربة التواصل الثقافي عبر وسائل التواصل الاجتماعي وكانت نتائج الدراسة كالتالي:

للم تشير البيانات النوعية والكمية التي تم الحصول عليها من البحث إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي هي أداة فعالة جدا في تطوير التواصل الثقافي.

للم يستطيع الأشخاص التواصل بشكل سريع جدا عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يلتقي الفضاء والسرعة والثقافات واكتشاف وتكييف القيم الثقافية بشكل أكثر ملاءمة.

للم تم تحديد وجود تأثيرات إيجابية لوسائل التواصل الاجتماعي في التكيف الثقافي.

للم تزايد وتنوع أدوات التواصل الاجتماعي التي تعزز التواصل الثقافي يوما بعد يوم، ففوق استخدام

فيس بوك ومثيلاتها من وسائل التواصل الاجتماعي الشائعة، فإن تأثير وسائل التواصل

الاجتماعي على التواصل الثقافي قادر على التطور بشكل عضوي. نتيجة لذلك، يصبح فعالا

¹ - Murat Seyfi. Deniz Güven. **Influence of new media on intercultural communication: an example of an Erasmus student.** INFORMACIJOS MOKSLAI. 2016 .

جدا في حل المشاكل داخل ثقافة مختلفة، وتكوين الصداقات بشكل أسرع، ومتابعة مختلف الأنشطة.

يمكن أن تكون تلك الأدوات جزءا من القيم الثقافية، والتكيف، والانتماء، وتجاوز التحاملات، وهذا يستحضر مفهوم "الحوار الثقافي المستدام" الذي تعمل وسائل التواصل الاجتماعي كمحفز لتفعيله، فهي الأداة الأكثر تفضيلا لتواصل ثقافي مستمر.

نتيجة للبحث النوعي الذي أجري في إطار الدراسة، تم تحديد الاختلافات أيضا في عادات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بين الثقافات، وارتباطها بالثقافة والتوقعات الاجتماعية التي يعيشونها. خاصة في المجتمعات مثل تركيا، حيث يتحدث الناس كثيرا عن الأحداث السياسية، فتتغير الأغراض المقصودة لوسائل التواصل الاجتماعي في هذا الاتجاه. من ناحية أخرى، في المجتمعات التي لا تشكل فيها الأحداث السياسية محورا شائعا للمحادثات، يعكس الناس حياتهم الاجتماعية بشكل أكبر.

تظهر البيانات الكمية للدراسة أن المجموعات السرية التي تتكون من الطلاب الأجانب، هي سرية ولا يقبلون الطلاب المحليين للانضمام لها.

تتشترك هذه الدراسة مع دراستنا في متغيري الوسائط الجديدة والتواصل الثقافي، وتختلفان في السياق العام للدراسة حيث تهدف دراستنا إلى التركيز على الوصف الكيفي لهذه الظاهرة دون إهمال الجانب الكمي الذي يعطي الحقائق بطريقة أكثر موضوعية ودقة، في المقابل هذه الدراسة قامت بدراسة الأثر الذي هو ذو طابع كمي أكثر منه كيفي، باستخدام أدوات الاستمارة ثم المقابلة.

أسفرت لنا هذه الدراسة عن نتائج هامة في هذا التواصل الافتراضي في شقيه الإيجابي من حيث التكيف الثقافي والحوار المستدام، ثم في شقه السلبي من حيث مثلا احتكار المعلومات على المجموعات السرية، ونظرا لتعدد زوايا الدراسة في هذا الموضوع وتنوع الأبعاد اقتصرنا فائدتنا منها على جانب الاستخدام بصفة أكبر من غيره والدوافع وراء ذلك التواصل الثقافي، والذي كان بالنسبة لنا أحد المحاور الفرعية في إحدى الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة التي تبحث دوما عن العمق التحليلي لتمثل هذه الظاهرة لدى المستخدمين في الفضاء الافتراضي.

• الدراسة السادسة: بعنوان «How People Handle Intercultural Conflict via

1 «Social Media vs. in Person»، أي: كيف يتعامل الناس مع الصراعات الثقافية عبر وسائل

التواصل الاجتماعي مقارنة بالتواصل الشخصي؟.

يتمثل الغرض من الدراسة في فهم الصراع بين الثقافات كما هو الحال من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال طرح السؤال: كيف يصف المشاركون تجاربهم في الصراع بين الثقافات في وسائل التواصل الاجتماعي مقارنة باللقاءات الشخصية؟.

تهدف الورقة إلى استكشاف هذا الموضوع من خلال مطالبة المشاركين بوصف تجاربهم في الصراع بين الثقافات في وسائل التواصل الاجتماعي على أنها مشابهاة ومختلفة عن تجاربهم في الصراع الشخصي بين الثقافات، أي فهم كيفية تجربة الأفراد وإدارة الصراع بين الثقافات من خلال وسائل التواصل الاجتماعي مقارنة باللقاءات الشخصية.

أجرى المؤلف مقابلات تفاعلية مع المشاركين، وطلب منهم الرد على منشور على وسائل التواصل الاجتماعي يتعلق بموضوع صراع شعبي بين الثقافات وشرح كيفية تفاعلهم معه ولماذا، ثم قام بتحليل الردود لتحديد أوجه التشابه والاختلاف في كيفية تجربة المشاركين وإدارة الصراع بين الثقافات في وسائط مختلفة. تشير النتائج في هذه الدراسة إلى ما يلي:

للمشاركين يميزون تجاربهم من خلال الروابط الشخصية والتبرير التفاعلي والتبعيات الشخصية والملاءمة للوسيلة.

للمشاركين عانوا من الصراع بين الثقافات بشكل مختلف من خلال وسائل التواصل الاجتماعي مقارنة باللقاءات الشخصية.

للمشاركين إلى أن الروابط الشخصية والمبررات التفاعلية والتبعيات الشخصية والملاءمة للوسيلة هي عوامل مهمة في تمييز تجارب الصراع بين الثقافات في وسائل التواصل الاجتماعي.

1 - Rios-Rodriguez, Alma D, **How People Handle Intercultural Conflict via Social Media vs. in Person**. Communication Studies. Undergraduate Publications, Presentations and Projects. 2016.

توافق دراستنا مع هذه الدراسة في البحث عن التواصل بين الثقافات عبر الفضاء الافتراضي، إلا أنهما تختلفان في نمط التواصل المدروس، فقد عمدت دراستنا إلى البحث عن التواصل بصفة عامة، أما هذه الدراسة فقد ركزت البحث في نمط محدد وهو نمط الصراع بين الثقافات والفرق بينه وبين اللقاءات الشخصية بين الثقافات. اتفقت الدراستان أيضا في استعمال أداتي المقابلة وتحليل مضمون الردود على المنشورات، لكن دائما بتركيز هذا الباحث على البعد الصراعى، بخلاف دراستنا التي لم تقتصر على هذا التحديد.

أفادتنا هذه الدراسة في نتائجها المقدمة في الجانب الصراعى وعلاقته باللقاءات الشخصية، مما يدعم بعض نتائجنا المتعلقة بهذه الزاوية، لنضيف نحن زوايا أخرى مثيرة للجدل لا تقل أهمية عن سابقتها.

• **الدراسة السابعة: بعنوان « The Role of Social Media on Intercultural**

Communication Competences. »¹ أي: دور وسائل التواصل الاجتماعي في كفاءات

التواصل بين الثقافات.

سلطت هذه الورقة الضوء على تأثير الإنترنت على التواصل البشرى، وكيف جعلت وسائل التواصل الاجتماعي العالم يبدو بلا حدود كونها قناة تسهل تفاعل المستخدم والتواصل، من خلال التركيز على دور خمسة وسائط اجتماعية مستخدمة على نطاق واسع في كفاءات التواصل بين الثقافات، عن طريق تحليل دوافع المستخدم لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي للتواصل بين الثقافات باعتبار هذه الأخيرة هي أداة قوية تسمح للأشخاص بالتواصل والتفاعل ومشاركة الأفكار مع المستخدمين متعددي الثقافات. كما تحلل مدى تعزيز ميزات وسائل التواصل الاجتماعي لكفاءات التواصل بين الثقافات.

تقدم هذه الدراسة نظرة ثاقبة لدور وسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز كفاءات التواصل بين الثقافات، يمكن للمعلمين استخدام نتائجها لتصميم دورات تدمج وسائل التواصل الاجتماعي لتعزيز كفاءات التواصل بين الثقافات.

¹ - Winda Monika1, and others. **The Role of Social Media on Intercultural Communication Competences**. The Second International Conference on Social, Economy, Education, and Humanity.) - Sustainable Development in Developing Country for Facing Industrial. Revolution . (ICoSEEH 2019)

وقد استخدمت نظرية الاستخدامات والإشباع لوصف الاحتياجات النفسية التي تشكل دوافع الناس وراء مشاركتهم لاستخدام وسائط معينة للإشباع الذي يلبي احتياجاتهم المتأصلة. تضمنت الأساليب المستخدمة في هذه الورقة إجراء مسح للطلاب الدوليين من جامعة كيوتو وجامعة تسوكوبا في اليابان الذين يأتون من مختلف البلدان التي لديها خلفيات تعليمية مختلفة ومكانة أكاديمية وثقافات مختلفة. تم إجراء الاستطلاع في بيئة كان فيها الطلاب يأخذون دروسًا باللغة الإنجليزية، مما يعني أن إجادتهم للغة الإنجليزية عادلة بالفعل، ومع ذلك فإن اللغة الإنجليزية ليست لغتهم الأم. يهدف الاستطلاع إلى معرفة دوافع الأشخاص الذين يستخدمون كل وسائل التواصل الاجتماعي في التواصل بين الثقافات.

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

❖ Facebook هو منصة التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا بين الطلاب الدوليين، ويساعدهم في التعرف على المزيد عن أصدقائهم الدوليين.

❖ وجدت الدراسة أيضا أن المشاركين يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي بالدوافع التالية: دعم التفاعل الاجتماعي، والتنميط، ومشاركة المعلومات وأدوات الاتصال.

❖ وتخلص الورقة إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي تعزز كفاءة التواصل لدى المشاركين بطريقة تجعل التواصل بين الأصدقاء الدوليين فعالا، ويتكيفون بشكل أسرع حيث تساعدهم وسائل التواصل الاجتماعي على التعايش بشكل جيد مع رابطة قوية.

❖ وأخيرا، تعزز وسائل التواصل الاجتماعي مهارتهم في القراءة باللغة الإنجليزية.

التواصل عبر الفضاء الافتراضي هو المحور الأساسي الذي جمع بين الدراستين، إلا أن الاختلاف واقع في تحديد زاوية بحثية ضيقة في هذه الدراسة تتعلق تعزيز كفاءات التواصل عند المستخدمين الافتراضيين، وترك مساحة أوسع للبحث في دراستنا تتعلق بزوايا متعددة ومتنوعة. اقتصرت هذه الدراسة على مدخل الاستخدامات والإشباع في معالجة هذا الموضوع، أما دراستنا فقد وظفت النسقية بمختلف نظرياتها المتمثلة في التفاعلية الرمزية، بالو ألتو (palo alto) والفعل التواصلي، إضافة إلى نموذج التل الجليدي للإحاطة بزوايا الموضوع البحثية.

حققت لنا نتائج هذه الدراسة الفائدة المرجوة فيما يتعلق بالكفاءة التواصلية في هذا الفضاء الافتراضي، لتفتح لنا طريقاً أوسع للبحث في هذا الجانب الذي لا يقل أهمية عما تطرقنا إليه في بحثنا.

● الدراسة الثامنة: بعنوان: «Assessing intercultural communication competence as

1 «a relational construct using social network analysis» أي: العلاقة بين استخدام

وسائل التواصل الاجتماعي والتكيف الثقافي للطلاب الدوليين الآسيويين في الولايات المتحدة.

تبحث هذه الورقة في تأثير استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على الرفاهية الذاتية والدعم الاجتماعي والتكيف الثقافي للطلاب الدوليين الآسيويين في الولايات المتحدة، وتقدم وصفاً شاملاً لكيفية ولماذا يدرك الطلاب الآسيويون الدوليون ويختبرون التواصل بين الثقافات والتكيف من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

تعتمد هذه الورقة على البحث النوعي، حيث تم إجراء مقابلات متعمقة مع 17 طالباً آسيوياً دولياً من ستة بلدان، يدرسون في إحدى جامعات الغرب الأوسط في الولايات المتحدة.

كانت المقابلات شبه منظمة، وتم تصميم الأسئلة لاستكشاف استخدام الطلاب لوسائل التواصل الاجتماعي، والبحث عن الدعم الاجتماعي، والرفاهية الذاتية، وتجارب التكيف الثقافي. وتم تسجيل المقابلات الصوتية ونسخها وتحليلها باستخدام التحليل الموضوعي لتحديد الأنماط والمواضيع في البيانات. توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

للوسائل التواصل الاجتماعي تساعد على تعويض فقدان الدعم الاجتماعي ورأس المال الاجتماعي غير المتصل بالإنترنت من بلدانهم الأصلية، ولكن وظيفتها في توسيع الشبكات الاجتماعية في البلد المضيف محدودة.

للوسائل التواصل الاجتماعي له تأثير إيجابي على الرفاهية الذاتية والدعم الاجتماعي المتصور للطلاب الدوليين الآسيويين في الولايات المتحدة.

1 - Ming Xie1 & Chin-Chung Chao. Assessing intercultural communication competence as a relational construct using social network analysis. Journal of Intercultural Communication, 2022.

للأثر تأثير استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على رأس المال الاجتماعي محدود.

للأثر وسائل التواصل الاجتماعي لها تأثير معتدل على التكيف الاجتماعي والثقافي والنفسي للطلاب الدوليين الآسيويين في الولايات المتحدة.

اهتمت هذه الدراسة بالتعرف على التكيف الثقافي الذي يحققه التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي، أما دراستنا فعمدت إلى دراسة هذه التواصل بصورة أوسع في الطرح وأعمق في التحليل، باستخدام أدوات متنوعة في ذلك، على عكس هذه الدراسة التي اكتفت بأداة مقابلة شبه المنظمة لجمع البيانات.

استفدنا من نتائج هذه الدراسة على المستوى الميداني أيضا تدعيما لبعض المؤشرات التي تجمع البيانات في هذا الإطار، إلا أن ذلك لا يغطي إلا الجزء القليل من دراسة استخدمت ثلاث أدوات بحثية بثلاث مداخل نظرية مع نموذج عملي يوظف عملية البناء ثم التحليل.

2-3- الدراسات السابقة التي تجمع بين متغيري: الاتصال وشبكات التواصل الاجتماعي

- الدراسة الأولى: بعنوان "شبكات التواصل الاجتماعي وتكريس خطاب الكراهية - دراسة لتواصل رواد شبكات التواصل الاجتماعي" -¹.

عمل هذا البحث على رصد وتتبع الإشكالات المجتمعية التي تفرضها اليوم شبكات التواصل الاجتماعي، ومن ضمنها أسباب وأبعاد تكريس خطاب الكراهية لدى رواد شبكات التواصل الاجتماعي، وكيف يتمثلون خطاب الكراهية وكيفية تصريفه، والخلفيات من انتشاره عبر تلك الشبكات، وذلك في

¹ - خالد لمسيح، شبكات التواصل الاجتماعي وتكريس خطاب الكراهية - دراسة لتواصل رواد شبكات التواصل الاجتماعي،

(مجلة باحثون، مرجع سابق).

حدود الإجابة على السؤال الآتي: ما هي أسباب ودلالات تكريس خطاب الكراهية ونشر لغة التحريض بين رواد شبكات التواصل الاجتماعي؟

استخدم الباحث أداة الاستبيان لجمع المعطيات الميدانية حول الموضوع، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي. وقد تم تطبيق هذه الدراسة بمدينة مراكش، حيث استهدفت رواد شبكات التواصل الاجتماعي باختلاف خصائصهم الاجتماعية وتوجهاتهم الفكرية والعلمية، والذي بلغ عددهم 100 مبحوث ومبحوثة، وقد اعتمد الباحث العينة العشوائية البسيطة في اختيارهم، وبلغت مدة البحث شهرين كاملين بما فيها تجريب الاستمارة وتنقيحها.

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج نذكر منها ما يلي:

أظهرت النتائج فيما يخص البيانات الديمغرافية أن الفئة العمرية [20-30] هي الأكثر استعمالاً لشبكات التواصل الاجتماعي، وأن المستوى الجامعي للرواد هو الذي تصدر الترتيب بنسبة 77%، حيث كان هناك ارتباط إيجابي بين المستوى الدراسي والولوج إلى شبكات التواصل الاجتماعي، فكلما ارتفع الأول زادت نسبة الثاني.

النسبة الأكبر من المبحوثين يقضون ما بين 3 إلى 5 ساعات يومياً في التواصل عبر الشبكات. أغلب عينة الدراسة يؤكدون أنهم يفضلون شبكة الفيسبوك أكثر من غيرها من المواقع التي تتنافس كلها لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الرواد.

تعددت الوسائل التكنولوجية المستعملة في التواصل عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، أين أصبح الهاتف النقال يتفوق على كل تلك الوسائل.

أغلب المبحوثين يقضون الوقت الأكبر عبر شبكات التواصل الاجتماعي في التحدث مع أصدقائهم ثم مشاهدة ما يشونه.

أظهرت نتائج البحث أن الخطابات الأكثر تداولاً ووروداً على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي لدى المبحوثين هي خطابات ثقافية وعلمية يليها الخطابات الترفيهية والفكاهية، ليأتي في الأخير الخطابات المسيئة والمحرضة والتي كانت في المستوى الأدنى.

لم صرح أكثر من نصف العينة أنهم لم يتعرضوا إلى أي خطاب يحتوي على الكراهية أو السب أو الشتم عبر شبكات التواصل الاجتماعي، في حين أقر نسبة 40% بأنهم تعرضوا لهذا النوع من الخطابات.

لم أكدت غالبية العينة التي تعرضت للكراهية أن ذلك كان من طرف أناس مجهولي الهوية، ليتأكد بذلك أنهم هم الأكثر جرأة على ذلك.

لم يرى أغلب المبحوثين أن المحيط الاجتماعي له تأثير على سلوكيات رواد شبكات التواصل الاجتماعي في نشر الكراهية، حيث يعتبرون ذلك رد فعل على العنف الممارس ضدهم في حياتهم الاجتماعية، وهو ما يعكس العلاقة الوطيدة بين الواقع الاجتماعي والواقع الافتراضي. في حين ينفي البقية ذلك ويرجعونه إلى أسباب نفسية أكثر.

لم أغلب عينة الدراسة ترى أن شبكات التواصل الاجتماعي تعبر متنفسا لتفريغ العنف والكراهية. لم تركزت الأسباب الاجتماعية لنشر خطاب الكراهية والتحريض على العنف لدى عينة الدراسة في خلل في التنشئة الاجتماعية أولا، ثم كرد فعل على العنف الممارس في الواقع والذي يمثله الإقصاء والتهميش.

لم أقر أغلب أفراد العينة بأن خطاب الكراهية الممارس عبر شبكات التواصل الاجتماعي يؤثر على الحياة الاجتماعية للمستخدمين.

لم يرى أكثر من نصف العينة المدروسة أن هناك مساهمة ولو جزئية في قضية فرض شروط والتقييد بها عبر شبكات التواصل الاجتماعي للحد من نشر خطاب الكراهية والعنف فيه.

لم وافق نصف المبحوثين من رواد الشبكات على إمكانية فرض رقابة على شبكات التواصل الاجتماعي للحد من خطاب العنف والكراهية.

لم تؤكد نصف العينة المدروسة احتمالية ربط حالات العنف والكراهية بعدم التجريم والردع.

لم النسبة الأكبر من عينة الدراسة تتصور أن الحل الأمثل لردع وتجريم انتشار خطاب الكراهية هو حجب الحساب من الشبكة، أما النسبة الأقل منها مباشرة فترى الحل في المتابعة القانونية...، أي أن المبحوثين يعتمدون على حلول تكنولوجية لحل هذا المشكل.

تشابهت هذه الدراسة مع دراستنا في متغير الاتصال، وفي ميدان الدراسة وهو شبكات التواصل الاجتماعي، إلا أنها تناولت نمطا خاصا من أنماط التواصل وهو القائم على الكراهية والعنف، بينما دراستنا ركزت على العلاقة الاتصالية التي تتعلق بالمستخدمين مختلفي الثقافات. كما تشابهت الدراستان في أداة الاستبيان لجمع البيانات، إلا أننا استخدمنا الاستبيان الإلكتروني، المقابلة وأداة تحليل المضمون في حين اكتفى الباحث بالاستبيان العادي فقط. أيضا وضع الباحث مجموعة فرضيات مع الأسئلة، واكتفينا نحن بالأسئلة فقط.

لاحظنا على هذه الدراسة غياب التعريف الاجرائي لخطاب الكراهية والعنف، مما يبقي القارئ في غموض حول أبعاد هذا المفهوم، وهل الخطاب الحاد مثلا في مسألة الحق أو الدفاع عن النفس يندرج أيضا ضمنه. ضف إلى ذلك أنه وضع فرضية تتعلق بتباين الأفكار والمعتقدات ودورها في تأجيج الكراهية إلا أنه لم يجب عليها، ولم يضع المؤشرات اللازمة لدراستها في الجانب الميداني. أما دراستنا هذه فقد حاولت تغطية كل الأسئلة الفرعية ووضع المؤشرات اللازمة لذلك، ثم الاستعانة بتحليل المضمون لزيادة الدقة في النتائج.

• الدراسة الثانية: بعنوان "العوامل الاتصالية المؤثرة على التفاعلية لدى مستخدمي موقع فيس بوك -دراسة ميدانية على عينة من الجمهور المصري-"¹

تتلم هذه الدراسة بشكل أساسي بالتفاعلية من حيث كونها اتصالا بين البشر عبر وسائل الاعلام الجديدة فتتبنى منظورا اجتماعيا في تناول التفاعلية، حيث تشير إلى العلاقة المتبادلة بين مستخدمي موقع فيس بوك من خلال المنشورات المتبادلة وفي إطار بيئة موقع فيس بوك التي تتسم بخصائص ومميزات معينة. وعليه تم تحديد مشكلة الدراسة هنا في رصد وتحليل العوامل المؤثرة على التفاعلية والتي تشمل العوامل والسمات المرتبطة بعناصر العملية الاتصالية المتمثلة في كل من (المستخدم- الرسالة - الوسيلة) وذلك

¹ - شيرين سلامة السعيد الدسوقي، العوامل الاتصالية المؤثرة على التفاعلية لدى مستخدمي موقع فيس بوك -دراسة ميدانية

على عينة من الجمهور المصري-، مجلة بحوث الصحافة، د م ن، 2018.

بالتطبيق على عينة من مستخدمي فيس بوك من الجمهور المصري، في حدود التساؤل الرئيس: ما العوامل

المؤثرة على التفاعلية لدى مستخدمي فيس بوك من الجمهور المصري عينة الدراسة؟

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي، وذلك بإعداد الباحثة لصحيفة

استقصاء كأداة لجمع البيانات بما يحقق أهداف البحث.

يشمل مجتمع هذه الدراسة جميع مستخدمي فيس بوك من المجتمع المصري، أما عينة الدراسة فقد تم

تحديدها بعدد 300 مفردة من مستخدمي موقع فيس بوك من الجمهور المصري من خلال الاستبيان

الإلكتروني.

لقد توصلت الباحثة إلى عدة نتائج نجملها فيما يلي:

أظهرت الدراسة فيما يخص خصائص عينة البحث أن غالبية عينة الدراسة كانت من الإناث

وتتنمي إلى الفئة العمرية [21-30]، كما جاءت غالبية مفردات العينة في المرحلة الجامعية،

وتقاربت نسبة من يعملون في القطاع الحكومي والخاص، وإن كانت هذه الأخيرة أكثر بقليل.

أظهرت النتائج الخاصة بطبيعة الاستخدام والتعرض أن النسبة الأعلى من مفردات العينة قد

أنشأوا حساباتهم على موقع فيس بوك منذ أكثر من سبعة أعوام، مع ارتفاع نسبة مفردات العينة

من يقضون من ساعة إلى ثلاث ساعات على موقع فيس بوك يومياً. كما أن الفترة المسائية

كانت الأكثر تفضيلاً لدى مفردات العينة من مستخدمي الفيس بوك.

عرضت الدراسة النتائج الخاصة بأنماط التفاعلية لدى مستخدمي موقع فيس بوك في النقاط الآتية:

- بالنسبة لأشكال تفاعل عينة الدراسة عبر موقع فيس بوك كانت النسبة الأعلى فيها للتفاعل من

خلال الحساب الشخصي، ثم من خلال تسجيل الإعجاب بصفحة، ثم تأتي الاختيارات الأخرى.

- بالنسبة لتفاعلهم مع منشورات المستخدمين الآخرين، أجابت أغلب عينة الدراسة بأنهم يعتمدون

بصفة أساسية على تسجيل الإعجاب بالمنشور، وهو الشكل التقليدي والأكثر سهولة وبساطة

في الاستعمال.

- أكدت النتائج أن النسبة الأكبر من عينة الدراسة تحرص على دعم تعليقاتها برهان أو دليل.

- تبين النتائج أيضا أن غالبية المستخدمين من عينة الدراسة في حالة مشاركتهم للمنشورات يضيفون تعليقا نصيا.
- للعرضت الدراسة النتائج الخاصة بمتغيرات الرسالة (المنشور) لدى مستخدمي موقع فيس بوك في النقاط الآتية:
- يؤكد غالبية المستخدمين فيما يخص شكل المنشورات التي يحرصون على التفاعل معها أنهم يفضلون الشكل النصي، فهو الشكل الأكثر بروزا وتميزا لموقع الفيس بوك.
- جاءت المنشورات المتعلقة بمعلومات عامة متنوعة في مقدمة أنواع المنشورات التي تحرص مفردات عينة الدراسة على التفاعل معها عبر الفيس بوك.
- الموضوعات والقضايا الاجتماعية تأتي في مقدمة القضايا المفضلة لدى مفردات عينة الدراسة للتفاعل معها عبر موقع الفيس بوك.
- أكدت مفردات عينة الدراسة على تفضيلها للمنشور عندما يكون "موجز ومختصر"، ثم عندما يتضمن المنشور "معلومات جديدة لم يتم التعرف عليها مسبقا"، وجاءت عبارة "عندما يحمل المنشور وجهة نظر تتوافق مع وجهة نظري" في المرتبة الثالثة، ثم تليها السمات المتبقية.
- للعرضت الدراسة النتائج الخاصة بمتغيرات المستخدمين الآخرين (المرسل) لدى عينة الدراسة في موقع فيس بوك في النقاط الآتية:
- جاءت عبارة "عندما يكون المستخدم ذو مصداقية عالية" في مقدمة سمات المستخدمين المفضلة لدى مفردات عينة الدراسة، ثم عبارة "عندما تربطني بالمستخدم علاقة شخصية (صديق - قريب) في المرتبة الثانية.
- للعرضت الدراسة النتائج الخاصة بمتغيرات الوسيلة (الفيس بوك) لدى عينة الدراسة في موقع فيس بوك في النقاط الآتية:
- احتلت عبارة "يمكنني من مشاركة الأخبار المهمة والعاجلة" مقدمة السمات الإيجابية التي تعزز من التفاعل عبر موقع فيس بوك لدى عينة الدراسة. أما في المرتبة الخامسة عشر والأخيرة، فجاءت عبارة "يساعدني على أن أصنع لنفسني مكانة اجتماعية مميزة".

- أما عن السمات السلبية التي تضعف من التفاعلية عبر موقع الفيس بوك من وجهة نظر عينة الدراسة، فقد كان هناك ارتفاع لنسبة عينة الدراسة ممن أشاروا إلى أن الفيس بوك "يمدني بمعلومات مضللة وغير دقيقة في معظم الأحيان".

تتفق هذه الدراسة ودراستنا في متغير العملية الاتصالية وكيف تمارس عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي التي خصصتها هي بالفيس بوك، إلا أن هذه الدراسة أرادت أن تدرس علاقتها بالتفاعلية، أما دراستنا فقد اهتمت بالعملية التواصلية التي تتم فقط مع المختلف ثقافيا الذي هو الغربي، كما اشتركت الدراستان في استخدام أداة الاستبيان، واختلفتا في أدوات جمع البيانات الأخرى، ثم في المعاملات الإحصائية المستعملة في كل منهما.

تميزت هذه الدراسة بالشمولية في معالجة هذا الموضوع من حيث طرح الأسئلة والفرضيات الكافية والمحيطة بالموضوع واستخدام المقاييس الإحصائية المناسبة لذلك، إلا أن النقص الوحيد الذي لاحظناه في جانبها الميداني هو ضعف التحليل الكيفي، حيث غيَّب الباحث في كثير من المؤشرات إعطاء التفسيرات المناسبة التي من شأنها أن تزيد ثراء هذه الدراسة، واكتفى فقط بالمقارنة بين نتائجه ونتائج الدراسات السابقة. أما دراستنا فقد كانت من أولى أولوياتها إعطاء الأهمية اللازمة للتحليل الكيفي عن طريق الاستعانة في ذلك بالتفسيرات العلمية والموثقة من مختلف المراجع.

● **الدراسة الثالثة: بعنوان "الوظيفة الاتصالية لموقع التواصل الاجتماعي -دراسة في موقع الفيس بوك-".¹**

تناولت هذه الدراسة الحديث عن نظريات الاتصال من المنظور التكنولوجي، حيث ركزت على الوظيفة الاتصالية في مواقع التواصل، ومدى التغير الذي أُمسَّ بالعملية الاتصالية بعد ثورة الاتصالات وما أفرزته من مواقع ساعدت في ظهور أشكال جديدة من الاتصال وتعزيزه، والتي يعتبر الفيس بوك

¹ - مؤيد نصيف جاسم المعدي، الوظيفة الاتصالية لموقع التواصل الاجتماعي -دراسة في موقع الفيسبوك-، ط1، ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2016.

أشهرها، ومنه التعرف على وظيفته الاتصالية التي يمارسها الأفراد في هذا الفضاء الافتراضي، وماهي دوافعهم في ذلك والصعوبات التي اعترضتهم؟.

يتمثل مجتمع البحث في هذه الدراسة في طلبة جامعة بغداد حيث تم اختبار عينة منهم قدرت بـ 420 طالبا وطالبة في كليات الصيدلة والإعلام والهندسة والعلوم السياسية، وبنسب متفاوتة بين الكليات العلمية والانسانية بنسبة 10% لأعداد الطلاب والطالبات في كل كلية.

اعتمدت هذا الدراسة على وصف الحقائق باتباع المنهج المسحي لتوافقه مع الدراسات الإعلامية، كما استخدمت في ذلك المسح الاجتماعي لكونه الأكثر مناسبة لمجتمع البحث وعينته.

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج نلخصها فيما يلي:

لقد دلت نتائج الدراسة على أن موقع الفاييس بوك يعدّ الموقع الأكثر أهمية بالنسبة لطلاب جامعة بغداد بما يعادل نسبة 61.9%، وهو ما يعبر عن وعيهم بالتكنولوجيا الحديثة والسعي لإيجاد بدائل جديدة للروابط التواصلية.

لقد كان تعرف الطلبة على موقع الفاييس بوك عن طريق الأصدقاء وذلك بنسبة 73.3%، وهذا ما يشير إلى أن الأصدقاء هم أكثر قدرة على الإقناع.

لقد كان هناك تقارب في المدة التي بدأ بها المبحوثون الاشتراك في الموقع، كما أنهم يفضلون البيت لتصفح الفاييس بوك وذلك بنسبة 84.3%، مما يدل أنه يشكل بنية اتصالية مناسبة للتواصل أكثر من غيره من الأماكن.

لقد أغلب المبحوثين يرغبون في التواصل مع الأصدقاء على الفاييس بوك بنسبة 43.7% فهو يزيد من فرص معرفة الأصدقاء والتواصل الاجتماعي معهم، ولكنهم في المقابل يفضلون عدم الإكثار جدا من الأصدقاء، لذا أثبتت النتائج أن نسبة 43.1% لديهم عدد أصدقاء أقل من 50.

لقد أغلب المبحوثين يستعملون الفاييس بوك للتواصل مع الأصدقاء وبناء العلاقات الجديدة بما يعادل 52%، وهو ما يؤكد الوظيفة الاتصالية للموقع، وبالتالي أصبحوا يشعرون أنهم جزء من مجتمع الفاييس بوك.

- ✎ نسبة كبيرة من عينة الدراسة تهتم بالنشاطات اليومية لأصدقائها مما يعني أن النشر المتميز يعطي مجالات للتفاعل وصناعة المحتوى الاتصالي، ثم انصب اهتمامهم على الصور المعروضة.
- ✎ أغلب المبحوثين لا يستخدمون معلومات الآخرين في صفحاتهم على الفاييس بوك وذلك بنسبه 82.9%، وهو ما أرجعه الباحث للثقة في النفس والرغبة بتحقيق الذات.
- ✎ إن استخدام الفاييس بوك لا يشعر المستخدمين بالقلق، وبالتالي هم مطمئنين لطريقة الاتصال، لأنها توفر لهم مجالاً من الخصوصية المناسبة.
- ✎ يوفر الفاييس بوك في أغلب الأوقات المعلومات الحديثة والمهمة في أغلبها، والتي يمكن أن لا تتوفر في وسيلة اتصال أخرى، كما أنه يوفر لهم أيضاً الترفيه والتسلية.
- ✎ صرّح المبحوثون أن علاقاتهم أحياناً تتحول إلى علاقات حقيقية وذلك بنسبة 43.8%.
- ✎ يفضل المبحوثين التعليقات ثم المجادلة تليها الصور ثم الرسائل النصية وأخيراً الفيديو.
- ✎ بينت هذه الدراسة حرص المستخدمين على تكوين علاقات صادقة وقوية وذلك بانتقاء الأصدقاء وعدم قبول كل طلبات الصداقة بما يعادل نسبة 75.2%، ثم إن إضافاتهم كانت بعد الاطلاع على صفحة المستخدم بنسبة 48%، وذلك لضمان نوع من الانسجام بين طرفي الاتصال بما يحافظ على ديمومته، ثم جاء بعدها اشتراط المعرفة المسبقة لمقدم طلب الصداقة.
- ✎ هناك الكثير من المستخدمين من يحدفون أصدقائهم إذا ما نشر من طرفهم محتوى غير لائق.
- ✎ أجابت النسبة الأكثر من المبحوثين بأن علاقاتهم في الفاييس بوك تدوم طويلاً حيث كانت نسبتهم 62.6%.
- ✎ أغلب الباحثين بما يعادل نسبة 46.4% ينشرون خصوصياتهم على موقع الفاييس بوك أحياناً.
- ✎ كانت إجابة التعمق في المحادثة في المرتبة الأولى لدى المبحوثين بنسبة 55.5% نظراً لنسبية العلاقات فيه.

إن نقاط التشابه بين الدراستين تظهر في شقها الأول وهو الوظيفة الاتصالية التي يقابلها في دراستنا هذه الاتصال، فكلتا الدراستين يسعى للتركيز على ما تحققه الشبكات الاجتماعية عموماً في الجانب

الاتصالي. كما تتقاطعان في المنهج المستخدم لأنه المناسب لكليهما ثم في أداة الاستبيان الذي اختلفت بينهما في شكلها فقط.

أما عن نقاط الاختلاف فظهرت في المتغير التابع، حيث اختلفت الدراسة السابقة بمتغير واحد، في حين أضافت دراستنا متغيراً محورياً وهو التنوع الثقافي، حيث اقتصر الاتصال في مذكرتنا على مختلفي الثقافات وليس بين الأصدقاء والأقارب في المجتمع الواحد. كما أضافت دراستنا أداتين لا تقلان أهمية عن الاستبيان ألا وهما المقابلة وتحليل المضمون.

لا يمكن أن ننكر الفائدة التي قدمتها لنا هذه الدراسة في شقها النظري وتقسيماتها للعناصر الفصلية، وأهمية الأفكار التي تناولتها فيما يخص الاتصال، إلا أن عموميتها في دراسة هذه الظاهرة جعلت فائدتها محدودة بالنسبة لنا، لأننا سلطنا الضوء على شكل واحد من أشكال الاتصال وهو الاتصال الثقافي.

الفصل الثاني:

الفصل الثاني: جدلية العلاقة الاتصالية بين الثقافات

في سياق تطورها التاريخي من العالم الواقعي إلى الفضاء الافتراضي

أولاً- التنوع الثقافي بين سيرورته التاريخية وتحدياته الواقعية.

ثانياً- عناصر التنوع الثقافي وتمثلاتها في الثقافتين العربية الإسلامية والغربية

ثالثاً- مآلات الاتصال الثقافي بين استنطاق التاريخ ومساءلة الواقع وحتمية الافتراضي

أولاً- التنوع الثقافي بين سيورته التاريخية وتجلياته الواقعية

(1)- المتغيرات التأصيلية للتنوع الثقافي في سياقها التاريخي

1-1- أهمية الثقافة في سيورة المجتمع وتطوره

يبين لنا لويس دالو (Louis dallot) في كتابه المترجم "الثقافية الفردية والثقافية الجماعية" الأهمية المتزايدة للثقافة عند كافة فئات ومؤسسات وشخصيات المجتمع، فلقد قفز مفهوم الثقافة ليحتل مرتبة الصدارة في الحياة الحاضرة وحظي بقدر من الذبوع بعد أن كان خلال فترات طويلة ينظر إليه على أنه فردي النزعة وأرستقراطي، ولعل السبب وراء ذلك أن الثقافة وجدت نفسها وجها لوجه أمام ظاهرات جديدة هي ظاهرات الجمهور والتقنيات المسماة تقنيات جماهيرية لأنها تحدث في الجمهور تأثيرا جسيما،¹ لتصبح بذلك محطة هامة في حياة المجتمعات يجب الوقوف عندها لفهم الكثير من المستجدات فيها.

يصف سوينجود (Swingewood) هذه الحالة المتميزة للثقافة بقوله: "إن الأنظمة الاجتماعية الرئيسية (مثل: الأسرة والدين والتعليم والسياسية والمنظمات الاجتماعية) تعمل على نقل القيم الثقافية والمعايير والمطامح، وتبلورها في قوالب لا شعورية، تحدد السلوك والعمل والمعرفة خلال الحياة اليومية. والثقافة على مستوى الوعي العام ليست ببساطة ثقافة الشعب أو الأسرة أو الطبقات المقهورة، إن الثقافة ليست مفهوما محايدا، إنما مفهوم ينطوي على أبعاد تاريخية وإيديولوجية"². وهو ما يظهر في التمايز بين مختلف الثقافات الذي يتدخل في تشكيله المراحل التاريخية التي يمر بها المجتمع، وانعكاساتها على ثقافته وبالتالي أفكاره التي تتطور وتنمو على إثرها.

من هنا لا يمكن أن نتصور ثقافة محايدة أو مجردة، لا ترتبط بخلفيات تاريخية أو مذهبية تشكل مصدر موازينها ومعاييرها ومرجع قيمها، ولذلك فهي كثيرا ما تحمل نعتا يحدد إطارها وأبعادها، لذا نجد أنها تنسب إلى دين أو مذهب كالثقافة الإسلامية أو البوذية، أو إلى بلد أو منطقة كالثقافة اليونانية أو الهندية، وتتسع لمضامين ما تنسب إليه، فالثقافة الإسلامية حينما اتخذت الإسلام رداء لها أصبحت تتسع لكل ما يحويه

1- علي عبد الرازق جلي وآخرون، مرجع سابق، ص 11.

2- محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 72.

هذا الانتساب من مضامين باعتبار الإسلام عقيدة وشريعة وفكرا وحضارة ومنظومة قيم، وهكذا كل الثقافات الأخرى.¹ فهي تحمل صفات الموصوف الذي ترتبط به سواء كان دولة أو ديناً، أو مذهباً.

تعتبر الثقافة استثمار يخلق القيمة الأساسية التي تتباين عليها التنمية ألا وهي الإنسان، والثقافة اليوم قضية استراتيجية، فهي مستويان مستوى أنثروبولوجي حيث تكون الثقافة تراث من العادات والقيم التي تطبع الوجدان ويبنى عليها السلوك عن وعي أو بدون وعي، ومستوى آخر تكون فيه الثقافة شأن نخبة تداول فيما بينها ثقافة عالمية.² وبين هذا وذاك لا مجال للفرد إلا أن يكون في أحد المستويين، ويقوم بتوظيفها في خدمة حياته الاجتماعية وبناء علاقاته التفاعلية ليحقق التكامل والاستقرار.

يرتكز المجتمع على الثقافة باعتبار قدرتها على الإمداد بآليات لمواجهة التشاكل الاجتماعي، ومن ثم إيجاد علاقات تحدث توازناً يوفر مناخاً للتكامل المعرفي والتبادل الاقتصادي والتعاون الإنساني، فهي شائع غير غامض، ومتاح غير ممنوع، وحي غير ساكن، يقع داخل مناطق الوعي يؤثر في العادات وأنماط السلوك، مرشحة لأن توظف طاقاتها كرسول سلام، ومبعوث تنوير، ومنطلق نهضة ونماء، وجسر للتشاقف بين الشعوب بعيداً عن الإقصاء.³

إن الثقافة كما قال الأستاذ علي مزروعى: "جمع بين الثقافة كهوية وبين الثقافة كطريقة اتصال" فالثقافة من أخص خصائص الإنسان، فهو مخلوق عاقل ومفكر، وأي انتقاص من ثقافته هو انتقاص لبشريته وأدميته، وأي اهتمام بنمو ثقافته هو اهتمام بإنسانيته، فهي قوام للتواصل من أجل التعارف وتبادل الخبرات مهما اختلفت أجناسهم ومعتقداتهم، فعن طريقها يبادل الناس المفاهيم والأفكار والمعتقدات وأساليب الحياة وغير ذلك من نظم وتصورات، وهي أيضاً وسيلة لتمايز الشعوب بعضها عن بعض بفضل السمات التي تتميز بها كل ثقافة عن الأخرى، مما يكسبها القدرة على الانفتاح على الثقافات

¹ - أحمد بن عبد العزيز الحليبي، الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي، مجلة جامعة الملك سعود- العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج19، ع1، 2006، ص14.

² - علي أومليل، سؤال الثقافة والثقافة العربية في عالم متحول، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2005، ص9.

³ - سعيد الصقلاوي، مفاهيم في الثقافة المعاصرة، مجلة تواصل ع1، 2005، ص75. دار المنظومة <http://mandumah.com>

الأخرى دون وجل من الاندماج أو الذوبان فيها، أي القدرة أثناء الممارسة الثقافية على المحافظة على خصوصيات الوطن وأصالته وذاتيته المتمثلة في قيمه ومبادئه ونظمه¹.

كما تعتبر الثقافة عاملا من عوامل تجاذب الناس وارتباطهم وتكاملهم، فقد تكون في مواضع أخرى عاملا رئيسيا من عوامل التفكك والصراع، والواقع أنه كلما زاد المجتمع تعقيدا وتركيبا، تزايدت معدلات التباين والتنوع الثقافي، لكون هذا المجتمع يحتوي العديد من الجماعات الفرعية والثقافات المختلفة التي تتصارع من أجل اكتساب سلوك أعضائها وقيمهم وأساليب حياتهم مزيدا من الشرعية، ثم إن الطبقة المسيطرة تستغل ثقافتها لتبرير سيطرتها على الطبقات الأخرى². وبدل أن يكون التنوع هنا في خدمة التكامل والتبادل، كان أداة فتاكة لتغذية الصراع والتنافر. لذا يجب العمل دائما على جعلها مصدر قوة في المجتمع تزيده تماسكا وتمنحه آليات الوقوف أمام عواصف التغيير والانحلال.

1-2- التغير الثقافي في ظل اكتساح العولمة للساحة العالمية

لا يمكن أن يكون الحديث عن الثقافة اليوم هو نفس الحديث عنها منذ عقود قليلة، أي قبل ثورة تكنولوجيا الاتصال، وانتصار اقتصاد السوق واتجاه العالم نحو العولمة بخصائصها التي منها تنميط الاستهلاك، بما في ذلك تنميط الصناعة الثقافية، ونتيجة لذلك أصبحت ثقافات الأمم المنتمية إلى العالم النامي واقعة تحت ضغط الثقافة الغربية المعولمة والعالمية، فتحاول رد الفعل بالدفاع عن نفسها باسم الهوية، لأن العولمة تلقي على الهامش بمجتمعات وثقافات وتعمل على تفتيتها، فيكون هناك من جهة عولمة المجتمعات المتقدمة المتحكمة في مراكزها وشبكات مصالحتها وتواصلها، وهناك من جهة أخرى تفتيت ثقافي وعلمي طائفي وعرقي للثقافات الأخرى³.

إن حقيقة الثقافة العالمية الكونية التي تطمح العولمة في اتجاهها الفكري الأيديولوجي إلى صياغتها والترويج لها، والتي يسعى العالم الغربي إلى فرض سيطرتها لا تعني أن يشارك الجميع في إنتاجها، بل تعني

¹ - أحمد بن عبد العزيز الحليبي، مرجع سابق، ص 13، 14.

² - محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 72.

³ - علي أو مليل، مرجع سابق، ص 101.

أما الأكثر انتشارا على مستوى العالم بسبب تحكم الشركات المعولمة في إنتاجها وتسويقها، مما يجعل الوجه الآخر لعولمة البضاعة هو صعود الهويات الثقافية المتعددة والتي تسعى إلى إثبات ذات جماعية دينية، طائفية وإثنية، حيث تتصارع فيما بينها من جهة، وتتصارع العالم صراعا غير متكافئ من جهة أخرى.¹ وستكون الغلبة بالطبع للأقوى اقتصاديا والذي يوهم نفسه والآخرين بأنه الأقوى أيضا ثقافيا وإن لم يكن كذلك.

عموما فالمجتمع المعاصر اليوم يشهد أزمة ثقافية واجتماعية شكلها الصراع القائم بين التغيرات التكنولوجية الهامة والنظام الاجتماعي والنسق الثقافي القائم، فقد أوجد التغير التكنولوجي أيضا أدوارا اجتماعية جديدة وأوضاعا طبقية مستحدثة وقيما ودوافعا وحقوقا وواجبات لم تكن قائمة من قبل. ولقد كانت فئة الشباب هي أكثر فئات المجتمع تأثرا وإحساسا بهذه الأزمة لما يتسمون به من توجيه عقلي ودفعي نحو المستقبل، فهم يهدفون بثقافتهم المضادة التي يرون أنها تحمل الجديد إلى خلق أسلوب عصري للحياة، ينطوي على كل ما هو ملائم للفرد في حياته، وعلى كثير من المعايير التي يمكن أن تخدم اهتمامات ومصالح كافة أفراد المجتمع،² ولكن الواقع يقول عكس ذلك، حيث أن ثقافتهم اليوم تخدم مصالحهم الذاتية وتنمي فيهم الفردانية على حساب مصلحة المجتمع وأمنه.

تعبر ثقافة الشباب اليوم وللأسف عن نوع من الانهيار الثقافي في المجتمع المعاصر، حيث شجع على ذلك التكنولوجيا المعاصرة وما أحدثته من تفكك في النظم التقليدية التي بدت غير ملائمة للتوقعات والأعمال والمطالب الجديدة، ومن ثم شكل ذلك كله تهديدا سافرا لاستقرار الإطار الثقافي الذي كان يمنح الشباب إحساسا بالهدف، وتمثالا للمعنى وثقة بالمستقبل.³ وهنا يجب على المجتمع أن يتعامل بعقلانية مع هذا التوجه الجديد، وأن يضع خطة لتوجيه ثقافة الشباب بما يتماشى مع العصرنة ويحافظ في ذات الوقت على معالم هويته الثقافية.

إن الصراع في المنافسة الاقتصادية الشرسة، في مساعي الهيمنة والمركزية والاستقطاب والاستيعاب، في فرض النفوذ الاقتصادي والسياسي الذي يؤول الى صراع عسكري يتجسم في التصادم أو الاعتداء الخاطف

¹ - علي أولملي، مرجع سابق، ص 88.

² - محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 85، 86.

³ - المرجع نفسه، ص 84.

المدمر على طريقة حرب النجوم وأفلام الخيال العلمي، وما يصاحب ذلك من انتهاك لحرمة المجتمعات وخصوصياتها، وتحطيم لرموزها ومقدساتها الفكرية والروحية والاسطورية والتاريخية، وزعزعة لاستقرارها وغط عيشها وتفكيرها.¹

تعد العولمة تهديدا للهويات الثقافية، وإن لم يؤخذ هذا الخطر محمل الجد فسيؤدي إلى التوحيد الثقافي، انطلاقا من توحيد السلوك وأشكال العيش، صحيح يجب وضع قيم مشتركة بشرط أن يكون ذلك بدون تناسي للخصوصيات المحلية المكتسبة عبر الزمان، وبدون نسيان احترام الهويات وتغيب ثروة وغنى التنوع الثقافي والهويات اللغوية التي يتعلق بها الإنسان.²

كما تعتبر العولمة الثقافة في هذا المجال نتاج هيمنة نموذج ثقافي معين، وهي الهيمنة التي وبقفزها على الهويات الثقافية المختلفة أفرزت بروزا "للقبائل" وللانغلاق على الذات، وللشعور الأثني عوض التعايش والحوار، وهذا الواقع يتناقض بشكل مطلق مع الاتصال، لأن الاتصال لا يمكن فصله عن سياق عمومي مبني حول قيم الحوار والنقاش على حد ما ذهب إليه يورغن هابرماس.³

رغم ذلك يمكن استغلال الوضع الحالي بإيجابية واستثماره في خدمة الثقافة لا في زعزعتها، إذ من الممكن أن تكون العولمة هي السبيل للتعرف على الآخر معرفة تزيد من تفتحنا لا تفسخنا، وتواصلنا لا تنافنا، ولكن لن يتأتى ذلك إلا بتحسين الفرد عامة والشباب خاصة عن طريق تنمية وعيه بحقيقة الوضع وخطورته وما يلزمه من آليات لمجابهة فرض الآخر لسيطرته

3-1- الاختلاف بين الحتمية والوعي والواقع

ليس المقصود بالاختلاف هنا الدعوة إلى قطيعة مع الآخر ومع الماضي والاستهانة بهما، واختزالهما إلى مكّون هامشي؛ ذلك أن القطيعة لن تحقق إلا العزلة والانغلاق، والاعتصام بالذات ومطابقتها على نحو نرجسي مرضى لا يمكنها أبداً من أن تتشكل على نحو سليم ومتفاعل ومتطور. الأمر يوجب تنمية

¹ - حاتم بن عثمان، العولمة والثقافة، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، 1999، ص 61.

² - بشرى بوفتا، مرجع سابق، ص 57

³ - رضوان بوجمة، التكنولوجيات الجديدة للاتصال وعولمة الثقافة: الهوية شرط في الاتصال، مجلة فكر ومجتمع، تصدر عن طاكسيج. كوم للدراسات والنشر والتوزيع، العدد الأول، يناير 2008، ص 18.

عوامل اختلاف جوهرية واعية وجديدة تعمل على تغذية الذات الثقافية بطابعها المنشغل بوقائعه وموضوعاته المتصلة بالبعد التاريخي لتلك الذات، وألا يصار إلى اختزال تلك الوقائع إلى مجرد مفاهيم توافق رؤى ثقافية أخرى لها شروطها التاريخية المختلفة، نقصد بذلك الاختلاف الذي يبحث بنفسه عن الحلول الممكنة للصعاب التي تواجه أسئلته الخاصة، ولكن في الوقت نفسه، الدخول في حوار متكافئ مع الآخر، كائنا ما كانت مرجعياته ومصادره، ومساءلته معرفياً ومنهجياً بغرض الاستفادة منه وليس الامتثال له، بما يحول ثقافته إلى مكوّن فاعل وليس إلى مكوّن مهيم، وعلى هذا فليس ثمة اختلاف، دون وعي أصيل بأهمية الاختلاف نفسه.¹ لذلك من الضروري ألا نخرط في منظور متعدد الثقافات باسم احترام الاختلاف دون التفكير في الآثار المنهجية والأيدولوجية التي يمكن أن يستتبعها هذا المفهوم وفقاً لتحليلات المختلفة وأساليب التطبيق التي نتخذها منه.²

إن الواقع يتطلب الوعي بأهمية ظاهرة الاختلاف الثقافي باعتبارها إحدى الخصائص الأساسية للمجتمعات البشرية، كما يستدعي الاعتراف بأن الاختلافات لا توجد فقط داخل المجموعات الثقافية التي تربطها علاقات القرابة أو الجوار، بل حتى داخل الكيان الثقافي الواحد الذي يفترض أنه متجانس ومتماسك. ونحن لا نعرف ثقافة بشرية واحدة خلت من شوائب التعدد، وأصبحت تؤلّف وحدة منسجمة تمام الانسجام، إذ أن داخل كل ثقافة مهما يعظم شأنها، توجد اختلافات ومتغيرات كثيرة، تعطي الانطباع في كثير من الأحيان بأنها جذرية ومستعصية على كل توفيق. ويذكرنا التاريخ نفسه بأن كثيراً من الحروب الدموية الكبرى اندلعت في دول تنتمي إلى الثقافة الأم ذاتها. وما نحن نشاهد في عالم اليوم تفجر التناقضات الصارخة، وتفاقم الأزمات الاقتصادية الخطرة، الناجمة عن تداعيات سيورة ظاهرة العولمة داخل مجموعة الدول التي تنتمي إلى كيان الثقافة الغربية نفسها.³

¹ - عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف - بحث في نقد المركزية الثقافية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص 8.

² - NACIRA BOUBNIDER op-cit, p p 23 .24

³ - عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات - حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص 106.

1-4- الخصوصية الثقافية ورهان المحافظة عليها في إطار كوني متعدد الثقافات

يؤكد الطابع التعددي المتحول والخصوصي للثقافة قيمتها التاريخية بوصفها مجموع المكتسبات التي تضاف إلى الطبيعة البشرية الأصلية، أي نتاج الحياة على الأرض في وسط اجتماعي يتداخل فيه المادي والزمني بشكل يحمل بصمات الإنسان الصانع المبدع، وهذا ما يجعل الثقافة بناءً وضرورة وليست أبداً معطى جاهزاً ومكتملاً.¹ لتكون بذلك قاعدة من المبادئ يصنعها المجتمع ويتمثلها ويتناقلها جيلاً بعد جيل، لتصبح بذلك عنواناً لهويته وتعبيراً عن كينونته.

قد تكون هناك خصوصية ثقافية داخل المجتمع لتعبر عن نمط أو نسق ثقافي تنفرد به طائفة معينة من أفراد المجتمع، وبالرغم من وحدة السمات والأنماط الثقافية الأساسية وهو ما يعبر عنه "بالشمول الثقافي" قد تنفرد جماعة ببعض قواعد السلوك دون مجموعة أخرى، فالخصوصية الثقافية هنا تمثل علاقة اجتماعية مميزة وفي ضوئها يمكن تقسيم الأفراد إلى عدة مجموعات مما يؤدي إلى شيء من الاختلاف والتباين بينهم، والذي يعبر عن بعض الفوارق الملحوظة دون التعارض مع التجانس الثقافي العام، أي أن هناك تعايشاً بين هذه الخصوصيات داخل نسق ثقافي عام.² ويبدو هذا واضحاً وجلياً في أغلب إن لم نقل كل المجتمعات الغربية منها والعربية، وعلى سبيل التمثيل نجد في الجزائر ثقافات فرعية تتقاطع مع الثقافة الجزائرية في بعض النقاط وتختلف معها في أخرى، كثقافة الإباضية وثقافة الشاوية (القبائل) أين نلمس ذلك الاختلاف على المستوى اللغوي والمذهبي والقيمي والكثير من العادات والتقاليد، غير أن طابعها العام يبقى جزائرياً.

1-5- أبرز المحطات التاريخية للتنوع الثقافي

تجدر الإشارة إلى أن كل حقبة تاريخية تتميز ببراديجم خاص لكونه المسؤول عن تنظيم الفكر وتوجيهه في اتجاه معين بخلفياته وتجلياته وأساليبه ومناهجه. فبراديجم القرون الوسطى مثلاً تمركز حول الذات الإلهية، وهو ما طبعه بالطابع اللاهوتي في تفسيره للظواهر الطبيعية والميتافيزيقية، فمادام الإله واحد فإن الحقيقة واحدة لا تقبل الاختلاف، ولا مجال للتنوع بمعنى أن بعض الإرهاصات التي يمكن اعتبارها بؤادر لمقاربة

¹ - أحمد عصيد، مرجع سابق، ص 09.

² - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 62.

إشكالية التنوع الثقافي في الفضاء المسيحي والإسلامي كانت مؤطرة ضمن هذا البراديجم، وأن مبررات اللاتنوع كانت لاهوتية أكثر منها فلسفية أو ثقافية. أما في العصر الحديث الذي شكل فيه الإنسان المحور بفضل ما حققه من اختراعات وتراكمات معرفية وعلمية وصناعية... بالرغم من كونه كان محكوماً بمركزية الذات التي شكلت نوعاً من تعالي الوجود الغربي، بمعنى آخر أن التمرکز حول الذات هو في إحدى دلالته تركز حول الثقافة الغربية باعتبارها تشكل المركز، وكل ما عداها فهو هامشي متخلف، فلا داعي لمحاورته أو التعامل معه، وهو ما يعني باختصار نفي لإشكالية التنوع الثقافي.¹

إن الفترة المعاصرة بدأت الذات فيها تتفكك، بفضل تطور العلوم التي ركزت على الجانب النفسي عامة، وبفضل النقد الماركسي والنيئتشوي والفرويدي خاصة، فالذات التي كانت تعتبر نفسها مركزاً محورياً لامتلاكها الحقيقة لم تعد كذلك، فلقد أثبتت الدراسات عن تعدد الذوات الناتجة عن تعدد المرجعيات وبدأ يتأصل الفكر القابل للاختلاف النابع من الوعي باختلاف الشروط الموضوعية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والجغرافية، وهو ما يعني التوجه نحو الحد من سلطة العقل العلمي الصارم، لأن الإنسان هو إحساس ومشاعر. وهي الشروط العميقة التي أفضت إلى تأطير نظرية التعدد الموضوعي الواقعي، الذي من تجلياته ظهور إشكالية التنوع الثقافي.²

يدلّ هذا المصطلح حالياً على مجموعة الحقوقية الصادرة بعد الإعلان العالمي لعام 1948، ومنها بصفة خاصة الميثاق العالمي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعوب. وتشتمل هذه الوثيقة على قائمة بالحقوق الثقافية العامة، ومنها الاعتراف بالحرية الثقافية للجميع، وبالحق في الاستفادة من التراث الثقافي المشترك للبشرية جمعاء. وفي فترة لاحقة، تلا هذا الحدث صدور بيان المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية المنعقد في مكسيكو عام 1982، وجدّة هذا البيان تظهر في تأكيده وجود علاقة وثيقة بين الثقافة والديمقراطية والسياسة والتنمية الاقتصادية، لكن الحدث الأكثر أهمية في مجال تطوّر الخطاب المعاصر عن الثقافة والديمقراطية يتعين في الإعلان العالمي للتنوع الثقافي الصادر عام 2001، وهو إعلان مهم قيل عنه

¹ - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص 52.

إبان صدوره أنه يؤسس لفكر أخلاقي جديد، وأن أهميته بالنسبة إلى مستقبل البشرية قد تعادل تلك التي حظي بها من قبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.¹ وهذه لمحة سريعة بشأن بعض الأفكار الواردة فيه:²

- يؤكد البند الأول من الإعلان المذكور ضرورة احترام التنوع الثقافي باعتباره ترانا مشتركا للبشرية جمعاء. وقد ورد في هذا السياق: "إن الثقافة تأخذ أشكالاً متنوعة في الزمان والمكان. وهذا التنوع يتجسد في أصالة وتعدد الهويات التي تتميز بها الفئات والمجتمعات التي تتشكل منها البشرية. إن الحفاظ على التنوع الثقافي، باعتباره منبعاً للإبداع والتجديد وللتبادل، أصبح ضرورياً بالنسبة إلى الجنس البشري بأسره، تماماً مثل ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى التنوع البيولوجي في ميدان الكائنات الحية، لذا فهو يكون تراثاً مشتركاً في ملك البشرية جمعاء. ومن هنا ضرورة الاعتراف به حفاظاً على مصالح الأجيال الحالية والمستقبلية".

- ينص البند الثاني على ضرورة المحافظة على التراث الثقافي البشري وحمانيته، وعلى أن حماية التنوع الثقافي والدفاع عنه يعد مطلباً أخلاقياً لا ينفصل عن مبدأ احترام الكائن البشري، وهو يندرج ضمن الالتزام باحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية. وجاء في البند الخامس: "إن الحقوق الثقافية تشكل جزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان ذات الطابع الكوني. إن نمو وتفتح التنوع الثقافي الخلاق يتطلب التمتع الكامل والتحقيق الكامل للحقوق الثقافية كما هي منصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي الميثاق العالمي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعوب".

1-6- شروط إثراء وتعزيز التنوع الثقافي وسبل حمايته

نحن نؤمن بأن التنوع الثقافي ظاهرة اجتماعية تاريخية وواقعية، تعبّر عن طبيعة الحياة والحياة الاجتماعية بشكل خاص. ونرجح أنها مثلها في ذلك مثل التنوع البيولوجي، ظاهرة دائمة دوام وجود البشر على كوكبنا الأرضي. نضيف إلى ذلك أن ثمة توافقاً عالمياً على اعتبار الظاهرة المذكورة تواتراً مشتركاً للبشرية جمعاء، ومنبعاً وشرطاً لتطور الحضارات البشرية، وعملاً فاعلاً في تجديد حيوية المجتمعات وخصوبتها وتفتحها بعضها على بعض. إن الثقافات البشرية المتنوعة المنتشرة في جميع أنحاء المعمور يدين بعضها

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 47

² - المرجع نفسه، ص 48.

لبعض ربما بأهم ما يملك وكل واحدة منها هي في نهاية المطاف حصيلة تلاقح وتمازج متعدد الجذور والمناهل.¹

لقد توطد التنوع الثقافي على امتداد الفضاء الأوروبي والغربي والعالم الإسلامي، وقد تنامي حجمه مع العولمة نتيجة انطلاق سلسلات من الحوار المتواصل، والمشاورات المكثفة لمجموع الدول المؤمنة بأهميته، وفي مقدمتها منظمات المجتمع المدني والجماعات الدينية المتفتحة والأقليات العرقية التي تعاني من الحيف والتمييز، خاصة في ظل عالم أصبحت سمته العمل على تفويض فرص الاستقرار الأمني بكل أبعاده الروحية والمادية وهو ما دق ناقوس الخطر، واستلزم اتخاذ مبادرات من شأنها التمسك بمظاهر التنوع الثقافي ونبذ كل الاختلافات العرقية واللغوية والدينية والوطنية لتحقيق المزيد من التضامن والتماسك الاجتماعي، على اعتبار أن التنوع أصبح آلية من آليات تعميق الوعي بأهمية الاختيار الديمقراطي وتعزيز كل مظاهر القيم الإنسانية الكونية، وفي مقدمتها احترام حقوق الإنسان وسيادة القانون.²

كذلك فإن توخي النزاهة والموضوعية والاحترام في قضايا الاختلاف والتعدد الثقافي والتمايز الحضاري والنظرة العادلة إلى كل الثقافات التي تعطي كل ذي حق حقه سيعزز مستقبل الإنسانية بالسلام والتعايش الممكن، بدلا من التصادم المهلك للشعوب والمكرس للكرهية بينها، مما يتيح مجالا رحبا للحوار بين الشعوب ويمنح الآراء الصائبة الظرف المناسب لإقناع الآخرين والانتفاع بها دون حاجة إلى إكراههم على قبولها، ومن ثم سيجعل هذه الثقافة ظاهرة على الثقافات الأخرى، ذلك أن الثقافة الأقوى التي تمتلك العلم والحق والإقناع لا تخش على نفسها من السقوط أو الانهزام،³ إذا ما وظفت قيما متوازنة في التعامل مع المختلف توفق من خلالها بين خصوصيات الأنا وممتلكات الآخر بما يضمن ويحقق عملية تواصلية نفعية للطرفين.

كما أن ضمان حق التداول الحر للأفكار عن طريق الكلمة والصورة مصلحة وضمنان للتنوع الثقافي في ذاته، إذ يجب فتح فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والمعارف العلمية والتكنولوجية بما في ذلك

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 109.

² - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 77.

³ - أحمد بن عبد العزيز الحليبي، مرجع سابق، ص 27.

المعارف في صورتها الرقمية أمام الجميع. فمن صميم حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ضرورة تمتع كل شخص بالقدرة على التعبير عن نفسه وإبداع أعماله الكوني ونشرها باللغة التي يختارها وخاصة بلغته الأصلية.¹

للمحافظة على الثقافات الوطنية التي تعد أكثر تأثرا يستوجب تدخل أطراف متعددة لتفعيله، ومن أهم المتدخلين في حماية التنوع الثقافي نجد:²

● **الدولة:** تلعب السلطات العمومية في كل المستويات دورا محوريا للحصول على تأطير أفضل للمجتمع المدني وتقاسم للمسؤوليات مع القطاع الخاص، والتي تعد معطى هام لنجاح السياسات العامة الوطنية والاستراتيجيات الجهوية. إن المسؤولية السياسة لتأكيد الثقافة، الفن، التنظيم، يرجع بالأساس إلى القوة العمومية التي يكون دورها سن سياسة لتنمية الصناعات الثقافية تقنن الولوج إلى الافتراض والمحاسبة، وكل وسائل المتاجرة، للتوزيع والدخول للسوق الوطني، حتى لا يحصل أي تأثير تكنولوجي على التنوع الثقافي، وهو طالما حلت عليه توصيات اليونسكو، التي تشدد على وضع إطار شرعي يليق بالتكوين لتدبير الثقافة.

● **الجماعات المحلية والجهات:** إن التحولات في اتجاه صناعة المعرفة تقوي دور الوحدات الفوق دولية، ذلك لأهمية الدور الأساسي الذي باتت تلعبه الدوائر الجهوية والمدن في مادة التربية والتكوين... وتندرج في هذا الإطار المذكرة 21 للثقافة والتي اتخذت محورا لدراستها التزام المدن والحكومات المحلية في سبيل تنمية ثقافية - حيث تقرر أن: "المدن والحكومات المحلية في العالم تلتزم في حماية حقوق الإنسان والتعدد الثقافي والتنمية المستدامة والديمقراطية التشاركية ووضع حيز التنفيذ شروط تسمح بالسلم، كما تلتزم بخلق مجالات للحوار بين الديانات الممثلة فوق الحدود المحلية وبينها وبين السلط العمومية لضمان حرية التعبير وتعايش مندمج".

● **المجتمع المدني:** هو الحلقة الوسيطة التي تحقق التوازن الضروري في الاجتماع الكلي بين قطبي السلطة ومكونات المجتمع وطبقاته. ونخص هنا بالأساس الجمعيات التي تعد بمثابة العمود الفقري للمجتمع

¹ - طارق السعدي، التنوع الثقافي فرصتنا الثمينة للإقلاع عن التخلف، مجلة الإعلام وتغطية التنوع في المجتمع المغربي، مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، دم ن، دس ن، ص 17.

² - بشرى بوفتا، مرجع سابق، ص 58، 59.

المدني، وبالخصوص الجمعيات الفاعلة والنشيطة في الحقل الاجتماعي، والتي تعمل في مختلف المجالات الحقوقية والتنموية، والثقافية والتربوية، نظرا لما للمجتمع المدني من أدوار هامة لترسيخ الأخلاق المواطنة والتعايش وقيم احترام الاختلاف في المجال العام.

1-7- التنوع الثقافي وإفرازاته بين الإيجاب والسلب

انطلاقا مما تم التأكيد عليه ضمنا بخصوص الإيجابيات العديدة للتنوع الثقافي، باعتباره لطفا إلهيا وتقديرا منه تعالى للخصائص التي خلق الإنسان عليها من ضعف وقصور في الإدراك والفهم والتحمل الفكري والنفسي والبدني، مما جعله سنة إلهية ونعمة غايتها التخفيف والتلطف بالإنسان ومكافأة له على تحمله المسؤولية، وتيسير سبل النجاح له في الدنيا والآخرة بما يحقق التعارف كمدخل للتعاون البناء المؤسس على المعرفة العلمية بالحقائق الدامغة، ويسعى لاختزال التنوع في مفهوم الاعتراف بضرورة تنوع الرؤى والمواقف والمذاهب وغيرها لدى الإنسان،¹ وفي هذا الصدد يمكن استعراض بعض الإيجابيات للتنوع بشكل واضح:²

• يمكن التنوع من التعرف على الثقافات الأخرى، سواء كانت داخل المجتمع أو خارجة عنه من عادات وتقاليد وقيم، وكل ما يسهل الوصول للحقيقة عن طريق الحوار الذي ينبغي أن تؤطره قنوات عميقة، تنطلق من كون الثقافات الأخرى مهما كان حجمها، فهي جزء لا يتجزأ من المجتمع من الواجب أن تعي حقوقها وواجباتها. في إطار من التوازن بين الثقافات المختلفة، فلا يصح تغليب إحداها على الأخرى. استنادا لمفهوم الأغلبية والأقلية.

• تعزيز القدرة على الإبداع والابتكار والتواصل على جميع الأصعدة بين الإنسانية بما يقوي الإنتاجات المتنوعة ويؤمن إيصالها له تسهيلا لاختيار كل فرد ما يناسب ذوقه منها، انطلاقا من التوجهات القائمة على الانفتاح المعقلن والمسؤول، بما يعزز دور الحكامة والرقابة والمحاسبة والعدالة في المجتمع.

¹ - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 84.

² - المرجع نفسه، ص 85.

• يساهم في تحريك الفكر البشري الذي يخلق بحرية في كل الأفاق بعيدا عن الحدود المفروضة التي تجمده، وتحد الكثير من طموحاته من شأن ذلك أن يبعده عن جو الرتابة والجمود ويبعث عن الحيوية والتفاعل.

من جهة أخرى، فكما أن للتنوع عدة مزايا ومنافع، فإن له بالمقابل عدة سلبيات قد تضر بالمجتمع، فالتنوع الثقافي إذا لم يكن مؤسسا على قواعد متينة، فإنه قد يؤدي إلى تفكك المجتمع بما يهدد وحدته بسبب تمسك كل ثقافة بعاداتها وتقاليدها من شأنها أن تقوي انغلاق هذه الثقافات على نفسها مما يؤدي إلى عدم الاستقرار الاجتماعي، وما قد يصاحبه من مطالب انفصالية، خاصة عندما تدخل على الخط أيادي خفية توجب الصراعات بما يخدم مصالحها، وهو ما ينتهي إما بإنشاء دويلات صغيرة عاجزة عن حماية نفسها حتى من بعض الأمراض الجلدية، أو مكافحة الجراد، أو بحروب أهلية تفوت على البلاد الاستفادة من فرص الأمن والسلام، ولنا في العديد من الدول العربية اليوم خير دليل في وقت أصبحت من مميزات الدول الديمقراطية العمل بسياسات مشتركة تخص الجوانب النقدية والسيادية والاقتصادية والتفاوضية، كنموذج للوحدة في إطار الاختلاف، عكس الدول العربية والإسلامية التي لازالت مكتفية بالدعوات لإنشاء إطارات دون أن تتمكن من ذلك، كتنفيذ اتحاد المغرب العربي ومجلس التعاون الخليجي، وهو ما يفوت على العالم.¹

(2)- إشكالات الثقافة العربية الإسلامية في حدود ذاتها ومع علاقتها بالآخر

2-1 - الثقافة العربية الإسلامية وتسييرها للاختلافات في المجتمع

إن اختلافا مشروطا بالوعي يمكن أن يساهم في تغذية الثقافة العربية الحديثة بوجهة نظر جديدة ومنظور يقوم على التواصل مع الثقافات الأخرى، من خلال إيجاد نسق يعين الثقافة العربية على فهم ذاتها وغيرها، بما يدفع للانتقال من واقع "المطابقة" إلى أفق "الاختلاف". وإذا كان واقع المطابقة يفضح تبعية الثقافة العربية وولائيتها أكثر من انصرافها إلى واقعها، فإن أرضية الاختلاف غير ممهدة، وبجاجة إلى توافر أسباب كثيرة ليصبح الاختلاف أمراً مشروعاً وقائماً بالفعل، ومن ذلك نقد أنظمة التمركز الداخلية في الثقافة

¹ - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 85.

نفسها، بما فيها المفاهيم الخاصة بالمجتمع والسلطة والمعرفة والدين والفكر والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية وغيرها. وبما أن الاختلاف ضرورة تتصل بدائرة التكوّن الثقافي العربي الحديث، فهو مشروط بمحددات تنظم أهدافه وغاياته، وفي مقدمة ذلك إعادة نظر نقدية بالعلاقة التي تربط الثقافة العربية الحديثة بأصولها الموروثة من جهة، وبالثقافة الغربية من جهة ثانية، وتشكيل منطقة تفكير ثالثة تتركب فيها الأفكار وتتفاعل بحرية حقيقية، ولا تتعارض وتتضارب وتتساجل، ويقوّض بعضها بعضاً، بل تذوب مكوناتها في مكونات غيرها على نحو سليم، وتتداخل رؤى هذه برؤى تلك، بما يجعل أثرها فاعلاً ومفيداً، فالتهجين الثقافي ضرورة لازمة لأنه يحرر الثقافات من حبستها ومركزيتها، ويغذيها بعناصر جديدة، والأهم من ذلك أن تعلن الثقافة العربية عن أسئلتها الخاصة التي تتركب مقدماتها وتحليلاتها وبراهينها في ضوء حاجات الإنسان والواقع وليس استجابة سلبية لمقترحات خاصة بأنساق ثقافية آتية من الماضي أو من الثقافات الأخرى.¹

يعتبر نقد الذات ونقد الآخر ممارسة توسّع من مجال الاختلاف وتوفّر إمكانية تتجاوز بها الثقافة العربية الحديثة ضروب التماثل والتطابق التي تعيق حركتها، وتبطل فعاليتها بعد أن انقسمت إلى تيارات متضادة لا تتشارك في المفاهيم والتصورات الأساسية، وكل هذا يسهم في إضفاء نوع من العدمية على ثقافة تعجز عن مناقشة إشكالياتها الخاصة. إنّ التنوع الخلاق لمكونات الهوية له دلالاته لأنه يركب تصورات بمقدار الثقافات الأخرى، ويختلف عنها في الوقت نفسه، ضمن إطار عام له قدرة على التعدّد والحوار والتواصل بما يغني فروضه ويخصب من إمكانات التجدد فيه، وذلك بهدف أن تكون ثقافة لها أثرها في عالم تشكّل الثقافات المتنوّعة فيه عنصراً أساسياً من عناصر الوجود.²

في المقابل يثبت التاريخ الإسلامي أن الثقافة الإسلامية استطاعت في وقت مضى أن تحقق الانسجام والتوافق بين مجموعة من الثقافات المختلفة التي كانت تزخر بها المنطقة العربية، فالرسول صلى الله عليه وسلم مع بداية تأسيس الدولة الإسلامية، وجد خليطاً بشرياً متنوعاً من حيث الدين والعقيدة والانتماء القبلي والعشائري وأنماط العيش فتواجد بين المهاجرين من قريش والأنصار من المدينة، والوثنيون واليهود من الأوس والخزرج، وقبائل اليهود الثلاث بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، إلى جانب الأعراب والموالي

¹ - عبد الله إبراهيم، مرجع سابق، ص 8.

² - المرجع نفسه، ص 13.

والعبيد وغيرهم من الطوائف والأقليات المختلفة والمتنوعة. كالمسيحية والفارسية... فاستطاع أن يدير كل هذا التنوع الهائل من الاختلاف الثقافي في مجتمع إسلامي واحد، موزعين على مجالات عديدة، من تجارة، وزراعة، وصناعة. ورعي، وصيد، وهو ما انعكس بالضرورة على الحياة الثقافية، كتمهيد لظهور الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية التي ساهمت في تطورها انتشار الكتابة، والاتجاهات الأدبية، وهذه الأسس كلها مظهر من مظاهر التعايش الإسلامي، مع المسلمين وغيرهم، القائمة على الإقرار بأن البشر مختلفون في أفكارهم وإبداعاتهم ومعتقداتهم، ولذلك فإن التنوع شكل مصدر غني وثراء الحياة الثقافية لدى المسلمين. وهناك مجموعة الأسس والاختيارات الاستراتيجية التي احتضنت التنوع وأطرتة، فكانت سبب هذه الثورة الثقافية مع بداية الدولة الإسلامية، خاصة أن فكرة التعددية الثقافية أو تعددية الأديان لا تتعارض مع النصوص الشرعية التي جاء بها الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾² وقد تطرق الدكتور يوسف القرضاوي لمسألة التعددية الدينية بأن هناك دين مقبول عند الله، وأديان غير مقبولة، كما أن الحقيقة لا تتعدد، وإنما هي حقيقة واحدة، وهو الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أقر القرضاوي مسترسلا أن القرآن الكريم أقر فكرة التعددية الدينية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾³ 118 إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۗ⁴ ، فالبشر مختلفون في الفكر والإرادة، ومن ثمة لا بد أن يتغاير ويختلف موقفهم من الأديان، وتلك حكمة الله في خلقه، الذي جعل الاختلاف ضرورة، وفي ذات الوقت أظهر لنا موقف الإسلام من التعددية خاصة منها الدينية التي تشبع بها الفكر الإسلامي، والذي ساق صوراً ونماذج أطرت التسامح والتعايش سواء بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين غيرهم.⁴

1 - سورة آل عمران: الآية [19]

2- سورة آل عمران: الآية [85]

3- سورة هود: الآية [118-119]

4- إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص ص 64، 65.

إن الثقافة الإسلامية تشبعت إلى حد كبير بثقافة التعايش والتسامح ليس فقط مع الديانات السماوية الأخرى - كما سلف - فحسب بل فتحت صدرها واتسعت حتى لأهل الديانات الوضعية، فتمت معاملتهم معاملة أهل الكتاب، وذلك عندما دخل المتدينون بالمجوسية دولة الخلافة على عهد عمر بن الخطاب.¹

2-2 - الثقافات العربية الإسلامية أمودج في التلاقي الثقافي

نقصد بالتلاقي الثقافي التغير الثقافي الذي يؤدي بالسمات والنماذج الثقافية لثقافتين مختلفتين وذات مصدرين مختلفين في منطقتين جغرافيتين متباعدتين إلى التشابه التام أو شبه التام، بدون أن يحدث أي اتصال بينهما أو تأثير من أيهما على الأخرى، وهذا التشابه يحدث بالتدرج على مر الزمن. وتقوم الفكرة هنا على أن تشابه الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية وتشابه العقلية البشرية هي العوامل الأساسية التي تؤدي إلى التلاقي.² وهو ما يشبه إلى حد كبير ما يحدث في الدول العربية، إذ أنها تحظى بذلك التلاقي الثقافي رغم أن بلدانها متباعدة، فهي تتشابه إلى حد كبير في الكثير من العناصر الثقافية، وهذا التجانس هو الذي جمعها تحت مسمى واحد وهو الثقافة العربية.

لقد اتفق معظم الباحثين على أن المنطقة الثقافية العربية منطقة لها عناصرها الثقافية المميزة في بعض الخصائص الاجتماعية والثقافية والتي تشترك مع الخصائص العامة للنموذج الثقافي العام للمنطقة، فهي وحدة مكانية تحوي ثقافات متشابهة، وتستخدم على أنها طريقة للتصنيف الجغرافي للثقافة ويشترك سكانها في إطار ثقافي واحد.³

من أمثلة ذلك التلاقي مثلا الحديث عن التبادل الحضاري بين مجتمعات وشعوب البحر الأبيض المتوسط والنقاط الخلافية المتفق عليها بينهم، حيث يقودنا إلى رؤية أنثروبولوجية في المعالجة تنطلق من مبدئين أساسيين:⁴

¹ - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 67.

² - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 59.

³ - مصطفى عمر حمادة، الأنثروبولوجيا وثقافات الشعوب، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2008، ص 34.

⁴ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 384، 385.

■ أولهما: كون هذه المجتمعات تملك إرثا حضاريا مشتركا ومنهم الثلاثة أديان سماوية.

■ ثانيهما: أن التأثير الحضاري بين شعوب البحر الأبيض المتوسط أمر لا مفر منه، فقد اتسمت بأنها علاقة تبادلية منذ فجر التاريخ، حيث برهنت عليها عمليات الاتصال بين الحضارة الفرعونية والفينيقية والإغريقية ثم تلا ذلك كل من حضارات اليهودية والمسيحية والعربية الإسلامية

يمثل هيمنة ثقافة ذات سيادة مثل الثقافة الأمريكية على أية ثقافة أخرى اعتداء صارخا على شخصيتها وهويتها، فمثل هذه الهيمنة التي من السهل قبولها في مجال العلم، تلاقي رفضا قاطعا إذا ما تعلق الأمر بالثقافة التي تعبر عن هوية كل أمة وتميزها عن غيرها. فالاختلاف بين الأمم في العادات والتقاليد والفنون والمعتقدات والتراث وغيرها من جوانب تكوين الثقافة في حاضرها وماضيها واضح حتى بين الأمم ذات التاريخ المشترك، ففي الأمة العربية مثلا تختلف الشخصية الثقافية لمصر عن الشخصية العربية للعراق أو سوريا وغيرها من الدول العربية، فبالرغم من اللغة الواحدة والدين المشترك والعادات المتقاربة إلا أن هناك بعض الاختلاف في الملامح الأساسية التي تشكل شخصية كل واحدة من هذه البلدان، فكيف الحال إذن بتلك الدول التي تختلف عن بعضها البعض في كل تلك العناصر أو أغلبها كالاختلاف بين الدول العربية والأوروبية والأمريكية،¹ وهنا يزداد الأمر تعقيدا في مجابهة هذا الوضع والتعامل معه بالحكمة والموضوعية.

إن ثقافة الاختلاف وتعدد الثقافات أمر شائع وممارس منذ عهد السلف الصالح، كما أن التنوع الثقافي فيها يعتبر ظاهرة من الظواهر الفكرية في مجتمعهم ولا يمكن إخفاؤها أو تجاهلها، فهناك ثقافات محلية تختلف سعتها ويتباين عدد أتباعها تمثل ثقافة مدارس واتجاهات فكرية قائمة، وما يميزها هو العلاقة التي كانت قائمة على الحوار والتغافر والاعتذار، وليس العداوة والبغض والكراهية، لان علماءها كانوا يراعون أخوة الدين وإن اختلفوا في القضايا العقديّة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.² وهو ما يغيب للأسف في ثقافتنا اليوم، إذ نرى أن اختلاف شخصين في الرأي سرعان ما يتحول إلى جدال عقيم ثم إلى شجار ثم إلى عداوة وبغضاء لينتهي بقطيعة في الأخير، وإذا كان هذا هو حالنا مع بعضنا فكيف هو

¹ - جمال عبد الحى عمر النجار، عولمة صناعة الاتصال والغزو الثقافي، مجلة تكنولوجيا التعليم، مج 10، ع3، مصر، ص329.

² - أحمد بن عبد العزيز الحليبي، مرجع سابق، ص34.

حالنا مع الآخر المختلف ثقافياً من جميع النواحي. إننا اليوم بأمس الحاجة إلى أن نتشبع بثقافة الاختلاف نظرياً ثم تطبيقياً مع المختلفين عنا ثقافياً سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي، لأن هذا من شأنه أن يسمح لنا بالاستفادة والتعلم من الآخر مهما كان مشربه الثقافي.

2-3- تعدد الثقافات الفرعية في المجتمع العربي الإسلامي

تشهد مسألة هذه الرؤية الحضارية ضياعاً عربياً بين هيمنة الواحد وفوضوية التعدد. فلقد شهد المجتمع العربي طيلة القرن العشرين نزوعاً استقطابياً بين نقيضين متطرفين لا ثالث لهما، هناك أولاً نزعة هيمنة الصوت الواحد كما تتجلى في مقولة الوحدة بزعامة بلد واحد وقائد واحد وحزب واحد ومفهوم واحد، من دون أي اعتبار لطبيعة التعدد والخصوصيات التي يتسم بها الواقع العربي المعقد، مقابل هذا هناك نزعة استقلالية الأقطار أو الجماعات وتمسكها الكلي بهوياتها الخاصة ورفضها لأي من أشكال الاندماج والعمل المشترك انطلاقاً من مقولات التفرد والخصوصية والمصلحة الذاتية، وبهذا ينشغل كل طرف بمشاريعه من دون أي اعتبار للمشاريع المشتركة. بين هذين النقيضين لم ينشأ نزوع جدي ثالث للعمل المشترك في إطار الاحترام المتبادل، وانطلاقاً من مبادئ التعددية الديمقراطية والتسامح وحقوق التباين والاختلاف والتنوع في المصالح. إن للعمل المشترك ضروراته الأخرى، ومنها اتخاذ الآخر بعين الاعتبار والاستعداد للتنازل والمصالحة وتغليب الأهداف الأولية على الأهداف الثانوية والكلية على الجزئية وأسباب التضامن على أسباب الخلاف. إن في هذا النزوع المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، وإثراء الكل بإثراء الجزء، أو على العكس إثراء الجزء بإثراء الكل. هذا هو النزوع الذي نادراً ما تمت أية محاولات جادة لتطويره الثالث التقاء بين في الاتجاه الصحيح.¹

2-4- الهوية العربية الإسلامية وتهديدها الغربية

هناك جدل واسع في السنوات الأخيرة حول علاقة الثقافات ببعضها ببعض، هل هي صدام أم تعايش؟، وذلك في ظل الكتابات الغربية القديمة التي تتحدث عن صدام حتمي قادم بين الثقافات والحضارات، وهو ما ارتبط ضمناً بتوسع الغرب الاستعماري وهيمنته على بقية العالم، وذلك لما يملكه من قوة جعلته

¹ - سليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 131.

يسيطر على الاقتصاد وطرق المواصلات ووسائل الاتصال الحديثة. لذلك فثقته بتفوق حضارته جعلته ينظر إلى الحضارات الأخرى نظرة ازدراء، وأنها متحف للتاريخ في المعمار والعادات واللباس...، ثم سخر المستشرقين من أجل الفضول العلمي ظاهريا وإحكام السيطرة على البلاد المغلوبة داخليا، لذا فهو لم يكن يطرح مشكل الهوية، وإنما تطرحها وتعاني منها الأمم المغلوبة. وقد خاض الإصلاحيون المسلمون كثيرا في هذه القضايا من قبل: كيف يمكن التوفيق بين التحديث والحفاظ على الهوية أو كيف يمكن التحديث بهوية إسلامية؟ ذلك أن الوعي للهوية قد تنشأ كوعي دفاعي لذات جماعية في مواجهة الآخر الذي كان تفوقه عسكريا ليصبح اقتصاديا وعلميا وتكنولوجيا. من هنا ظهرت اتجاهات مختلفة نحو هذا الآخر الغربي بين معجب بمظاهر تقدمه وساخط على ازدواجية المعايير التي يضمنها لمواطنه ويسلبها للآخرين،¹ وبين من يريد أن يجد همزة وصل توفق بين الحفاظ على الأنا والاستفادة من الآخر.

2-5- الصورة الذهنية للذات العربية الإسلامية من منظوري الأنا والآخر

إن العقل الأوروبي والغربي بشكل عام دائما يفكر في يومه ويسعى لرسم مستقبله، أما العقل النامي وبشكل عام في المجتمعات التي كانت تسمى بمجتمعات العالم الثالث أيام الحرب الباردة، فهم في معظم الأحيان لا ينظرون إلى المستقبل بنظرة الأمل، بل في معظمهم ينظرون إلى الماضي كمصدر للدفع، وبالتالي يحنون إليه وكأنه سيرجع إليهم مرة ثانية، هذا الحال بالنسبة للعقل النامي كحال عقل كبار السن الذي لا يمكنهم من التفكير التطلعي، وبالتالي فهم لا يحسّون أحيانا بأهمية المستقبل، أو أنهم واثقون بأن لا مستقبل لهم وهم في هذه الأعمار المتقدمة في السن، ولذا لن يفكروا في أمر المستقبل ولا يسعوا للمشاركة في صناعته، مما يجعلهم في حالة أسر للتاريخ الماضي، فلا ينسجمون إلا بالحدِيث عن بطولاتهم إن كانت لهم بطولات، وعن مخاوفهم التي كانت بأسباب خارجة عن الإرادة، أما حال أهل الشمال والغرب كحال الشباب دائما في حالة طموح وتحذّر لما هو كائن يعيشون يومهم ويحلمون بمستقبل أفضل.²

¹ - علي أومليل، مرجع سابق، ص ص 119، 120.

² - عقيل حسين عقيل، منطق الحوار بين الأنا والآخر - من حوار الأفراد إلى حوار أهل الحضارات والأديان -، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص ص 51، 52.

ينظر عربيا إلى مفهوم العربي الذي هو من عامة الناس والمقيم داخل وطنه على أنه ذلك المسلم الذي يتعرض لضغط واستغلال الأوروبيين غير المسلمين، أو قد يقول آخر بأن العربي هو أحد أفراد الأمة العربية التي جزأها الاستعمار إلى كيانات فسيفسائية، وزرعت في قلبها الدولة الصهيونية، وكل ذلك حتى يضمن الغرب مصالحه في منطقة العرب. أما عن مفهوم العربي المهاجر والمستقر في أوروبا عن ذاته فهو الشخص غير المرغوب فيه الذي يتعرض دوما لممارسات وضغوط عنصرية مهما كانت نجاحاته الشخصية العامة،¹ وهذه الصورة عن الذات تعكس العربي المظلوم من الطرف الآخر المسلوب الحق من الغرب والذي لم يجد الأمن والسلام والاستقرار لا في موطنه ولا في موطن الآخر.

كما امتاز سابقا العربي البدوي التقليدي بمحدودية مساحة العالم في ذهنه، فلا تتعدى دياره وعشيرته مما يجعله لا يعي إلا بيئته التي لا يستطيع الانفصال عنها ولو ذهنيا، وهكذا لا يكون للآخر وجودا عنده، إلا أن تحديات الواقع قد أوجدت هذا الآخر فكان لابد من التعامل معه، وفي ضوء الآخر كان الحكم والتأكيد والتمحور حول ثقافة الذات المحاطة بالمفاضلة.²

أما عن صورة العربي في ذهن الآخر الأوروبي ونخص منه الإنسان العادي الذي يتشكل وعيه من خلال وسائل الإعلام الخاضعة لتأثيرات وتقلبات الظروف الراهنة إلى جانب أشياء أخرى، فتتمثل في كونه ينظر إلى العربي على أنه المنتمي إلى المنطقة الغنية بالنفط والمتبوع بثناء مادي شديد في أيدي غير محافظة عليه وهو يقصد هنا بالخليجي، أو أنه الإنسان المنتمي إلى جماعات إسلامية متطرفة فكرا وممارسة، أو يعتبره المهاجر الذي طرده وطنه فنبد هو بدوره وطنه، فراح يزاحم الأوروبي في العمل والمسكن والشارع والمقهى والخدمات.³ إن هذا العربي الذي ترسمه وسائل الإعلام ليس أكثر من شخص كسول يعيش الرفاهية يستهلك ولا ينتج، أو دخيل على وطن غربي يرفضه ويعتبره عالة عليه، يتشارك مع شعبه في خيارات ليست من حقهم.

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس ابراهيم، مرجع سابق، ص 394، 395.

² - المرجع نفسه، ص 397.

³ - المرجع نفسه، ص 395.

هذه الصورة الذي ينقلها لنا الواقع اليوم عن العربي وثقافته، هي حوصلة تجارب شخصية وإفرازات أيديولوجية تشارك في تكوينها عوامل سياسية وتاريخية واقتصادية يتحكم فيها الآخر الغربي ويوجهها وفق مصالحه وأهوائه وتطلعاته، ويساهم في ترسيخها وتعزيزها أو محوها وتحسينها الفرد العربي الذي يعاني على المستوى الوطني الداخلي أو الخارجي.

إذا ما قلبنا صفحات التاريخ فإننا نلاحظ أن الأمر كان مختلفا لما كانت الريادة والازدهار للحضارة العربية الإسلامية، أين انطلق المسلمون في فتوحاتهم وكلهم اعتزاز بدينهم وثقافتهم وهويتهم، وبالتالي حكمهم على أفضلية ثقافة الذات على ثقافة الآخر، بل وحكم الآخر واعترافه بثقافة العربي وتقدمها، ولكن ما إن تغيرت الموازين وضعفت الدولة الإسلامية وانطفأت شعلة حضارتها المميزة، حتى أصبحت القيادة لشعب آخر في اتجاه آخر وثقافة أخرى ألا وهو الغرب. ولكن في إطار صحوة القرن التاسع عشر والرغبة لدى المسلمين في الخروج من قوقعة الانغلاق والسعي للانفتاح اتجهت الثقافة العربية من جديد إلى كشف نفسها والتعريف بذاتها وتغييرت نظرتها التي كانت قائمة على أفضلية ذاتها إلى النظرة الحديثة والرؤية الجديدة القائمة على أساس التعلق بالمورث مع الأخذ بالمستحدث الذي لا يتعارض مع موروثها ومحاولة التوفيق بينهما".¹

2-6- سبيل النهوض بالثقافة العربية الإسلامية ودفعها للتقدم

نحن بحاجة إلى تخطيط علمي وآليات جديدة تعيد صياغة العقل العربي والإسلامي، وتتعامل بفكر جديد وعقل مفتوح مع المتغيرات التي تفرض نفسها على العالم، وتستفيد من العطاء الحضاري المعاصر فتأخذ بكل ما هو مفيد من معطيات الفكر والثقافة والعلم والتكنولوجيا، وتتجاوز السلبيات التي يحملها هذا التيار الذي يجرف في طريقه كل من يقف على أرض هشّة، ومن لا يريد أن يفهم هذا الواقع ويتفاعل معه بفكر مفتوح وعقل مستنير مع الحفاظ كما سبق القول على ثوابت الأمة وتراثها وعقيدتها.

من هنا فنحن بحاجة إلى مشروع ثقافي قومي تشارك فيه كل الأفكار العربية والإسلامية لتكون لنا القدرة والقوة للتعامل مع عصر العولمة بالأخذ والعطاء، وبالقدرة على الاختيار والنفذ والانتفاع، وأن

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 396، 397.

نضيف ثقافتنا إلى سياق المجرى الرئيسي العالمي للثقافات المتنوعة المتكافئة القدرات المتنافسة على احتلال مساحة معتبرة في التكامل الثقافي العالمي.¹

كما يجب علينا أيضا لمواجهة مخاطر العولمة ودفع الغزو الثقافي المحقق بنا أن نحصن الجماهير ضد هذا الخطر بالفكر السليم ونزوده بالمعلومات الصحيحة التي تمكنه من الانتقاء أو الرفض أو القبول لكل ما يتوافق مع هويتنا الفكرية، ومن ثم فإن تحديد إطار مرجعي ورؤية فكرية واضحة تنطلق من عقيدة هذه الأمة هو البداية الصحيحة لحماية هذه الجماهير والحفاظ على دينها وتراثها ولغتها، ولن يتحقق هذا الهدف إلا باستثمار المعطيات المعاصرة وثورة المعلومات لتحقيق أوسع انتشار للرسالة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال الحديثة لتغطي هذه الرسالة أكبر مساحة ممكنة على الكرة الأرضية.²

3- خصائص الثقافة الغربية في حدود علاقتها بالثقافة العربية الإسلامية

3-1- الاعتقاد الغربي بتفوق ثقافته وسمو قيمها

إن دعاة الامتياز الاستثنائي للثقافة الغربية يؤكدون أن الحداثة اليوم يكونها شيخان مترابطان: اقتصاد السوق والديمقراطية، وما كان لهذين العنصرين أن يكونا ممكنين خارج القيم الثقافية الغربية.³ كما يؤكد ذلك ما ذكره أحد الأساتذة من جامعة هارفارد بقوله: "إن الثقافات ليست كلها متساوية تؤدي إلى إنتاجية علمية بالمعنى المادي، قد تكون من الناحية الروحية متساوية، أو بعضها يتفوق في ذلك على الآخر، وقد يكون بعضها أسرع في الهداية إلى العالم العلوي، لكنه لا يكون أسرع في صناعة السيارات، بل يمكن أن أدفع بأن هناك ثقافات يمكن أن أسميها ثقافات مخدرة، وأكرر بأنها ثقافات مخدرة لأنها عائقة للذين هم متعلقين بها، هي ثقافات يجد فيها أصحاب العزاء والسلوان ما يعوق قدراتهم على المنافسة في العالم الحديث"⁴، فعالم اليوم لا يملك مكانا إلا للأقوياء، والمنافسة فيه تقوم على إقصاء الضعيف من حق الحياة وجعله على الهامش.

¹ - جمال عبد الحمي عمر النجار، مرجع سابق، ص 333.

² - المرجع نفسه، ص 334.

³ - علي أومليل، مرجع سابق، ص 29.

⁴ - المرجع نفسه، ص 35.

إذا نظرنا للأوروبيون مثلا نرى بأنهم يختلفون في أشياء كثيرة، منهم مسيحيون في ظاهر أمرهم، لكن مسيحياتهم ألوان ومذاهب بل إن منهم من لا يتخذ المسيحية ديناً، ومنهم من لا دين له بالأساس ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من الاتفاق والالتفاف حول أسباب الحضارة والعلم والاستمتاع بما وصلت إليه من نتائج.¹

لعل دعوة الغرب بأنه قائد العالم بامتياز وأن قيمه وحدها المؤسسة للحدثة السياسية والاقتصادية، لها ما يبررها في الواقع، فقد انتشر يغزو العالم، خاصة منذ ثورته الصناعية الثانية التي مكنته من السيطرة على مصادر المواد الخام و التحكم في الأسواق و شبكات المواصلات والاتصالات لربط العالم بالدول المستعمرة، و إيهامه أن قوة الغرب من قوة ومصداقية قيمها الثقافية والسياسية، من هنا جاءت دعوات للإصلاح تدعو لاقتباس وتبني قيم الغرب إما اقتباساً كاملاً يطابق بين التحديث والتغريب، أو اقتباساً يساعد على النهضة ولا يفقد الأمة هويتها.²

رغم ما قدمته الثقافة الغربية من مكاسب حاسمة للإنسانية إلا أنها تبقى ثقافة ضمن ثقافات العالم، وعليها أن تتفاعل وتتوافق على قيم إنسانية مشتركة، حتى تضمن لنفسها البقاء والاستمرارية، إلا أننا نشهد أن التفاعل بين الثقافات والاعتناء المتبادل بينها وحوارها المستمر يعرقله أو يحول دونه تحكم الشركات الغربية في شبكات انتاج وتوزيع المنتج الثقافي. بل إن القيم التي تروجها هي قيم ضد التضامن الإنساني الذي هو ضرورة لتوازن التنمية في العالم وضمان تعاونه واستقراره، وأيضا ضد تماسك المجتمعات وتقليص الفوارق بين أفرادها وفئاتها، ومن بين تلك القيم التي تروج للمنفعة المادية لغاية في حد ذاتها الجري اللامحدود وراء الكسب والاستهلاك الذي أصبح معيار تقدير قيمة الانسان وكل ذلك على حساب الغايات المعنوية والأخلاقية للحياة الإنسانية.³ كما أن هناك الكثير من القيم الأخرى التي لا تتوافق مع هدف تحقيق الأمن العالمي كالحرية المطلقة وتغليب مصلحة الفرد على الجماعة....

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 415.

² - علي أواميل، مرجع سابق، ص 37.

³ - المرجع نفسه، ص ص 92، 93.

نحن لا ننكر قوة الغرب في مجالات عدة -بغض النظر عن مصدرها-، إلا أن قوة الغرب في المستويات الأخرى لا يعني أنه الأفضل ثقافيا، وإذا ما أراد فعلا أن يثبت على مركزه ومستواه العلمي والاقتصادي فهو يحتاج للتواصل مع ثقافات تملك من المقومات الثقافية القيمة والأخلاقية ما تفتقد له ثقافته، وهو ما يجعلها مهددة بالتزعزع وفقدان ثقة أهلها بها بعد أن رأينا الكثير من المظاهر التي تثبت ذلك.*

3-2- الهوية الغربية ومخاوفها من تعدد الثقافات

معنى محافظة كل أمة على ثقافتها لا ينافي قبول تعددية الثقافات، كما أن رفض التعايش الثقافي الذي قد يؤدي إلى إلغاء الهوية الثقافية لا يعني الأخذ بأحادية الثقافة، ولكن الخوف هنا يكمن في ظهور أحادية خطيرة تسلك منهج إلغاء الثقافات الأخرى وإنكارها، وفرض ثقافة معينة عليها، وهو ما تمارسه اليوم الثقافة الغربية، وما مارسته بصفة خاصة ضد الثقافة الإسلامية إبان فترة الاستعمار حيث نقلت تلك الدول أنظمتها السياسية والاقتصادية، ومذاهبها الفكرية والاجتماعية إلى الوطن العربي، فاستخدمت كل قوتها لطمس هويته وتغريبها متجاهلة بذلك خصوصيات مجتمعاته وعقيدتهم وقيمهم ومبادئهم. بل ولا يزال هذا المنهج مسيطرا على الثقافة الغربية التي تعرّف على أنها ديمقراطية المنهج وعقلانية التفكير، وذلك تحت غطاء العولمة، حيث تحاول من خلالها المحافظة على عقلية التمرکز الغربي وإقصاء الآخر.¹ فهي التي عاشت لأكثر من عقد من الزمن متأثرة بالتيارات الثقافية ما بعد الحرب، حيث استندت الأطروحة الرئيسية حول التطور الثقافي في أوروبا إلى أساطير التجانس الثقافي للمجتمعات الغربية، إذ يتمثل هدفها الرئيسي في تقليل الاختلافات الثقافية بين المجموعات والطبقات بأي ثمن، من خلال توحيد الرسالة الثقافية السائدة وظروف نقلها.²

أما اليوم فهناك إدراك ووعي بل وتخوف من قبل الغرب من أنه لن يكون القوة الوحيدة في الغد، وأن الحضارة الغربية لم تعد مرادفة للحضارة العالمية، وأن هناك يقظة للحضارات والهويات الثقافية ترى بأن

* - مثل تعبير الكثير عن دياناتهم، خاصة المعتنقين منهم للإسلام، وأيضا لجوء الكثير منهم للانتحار، والتفكك الأسري الذي تعانيه الكثير من العائلات.

¹ - أحمد بن عبد العزيز الحليبي، مرجع سابق، ص ص 24، 25.

² - NACIRA BOUBNIDER , op-cit, p8.

العالم لن يكون على ثقافة عالمية تجمعها بل متعدد الثقافات، فحتى لو أكل الجميع "الهمبرجر" ولبسوا "الجينز" فهذا لا يعني تفسخ كل ثقافة عن هويتها أو أنهم أصبحوا جميعا على ثقافة واحدة،¹ لأنها تبقى مظاهر فردية ترجع لخصوصية الفرد وشخصيته، ولكن الأمر سيختلف لا محال إذا ما تعلق الأمر بأمور أعمق في الهوية الثقافية مثل الدين أو التاريخ أو القيم...، ومع ذلك فالحذر والحيطه مطلوبان من المجتمع، خوفا من أن تصبح هذه العادات الفردية تقاليد اجتماعية تغزو الجميع وتغير تدريجيا ملامح ثقافته حتى يصبح على شاكلة الآخر.

إذا كانت البلدان التي وقعت تحت هيمنة الثقافة الغربية متخوفة من تفسخ هويتها، فإن بلدان أوروبا و الولايات المتحدة أصبحت هي الأخرى مشغولة بمستقبل هويتها الثقافية و أيضا بمستقبل قوانينها و نظم دولتها العلمانية، وكيفية التوفيق بين هذه القوانين والنظم، وبين حقوق الجماعات الثقافية داخل المجتمعات الأوروبية والأمريكية في ممارسة خصوصياتها الثقافية بما فيها الدينية، وهل أن المواطنة انصهار كامل وتطبيع اجتماعي ونسيان للأصول الثقافية، أم أنها انتقائية تتمتع بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية مع المحافظة على الخصوصية.² وهنا تقع في معضلة بين أن تطبق قوانينها بالعدل وتحترم حقوق المواطن الذي يعيش على أرضها وتقبل بحريته واختلافه الثقافي وتتسامح معه، رغم أنه يهدد هويتها الثقافية وقد يجعل أفرادها يقبلون على الآخر المختلف الذي قد يغير تصوراتهم واتجاهاتهم وحتى ثقافتهم، وبين أن تقمعهم وتطمس حقوقهم وترفض تمثالتهم الثقافية على أرضها وهو ما يسقط القناع عن تغنيها بقيمها السياسية والاجتماعية، ويجعلها في قفص الاتهام بأنها تطبق القوانين طبقا لأهوائها ومصالحها.

حتى في الدول الغربية العلمانية ذاتها أخذت أشياء كثيرة تتغير نتيجة حضور مواطنين جدد يحملون أصول عربية إسلامية، وانسياب لأغراب أصبحت ذريتهم من أهل الدار، مواطنون جدد يختلفون عن الأصليين في الثقافة والدين والقيم، متمسكون باختلافاتهم، حريصون على إثبات هويتهم الدينية والثقافية المميزة وفي الوقت ذاته حريصين على مواظمتهم التي تشمل التزامات بالقيم الجمهورية التي تعني الاندماج في النظام العلماني، و يفرضون عليها أن تلتزم أيضا بالحقوق التي يضمنها الدستور و ميثاق حقوق الإنسان

1- علي أواميل، مرجع سابق، ص ص 36، 37.

2- المرجع نفسه، ص ص 41، 42.

و المواطن و التي على رأسها حق ممارسة الاختلاف الثقافي.¹ من هنا ظهر خوف الهوية عندهم بسبب هجرة المسلمين وبدأت آمال الدولة العلمانية عندهم تتبخر في إدماج كل المواطنين في مجتمع منسجم يتماشى مع ثقافتها.

لعل ضرورة الاحتكاك بين الثقافات اليوم وبمختلف أشكاله جعلت الأقوى منها تريد أن تفرض نفسها وقيمها على الأضعف من الثقافات، باستخدام أساليب مختلفة ومبررات واهية لتقنع الآخر بضرورة التعايش تحت مظلة ثقافة علمية، وتوهمه بأنها ثقافة سلام واستقرار تعطي للجميع الحق في المشاركة في بنائها وتطورها، لتخفي بذلك نواياها الحقيقية نحو وراء هذا المشروع. وهنا تقع على هذا الآخر المغلوب مسؤولية أن يراجع حساباته وتوقع ثقافته في هذا السياق العالمي ليجد الآليات المناسبة التي تحميه من مختلف الخطط التي تحيكها القوى العالمية حتى لا يفقد خصوصيته التي تميزه عن غيره من الثقافات.

أما عن الدول الآسيوية فقد أكسبتها معجزتها الاقتصادية ثقة كبيرة بثقافتهم وقيمهم الآسيوية الخلاقة التي بنت لهم اقتصادا قويا بوتيرة نمو كبيرة لم يسبق لها تاريخيا نظير، ومن تلك القيم: أسبقية الروح الجماعية، والنظام، والتضامن العائلي، واحترام السلطة والتراتبية في الدولة والمجتمع والمؤسسة الاقتصادية والعائلة، وكل ذلك مقابل الفردانية التي تعتبر ركيزة الحضارة الغربية،² أما العرب فثققتهم بثقافتهم العربية المستمدة من الإسلام هي من تكسبهم الثقة بأنفسهم وقدرتهم على المنافسة في هذا المجال، ولكن هذا لا يكفي للفوز بالرهان لأن الثقافة دون قوة اقتصادية أو سياسية تعضدها لن تستطيع مواجهة، فمعايير نجاح التواصل الثقافي اختلفت في العصر الحالي، فأصبح التكافؤ في المستويات الأخرى هو الذي يحدد طرفي التواصل.

¹ - علي أومليل، مرجع سابق، ص 132.

² - المرجع نفسه، ص 43.

3-3- الصورة الذهنية للثقافة الغربية لدى المجتمع العربي

إذا ما نظرنا للغربي وأردنا معرفة الصورة الذهنية التي يحظى بها لدى العربي فإننا نجد في الغالب ذلك الأوروبي الرجل المستعمر والإنسان المادي الذي تحكمه مصالحه وشهواته، أو نجده برؤية أخرى انبهارية باعتباره صانع التاريخ الحديث والمعاصر، وناشر للعلم والتكنولوجيا ومبشر الحرية والديمقراطية.¹

إن تأثيرات الثقافة الغربية الحديثة ومكوناتها قد غزت ثقافتنا العربية الإسلامية منذ ما يزيد على خمسة قرون وهي لا تزال تكتسحها حتى اليوم، وما عاد في الإمكان إنكار المدى الكبير الذي أحدثته فينا ذلك الغزو أو إخفاؤه، فانعكاساته بادية بوضوح في جميع مناحي حياتنا. ومن ذلك تلك الصورة التي تبدو راسخة في الذاكرة الجماعية للمنتسبين إلى الثقافة العربية والإسلامية عن الغرب، وخاصة منذ حقبة الحروب الاستعمارية وما تلاها، والتي تظهره بكونه جيوشا عادية غازية تحتل وتستعمر وتدمر وتنهب، ودسائس ومؤامرات تحاك للشعوب هنا وهناك، وثقافة مسكونة بعقدة الاستعلاء والتفوق والهيمنة، تحقر وتدوس على قيم الثقافات المغايرة المغلوبة على أمرها.²

إذا كانت تلك هي معالم الصورة العامة التي نحملها في ذاكرتنا الجماعية عن الغرب، فينبغي ألا يفضي بنا ذلك إلى نسيان أن ملاقاتنا التاريخية مع الغرب في جبهات متعددة، فرغم ما سببته لنا من صدمات ونكبات وإهانات، قد فتحت عيوننا وجعلتنا نكتشف أن الغرب أيضا ثقافة جديدة تحمل قيما إنسانية مشتركة جديرة بالتقدير، وآدابا وفنونا وعلوما نافعة وتكنولوجيا متطورة، وأن بعض مكونات تلك الثقافة يسّرت لنا سبل إدخال إصلاحات مهمة في أنظمة الحكم والإدارة والتعليم والصحة عندنا، كما أتاحت لنا إمكانات للتعرف على العلوم الحديثة ومناهجها، وامتلاك مناهج علمية خصبة وناجعة لدراسة تاريخنا وتراثنا، وغير ذلك مما يدخل في مجال التحديث الثقافي والمجتمعي.³

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 405، 406.

² - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 112

³ - المرجع نفسه، ص 112.

ثانيا- عناصر التنوع الثقافي وتمثاتها في الثقافتين العربية الإسلامية والغربية

يشمل التنوع بين الثقافات عناصر كثيرة ومتنوعة تحدد الاختلاف بينها، إلا أن تأثير كل منها على العلاقة الاتصالية بينها يختلف من عنصر إلى آخر وذلك حسب دوره في تكوين الثقافة وتحديد خصوصيتها عن الثقافات الأخرى، ولعل من أهم العناصر التي لها دور هام في ذلك حسب كتابات الباحثين العناصر الآتية*: الدين، القيم، اللغة. وهو ما سنحاول عرض أهم القضايا التي تتعلق بها من خلال العناصر النظرية الآتية:

1- الدين وأهميته في تكوين ثقافة المجتمع وخلق التباين بين الثقافات:

يعد الدين من بين المقومات الأساسية في بناء الثقافة والتي تعمل على تحديد اتجاهات الفرد نحو قضايا معينة، وعلى اختلاف المكانة التي يحظى بها الدين من ثقافة إلى أخرى، لا أحد يستطيع أن ينكر الأهمية الخاصة التي يحظى بها الدين في حياة الفرد بصفة عامة، وهو ما سنحاول التعرف عليه نظريا من خلال مناقشة أهم القضايا التي تتعلق بهذا العنصر الثقافي.

1-1- تعريف الدين وأهميته في حياة الفرد

اهتم كثير من العلماء الاجتماعيين والأنثروبولوجيين بدراسة الدين، أين ظهرت الدراسات العلمية للدين منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على أيدي الكثير منهم، أمثال تايلور وجيمي فريزر ودوركهايم، وقد سبقهم ابن خلدون العلامة العربي الشهير في مقدمته التي أوضح فيها أهمية الدين في وضع وتحديد قواعد السلوك.¹

لم يتفق علماء الانسان (الأنثروبولوجيا) حتى الآن على مفهوم واحد موحد للدين، أو تحديد طبيعة الظاهرة الدينية بدقة ووضوح، وربما يرجع ذلك الى تعدد صور وأشكال الحياة الدينية بحسب تباين المجتمعات والثقافات.²

*- وهي ذات العناصر التي اتخذنا منها أبعادا للتنوع الثقافي في الدراسة الميدانية.

1- فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 226.

2- المرجع نفسه، ص 226.

يمكن أن نعرف الدين على أنه: "نسق من الاعتقادات والممارسات والذي تستطيع جماعة من الناس من خلاله أن تفسر وتستجيب لما تشعر به على أنه مقدس، والواضح أن تفسير المقدس والاستجابة له يحتاج إلى التجسيد في صورة معينة من السلوك وفرض الشعائر التي تعمل على تجديد العهد بالعقيدة والارتقاء بدرجات الإيمان التي تعاني من الصراع الديني الذي يفرض عليها الاهتمام بالوظائف المادية دون الروحية".¹ أي أن الدين هو مجموعة مقدسات يحترمها الانسان ويستشعر بها من خلال مجموعة أفعال في شكل شعائر تسبقها مجموعة اعتقادات تجسد خضوع الانسان لهذا الدين، الذي يجعله يرتقي من ماديات الواقع إلى روحانيات النفس وصفائها، والذي لن يجده في غير الدين.

أما دوركهام في مؤلفه "الصور الأولية للحياة الدينية" فيعتبر الدين نظاما موحدا للمعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة إلى الأشياء التي يتعين تجنبها وتحريمها. ووظيفة المعتقدات والممارسات السائدة في مجتمع معين هي التوحيد بين أولئك الذين يؤمنون بها وقد أتهم الأنثروبولوجيون الأوائل بأن تغييراتهم للدين كان سيوكولوجية ولم تكن سوسيوولوجية.²

للدين جانبين، جانب ظاهري يملأه مجموعة من الطقوس والشعائر والممارسات، وجانب باطني تمثله تلك النزعة الروحية التي تربط الإنسان بخالقه، ويؤكد هذه العلاقة "منعم جاد الله" حيث يقول: "الدين ليس إيمانا ومعرفة فحسب، بل هو فوق ذلك التفاف روحي متبادل وهو رباط من الطاعة والولاء، ومن الرعاية بين المتدين وبين الحقيقة العليا التي يؤمن بها، والتي يجوز أن يطلق عليها "التجربة الدينية" التي تشمل الجانب الداخلي الباطني لعلاقة الإنسان بالله وتفكره فيه وتوجهه إليه".³

إن الدين قديم قدم الإنسان، وهو ما يعني بأن حاجة الفرد إليه ملحة عبر الأزمنة التاريخية المختلفة، حيث يجعل هذا المخلوق يتدارك عجزه المادي ليلجأ إلى الجانب الروحي، ويخلص عقله من كثرة التجريد

¹ - جميلة ملوكي، الغالي بن لباد، أركيولوجيا الدين - حفريات من الذاكرة البشرية-، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ع6، برلين، ألمانيا، أبريل 2019، ص 47.

² - بوتومور، مرجع سابق، ص ص 251-253.

³ - جميلة ملوكي، الغالي بن لباد، مرجع سابق، 45.

ويمكنه من خلق معادلة موضوعية بين النفس والمادة،¹ مما يساعده في تحقيق توازن دخلي في حياة الفرد يمنحه الاستقرار والطمأنينة.

كما أن أهمية الدين تتجاوز الفرد إلى المجتمع بأكمله بفضل ممارسته لوظيفة ضبط مزدوجة، ووظيفة منها لتحديد السلوك الصادر من أفراد المجتمع باتجاه المعايير المتعارف عليها في المجتمع، والأخرى إرشاد النسبة القليلة باتجاه التقويم الصحيح للسلوك ضد الانحرافات التي تظهر في كل مجتمع.²

لقد نجح الدين في رسم العلاقة بين الفرد كإنسان ينتمي إلى المجتمع الأكبر، وبين الآخرين الذين يشكلون في مجموعهم المجتمع الكلي، واستطاع أن يقلص النزاعات بين الفرد نفسه وبين الفرد والآخرين، من خلال استخدام الوسائل التي يمارسها الدين في الارتقاء بسلوك الفرد وتنظيم تكوينه النفسي الداخلي، الذي يؤدي به إلى الراحة النفسية الخالية من اضطرابات العصر وكثرة مثيراته وتعدد مصادره الخارجية منها والداخلية.³

1-2- الدين بين التعددية والوحدة

يعتبر الدين أيضا مقياسا للتنوع والتباين بين البشر، والتحلي به يقع على درجات وتفاوت بين أصحاب الملة الواحدة، وبالنظر إلى أصل هذه الأديان التي شاعت بين البشر، فثمة فروق بين أديان توحيدية، وأخرى وثنية أو مما توهمه الناس أنه أديان، وهو في الواقع أساطير وخيالات. أي أن الأصل أن هناك وحدة في الدين السماوي مما بلغه سيدنا إبراهيم عليه السلام وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ثم ما جاء به سيدنا موسى من التوراة، وما صدع به سيدنا عيسى من الإنجيل، وكان الختام في رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فيما جمعت به أصول التوحيد والإيمان والإقبال على الله والإذعان له، ولكن

¹ - جميلة ملوكي، الغالي بن لباد ، ص44

² - أسعد شريف الإمارة، مرجع سابق، ص 157.

³ - المرجع نفسه، ص158.

تعالى البشر وإنكارهم جعلهم يزيغون عن الحق إلى الباطل والخرافات.¹ فحرفوا بذلك الأديان حتى لم تعد تمت بصلة إلى أصلها.

لقد توجهت آيات الذكر الحكيم إلى هذا المنحى من أن يكون الإنسان على عقيدة ما، ولم تصر على أن يكون الجميع على دين واحد أو معتقد واحد، فتلك مشيئة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾².

1-3- خصائص الدين ووظائفه في المجتمع

هناك عناصر أساسية ومشاركة بين كل الديانات المعروفة، سواء كانت ديانات بدائية أو ديانات تقليدية ارتبطت بالحضارات والثقافات والمجتمعات القديمة العريقة والأديان ذاتها، وأهم هذه العناصر هي:³

- الإيمان بوجود قوى غيبية إعجازية عليا تسيطر على قدرات الإنسان والكون.
- الإحساس بمزيج من مشاعر الرهبة والخوف والتمجيد والإجلال إزاء تلك القوى الغيبية الإعجازية المسيطرة.
- وجود نسق من الأفعال والممارسات التي تعبر عن هذه المشاعر والأحاسيس، والتي تكون موجهة بالضرورة نحو تلك القوى الغيبية الإعجازية.

في العادة تكون المعتقدات الدينية راسخة، بحيث تسمو وتعلو على الجماعات العرقية، وتوحد بين أناس مختلفين ومن بقاع مختلفة، كما أنه يمكنها أن تفصل بين أناس من نفس الأصول العرقية بحيث توجد حواجز يحول دون تواصلها، مما يوجد العداوة والبغضاء بين جماعات يمكن توحيدهم سياسيا واجتماعيا.⁴

¹ - أحمد عبد المنعم حالي، بشرى أحمد حالي، مرجع سابق، ص 95، 96.

² - سورة هود: الآية [117].

³ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 228.

⁴ - السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 46.

ويقوم الدين بمجموعة من الوظائف مثله مثل أي نظام آخر يساهم في تكوين المجتمع، وأهم تلك

الوظائف:¹

(أ) - الوظيفة التنظيمية للدين: حيث ظهرت الديانات في المجتمعات لحاجة هذه الأخيرة إلى تنظيم يخلصها من الفوضى التي كانت تسودها، انطلاقاً مما تضعه من قوانين ومعايير يساعد على السير الحسن للمجتمع حسب الآليات التي تناسبه. ومن أمثلة ذلك تنظيم الإسلام للمجتمع الجاهلي عن طريق الوساطة والاعتدال بعد الفوضى التي كانت تسوده، وهذه الوظيفة يقوم بها أي دين في المجتمع سواء كان سماوياً أو وضعياً وفي هذا يقول محمد عبد الله دراز: "إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة إنها المبعث القوي لتهذيب السلوك، وتصحيح المعاملة، وتطبيق قواعد العدل، ومقاومة الفوضى والفساد".

(ب) - وظيفة الضبط الاجتماعي: وتتمثل هذه الوظيفة في الوسائل التي يضعها الدين قصد الإشراف على مراقبة سلوك الأفراد، من حيث تصرفهم حسب النظم والقوانين الاجتماعية المقبولة أو العكس، لذا فإن الدين ينص على مجموعة مبادئ وعقائد يجب احترامها، و في ذلك يقول إبراهيم العسل في كتابه (الأسس النظرية و الأساليب التطبيقية في علم الاجتماع): "ينظم الدين الحياة الروحية للأفراد، وكذلك الحياة الاجتماعية وفق مبادئ مقدسة....، إن الدين ظاهرة اجتماعية عالمية، أي لا يوجد مجتمع بدون دين، وتنقسم المبادئ الدينية إلى العقائد وهي المعتقدات التي يؤمن بها الأفراد والطقوس التي يجب أن يقوم بها المتدين".

(ج) الوظيفة التضامنية أو التماسكية للدين: وتظهر هذه الوظيفة في تماسك الجماعة المعتنقة لدين واحد اجتماعياً، لأنها تربط قلوب الأعضاء برابط قوي من التلاحم والمحبة لا تقابله أي علاقة أخرى قائمة على اللغة أو الجيرة أو الجنس أو المصالح المشتركة.

¹ - ثريا التيجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص ص 97-100.

1-4- الدين أحد أهم العناصر الفاعلة في الثقافة

يعتبر الدين جزءاً أساسياً من الثقافات، إذ لا يتسنى لأي باحث أن يدرس ثقافة مجتمع أو تنظيم اجتماعي دون الرجوع إلى العناصر الدينية التي تؤثر في تكوين تلك الثقافات، وقد لا نستثني أي نسق ثقافي أو سياسي وحتى إيكولوجي من احتوائه على معتقدات دينية.¹ لكونها محركاً أساسياً لسيرورته، إذ أن الأفراد يعتبرونه المرجع الأول لتوجيه الحياة.

أي أن الديانة من أهم الخصائص الثقافية التي تتميز بها الجماعات الإنسانية، حيث كان للإيديولوجيات التي نشأت منها الديانات في الأصل أعماق الأثر في المجتمع الإنساني والتي أدت بدورها إلى بعض الاختلافات الهامة والأساسية بين الجماعات الإنسانية. ولا يقتصر الاختلاف على العقائد فحسب، بل إن الحياة اليومية تتأثر بظهور أخلاقيات السلوك وموجهاته والأوامر والنواهي أو المحرمات. وقد يصل الأمر إلى حد التأثير على البناء الاجتماعي للمجتمع ذاته.²

كما يعد الدين من أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في ثقافة الإنسان الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنه عنصر فعال وأساسي في تكامل الثقافة وتجانسها، "فالدين يدعم القيم والعادات ويتضمن جزاءات أخلاقية لضبط اتصال الأفراد بعضهم ببعض، مما يحقق الثبات والاستقرار الاجتماعي، والمحافظة على النظام الاجتماعي والتوافق معه."³ وكما أن الدين يدعم الثقافة فهو أيضاً جزء لا يتجزأ من تمثيل الثقافة.

1-5- الدين الإسلامي وارتباطه بالمجتمع العربي:

الإسلام هو دين الغالبية العظمى من العرب وقد أسهم في مراحل الأولى في تكوّن الأمة العربية وإن كان في طبيعته تجاوزاً للقوميات، هذا ما دلّل عليه عدد كبير من المفكرين العرب مثل عبد الرحمن الكواكبي وشكيب أرسلان وعبد العزيز الدوري وغيرهم منذ بدايات العصر الحديث. نكتفي هنا بقول الدوري إن الإسلام وُحّد العرب وحملهم رسالة وأعطاهم قاعدة فكرية أيديولوجية وبه كونوا دولة، كما أضاف من

¹ - جميلة ملوكي، الغالي بن لباد، مرجع سابق، ص 44.

² - السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 45.

³ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 228.

ناحية أخرى أن الحركة الإسلامية جاءت عربية في بيئتها وفي القائمين بها فلم يكن من الغريب أن يشعر العرب في صدر الإسلام برابطة قوية، وبكيان متميز، فالدولة عربية واللغة العربية والعرب حملة الإسلام، ولذا توارى مفهوم الإسلام والعروبة بنظر الشعوب الأخرى.¹

شهد العقد الأخير من القرن العشرين انقسامات جديدة في كل البلدان العربية بين التوجه الديني والتوجه القومي وإن كانت تجري محاولات عدة للتوفيق بين التيارين باعتبار أنهما ينطلقان من معاناة الهزائم المتكررة، ومن الضرورات التي تفرضها مهمات الصراع مع الغرب المهيمن على الحياة العربية بمجملها بما فيها الهيمنة الثقافية، ومن أنهما يدعوان إلى هوية تتجاوز الهويات القبلية والمحلية، إلا أن بعض القوى الإسلامية المتطرفة في محافظتها على الكيانات والأوضاع القائمة تجد تهديدا لها في التيارات القومية كما في التيارات الإسلامية التي تدعو للتغيير. من هنا ما كتبه صاحب جريدة الشرق الأوسط (1980) في مقالة بعنوان "فلتسقط القومية العربية"، قال فيها: "حياة المسلم المؤمن مع محمد بن عبد الله وبعده تقوم على الأخوة الإسلامية، بعيداً عن القوميات والعصبيات والنعرات ... تحيا أمة الإسلام وتسقط القومية العربية".²

1-6- انعكاسات التغيرات الثقافية الغربية على الجانب الديني:

تتميز المجتمعات الصناعية بتنوع ديني ملحوظ، في مقابل صراع ديني لا يمكن تجاهله. وفضلا عن ذلك أصبحت المعتقدات والمذاهب الدينية أكثر أهمية من الطقوس في المجتمعات الحديثة، ذلك لأن اتحاد الناس أو انقسامهم لم يعد قائما على العواطف بقدر ما هو قائم على القضايا.³

كما يعد الفصل بين الأخلاق والدين أحد الملامح الأساسية للتغيرات الثقافية التي حدثت خلال القرن الماضي في المجتمعات الغربية، حيث تمت التفرقة بين الطقوس والقواعد الأخلاقية، وهو ما انعكس على ضعف الإيمان الديني، بالتالي أدى إلى ضرورة إيجاد أساس ومحتوى جديد للقواعد الأخلاقية. من هنا تأكدت القاعدة التي تقر أن الدين أصبح إما فرديا أو خاصا (كما يشير إلى ذلك تعدد الطوائف الدينية

¹ - سليم بركات، مرجع سابق، ص ص 72، 73.

² - المرجع نفسه، ص 78.

³ - بوتومور، مرجع سابق، ص 254.

وانتشار الأديان الشخصية التي لا تحتاج إلى عضوية كنسية)، أما الأخلاق فقد أصبحت أمرا اجتماعيا تهتم بمعالجة الأمور المتصلة بالعدالة الاجتماعية والعلاقات والمشكلات الاجتماعية أكثر من المتصلة بالمسائل الفردية والأخلاق والسياسة.¹

عملت هذه الدول أيضا على ممارسة الضغط على الدول في العالم العربي من أجل الإصلاح الديني الذي يعتمد على تغيير المناهج، ومراقبة التعليم الديني والخطب، وخاصة بعد اعتداءات الحادي عشر في سبتمبر على الولايات المتحدة، التي أصبحت ترى بأن نشر القومية في العالم الغربي قضية أمن قومي بالنسبة لها.²

رغم أن الواجهة الدينية هي الواجهة التي تسلط عليها الأضواء اليوم وترشحها لتكون الجبهة الأمامية للصراع والصدام بين الثقافات في عالمنا المعاصر، ورغم الأهمية الكبرى التي تكتسيها الديانات في حياة الشعوب، فإنها لا تستغرق جميع مكونات الثقافة أيا تكن. لذلك، يجب أن يمتد الحوار ليشمل مكونات ثقافية أخرى مثل الآداب والفلسفة والفنون والقيم الإنسانية المشتركة. ومن شأن هذه المكونات أن تساهم بدورها وبفعالية متميزة، في إثراء الحوار بين المجتمعات البشرية، رغم ما قد يكون بينها من اختلاف في المعتقدات الدينية.³

(2) - خصوصية القيم في تشكيل ثقافة المجتمعات واقعيا وتقنيا

من الأبعاد الهامة في التنوع الثقافي والتي لها أهمية خاصة في التمييز بين الثقافات منظومة القيم التي يسير عليها المجتمع والتي توجه سلوكيات وتصرفات أفراده سواء على المستوى الداخلي له، أو في علاقتها مع الخارج من ثقافات أخرى، إذ تجد القيم من أهم المعايير التي تسمح بالحكم على المجتمع، وعليه سنحاول من خلال العناصر الآتية التعرف نظريا على أهمية القيم في المجتمع ودورها في توجيه العلاقة الاتصالية بين الثقافات.

¹ - يوتومور، مرجع سابق، ص ص 262-266.

² - علي أواميل، مرجع سابق، ص 97.

³ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 118.

2-1- القيم مفهومها وأهميتها:

القيم كغيرها من المصطلحات في العلوم الاجتماعية لقيت اختلافا كبيرا في ضبط مفهومها بين السوسولوجيين والسيكولوجيين والإعلاميين، بين الغربيين والعرب، فيعرفها مثلا كليلد كلاكهون على أنها: "تصورات يدركها الفرد في مواقف التفاعل، وبالتالي فهي تمثل عناصر إنسانية ترتبط بنمط الفرد المادي والوجداني والشخصي ونشاطه الحياتي"¹. وهنا تبرز أهمية المواقف بصفة عامة والمواقف الاتصالية بصفة خاصة في إبراز القيم ونقلها من المستوى العقلي التجريدي إلى المستوى السلوكي الملموس، وهو ما يعبر من جهة أخرى عن شخصية الفرد واتجاهاته.

أما من الجانب العربي فيعرفها مثلا عزى عبد الرحمن بأنها "ما يسمو ويرقى من المعاني ومصدرها المعتقد ويعتبر الإنسان الأداة المثلى لتجسيد القيم، إذ تتجسد في سلوكه ببعض أو كل أبعادها الاثني عشر المتنوعة الإيمانية والاتصالية والزمنية والمكانية واللسانية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية والجمالية والإنسانية"²، وهذا التعريف ركز على عنصرين أساسيين: أولهما مصدر القيم الذي هو المعتقد، وثانيهما الأبعاد المختلفة للقيم والتي يتمثلها ويجسدها الإنسان في مختلف مجالات الحياة اليومية.

تبرز أهمية القيم عموما في شتى مجالات الحياة، ففي الجانب الاجتماعي مثلا تمثل القيم معايير عامة يشترك فيها أعضاء المجتمع لتسهم في تحقيق التكامل الاجتماعي، أي أنها مقاييس اجتماعية جمالية خلقية تقررها الحضارة أو الثقافة بما يتوافق مع تقاليد المجتمع واحتياجاته وأهدافه في الحياة³، لتمثل بذلك المبادئ الأساسية التي تبين ما ينبغي عمله، وما لا ينبغي المضي فيه في علاقاتنا مع البيئة والبشر، لأنها من مقومات الضبط الاجتماعي.

أما في المجال الاتصالي -الذي هو مجال بحثنا- فتبرز أهمية القيم مثلها مثل الاتجاهات والمعتقدات في كونها تؤثر تأثيرا بالغا في النشاط الاتصالي وفي تفسيرنا له والاحتفاظ بمضموناته.⁴ لذلك فإن الفرد كجزء

1 - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 286.

2 - عزى عبد الرحمن، منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، ط1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2013، ص 87.

3 - أسمي نوري صالح، مرجع سابق، ص 45، 46.

4 - عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني، ط1، دار صفاء، عمان، 2015، ص 183.

لا يتجزأ من المجتمع مطالب بالتحلي بتلك المبادئ التي من شأنها أن تخلق له الاستقرار والسلامة في بناء العلاقات داخل المجتمع أو خارجه والمحافظة عليها.

نستنتج أن القيم نستطيع أن نلمسها في جميع نشاطاتنا اليومية، وبالتالي يمكن أن نقرر أنه لا وجود للقيم دون مجتمع إنساني ولا وجود للمجتمع الإنساني دون قيم، فهما ظاهرتان متماسكان أشد التماسك، ويشبهها كروبير K ROEBER بأنها كسطحي الورقة في تلاصقها، فإذا محونا من أي مجتمع إنساني قيمه فإننا نكون بذلك قد سلخنا عنه بشريته.¹ فهي إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، إذ تبتعد عن الرغبات أو الميول التي كثيرا ما ترتبط بوقت محدد، والتي قد يحققها الفرد وقد لا يحققها، وقد تظهر في سلوكه فعلا وقد يكتبها ولا يصرح بها،² وذلك لأن الرغبات جزء من خصوصية فردية وانطباعات ذاتية تتغير باستمرار نظرا لتحررها من قيود الحتمية الاجتماعية.

كما تعتبر القيم أيضا من خصائص الشخصية التي تفسر أنماط سلوك الفرد الثابتة إلى حد ما، فهي من الدوافع الرئيسية للفرد تحرك سلوكه وتحدد أسلوبه في تعامله مع البيئة التي يعيش فيها، إذ يتعذر فصل سلوك الإنسان عن قيمه أو عن قيم مجتمعه في أي موقف من المواقف³، وبالتالي فإن الاختيار لها يتوقف على ما تعود به على الفرد من سعادة، لذا يجب احترامها والتمسك بها في إطار الحياة الاجتماعية لأنها تشكل قاعدة الزامية لا يجب الخروج عنها.⁴ والزاميتها هنا تتعلق بعدم ارتباطها بالفرد في حد ذاته لأن ذلك يشكل لنا ما يعرف بالقيم الفردية، وإنما لارتباطها بالمجتمع وثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات.

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 112.

³ - أسمي نوري صالح، مرجع سابق، ص 45.

⁴ - نادية يوسف جمال الدين، القيم الإنسانية والتربية البشرية لعالم واحد معدد الثقافات، هل من سبيل للخصوصية؟، مجلة

مستقبل التربية العربية، مج 12، ع 42، من موقع دار المنظومة <http://mandumah.com>، مصر، ص 362.

2-2- اختلاف القيم كأبرز مظاهر اختلاف المجتمعات:

إن لكل مجتمع ثقافته المتباينة عن المجتمعات الأخرى، وهذا يعني أن لكل مجتمع نسق من القيم يحافظ على هويتها ويدعم وجودها، وهي تنمو وتتطور بالطريقة التي يرضيها المجتمع ويوافق عليها،¹ فاختلاف القيم هنا من بين أهم العوامل التي ترينا أسباب تباين المجتمعات واختلاف أنماط السلوك، وترجع درجة هذا الاختلاف إلى تباين ترتيب القيم داخل السلم القيمي السائد في البناء الاجتماعي، وإلى مكانة القيمة وفقا لعلاقتها الوظيفية بأفعال الفرد والجماعة، أي أن مكونات القيمة هي عناصر لها ارتباطات عقلية ووجدانية وليست عناصر عرضية.²

كذلك لكل مجتمع قيمه التي تميزه عن غيره فالارتباط بالأرض مثلا والإيمان بالملكية الشخصية من القيم الاقتصادية السائدة في المجتمع الزراعي، وبالمقابل نرى أن مثل هذه القيم تتوارى في المجتمعات الصناعية حيث تظهر قيم سائدة مختلفة تماما عن قيم المجتمع الزراعي، قيم تؤكد على الحراك المكاني والعمل وتحمل المسؤولية. وإذا انتقلنا إلى المجتمع الرأسمالي نجد أن قيمة الملكية الفردية تأخذ مكانها في أعلى السلم القيمي، كما أن قيمة المصلحة الشخصية تغطي بشكل ملحوظ على قيمة المصلحة العامة، إلا أن مثل هذه القيم لا وجود لها وتأخذ بالضمور في المجتمع الاشتراكي لتحل محلها قيم أخرى تؤكد الملكية العامة وتكرس بين أفراد المجتمع قيم المسؤولية الجماعية واحترام الإنسان وضمأن حقوقه وترفض قيم الاستغلال.³ وهكذا نرى قيما تظهر وأخرى تغيب حسب طبيعة المجتمع والظروف التي يعيشها، والتي تفرض عليه سلما ونظاما قيما يتوافق وخصوصية المرحلة التي يعيشها.

2-3- اختلاف القيم الانسانية مع الحفاظ على الخصوصية في فضاء التلاقي

تعدّ القيم الإنسانية عامة مجموعة القيم التي تؤكد على قيم التسامح والأمن والسلام وغيرها من القيم الإنسانية المنادية بأن يكون العالم الذي نعيش فيه أكثر إنسانية ورفاهية وسلام للجميع، والقبول بها لا

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 416.

² - المرجع نفسه، ص 66.

³ - المرجع نفسه، ص 108.

يعني تجاوز ينباع الثقافية لكل مجتمع، وإنما يوجب الاستفادة منها والتأكيد على ما تنطوي عليه وتعبير عنه وتدعو له حتى يثرى العالم بذلك التنوع الأخلاقي والقيمي البديع من جهة، ولا ينتزع كل إنسان من جذور ثقافته ليوضع تحت مظلة ثقافات أو ثقافة أخرى عالمية النزعة من جهة أخرى، حيث قد تؤدي هذه النزعة الكاسحة لهوية الآخر إلى تأجيج روح الرفض والتطرف في أحيان كثيرة كما نراه في كثير من أنحاء العالم،¹ كما قد تؤدي أيضا إلى الذوبان والانصهار في معالم هوية الآخر، وهو ما نخشاه على المجتمعات العربية بصفة خاصة.

إن مساحة التلاقي في القيم بكل ما تحمله من قواعد ومبادئ أخلاقية أكثر كثيرا من مساحة أية خلافات، ولأن جاء الاختلاف من ينباع والأصول التي تنبع منها هذه القيم، أو اللغة ومفرداتها التي يعبر بها عن تلك القيم، فإن تحقيق الأمن والسلام يدعو إلى التنوع والالتقاء وليس إلى الخلاف والتنافر دون أن يؤدي ذلك إلى ما يمكن أن نسميه بالتنميط العالمي،² والذي يمكن أن يحصل إذا ما غيَّب الفرد خصوصيته الثقافية في ظل هبوب رياح العولمة التي تحاول أن تقضي على ثراء الثقافات وتنوعها.

أي أن التقارب القيمي الذي هو نتاج الجوانب الإيجابية الإنسانية، يمكن أن يتحقق من خلاله التقدم الحضاري المنشود بمستوياته المختلفة المادية والروحية والثقافية تبعا لحاجات العصر والمشاركات في الإبداع الحضاري العالمي.³ فهو يقود بدوره إلى تكامل شخصية المجتمعات وتميزها، فقابلية القيم للاكتساب يعني أن باستطاعة المجتمع أن يكتسب أو يستعير أية قيمة من غير قيمه إذا ما رأى فاعليتها في دفع عجلته الحضارية وسيورته الاجتماعية.⁴

إذا قلنا بأن لكل مجتمع خصوصيته القيمية فإن هذه الخصوصية بطبيعة الحال لا يمكن أن ترفض التفاعل القيمي مع باقي المجتمعات الإنسانية بحكم أن الإنسان في أي مجتمع ينتمي إلى الجنس البشري

¹ - نادية يوسف جمال الدين، مرجع سابق، ص 365 .

² - المرجع نفسه، 365.

³ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 392.

⁴ - المرجع نفسه، ص 408.

وبذلك يدخل دائرة الوحدة الإنسانية، وهذه الحقيقة تناوّلها المفكر مارك توين حين قال: "إن وحدة الطبيعة الإنسانية لا بد أن تترك آثارا متشابهة إلى حد كبير بين مختلف أبناء البشر".¹

كما أن الخصوصية ليست عائقا في التفاعل القيمي فهي أيضا ليست عائقا في تغيير القيم بما يتوافق مع مجريات العصر ومتطلباته، تغييرا لا يشوّه الهوية ولا يقضي على الخصوصية وإنما يعطيها نفسا جديدا وروحا إبداعية تستطيع أن تجابه التطور التقني السريع الذي تشهده البشرية والذي لم تشهد له مثيل قط.

2-4- سلطة المجتمع في فرض النظام القيمي على الأفراد

رغم تعقد مضمون القيم وتركيبها لا يمكن النظر إليها كخصائص مستقلة منعزلة عن بعضها البعض أو التركيز على العناصر التي تدخل في تكوين كل قيمة على حدة، بل هي في الواقع كل متكامل، تتألف فيه جميع العناصر الجزئية رغم اختلافها وتنوعها بل وتضاربها في بعض الأحيان، وكثيرا ما توجد قيم بعينها في أكثر من مجتمع واحد، ولكن ترتيب هذه القيم وعلاقتها ببعضها يختلف في كل مجتمع عنه في المجتمعات الأخرى، مما يؤدي في النهاية إلى اختلاف صورة النظام القيمي أو شكله في كل منهما، أي أن تشكيل النظام القيمي يتوقف إلى حد كبير على ترتيب هذه القيم داخل المجتمع وفقا لمبدأ معين أو عدد من المبادئ أو اتساق القيم السائدة هناك، وعلى هذا الأساس ينظر إلى النظام القيمي في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية على أنه نموذج مثالي ينبغي على أفراد المجتمع أن يحتذوا به ويمثلوا له، ويتكيفوا معه، وأن تكون لهم القدرة في التمييز بينه وبين القيم الفردية الخالصة.²

أي أن الأفراد يجدون أنفسهم مجبرين على سلم قيمي خارجي يضعه المجتمع بحيث يعلو على التقديرات الشخصية المتغيرة للأفراد وهو ما يفسر قوة النظام القيمي والسلم القيمي في توجيه أفعال الأفراد والتحكم بها نحو ما يخدم مصالح وأهداف المجتمع ككل.³ بغض النظر عما إذا كانت تتوافق مع الميولات الشخصية أو تخالفها.

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص ص 20-21.

³ - علي عبد الرزاق جبلي وآخرون، مرجع سابق، ص 52.

رغم أن القيم مرتبطة بإشباع رغبات الفرد وتحقيق أهدافه وتأكيد مفهومه لذاته، والاختيار لها يتوقف على ما تعود به على الفرد من سعادة، إلا أنها أيضا تفرض علينا أن نحترمها ونتمسك بها في إطار حياتنا الاجتماعية، لتشكل قاعدة إلزامية لا يجب الخروج عنها.¹ ومع ذلك فالملاحظ أن هناك تحررا يوثقه الواقع خاصة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، أين تغيب الرقابة لتتلاشى معها معاني الخوف أو التحسب من المجتمع، وبالتالي تذوب معها القواعد الإلزامية التي يفرضها المجتمع على أفرادها واقعا، ليكتسب الشرعية هنا في هذا الفضاء بل ويحمل راية الدفاع عن آرائه وقيمه الجديدة التي كانت حكرا على هذا الفضاء.

هنا تظهر لنا أهمية القيم العامة المشاركة على القيم الفردية، حيث تكون هذه الأخيرة أقل ثباتا فهي أقرب إلى أن تكون حالات خاصة، ويطلق عليها أيضا علماء الشخصية القيم السطحية، فقد تتجمع تصرفات مختلفة عند الفرد وترتبط بعضها ببعض الآخر لتكون قيمة، ولكنها قيمة قد لا يكون لها تأثير على بنیان استجابات أفراد المجتمع ككل مثل القيم العامة التي تعرف أيضا بالقيم البنائية أو التكوينية التي هي الأساس وراء السلوك العام الملاحظ لأي مجتمع، ولا يمكن فهم البنیان النهائي لشخصية المجتمع العامة إلا من خلالها.² ومع ذلك يبقى الخوف قائما من ثورة هذه القيم وتمردا على القيم العامة، خاصة إذا وجدت لها قاعدة شعبية واسعة، وهو ما نخشاه من الإفراط الذي نشهده في العيش في العالم الافتراضي والسير على قوانينه واحترامها أكثر من العالم الواقعي الذي تظهر فيها سلطة المجتمع.

¹ - نادية يوسف جمال الدين، مرجع سابق، ص 362.

² - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 119، 120.

2-5- تغيير القيم وتجديدها من ضروريات تحقيق المعاصرة

إن القيم مثلها مثل كل الظواهر في المجتمع تخضع لتأثير التغيير، وهذا التغيير يحدث نتيجة تغير التركيب الداخلي للبناء الاجتماعي، فتتغير بذلك القيم التي تضبط أوجه النشاط المختلفة ونماذج السلوك في ذلك البناء، وهذا يعني ضرورة استجابة نسق القيم لمضمون ومعنى البناء الاجتماعي الجديد.¹

الأنساق القيمية تتغير عبر الزمن خاصة من خلال تفاعلها مع الواقع، بل وتتجدد باستمرار وهذا هو مناط الفاعلية الحقيقية، أي قدرة النسق القيمي لأي مجتمع على التفاعل الإيجابي الخلاق مع متغيرات العصر وتطورات الزمن، ولكن هذا التفاعل يحتاج إلى حشد الطاقات والتخطيط المتقن والتنفيذ الفعال والبحث المستمر.²

يسعى المجتمع دائما من خلال أفرادهِ إلى إيجاد نظام متكامل يشمل المعرفة والمهارة والجوانب الوجدانية في تناغم وتكامل يسعى إلى تشكيل السلوك السوي، وفي ظل موجة التغيير والاحلال والابدال تبرز أنماط مختلفة من السلوك يرجى منها أن تواكب التغيرات المعرفية مع المحافظة على القيم.³

لا يمكن أن تظل القيم ثابتة في مجملها أو مطلقة، وإنما هي نسبية تتطور لدينا حسب ما نمر به من خبرات، فيدخل بعضها مع بعض في منافسة حول الأهمية النسبية، مما ينتج عنه بالضرورة ترتيب القيم وفق سلم الأهمية تحدده الخبرات التي نعيشها، فيخضع للتغيير كلما استجدت خبرات استدعت إحداث ذلك، من هنا فإن دراسة سلم القيم تتم دائما في ضوء المواقف الاجتماعية والأحداث المجتمعية، والتغيرات التكنولوجية التي يشهدها المجتمع ويعيشها الأفراد.⁴ وعلى ذلك لا يمكن أن يتم التغيير والتحديث إلا إذا اجتمعت وتوفرت أسباب واقعية فرضت نفسها بقوة داخل المجتمع، فإذا لم يتمكن من أن يجد لنفسه

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص ص 284-285.

² - المرجع نفسه، ص 23.

³ - عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر، مرجع سابق، ص ص 139، 140.

⁴ - علي عبد الرزاق جبلي وآخرون، مرجع سابق، ص 134.

مكانا يضمن له الاستمرار والبقاء في هذا العالم وجب عليه التجديد الواعي الذي يجيد الموازنة بين ثوابت القيم وفروعها.

إن تمثل القيم القديمة بشكل نقدي خلاق واكتساب القيم العصرية الراهنة، وإجراء عملية التقارب بينها بشكل ابداعي وحضاري وشمولي، يساهم في بناء حضارة إنسانية تجمع ثقافات العصر الراهن وتستوعبها بكل متغيراتها استيعابا تقديرا يساهم في خلق مناخ عالمي مبني على الإبداع والتفاهم والتبادل،¹ فيجد الإنسان نفسه في ضوء رسائل ووسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام ملزماً عن التخلي عن بعض عادات وتقاليد وأعراف قديمة من أجل التأقلم مع ما جاءت به هذه الثورة التكنولوجية من قيم ومبادئ جديدة باسم التفتح والعصرنة والحداثة والعمولة والتحضر.²

كذلك فإن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي اليوم باختلاف ثقافتهم وقيمهم من بين الفئات التي أصبحت لها تأثيراتها على المجتمع وتركيبه، لذا فالاجتماع بحاجة إلى أن يستفيد من خبراتها القيمية في المجال التواصلية، خاصة ممن يتواصلون مع ثقافات أخرى ويستفيدون من قيمهم، لذا يمكن أن يتخذ منهم المجتمع مصدرا هاما من مصادر التعرف على القيم العصرية التي لها دور في دفع عجلة التطور.

2-6- القيم العالمية في ظل العمولة ودعوات التواصل

تعدّ القيم العالمية قيما إنسانية لا ترتبط بحضارة أو ثقافة دون أخرى، أما القيم التي تعبر عن الخصوصية الثقافية والحضارية فإنها تبقى كذلك، ولا يمكن بأي حال فرضها على الغير بحجة أنها من إبداع الحضارة الأقوى، لهذا يجب أن تمارس فعل ضبط النفس من أجل التقليل من فرص الصدام مع الغير، وأن تدعم القيم المشتركة بينها من أجل السلام والأمن العالميين، ولتعلم أي حضارة وعلى رأسها الحضارة الغربية وكما

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 400.

² - محمد عبد الفتاح حمدي، استخدام الشباب الجزائري لوسائط الاتصال والاعلام الحديثة وانعكاساتها على قيمهم الثقافية والاجتماعية، مجلة المستقبل العربي، ع 398، 2012، ص 60.

يقرر علماء الاجتماع أن هناك انتقال من مرحلة القوة إلى الانهيار مما ينفي الديمومة والأفضلية لحضارة أو ثقافة على أخرى.¹

لقد خاطب روجيه جارودي بنظرية حوار الحضارات الغرب يدعوه إلى ضرورة التواصل الفكري والمعرفي مع الثقافات والحضارات الأخرى، كما يرى بأن هذا الحوار يجب أن يسبقه حوار بين الأفراد يبنى على التفاهم والتسامح والارتقاء بالإنسانية، وهنا يقول: "يجب فتح حوار ثنائي بين الإنسان والإنسان من أجل مذهب إنساني جديد قائم على التسامح والتعاون، وهذا طبعا لن يتحقق إلا بإسهام البشرية بأسرها"²، وبهذا يبقى التعامل مع الآخر ضرورة حتمية تحكمه قيم وأخلاق من شأنها أن تحقق التكامل البناء. فالثقافة عموما لم تكن وليدة العدم، ولم تكن نتيجة ذاتية، وإنما كانت وليدة التأثير والتأثر، وبالتالي يجب الاعتراف بالتكامل الثقافي. وفي هذا يقول جارودي: "وبهذا يقتنع الآخر بأن غيره، وثقافته جزءا من ذاته ومكملا لها".³

(3) - اللغة تعبير لثقافة المجتمع ورسم لحدود بين الثقافات

اللغة هي الناقل للثقافة ولا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن اللغة دون النظر إليها في بعدها الثقافي، وهي بدورها أحد معايير التمايز والتباين بين المجتمعات، وهو ما يتضح لنا من خلال البيانات النظرية التي حاولنا من خلالها الإحاطة بأهم جوانبها.

3-1 - تعريف اللغة وأهميتها في نقل الثقافة

تعد اللغة رموزا تعسفية متفق عليها من قبل أعضاء مجتمع ما، فعن طريقها يستطيع الفرد نقل خبرته ومهارته للآخرين، فاللغة تتطلب عدة عناصر مجتمعة، منها العقل والفكر الذي يصنف الأشياء والأفكار والعلاقات إلى مجموعات متشابهة، ثم يقوم بإضفاء الرموز الصوتية على كل مجموعة عن طريق جهاز الكلام، وهي لا تتوفر إلا عند الإنسان، وبناء على ذلك فإن اللغة تلعب دورا كبيرا في تكوين الثقافة مع

¹ - عبد الغني بوالسكك، مرجع سابق، ص 254.

² - غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، تع: عادل العوا، دار عويدات، بيروت - لبنان، دس ن، ص 133.

³ - المرجع نفسه، ص 186.

أما جزء واحد فقط فيها، ولكنها أهم هذه الأجزاء لأنه عن طريقها تنقل الثقافة من جيل إلى آخر وأيضاً من خلالها تنمو وتتطور.¹ لذا فالفرد مطالب بأن يجعل لها أهمية خاصة في منظومته الثقافية كعامل أساسي من عوامل إبراز الهوية والتعبير عنها.

تعتبر اللغة سمة ثقافية قادرة على التوحد والتفرق في نفس الوقت، وهي أهم عنصر في الثقافة طالما أنها وسيلة للاتصال ونقل التراث المكتوب أو المقروء من جيل إلى جيل. وعلى الرغم من أن الكثير من لغات العالم كانت قد ظهرت عن أصل واحد، وعلى الرغم من أن هناك قدر من التماثل في ثقافات الجماعات ذات اللغات المتقاربة إلا أن عدد لغات العالم بلغ من الكثرة ما يخلق مشكلات متنوعة للتواصل بين الناطقين بها، إضافة إلى اختلاف اللهجات والنطق والدلالات والتعبيرات الذي يمكن أن يضيف هو الآخر المزيد من صعوبات الاتصال،² مما يوجب على الفرد وحتى يذلل هذه الصعوبات أن يستعمل لغة يفهمها الآخر حتى يستطيع نقل أفكاره بكل وضوح.

كما أن اللغة أداة أساسية لتحديد هوية أي مجتمع، وقيمتها لا تكمن في بنيتها الصوتية أو أنظمتها النحوية، بقدر ما تكمن في سياقها الثقافي وامتدادها التاريخي ومرجعيتها الفكرية، أي أن اللغة ليست مجرد أداة لتبليغ الأفكار والتفاهم بين أفراد المجتمع، بل هي صورة ناطقة باسم متكلميها وأداة معبرة عن وعيهم وإرادتهم وتطلعهم الحضاري ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، كما أنها تعد المدخل الأخطر لبعثرة المجتمع والعبث بثرائه وتاريخه وذكريته وعزله عن ماضيه لصالح الثقافة الوافدة التي تعمل على بسط لغتها التي هي دليل تفوقها وهيمنتها، كون اللغة مؤشر ودليل واضح على ارتقاء الحضارة أو سقوطها.³

3-2- خصائص اللغة وكيفية تشكيلها

تقوم كل لغة على نظام واضح ومحدد من الأصوات الواضحة بحيث يسهل التمييز بين كل صوت عن الآخر، وتتكون الكلمات عن طريق الجمع بين تلك الأصوات، وتتجمع الكلمات في جمل وفق قواعد

¹ - علي عبد الرازق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2003، ص 91.

² - السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 50.

³ - عبد الحكيم أممين، الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية - أي دور لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية، - دار الإيمان، الرباط، 2017، ص 102.

محددة، وهذا النظام متوافر في كل لغة سواء كان الأمر بمجتمع بدائي أو متقدم ، وتمتلك كل لغة العدد الكافي من المفردات اللازمة لسد حاجات الأفراد، وهو ما يجعل لغات المجتمعات المتقدمة أكثر عددا في المفردات من المجتمعات البدائية، لأن هذا العدد يرتبط بالمستوى الثقافي للمجتمع، كما ويزيد عدد المفردات نتيجة لتعدد العلاقات الاجتماعية وزيادة درجة التخصص والمخترعات التي يحتاج التعبير عنها إلى مفردات جديدة، وهذا ما يجعل عدد المفردات لا يرتبط بطبيعة اللغة، وإنما أيضا بعناصر خارجية أخرى.¹ وهذا ما يؤكد الكم المعرفي الهائل الذي يتوفر بلغة دون لغة أخرى، ذلك أن من اللغات من استطاعت أن تجعل لها مكانة في سيورة العالم بفضل التطور العلمي الذي يشهده مجتمعها مما جعلها أكثر ثراء وتنوعا لمسيرة ذلك التقدم العلمي والتعبير عن كينونته ومظاهره ومفرداته الخاصة به.

3-3- التقسيم الأنثروبولوجي للغات العالم

لقد قسم الأنثروبولوجيون اللغويون والعلماء اللغات الإنسانية إلى فصائل وعائلات يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات لغوية قرابية فتتفق في أصول الكلمات و قواعد البنية وتركيب الجمل وما إلى ذلك، ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة، وتؤلف بينها مجموعة من الروابط الجغرافية و التاريخية والاجتماعية، وأشهر نظرية قامت بتقسيم اللغات على هذا الأساس هي نظرية ماكس مولر max muler التي ترجع جميع اللغات الإنسانية الى ثلاث فصائل و عائلات هي العائلة الهندية الأوروبية وهي الأكثر انتشارا حيث يتكلم بها أغلب سكان أوروبا والأمريكيتين وأستراليا وجنوب إفريقيا، والشعوب الناطقة بهذه العائلة اللغوية هي أرقى الشعوب حضارة في العصر الحاضر وأكثرها إنتاجا في مختلف فروع الحياة. ثم العائلة السامية -الحامية التي لا تشغل إلا بلاد العرب وشمال إفريقيا وجزء من شرقها، وهي تتميز عن العائلة السابقة بأن منطقتها متماسكة الأجزاء لا يتخللها أي عنصر أجنبي، كما أن الناطقين بها مجموعة شديدة التجانس تتلاقى شعوبها في أصول واحدة قريبة،

¹ - علي عبد الرازق جلي، مرجع سابق، ص 90.

وتتفق في أساليب الحياة وفتح الحضارة والنظم الاجتماعية. وأخيرا تأتي اللغات الطورانية التي هي طائفة من اللغات الآسيوية والأوروبية التي لا تدخل تحت العائلتين السابقتين كالتركية والتركمانية والماغولية والفينيقية.¹

3-4- ضعف اللغات بين الأسباب والمظاهر

تتأرجح اللغة وكما يشهد التاريخ بين البقاء والفناء، وبين القوة والضعف، والاستقرار والتهديد، تصارع من أجل الحياة، وتدفع عن نفسها عوامل الانقراض والانكماش، فتتصارع اللغات على مداخل الحضارات، ويتطور الصراع فيما بينها ليصل الأمر إلى غالب ومغلوب ومنتصر يكتسح الساحات ويسيطر على الأفئدة والعقول. والتاريخ يؤكد ذلك أين كانت هناك لغات هي سيدة شعبها ولكنها ترحلت فهي الآن إما منقرضة أو في المراتب الثانوية تن تحت لغة الغالب المنتصر،² ولا أدل على ذلك من اللغة العربية التي كانت رائدة في مجال العلم والمعرفة، لتصبح لغة غير قادرة حتى على تحقيق تواصل فعال مع الثقافات الأخرى.

كما وأكدت الأحداث أن الدول التي يتحدث أهلها لغة واحدة تكون أكثر تماسكا وانسجاما من الدول التي تتحدث بعدة لغات، بل إن وحدة اللغة من أهم عوامل الاستقرار والاقتصادي، وبالتالي هذا يطرح إشكال خطورة دخول لغة أجنبية على شعب ما، خصوصا إن كانت هذه اللغة تمنح متحدثيها ميزات اجتماعية واقتصادية.³ وهو ما يعاني منه أغلب الدول المستعمرة التي لا تزال تتجرع مرارة تغييب لغتها الأم في كثير من المواقف في سبيل إرضاء الآخر.

مما ساهم أيضا في توسيع دائرة الخوف على اللغة الأم في وقتنا الحالي التطور التكنولوجي الهائل الذي أفرز وضعاً جديداً للتواصل بين الشعوب، مما حتم على الدول تأسيس هيئات وهياكل من أجل إيجاد تدابير لحماية لغاتها من الاندثار والتلاشي،⁴ وخاصة في ظل شبكات التواصل الاجتماعي التي شكلت لنفسها لغة خاصة من الرموز تساهم في تشويه اللغات إلى حد كبير، بل حتى زعزعة مكانتها في ثقافة

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 38، 39.

² - عبد الناصر بوعلي، أين تقع اللغة العربية في الألفية الثالثة، مجلة اللغة العربية، ع 36، 2016، ص 28.

³ - المرجع نفسه، ص 35، 36.

⁴ - المرجع نفسه، ص 29.

مجتمعاتها التي باتت تبحث عن التطور والتغيير في كل شيء، دونما مراجعة لعواقب ذلك على هوية الفرد وخصوصيته.

3-5- اللغة وعلاقتها بالرموز في بعدها الثقافي:

تشكّل اللغة نسقا من العلامات، إذ بإمكان الإنسان أن يتواصل عن طريق الرسوم والصورة الفوتوغرافية أو المتحركة إلخ، ويصنف اصطلاح بيرس العلامات إلى مؤشرات وأيقونات ورموز، ويتميز المؤشر بعلاقة تتجاوز مع الموضوع الذي يحيل عليه، ولنا مثلا على ذلك في العلاقة ما بين الدخان والنار، وتغذي الأيقونة علاقة تشابه مع الموضوع، وفي هذا الإطار تدرج مثال البورتريه Portrait، أما الرمز فهو يهيم العلاقة المتواجدة ما بين شيئين، أو بشكل أدق ما بين موضوع وصورة، وتخضع هذه العلاقة للشروط السوسيوثقافية، فعلى سبيل المثال يمثل الميزان رمزا للعدالة، وتلتمس كافة الثقافات العديد من الرموز، إلا أن الرموز تتغير أحيانا تبعا للثقافات وهكذا، فإن اللون الأسود هو رمز للحداد في البلدان الغربية، بينما يفيد اللون الأبيض هذا التضمين في آسيا، وبالرغم من هذه التميزات التي تعد هامة فيما يتعلق بتحليل لساني على مستوى التواصل، سواء كانت أيقونة أو مؤشرا أو رمزا، فإننا نتحدث عن العلامة الحاملة لإرسالية أيقونة، فالبدلة الخاصة بمدرسة معينة، تعني الانتماء لمؤسسة مدرسية أو جماعة خاصة، مثلما يمكن لأسلوب الكلام أو النبوة، أن يدل على هذا الانتماء. تمثل هذه التعابير مختلف الإمكانات التي تمكن الأفراد من إرسال مؤشرات أو التعبير بشكل مباشر، ويتعلق استعمالها بالمواضعات الثقافية والتعبير بواسطة الكلام على حد سواء، وبالمقابل تبقى وسائل التعبير هذه أكثر تلقائية وأقل تصلبا من النحو بقواعده المرساة بصفة قليلة.¹

لقد أصبح الترميز أكثر تداولاً في أغلب المجتمعات، وهو يستعمل في كافة المجالات الحياتية، ويتعلق الأمر دائما بسيرورة جماعية، أي أن استعماله يتطلب المعرفة من قبل الجمهور، وإذا كان صحيحا أن بإمكان المرسل الاختيار من ضمن عدة رموز متواجدة رهن إشارته من أجل التعبير عن أحاسيسه أو انطباعاته، فلا يمكنه أن يخلق رمزا جديدا. ويتم التعبير عن الرموز بواسطة لغة من العلامات، لكن الشيء

¹ عبد الكريم غريب، التواصل والتنشيط - الأساليب والتقنيات -، ط1، منشورات عالم التربية، 2008، ص 60.

المادي الذي ترجع إليه اللغة، فهو الذي يشكل اللغة المنطوقة للرمز، وسواء تعلق الأمر بالصليب لدى الكاثوليكين أو السبحة لدى المسلمين أو نجمة داوود لدى اليهود أو الميزان كرمز للعدالة أو الأسد كرمز للقوة والشجاعة، فإننا نجد دائما شكلا ماديا يرتبط بفكرة مجردة. وبالإضافة إلى ذلك، يتم تقاسم التعبير الرمزي، إذ أن هذه الأشياء هي دائما ملك لجماعة، ومعروفة بشكل واسع لدى الجميع. يشكل هذا الإحساس الاجتماعي أو هذا الاعتقاد المشترك الأساس الرئيسي للرمز، كما أنه يتوفر على ميزة هامة قد يكون من الخطأ إغفالها وهي تتجسد في قيمته التبليغية لدى أولئك الذين لا يتمكنون بما يكفي من اللغة المكتوبة، وتتضمن الرموز في هذا المنحى قيمة ثقافية هامة داخل المجتمعات، حيث يتواجد جزء هام من الساكنة الأمية.¹ وهو ما وفرته بقوة شبكات التواصل الاجتماعي التي أتاحت تعويض اللغة المكتوبة برموز متفق عليها من طرف المستخدمين في العالم الافتراضي، فمنحوا لها شرعية لتمثل لغة الشبكات، بل إنهم منحوا لها حتى مسميات تناسب طبيعة هذا المجال.

3-6- امتيازات اللغة العربية ومكانتها في الإسلام

يعتبر هنا التنوع اللساني ضرورة حتمية نظرا لتنوع الأجناس والبيئات ومناطق الحياة ووسائل العيش والتفكير، وقد قال المولى عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾²، ولكن تحظى اللغة العربية بمكانة مميزة في الإسلام، بالنظر إلى أن وضعها خاص وفريد من نوعه إذا ما قورنت باللغات الأخرى، فقد ارتقت من وضعها كلهجة في بلاد نجد وقريش إلى أن تصبح اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وقد قال المولى عز وجل في اللغة العربية: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195)﴾³، فحفظها بذلك من التقلبات وصانها من الاندثار وطورها في الاستعمال، حيث اعتمد عليه اللغويون في استنباط القواعد التي حفظت اللغة من التحريف، وبامتداد اللغة إلى الشعوب العالمية امتدت معه لغة القرآن، أين كان لها قداسة ومكانة خاصة، حيث صار المسلمون أشد الشعوب إحساسا وافتخارا

¹ - عبد الكريم غريب، مرجع سابق، ص 61.

² - سورة الروم: الآية [22]

³ - سورة الشعراء: الآية [192-194]

بلغتهم، بل إن كثيرا من الشعائر لا تقوم إلا بها كالصلاة والحج.¹ وهذا التفضيل تختص به اللغة العربية دون غيرها من الاختلافات البشرية الأخرى، إذ أن التفضيل في الإسلام لا يكون إلا للمسلم التقى ولا اعتبار للمظاهر الأخرى.

إن ما يؤكد مكانة اللغة العربية هو التاريخ العريق الذي حظيت به ودورها الحضاري أين استطاعت أن تستوعب الثقافات والعلوم حين تجاوب أبنائها مع معطيات الزمن ومتطلباته ومتغيراته، ثم جاء على أمتنا زمن تراجعت فيه صورتها وتدنى مستوى ثقافتها ومخزونها المعرفي فتوقفت لغتها عن النمو والتطور وغزتها اللغات الأجنبية.²

في هذا السياق يجب أن ننتبه إلى أن اللغة متغيرٌ والدين مطلق ثابت، والله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³، ولم يتعهد بحفظ اللغة، وهو للأسف ما اعتقدته الأمة حيث اطمأنت إلى مستقبل اللغة العربية، وتنصلت عن مسؤولياتها في تطويرها وإحياها بركب التقدم، فعدت بذلك لغة العبادة والعواطف والخطب وابتعدت عن العلوم وتكنولوجيا العصر، لتؤكد القانون اللغوي الذي نص عليه ابن خلدون بقوله: "أن غلبة اللغة بغلبة أهلها ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولها بين الأمم"، أي أن اللغة ليست معطى جامدا نمتقها بالتراث، بل كائن حي تتفاعل مع الأحداث وتتفاعل بحال الناطقين بها،⁴ وذلك في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية...، فإن استطاعوا أن يجعلوا لهم مكانا وصوتا في كل تخصص حافظوا على لغتهم وافتخروا بها، وإن هم فشلوا في ذلك، انعكس على ثقافتهم بصفة عامة وعلى لغتهم بصفة خاصة.

3-7- اللغة العربية وإشكالاتها في العالم الافتراضي:

إن تحقيق التنمية المعلوماتية والمعرفية العربية المنشودة يتطلب الوقوف عند بعض الإشكالات اللغوية الجديدة التي أصبحت تفرض نفسها على المشهد اللغوي العربي، وذلك بسبب الانتشار الكبير والواسع

¹ - عبد الناصر بوعلي، مرجع سابق، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 37.

³ - سورة الحجر: الآية [9]

⁴ - عبد الناصر بوعلي، مرجع سابق، ص 31.

لشبكات التواصل الاجتماعي، والتي أصبحت تهدد بشكل صريح منظومتنا اللغوية والهوياتية، وتتلخص أبعاد هذه الإشكالات في ظهور ما يسمى باللغة الشبابية الجديدة على الإنترنت¹، أو ما يسمى "باللغة الإنترنتية" هذه اللغة التي هي عبارة عن تشكيل من خليط من اللغات العربية الفصحى العاميات والفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى جملة من الأرقام والرموز والرسومات واستعمال هذه اللغة يعتبره مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي أمرا طبيعيا بل منطقيا لسهولة استخدامها ووضوحها، بالإضافة إلى سرعتها وميلها إلى الاختصار عند كتابة الرسائل قصد التواصل أو للتعليق على المعلومات ولتضمنها كذلك مصطلحات خاصة ومختصرة يتداولها الشباب فيما بينهم على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية والثقافية وهو الأمر الذي تحبذه - كذلك - التكنولوجيا التواصلية الجديدة التي جعلت عملية إرسال وتلقي المعلومات أكثر سرعة وفعالية. وبذلك غابت اللغة العربية السليمة والصحيحة عن شبكات التواصل الاجتماعي إلا فيما ندر، وتحولت إلى خليط غير متجانس من الأرقام والرموز والألفاظ والعبارات المكتوبة بحروف لاتينية في أغلب الأحيان، وهكذا أصبحنا نسمع بمصطلحات مثل: "العرنسية" أو "الفرانكو أراب" و"العرنيزية" أو "الأنجلو عربية" والنتيجة أن الهوية اللغوية العربية باتت مهددة بشكل صريح وبات معها انتشار اللغة العربية الصحيحة على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي أمرا صعبا للغاية مع وجود هذا الوضع اللغوي الجديد واستحواذه على مختلف مجالات التواصل بهذه الشبكات، في مقابل إفساح المجال للترويج للغات أجنبية أخرى مثل: الإنجليزية والفرنسية¹.

إن هذا الاستخدام العصري للغة العربية في شبكات التواصل الاجتماعي لا يشكل خطرا على اللغة العربية فحسب، بل على الهوية الوطنية والقومية للفرد العربي بشكل عام، لأن آثاره انتقلت من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي، ودليلنا على ذلك الضعف الكبير الذي يعاني منه كثير من شبابنا بل حتى بعض مثقفينا على مستوى التمكن من اللغة العربية وقواعدها. ويظهر ذلك من خلال طبيعة المحادثات والكتابات التي يغيب فيها توظيف ضوابط وقواعد اللغة العربية الصحيحة لتحل محلها لغة مشوهة متنا ومعجما ونحوا وتركيبا، بل وحتى أصواتا في بعض الأحيان كما يغيب فيها التمثل السليم للأبعاد الثقافية والهوياتية للغة العربية، ويغيب بالتالي الوعي بالذات والوعي بالانتماء إلى الجماعة على اعتبار أن اللغة

¹ - حسن مالك، مرجع سابق، ص ص 34، 35.

العربية هي أساس الهوية الثقافية القومية أو كما يعتبرها محمد عابد الجابري بأنها اللغة المشتركة بين جميع أبناء الأمة العربية، وأنها الرابطة المتينة التي توحد بين مستويات الهوية في الوطن العربي، وأيضا الأداة الوحيدة التي بفضلها يمكن للعرب الدخول في العالمية وتحقيق الحداثة.¹

ثالثا- مآلات الاتصال الثقافي بين استنطاق التاريخ ومساءلة الواقع وحتمية الافتراضي

1- إشكالات العلاقة الاتصالية بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية... هل هي صدام أو حوار؟

1-1- التغيير الثقافي وتداعياته على التواصل بين الشعوب

يتجه كل تغير ثقافي جديد في عمقه إلى تحقيق نوع من التكيف وإعادة التوازن والاستقرار إلى الحياة الاجتماعية، والحقيقة الملموسة التي يمكن الوقوف عليها بالفعل هي أن الأمم والشعوب المتعددة قد تبادلت فيما بينها خلال جميع حقب التاريخ الثروات والمنافع المختلفة، وكثيرا من عناصر الثقافة ومظاهرها من حرف ومهارات مادية، وقيم ومعارف وآداب وفنون. وكان ذلك يتم في غالب الأحيان عن طريق الغزو والحروب والاستعمار، وفي أحيان أخرى عن طريق التجارة وموجات الهجرة والتبادل والتعاون وحسن الجوار. ويحق لنا النظر إلى التاريخ البشري برمته على أنه حكاية طويلة لهذا التواصل والتبادل الثقافي المتعدّد المظاهر، إما بلغة العنف والإخضاع والهيمنة، وإما بلغة العلاقات الودّية والمسالمة.²

إن التواصل الثقافي يعتبر أيضا من أحسن سبل استثمار التنوع الثقافي والحفاظ عليه وإثرائه، وكدعوة للتواصل بين الثقافات صدر عن مجموعة من الخبراء المجتمعين بدعوة من اليونسكو، لدراسة المشكلات الناشئة عن الاتصالات والعلاقات بين الحضارات في العالم، بيان جاء في ختامه ما يلي: "إن مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقات بين الثقافات، فمن هذه العلاقات بين الثقافات يجب أن ينبثق مجتمع علمي جديد قوامه التفاعل والاحترام المتبادل، وهذا المجتمع يجب أن يأخذ صورة نزعة إنسانية جديدة

¹ - حسن مالك، مرجع سابق، ص 35.

² - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 39.

يتحقق فيها الشمول بالاعتراف بقيم مشتركة تحت شعار تنوع الثقافات".¹ وليس المشكل هنا في وجود التنوع فهو واقع لا محال، ولكن المشكلة في طريقة التعامل مع هذا الواقع والتماشي مع مجرياته.

1-2- اختلاف الثقافات مسألة قديمة وطرح متجدد لتنمية الإبداع وتحقيق التواصل

إن الأنثروبولوجيا الثقافية تنظر إلى الثقافة على أنها شيء متغير ونسي، فالثقافات البشرية تختلف من إقليم لآخر تماما كما تختلف من عصر لآخر، فلكل مجتمع ثقافة متميزة خاصة به، بل إن داخل كل مجتمع ثقافات فرعية لا تتطابق تمام التطابق مع الثقافات الكلية للمجتمع، حيث نجد أن داخل كل إقليم تتميز جماعة محلية بملامح ثقافية خاصة، ولكن بالرغم من التفرع الثقافي للمجتمعات الإنسانية فهناك كثير من أوجه التشابه بين ثقافات الشعوب التي قد تعيش مسافات بعيدة بعضها عن بعض، خاصة فيما يتعلق بمبادئ الكتابة و طرق التقويم و العمارة إلخ.² والثقافة العربية الإسلامية مثال على ذلك، فهي تمثل مجتمعات إنسانية متباعدة جغرافيا لكنها تشترك في بعض العناصر الجوهرية للثقافة كالدين واللغة والقيم والمصير المشترك....، ولكنها في المقابل لا يمكن أن تتقاطع مع الثقافة الغربية بأي وجه من الوجوه.

من السهل على الباحث ذو النظرة الثقافية أن يلاحظ عند سفره أو انتقاله من بلد لآخر أن الأفراد الذين قابلهم ينظرون إلى ثقافتهم كما لو كانت أسمى من أي ثقافة أخرى، حيث يفخر الفرنسي مثلا بلغته الجميلة، ويزهو الإيطالي بموسيقاه والأمريكي بمنجزاته المادية والتكنولوجية والشرقي بحكمته القديمة ... إلخ ولذلك ليس بمستغرب علينا أن يجد الآخرون أقل ميلا للموافقة على أفكاره أو آراءه حول نمو ثقافته. وهذا ما يعرف بالتمركز حول السلالة وهو مفهوم يشير إلى ميل الفرد لتقييم الثقافات الأخرى في ضوء أو حدود ثقافته هو. والفهم المتعمق هنا للنسبية الثقافية يفيد كثيرا في التمييز بين الثقافة المثالية للمجتمع، وهي تلك الثقافة التي يعبر عنها في حدود مشاعر عامة ومجردة، وبين الثقافة الواقعية وهي أنماط السلوك وأشكال التنظيم التي يعبر عنها بطريقة فعلية واقعية خلال النشاط اليومي للأفراد.³ فالواقع لا

¹ - أحمد بن عبد العزيز الحليبي، مرجع سابق، ص ص 23، 24.

² - علي عبد الرزاق جبلي وآخرون، مرجع سابق، ص 113.

³ - المرجع نفسه، مرجع سابق، ص 177.

يعكس حقيقة الثقافة بقدر ما يعبر عن سلوكيات قد تحسن أو لا تحسن تمثيل الثقافة ولكنها تعتبر معيارا للحكم عليها.

كذلك أدرك (R.kipling) الاختلافات في أنساق الثقافة الكلية في الشرق و الغرب عندما قال: "أن الشرق هو الشرق و الغرب هو الغرب و لا يمكن للإثنين أن يلتقيا " ، وقد ترجع هذه الاختلافات إلى تفاوت التطور التاريخي أو إلى العزلة الجغرافية أو للعناصر المفاجئة للزمان و المكان، ولا يمكننا أن نحدد أي منها يعد السبب المباشر في إحداث هذه التنوعات الثقافية".¹

يشير سمنر (Sumner) إلى هذه الظاهرة بقوله أنه من الملاحظ في أي مكان من العالم أن ثمة هناك اتجاه لتقسيم العالم إلى مقولتين "نحن" و "هم" أي الغير وإلى رفض ثقافة الغير لما تحتوي عليه من طرق للفكر والسلوك قد تكون غير مقبولة لدى الأنا. كما ترى روث بندكت (Buth Benedict) في كتابها المشهور "أنماط الثقافة" أن الأفراد في المجتمعات الغربية متعصبون لسلالتهم بالدرجة التي لا يتقبلون فيها ومن الناحية العملية أي ثقافة أخرى لا غريبة. لكن الحقيقة تقول بأن هناك نسبة ثقافية بمعنى أنه لا يوجد حق مطلق أو باطل مطلق، وأن الأحكام الأخلاقية هي في الحقيقة أمور نسبية تختلف باختلاف المستويات الثقافية.²

عموما فذلك التنوع ومن خلال تجسيده لفسيفساء الهويات المتعددة المتسمة بالحوية والتنوع، يصبح في حد ذاته المبدأ الذي يثري الإبداع الممتدة آفاقه إلى مالا نهاية، وكل شكل من أشكال الإبداع يمثل مكانا للقاء ويفتح آفاقا جديدة ويوسع مجالات الحرية والخيارات المتاحة لنا من خلال إقامة صلوات متينة بين المناطق وبين الأفراد وبين الأجيال، فيتمخض عنه بالتالي نداء للحوار ويصبح بوتقة للقاءات جديدة وابتكارات مبدعة. ولأن الثقافة عملية متطورة فهي تجدد باستمرار تراث الكفاءات والمعارف والحكمة الذي تتناقلها الأجيال، وتبتكر أشكالاً جديدة من التعبير عبر الزمان والمكان معبرة بذلك عن تنوع لا نهاية له.³ وهذا التنوع والإبداع يثريه أكثر ذلك التفاعل القائم على الأخذ والعطاء بتواضع، المبني على

¹ - علي عبد الرازق جبلي وآخرون، مرجع سابق، ص 131.

² - المرجع نفسه، ص 187.

³ - محمد بن عبد الله العبري، تشجيعاً للحوار الثقافي بين الأمم والشعوب، مجلة تواصل، عمان، ع 7، 2007، ص 18.

احترام الرأي الآخر والاستفادة منه، بل وقبل ذلك يجب يصبح هذا التصور قناعة راسخة لدى كل ثقافة مهما كان تطورها في المجالات الأخرى.

رغم أهمية ضرورة الحفاظ على تلك الاختلافات وتغذيتها إلا هناك موقف آخر على المستوى الدولي، فرغبة الدولة الوطنية المركزية وحاجتها إلى تشكيل قوة مبنية على الوحدة والسيادة جعلها تسعى لتذويب الخصوصيات لتثبيت سلطتها وقوتها وسيطرتها على المجتمع من أجل إشاعة منظومتها الإيديولوجية، مما يجعل كل محاولة لإعادة الاعتبار للتنوع يعتبر تهديدا لسلطة الدولة وتفكيكا لإيديولوجيتها المهيمنة، فالدولة المتمركزة بحاجة إلى إجماع هوياتي ثقافي ولغوي لتثبيت سيطرتها، مما يجعل التنوع الثقافي واقعا غير طبيعي بالنسبة للدولة وعامل تهديد للوحدة الوطنية.¹ فتراها تسعى جاهدة لطمس ذلك التنوع سواء كان ذلك بأساليب مباشرة أو غير مباشرة، محاولة بذلك التقليل من أثاره التي تخلق لها مسائل شائكة حول الأنا والآخر وموقع الآخر وحقوقه بالنسبة للأنا.

من هنا وفي ظل هذه السياسة التي تسعى لتذويب عناصر الاختلاف يتولد لدى أفراد المجتمع الشعور بخطر الانحياز من جهة، في مقابل وعي متزايد بالخصوصية الثقافية وضرورة البحث عن الهوية الذاتية من جهة أخرى، مما يولد الخوف من خطر الاختراق من الآخر، والرغبة في التحصين والممانعة ضد الثقافات المغايرة التي تفقد من منظور الوعي المذكور طابعها الإنساني وتبدو كآلية هيمنة في يد السلطة.

كما أنه في كثير من المواقف تتحول الثقافة إلى آلية تخضع لاختيارات السلطة وحاجاتها، مما ينتج عنه عمليات انتقاء وتحويل وتأويل لبنيات الثقافة ومضامينها قد تغير كلياً الوجود الثقافي، بخلق تراتبيات جديدة وعلاقات وروابط مصطنعة بين العناصر الثقافية قد يجعل من ثقافة ما الثقافة الأكثر هيمنة وانتشاراً. وتدفع بأخرى إلى الهوامش المنسية.²

¹ - أحمد عصيد، مرجع سابق، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 10.

1-3 العلاقة الاتصالية بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية على ضوء الاختلاف الثقافي:

لا يطرح الفكر العربي جدلية العلاقة بين الأنا والآخر الأوروبي إلا إذا أحس بخطر يهدد ذاته وهويته وقيمه وأتساقه التي كانت في يوم ما تمثل مصدر قوتها ومنبع فائدة لغيرها، إن الفكر العربي اليوم يعاني أزمة على جميع المستويات الداخلية والخارجية يشهد لها الواقع. ومن أهم ما يثير قلقه على المستوى الخارجي كيفية رسم وبناء العلاقة مع الآخر الغربي الذي كان ولا يزال حاضرا على الساحة العالمية وعلى قاموس الفكر العربي. يمكن القول أن العلاقة بين العربي والآخر تدل على أن العربي لا يفكر في مستقبله إلا من منطلق الآلية الدفاعية التي يتحرك بها حركة نكوصية من نوع الارتداد إلى الذات، مما قد يشعره بعجز الأنا عن مواجهة تحدياتها ويدفعها إلى أن تستحضر بدائل تلوذ إليها وتتهم أنها تهميها أو تصونها مما يهددها من الخطر الخارجي، وهذا الإسقاط هو الذي ينفي الحضور الفاعل لها.¹ ولعل الواقع الاقتصادي للعالم العربي كان له الأثر الأكبر في ترسيخ هذا الشعور بالنقص، إذ يجعله دائما في كفة الأضعف مهما قويت ثقافته وازدهرت، لأن المعايير هنا تخضع لعامل القوة لا عامل الموضوعية.

تكمن الفوارق الأساسية بين العربي (الذات) وبين الأوروبي (الآخر) كون هذا الآخر مشروع مرتكز على الاقتصاد وقيم المصالح الأساسية، أما العربي فهو مشروع مؤسس على وحدة اللغة والثقافة، فهو ليس وجودا جامدا أو هوية ثابتة، إنه مشروع يتشكل ويسير باستمرار، وبالتالي على العربي أن يكون نزوعيا نحو تحقيق الوحدة الثقافية العربية متمسكا بهويته التي تمكنه من رد الفعل ضد الآخر، وحالما إلى تأكيد الأنا أو الذات بصورة أقوى.²

رغم اعتراف أوروبا بتأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية، إلا أنه ساد اتجاه نحو طمس هذه الحقيقة التاريخية أو التقليل من شأنها، مما جعلهم يؤكدون عجز العرب عن الابتكار والإبداع والمساهمة في ركب الحضارة، الأمر الذي يجعل من التغريب أمرا ضروريا لمواكبة تطورات العصر الحديث، وهذه النظرة

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 386.

² - المرجع نفسه، ص 406.

ليست حكرا على الغربي فقط، بل إن من العرب أنفسهم ومن مثقفهم من يرى في الحياة الغربية مثلا يحتذى به، في مقابل اعتبارهم التراث عبئا ثقيلا يجب نسيانه أو تناسيه أو تغييره.¹

1-4- تحديات الثقافة العربية في تفعيل العلاقة الاتصالية مع الثقافة الغربية

معروف أنه قد مرّ حتى اليوم ما يقارب عشرين عاما على الظهور الإعلامي الأول لأطروحة "صدام الحضارات وحرب الثقافات"، وغير خاف تماما أن هذا الظهور الصاحب قد تمّ في سياقات ظرفية دولية خاصة، أقل ما يمكن قوله عنها اليوم، إنها كانت متأزمة بالفعل. وهذه مناسبة للاعتراف بالنجاح الكبير الذي حققه صاحبها المفكر الأميركي صمويل هنتنغتون (1927 - 2008)، في الدفع بها دعائيا إلى أن غدت خلال زمن وجيز، محورا لنقاش متعدد الأصوات والتوجهات، في مجال العلاقات الدولية وفضاء الفكر العالمي المعاصر.²

إن اعتداد ثقافة بذاتها وقيمتها ليس وحده كافيا للاعتراف لها بذلك، فهل للثقافة العربية قيمة تبادلية في سوق الثقافات؟ للأسف موضعها الحالي ليس كذلك. فهي تحتاج الى شرطين : الأول أن تسندها قوة سياسية أو اقتصادية ، والثاني أن تكون ثقافة حديثة وليس تغريبية، أن تصاغ بمنطق العصر، وأن تتخذ موقع الندية قياسا إلى الثقافات المتقدمة المعاصرة، و ذلك حتى يكون الحوار و التفاعل معها ممكنين ، وهنا الحوار ليس غاية في ذاته وإنما سعي لإمكانية التوافق حول قيم مشتركة دونما انغلاق على الذات باسم خصوصية مكنتية بذاتها، وهذا حال الأصوليين الذين يحتزلون كل الحضارة العربية الاسلامية في الدين، واليوم تظهر أصولية أخرى عربية هذه المرة تنفي إمكانية أي حوار لأنه يفرض على الغير قيم الثقافة الغربية المتمثلة في الفردانية والحرية وسيادة القانون والمساواة أمامه، والنظام التمثيلي القائم على الاقتراع الفردي، وفصل السلطات والحريات الشخصية والعامّة، وكل هذه القيم تمثل الحداثة القائمة على اقتصاد السوق، والديمقراطية الليبرالية³، وهي قيم لا تتوافق في أكثرها مع الثقافة العربية، مما يعني أن الأخذ بها والاستفادة منها يحتاج إلى تنقيح ومراجعة حتى لا نقع في المحذور والمخالف لثقافتنا وقيمها.

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 397، 398.

² - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 56.

³ - علي أومليل، مرجع سابق، ص 75-77.

أمام أي ثقافة غير غربية مصيران: "إما أن تتحول الى ثقافة محلية تخص قومها، والذين حتى لو اعتدوا بها فإن هذا الاعتداد لا يجنبها الانعزال والمحلية، وإما أن تكسب رهان التحديث فتسلك طريقها الخاص إلى الحداثة، والتي تعني أن تكتسب قيمة تبادلية في سوق الثقافات المتقدمة في عالم اليوم"،¹ وهذا يلزمه شروط ومعايير لتتمكن من حفظ هويتها من الذوبان والانصهار.

إن معالجة إشكالية العلاقة مع الغرب، والتعامل الحكيم الذي يجنب مهاوي الارتباك والارتجال وكذلك الفعل ورد الفعل يحتاج أولاً من المجتمع العربي البدء بنفسه أي ذاته، بحكم أنهم المتضررين من هذه المعادلة منذ بداية طرحها في الوعي العربي، خاصة وأن الطرف الأقوى ليس لديه ما يبرر هذه المراجعة لا نفسياً ولا عقلياً بل إن مصلحته تكمن في خللها حتى يبقى صاحب السلطة والكلمة، وعليه يجب على العرب تحرير أنفسهم من صورة الغرب التي رسمها عنهم، والتي تحتاج لمقاومة طويلة فردية وجماعية نظراً وعمقها حتى يصلوا لوعي متزن يستلهم العمق الثقافي والتاريخي والزمني للذات العربية بهدف ردها إلى خيرها التاريخي وفضائله الثقافية وبالتالي إعادة بناء الثقة بنفسها والتماشي مع متغيرات العصر.²

إننا نقف اليوم عاجزين، وفي أحسن الأحوال مدافعين عن مقوماتنا الثقافية من جراء هيمنة الحضارة الغربية عليها وهي بذلك تدفعنا في محاولة مطلقة للتمسك بقيمتنا وعاداتنا وتقاليدنا حتى لو كانت تتعارض مع راهنية المجتمع، لأننا لم نستطع خلق بديل لا هو شبيه بالنموذج الغربي ولا هو مثل لما عاشه الأولون في فجر الإسلام، فليس كل استيراد من أي جهة كانت صالح بالضرورة لنا. وهو نفس الوضع الذي تعيشه أوروبا اليوم - مع فرق بسيط - اتجاه ما تشعر به من قبل الثقافة الأمريكية التي طغت عليها بقوة من خلال انتشار اللغة ونوع الأطعمة وأسلوب حياتها، والأفلام الموجهة نحو السياسة والجريمة والجنس وكل ما يهدد موازين القيم والأخلاق عموماً، فما نعانيه اليوم من اختلال لهذه القيم، يرجع بالأساس لاستيرادنا لهذه الثقافة من دون تحفظ لأن ثقافتنا هي نحن، وقيمنا الاجتماعية والأخلاقية والدينية هي من صنع مجتمعنا وتاريخنا، وليس غيرنا من ينوب عنا في ذلك، لأن الأحاسيس والشعور لا تقبل فيهما النياحة، وهنا

¹ - علي أواميل، مرجع سابق، ص 84.

² - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 424.

تجدد الإشادة بالنموذج الآسيوي الذي نجح في المزج بين مقوماته الثقافية والحضارية، وبين ضرورة الانفتاح المدروس كخيار استراتيجي لا محيد عنه.¹

رغم أننا في حاجة ماسة في هذا العصر -الذي تحتاح فيه رياح العولمة شرقه وغربه- إلى الحفاظ على هويتنا الثقافية والقومية والحضارية، إلا أننا ينبغي أن نتواصل مع العالم ومع التقدم العلمي المذهل في كافة المجالات، على أن نستغل الفرصة لنقدم ما لدينا من حجج عقلية وأدلة منطقية يمكن أن نقنع بها العالم، لذا يجب أن نكون حاضرين في المستقبل غير غائبين عن الواقع حتى نستطيع تقدير الأمور من موقع الثبوت للهوية الثقافية والثوابت التي لا خلاف عليها بالاتصال والتفاعل مع الآخرين، وانتقاء ما يساعد على انجاز نهضتنا الثقافية والحضارية، والأخذ بأدوات العصر وأساليب تطوير الإبداع الحضاري، لكن مع الحرص والحذر من ضروب الهيمنة والذوبان وابتلاع الشخصية الثقافية للأمة العربية والإسلامية.²

إننا وفي هذا العصر يجب أن نلحق بركب التغيير ونفعل عملية التواصل مع الآخر من موقع القوة لا الضعف، ولكن هذا لن يتأتى لنا إلا مع تغيير موقعنا الحضاري على خريطة العالم، إذ أننا نملك من المقومات الثقافية ما لا تملكه الكثير من الأمم وذلك بحكم مصدرها الأساسي الذي هو الإسلام، إذ يمكننا إذا ما أخذنا منه المرجع الرئيسي في تواصلنا، واستعملنا الطريقة المناسبة لإقناع الآخر بأفكارنا فإننا سنتمكن من تحقيق الهدفين معا الحفاظ على الهوية من جهة، والاستفادة من التواصل من جهة أخرى، ورغم ذلك فإن واقعنا السياسي والاقتصادي سيؤثر سلبا لا محالة على هذه العملية، لذا يجب البحث عن حلول ناجعة في أقرب وقت تسمح لنا بالتموقع في المكان المناسب.

1-5- أهمية الحوار في إثراء التنوع الثقافي العربي الإسلامي والغربي:

يقصد بحوار الثقافات تجسيد تلك التفاعلات والمشاورات القائمة باستمرار بين الشعوب من خلال التكيّف مع الأفكار المختلفة والقدرة على التعامل مع جميع الآراء الثقافية الأخرى الدينية والسياسية من دون تعصب، على اعتبار أن الحقيقة ليست حكرا على أحد أو جهة أو حضارة خاصة في زمن العولمة

¹ - إدريس بوعباني، مرجع سابق، ص 33.

² - جمال عبد الحى عمر النجار، مرجع سابق، ص 333

التي ضيقت علينا الخناق جميعاً، فلم يبق لنا إلا منفذ وحيد للعيش بسلام هو مستقبل مشترك، إذا ما استعرضنا الخيارات الممكنة بناء على التشخيص الموضوعي، نجدها لا تخرج عن دعوات للصراع والصدام التي نظر إليها عدة مفكرين، أمثال صامويل هينتنغتون وفرانسوا فوكوياما وهي دعوات تتجه نحو تأجيج المزيد من الصراع والصراع المضاد، وما يترتب عن ذلك من شرعنة لخرق حقوق الإنسان. ولذلك تعالت أصوات مضادة لهذه الطروحات من كلا الطرفين، للبحث عن بدائل أخرى ممكنة من شأنها أن تتجاوز الصراع نحو الرهان على حوار الثقافات كخيار استراتيجي، ومدخل عام لحوار الحضارات، انطلاقاً من أسس دقيقة وصياغة إجرائية من خلال الإيمان بالتنوع الثقافي في جميع الميادين التي تمه البشرية.¹

لا يمكن للتنوع الثقافي أن يكون بديلاً عن كل المشاكل المفترض وقوعها، بقدر ما تكمن أهميته في اعتماد المنهجية السلمية لتدبير الاختلاف والأزمات بأقل الخسائر الممكنة، وفق احترام اختيارات كل فرد والانخراط في عدة أنظمة مرجعية ثقافية مختلفة، فلا أحد محكوم عليه أن يظل حبيس جماعة أو نظام أو تصور معين على العكس من ذلك، لكل فرد الحق في التخلي عن خيارات الماضي وتبني خيارات جديدة ما دامت تتوافق مع القيم الكونية لحقوق الإنسان والديمقراطية وسيادة القانون، إن الاستعداد النفسي الذي هو أساس كل انفتاح يعد عنصراً حاسماً ضمن التفاعل الثقافي المتعدد وقاعدة عريضة للتعايش ما بين الأفراد والجماعات والدول التي لها كامل الحرية في ممارسة ثقافات من اختيارها بشرط احترام الآخر.²

إن طرح مبدأ التعايش الثقافي كمبدأ ديمقراطي هو طرح المساواة بين الثقافات، إنه حالة أكثر تواضعاً من حالة القائل بالعالمية الذي يزعم أنه يبدي اهتماماً متساوياً بكافة الثقافات، في حين أنه في الواقع بعيد عن ذلك. فالتعايش يلتزم على الأقل باحترام كافة الثقافات دون أن يكون بالضرورة مجبراً على الاهتمام بها كلها، وهذا التصور بقي فاعلاً على الصعيد العالمي، فهو يقدم بديلاً سياسياً للمشروع التقني في مجتمع المعلومة".³

¹ - إدريس بوعباني، مرجع سابق ص ص 78، 79.

² - المرجع نفسه، ص ص 79، 80.

³ - كاترين آلبيرن، وجان كلود روانو بوربالان، الهوية والهويات "الفرد - الزمرة - المجتمع"، تر: إياس حسن، (جزء من الكتاب: في سبيل تعايش ثقافي مقابلة مع دزمينيك وولتون)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق 2010، ص 417.

لعل إغفال حقيقة الحوار أو إنكارها هو الذي يمهّد لثقافة التطرف والتعصب اللذان ينميان التصور الأحادي ويبالغان في تركيزه، ويولدان الضيق بالاختلاف والتنوع، و يتفننان في إصاق الأوصاف التحقيرية لكل نزعة اختلافية، فالبحث في ماهية التطرف يفضي بنا إلى الوقوف على رؤية قوامها إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا والنحن كقيمة تستحق الحياة والتقدير ، لذلك فهي لا ترى له من حق إلا النفي، إما باستتباعه أو تصفيته ، فالآخر أو المغاير أو المختلف في منطق ثقافة الإدانة هو مصدر الشرور والآثام الذي ينبغي استتصاله، لأن تمايزه عنا يعتبر تمايزا مطلقا في حين أنه في الأصل تمايز نسبي.¹

1-6- شروط الحوار لإنجاح الاتصال بين الثقافات :

لكي ينجح حوار الثقافات لا بد أن يتم بين منظمات المجتمع المدني في الجامعات وفي النوادي الفكرية ومراكز الأبحاث، وليس بين المنظمات الحكومية فقط، بين الناس كافة في المستوى الذي يملكه الناس من مفردات الحوار، من المواقع التي مثلت الحضارة قاعدة لها وعمقا وامتدادا لحركتها ومفاهيمها ولعلاقاتها.² إنه لا بد من امتلاك فهم دقيق لدينامية التحولات الشاملة المتسارعة ونهج صيرورتها وطبيعة محدداتها والعوامل الفاعلة فيها وما يصح وما لا يصح أن يكون موضوعا للحوار، وذلك حتى تأتي مواقفنا حكيمة من حيث كونها هادفة، تعكس حالة استيعاب منهجية للواقع ولمكان المصلحة الحقيقية فيما يتعلق بغايات تكيف هذا الواقع والتكيف معه، وحيث لا نبدو كأننا في صراع محبط مع حقائق الواقع ذاتها، وفي حالة تناقض موضوعي مع مقتضيات المواكبة الحضارية، التي أصبحت أهم محددات مصيرنا.³ من الواضح أن ترسيخ الاختيار الديمقراطي يؤدي منطقيا إلى حماية التنوع الثقافي وما يرتبط به من قيم الاعتراف بالآخر والتعايش والتسامح والحوار والانتقال بالهويات من حالة التكلُّس إلى حالة الانفتاح

¹ - محمد زرمان، ثقافة الحوار في مرجعيتنا الدينية والفكرية، من مؤتمّر: الحوار مع الذات أوراق المؤتمر العلمي الثامن لكلية الآداب والفنون 28 - 30 تموز (يوليو) 2004. ص132.

² - عبد الملك منصور، مكانة الحوار الثقافي ودوره في بناء الحضارة المشتركة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الحوار الثقافي العربي الإيبيروأمركي -الاسهامات المشتركة والتأثير المتبادل-، تونس، 2003، ص 47.

³ - المرجع نفسه، ص38

والتجدد إنها سيرورة تاريخية تنبثق من التحول الديمقراطي الداخلي الذي لا يمكن أن يفرضه أحد من الخارج بإملاء شروطه ونموذجه.¹

يندرج في إطار هذه الفلسفة التواصلية الحديث عن الحوار مع الآخر المختلف، وطبعاً فإن الكلام عن الحوار ليس هو الحوار نفسه، الكلام عن الحوار يعني بالأساس التنظير الفلسفي من جهة أولى، وتوصيف شروطه وقواعده من جهة ثانية، وصياغة سلم من القيم التي تؤطرها أخلاقية ما من جهة ثالثة. حتى الكلام عن الأخلاقية (Ethique) لا يعني حصر القيم التي تخضع لها السلوكات والممارسات وهو المقصود بالأخلاق الفردية أو الجماعية (Morite)، لا بأس هنا من الإشارة إلى التمييز الذي أقامه بول ريكور بين الأخلاقية والأخلاق، فمن وجهة نظره الأخلاقية هي المقاصد المثلى التي تتطلع إليها حياة مكتملة، في حين تعني الأخلاق التمهيد الذي تتجلى به المقاصد المثلى من قيم ومعايير تتميز في نفس الآن بأنها ماثلة أمام إدراك الشخص، وتتسم بمفعول الأمر الإدراكي.²

إن ما يمكن أيضاً أن يمنح عملية المتأقفة الواعية والمفتوحة حظوظاً كبيرة للنجاح، هو إعمال مبدأ التسامح وتفعيله باعتباره قيمة أخلاقية وقانونية عالمية، قوامها احترام المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان والإقرار بالحريات الأساسية للآخرين، وبحقوق الاختلاف والتنوع الثقافي. فمن شأن ذلك أن يساهم فعلاً في تهيئة أجواء معنوية وفكرية ملائمة، تشجع على قبول مراجعة الآراء والمواقف القبلية المتخذة إزاء الغير وثقافته، كما تحث على ممارسة النقد والنقد الذاتي، سعياً إلى تحسين المعرفة بثقافة الطرف الآخر بقدر الإمكان، وتفهم مرجعياتها القيمية ومراكز اهتماماتها وانشغالاتها؛ وبالتالي إلى إعادة النظر في الأحكام المسبقة المتبناة سلفاً بشأنها، والاجتهاد من أجل إصلاح معالم الصورة الناقصة المكونة عنها قبلها.³

كذلك من الصعب أن تتوافر مقومات نجاح الحوار بين الثقافات، إذا كانت مكانة المتحاورين غير متكافئة، وإذا لم يتم الإقرار الصريح بالإنسانية المشتركة والمتساوية بالنسبة إلى المنتمين إلى جميع الثقافات البشرية، وبصفة خاصة إذا ظل كل طرف من الأطراف المتحاوره مصراً على أن رأيه هو السلطة المطلقة، وأنه النموذج الكامل الذي يجب أن يحتذى، وأن الطرف الثاني مغلوب على أمره، وأن الإنصات إليه هو

¹ - محمد مصطفى القباج، المتقف العربي والتنوع الثقافي - رؤية مستقبلية-، مجلة آفاق، ع 75، المغرب، 2007، ص 139.

² - المرجع نفسه، ص 141.

³ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص ص 116، 117.

من باب المجاملة فقط، وفي نهاية المطاف، إذا استمرّ كل طرف في تشبته بأحكامه القيمية المسبقة والمتعلقة بالطرف الآخر، وفي الوثوق بأن الأفكار المغايرة لمنظومته المرجعية، هي بالضرورة أفكار متخلفة وخاطئة.¹ من الشروط الهامة أيضا في تحقيق حوار فعال الشفافية التي تدل على الرقي الذوقي اتجاه استيعاب الآخر، وتدل على حسن النية الذي يفترض الاعتبار والتقدير للجميع دون تفرقة، وهذه القاعدة كانت السبب في تكوين مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية مختلف الأعراق والأديان واللغات، ولذا فإن الشفافية وسيلة مهمة لتحقيق التفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيات، وعندما تنعدم الشفافية أو تنحرف ممارستها تصبح النتائج لا منطقية، وكلما حدث ذلك كلما فُتح المجال أمام حدوث غير المتوقع الذي تملأه المفاجآت.²

(2) - شبكات التواصل الاجتماعي نقلة نوعية للتواصل بين الثقافات في العالم الافتراضي

2-1 - الإطار التاريخي لظهور شبكات التواصل الاجتماعي:

الويب 2.0 أو الويب الاجتماعي social web برز في بداية عام 2000 حيث اهتم بالجمهور بصفة أساسية عبر ابتكار أدوات تكنولوجية تدعم وتسمح بالتواصل بين المستخدمين في فضاء الأنترنت، إذ شبه بالحديقة المشتركة التي أتاحت للجميع فرصا اتصالية متساوية، حيث أتاح تبادل جميع المحتويات بين المستخدمين بكل أشكالها المسموعة والمرئية والمقروءة، وسمح لهم بإنشاء صفحاتهم الخاصة والتشارك مع الآخرين في المحتوى والتعليق على المنشورات وإبداع المضامين وتغييرها بما يتوافق مع اهتماماتهم و رغبتهم، وبعيدا عن أسوار الرقابة المختلفة، فانتشرت مواقع التواصل الاجتماعي وامكانية البث الإلكتروني والتدوين وكذلك مشاركة الأخبار والصور والفيديوهات.³

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 117.

² - عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص 52.

³ - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 43، 44.

3-2- الإشباعات النفسية والاجتماعية للمستخدم في فضاء الشبكات الاجتماعية:

تشير مواقع التواصل الاجتماعي إلى حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية، لا سيما فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية "individuality" والتخصيص "costomization"، وتأتيان بميزة رئيسية هي التفاعلية، وإذا كان الإعلام الجماهيري هو وسم لإعلام القرن 20، فإن الإعلام الشخصي والفردى هو إعلام القرن الجديد. وهو ما أنتج تغيير انقلايى للنموذج الاتصال الموروث بما يسمح للفرد العادي إىصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد بطريقة واسعة الاتجاهات وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصال التقليدى، فضلا عن تبنى هذه المواقع تطبيقات الواقع الافتراضي وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص، وتجاوزة الدولة الوطنية والحدود الدولية.¹

كذلك ترتبط الإشباعات المتحققة بدوافع استخدام الشبكات، حيث تساعد المستخدمين على تقديم ذاتهم "Self presentation" بطريقة تؤثر في إدراك الآخرين لهم، كما تعكس التقدير الجماعي للذات "Collectiver self stem" الذي يحمله الفرد لذاته بناء على تقدير الآخرين له داخل المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها في الفضاء الإلكتروني.

كما أتاحت للفرد حرية التعبير عن مشاعره دون خوف أو خجل خاصة من خلال التدوين المكتوب أو المرئي للقضاء على ما يسمى بالتخوف الاتصالي Communication Apprihenssion ، وهو نوع من القلق والتوتر المصاحب للاتصال المنطوق، كما أن ذلك يولد لدى الفرد الاحساس بأنه مشهور ومحبوب ومفهوم من المجتمع أثناء التفاعلات الاجتماعية الإلكترونية بين المستخدمين.²

ومما يجعل الفرد أيضا في متابعة دائمة لحساباته الشخصية على موقع الفاييس بوك تنمية القيمة الذاتية Self worth والحفاظ عليها، ثم تعزيز مفهوم الاندماج لدى الأفراد مع الأقارب والأصدقاء والغرباء من مختلف الجهات الذين لهم نفس الاهتمامات والمصالح.³

1- إبراهيم جابر السيد، مرجع سابق، ص ص 44 ، 45.

2- ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 53.

3- المرجع نفسه، ص 47.

كما دعم هذا الويب من هوية ومواطنة الأفراد على المستويين السياسي والاجتماعي، حيث سمح لهم بفرص متساوية من إبداء الرأي وإضافة محتويات والتعليق عليها، وتقديم الذات وفقا لاحتياج المستخدم ورؤيته للمعلومات التي يرغب في عرضها عن نفسه، وقد اجتذب هذا الشكل الجديد من التفاعل الكثير من الأفراد بغض النظر عن موقعهم الجغرافي أو خلفياتهم اللغوية أو الثقافية أو الدينية.¹

2-3- الافرازات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي على نفسية الفرد وعلاقاته الواقعية

إن العالم الافتراضي الجديد اليوم يمثل للكثيرين الملاذ الآمن للإشباع غير المتناهي، بعيدا عن رقابة الضوابط والقيم والنواميس المجتمعية، وهو ما يجعل الانسان يرتد عن طبعه، فتبرز الفردانية والذاتية عند الناس، وتتلاشى المواثيق الاجتماعية تباعا، لتحل محلها علاقات قائمة على أساس المصلحة الحينية لفعية.² بعد أن كانت سابقا توجهها المحبة وحب الخير للجميع، كما تحررت من قيود المجتمع بعد أن تسير بموجبه. لقد أدى هذا الواقع إلى خلق روابط اجتماعية جديدة موسومة بالافتراضي، تتعايش بشكل ورمي مع المنظومة الثقافية المحلية، فتولد نسقا ثقافيا متوترا، يتأرجح بين الانغماس في المحلي بأصالته والانكماش عليه، أو الانفتاح على واقع فوق الواقع، خارق للواقع مشحون بثقافة هجينة خارجة عن سياقها.³

2-4- شبكات التواصل الاجتماعي من الفردانية إلى المشاركة

إن الحقيقة المؤكدة هي أن معظم استخدامات شبكة الإنترنت إنما هي استخدامات شخصية، ويشمل الاستخدام الشخصي للإنترنت مناقشة الأمور الشخصية، وتبادل الخبرات الذاتية. وبنفس الشكل، تستخدم الأقليات الثقافية العرقية الإنترنت للاتصال بالآخرين إما داخل حدود نفس الدولة أو الخارج حدودها. وفي حين لا تشكل طرح آراء شخص لشخص آخر اية أهمية من الناحية السياسية للمجتمع، إلا أن مشاركة الخبرات الشخصية التي تتعلق بالتنوع الثقافي لدى شخص آخر ربما تعد ذات أهمية كبيرة من الناحية السياسية لسببين أولهما: أن ذلك يساعد الآخرين على إمكانية وضع أنفسهم مكان هذا الفرد

¹ - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 57.

² - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 157.

³ - المرجع نفسه، ص 158.

أو ذاك، وبذلك يصلون إلى الفهم الصحيح، وثانياً لأن ذلك يذيب الحدود بين المجالات العامة والشخصية التي تتسم بالنتائج السياسية.¹

وترتبط ثقافة المشاركة عموماً بمفهوم التكنو ثقافية Technocultural والذي يعني قيام وسائل الإعلام الجديدة بأدوار ثقافية تتمثل في مشاركات المستخدمين على شبكة الأنترنت.² فمن خلال تبادل المعلومات والآراء والخبرات الشخصية يستطيع الناس تأمل القضايا التي يواجهونها في البيئة المتعددة ثقافياً. علاوة على ذلك، فإن المشاركة الشبكية لتلك الخبرات الشخصية في البيئة المتعددة ثقافياً تعمل على مد جسر بين مجال الخبرة الشخصي والمجال العام حيث يمكن التعبير عن المساواة والعدالة الاجتماعية. بهذه الطريقة يعاد رسم الخطوط التي تفصل بين ما هو شخصي وخاصة بين ما هو عام وسياسي خلال البيئة الشبكية.³

بالرغم من أن هذا الفضاء الشبكي جعل كل منا متمحوراً على ذاته ومواقفه الخاصة التي تسعفه بما لا يهم غيره، منغمساً فيها ومكتفياً بما تقدمه له من وجاهات جاهزة، منتظراً فرصة تتيح له الإطلالة على الآخرين بما كان به متوحداً، ومنعزلاً به عن غيره، مما يكرس الفردانية إلا أنه أتاح إمكانيات أكبر لمساحات كبرى لما نسميه «ثقافة المشاركة»، أين صار كل المسجلين في لائحة اتصالاتنا عبر مختلف مواقع هذه الشبكة يمدوننا برسائل نصية أو صور وفيديوهات تعميماً للفائدة، أو جلباً لابتسامة، أو إبلاغ تحية. ولما كان المنخرطون فرادى وجماعات يظل ما يتواصل به متنوعاً بتعدد الهواجس والاهتمامات، وبذلك صارت هذه الوسائط تركز الإشارك والمشاركة بصورة لم تتشكل في أي زمن سابق، حتى بات كل منا منغمساً في قلب تبادل الأخبار والمعلومات والقرارات رغم أنفه، ولا يجد نفسه أحياناً إلا أمام ضرورة إشارك الآخرين، أو بعضهم في ما يتوصل به. ويبدو ذلك واضحاً في اللغة التي باتت سائدة من خلال صيغ دالة على المشاركة: (بارطاجي، لا تجعله يقف عندك، لا يفوتك أجرها بتذكير غيرك، الدال على الخير كفاعله. لكم أن تدعو من ترونه مهتماً إلى...)، وما شابهها من العبارات، بل إن بعض منصات الفيديو لا تبدأ في تقديم مادتها إلا بعد الإعلان عن أهمية الإعجاب، والمشاركة. ولأن وسائط الاتصال غدت

¹ - يوحينيا سيابيرا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي، تر: أحمد المغربي، ط1، دار الفجر، القاهرة، 2012، ص318

² - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 52.

³ - يوحينيا سيابيرا، مرجع سابق، ص319

جزءا هاما من حياة الناس باتت المشاركة من العادات اليومية الممارسة في كل وقت وحين، بما يحقق البعد التفاعلي الذي تكرسه هذه الوسائط.¹

إن المشاركة الرقمية وقد صارت مقوما من مقومات الحياة الجديدة من شأنها أن تحقق التواصل الذي يسير في اتجاه إبقاء العلاقات قائمة، ويسهم في جعل التبادل متاحا رغم المسافات، وبما أن المتبادلين متعددين وأحيانا غير معروفين، تطرح قضية الثقة من جهة، والمسؤولية من جهة أخرى، فلا يكفي أن تثيرنا المادة المتوصل بها لإشراك الآخرين، إذ لا بد من التثبث والتريث والانتقاء وإعمال النظر، ويتطلب ذلك مناقشة ثقافة المشاركة للارتقاء بالوعي الجماعي المشترك إلى مستوى أعلى لتحقيق التفاعل المنشود بين المستخدمين.²

2-5- العلاقات في شبكات التواصل الاجتماعي بين العالمين الافتراضي والواقعي:

أوجدت لنا شبكات التواصل الاجتماعي ما يعرف بالمجتمع الافتراضي وهو مجتمع أفرزته تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة، يستند إلى اللا مادة واللا مكان واللا زمان، تحولت حياة الأفراد والجماعات فيه إلى حياة رقمية افتراضية تمارس عن بعد وتختزل في نصوص وصور وأصوات وأضواء، والتي أثرت بدورها على التصورات والعلاقات والروابط السوسيو ثقافية.³

يطرح هذا المجتمع الافتراضي قيما ومفاهيم وأساليب جديدة، ويعيد النظر في المسلمات الثابتة، وينبئ بصراعات جديدة، ويثير قضايا فلسفية تتعلق بالإنسان في مواجهة الآلية، ويبرز أهمية المعرفة والثقافة واللغة. أي أن مصير المجتمعات أصبح مرتبطا بعناصر غير مادية، مصير هو صنيعه إرادتهم واحتياجاتهم.⁴

¹ - سعيد بقطين، ثقافة المشاركة، من موقع: <https://www.alquds.co.uk/>، بتاريخ 19-09-2019 على الساعة 00:42.

² - المرجع نفسه.

³ - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 30.

⁴ - المرجع نفسه، ص 32.

رغم ذلك فلا انفصال بين العالمين الواقعي والافتراضي كما تظهر نتائج تحليل بعض الأدبيات الغربية، حيث اتضح في هذا السياق انعكاس مفاهيم وممارسات الاندماج أو الاقصاء الاجتماعي داخل العالم الافتراضي على إحساسه بالاندماج أو الاقصاء في عالمه الواقعي.¹

كما ويتسم العالم الرقمي بالحياد العاطفي Neutral حيث يعطي الفرصة للمستخدم للتعبير عن مشاعره بحرية تامة بغض النظر عن اللون أو النوع أو الخلفيات الثقافية والاجتماعية، ويجعله أكثر قدرة على مواجهة عالمه الواقعي إذ أن المواقف التي يتعرض لها الفرد في هذا العالم الأخير تؤثر على مشاعره في العالم الواقعي. ويعتبر البحث عن الأدوات والأساليب المناسبة لتحديد ورصد المشاعر الإنسانية لمستخدمي الشبكات والتفاعلات العاطفية بينهم هو الأساس لمرحلة جديدة في التعامل بين المستخدمين والويب كآلة رصد تعبيرات الوجه أو آلة نبض القلب أو رصد كلمات كانت أشهرها هاشتاغ ، حيث بدأ موقع الفاييس بوك مثلاً بإضافة تطبيقات تمكن المستخدم من التعبير عن مشاعره Feeling في حالته Status ، أي أن هناك تكامل بين الويب 2.0 الذي يختص بالشبكات الاجتماعية التي تتيح التفاعلات الاجتماعية بين البشر وابداع الأفكار، وويب 5.0 الذي يبحث في مشاعرهم كونها تحتل الجزء الأكبر من التفكير، أي البحث في تفاعلات المستخدم من منظور عاطفي، والتركيز على دوافع استخدامه للشبكات والإشباع المتحققة منه وأنماط حياتهم الثقافية، وبالتالي يكون البحث في ضوء عدة أبعاد تمس المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية.²

2-6- أهمية الشبكات الاجتماعية في خلق الاتصال والتفاعل بين الأفراد:

لفت "ماكلوهان McLohan" النظر إلى مفهوم جديد في الدراسات الإعلامية وهو القرية الكونية "Global Village"، فالوسائل الإلكترونية صهرت المجتمعات والشعوب في بوتقة واحدة، مما أفضى إلى خلق مجتمع عالمي جديد، وهو بهذا التأكيد يكون أول من أدخل هذا المفهوم وأدرك آثاره الاجتماعية. ولقد اختار ماكلوهان مصطلح - القرية الكونية - من خلال العصر التكنولوجي و النظام الإلكتروني

¹ - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 66.

² - المرجع نفسه، ص 111-117

(الإعلام) الذي يعمل على تكامل كوكب الأرض، وأنه بفضل وسائل الاتصال سوف تتقلص الحدود الجغرافية والزمانية¹.

تسهم التكنولوجيا الحديثة في فضاء ويب 2.0 في تشكيل البنية التحتية العادلة Egalitarian Infrastructure بين جميع المستخدمين من مختلف الخلفيات الثقافية والاجتماعية، حيث تسمح لهم على اختلاف دولهم في المشاركة والتعبير عن احتياجاتهم وآرائهم، فمكنتهم من الدخول في مجموعات من التبادلات الثقافية المختلفة².

عموما فإن تحقيق التفاعلية بما يحقق المنفعة للمستخدم يتطلب تدعيم قدرته على إدارة العملية الاتصالية بحيث يستطيع تغيير الشكل والمضمون الموجه له أو تعديله بما يتناسب مع تطلعاته، إضافة إلى إمكانية الاختيار له من الخيارات المتعددة، وأيضا التواصل مع القائم بالاتصال في الوقت الذي يناسب المستخدم ويجده هو³.

شكلت شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت ثورة في مجال التواصل بين الأفراد، ونقلتهم من مجرد متلقين غير متفاعلين إلى متلقين فاعلين ومشاركين في الخدمات والتطبيقات، ومن التركيز على المحتويات مسبقا الإعداد إلى التركيز على وسائط تفاعلية يتم إنتاجها من قبل المستخدمين ويشاركونها مع الآخرين، كما أدت أيضا إلى سرعة تبادل المعلومات المنشورة والمدونة من خلال توفير طرق عدة ومتنوعة للتفاعل وتبادل الأفكار والآراء والتجارب، سواء عن طريق المحادثة أو المراسلة أو عن طريق البريد الإلكتروني⁴.

لقد أزلت الشبكات السريعة للمعلومات الحدود التقليدية، وكثفت الزمنية، وساعدت على بروز ثقافة عالمية وتنوع ثقافي يعكسان نزعة العولمة الاقتصادية وغيرها. وليس هناك مبدئيا ومن زاوية نظرية بريئة أية خوف من الاعتماد على هذه الوسائل وتنمية التفاعل الثقافي والتقريب بين الشعوب، إلا أن التوازن

1- حلمي ساري، مرجع سابق، ص 79.

2- ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 45.

3- المرجع نفسه، ص 40.

4- حسن مالك، مرجع سابق، ص 30.

بين القيم التقليدية والقيم الحديثة المستحدثة في المجتمعات النامية سوف يتغير بقدر ما تفتحه الشبكات السريعة للإعلام والمعلومات من آفاق جديدة. ويستدعي هذا الواقع الجديد قدرا كبيرا من الاهتمام العلمي بالثقافة ودورها المؤثر، مع عدم إغفال المضاعفات والخلفيات السلبية للمسألة، خاصة وأن مظاهرها كثيرة ومتنوعة تتصل بالعقيدة والدين واللغة والهوية والتاريخ والتراث...¹

أي أن شبكات التواصل الاجتماعي بمختلف مواقعها قد تجاوزت الفروقات الثقافية واختلاف المكان الذي يتواجد فيه المستخدمين لترسم جسرا من التواصل والتفاعل لم تشهده البشرية من قبل، جسرا يسمح ببناء علاقات وتشكيل مجموعات تجمعها المصالح والاهتمامات ولا تفرقها اختلافات الجنسيات والهويات، تنظر إلى التنوع الثقافي نظرة إيجابية يسمح لأفرادها بتوسيع آفاقهم وتفتحهم على العالم الخارجي مع الحفاظ على الخصوصية والهوية.

2-7- شبكات التواصل الاجتماعي و الفجوة الرقمية في الوطن العربي:

يرى نبيل علي ونادية حجازي في كتابهما "الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة" أن هناك مجموعة من الأسباب وراء الفجوة الرقمية التي تعاني منها الدول العربية، منها ما هو تكنولوجي مثل: سرعة التطور التكنولوجي وسرعة تطور شبكات التواصل الاجتماعي بفضل النقلة الرقمية أساسا، وتنامي الاحتكار التكنولوجي كاحتكار العتاد والبرمجيات من قبل الدول المتقدمة. ومنها ما هو اقتصادي مثل: ارتفاع كلفة توطين تكنولوجيا المعلومات وكلفة الملكية الفكرية، وانحياز التكنولوجيا اقتصاديا إلى الدول الأكثر تقدما والأكثر استخداما لها. ومنها ما هو سياسي مثل: صعوبة وضع سياسات التنمية المعلوماتية، وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية تحديدا على المحيط الجيو معلوماتي خاصة فيما يتعلق بالإنترنت. ومنها ما هو اجتماعي وثقافي: حيث استطاعت تكنولوجيا المعلومات والتواصل أن تنفذ إلى مستويات عميقة من عقل الإنسان ووجدانه ومجتمعه، وهي تحمل مع انتقالها من البلدان المصدرة لها قدرا كبيرا من ثقافة هذه البلدان وغط اقتصادها ومنظومة قيمها... وهو الأمر الذي ينشأ عنه العديد من أوجه الصدام مع واقع البلدان المستوردة لتلك التكنولوجيا الوافدة إليها من بيئة اجتماعية مغايرة، وقد تنامي دور العوامل الاجتماعية

¹ - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 47.

والثقافية واللغوية للتنمية المعلوماتية، خاصة مع توجهاتها الحديثة للتوجه صوب عامة الجمهور، لتتعدد بالتالي الأسباب الاجتماعية والثقافية واللغوية للفجوة الرقمية للبلدان العربية والتي من أبرزها: تديني التعليم وعدم توافر فرص التعلم والأمية، والفجوة اللغوية، وانعدام إرادة التغيير لدى المجتمعات العربية، وغياب الثقافة العلمية - التكنولوجية بصفة عامة.¹

2-8- الخصوصية التقنية لشبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق التواصل بين الثقافات

يعكس الواقع أن التواصل والتبادل بين الثقافات بصرف النظر عن مستويات تطورها وتقدمها ورقيتها الراهن، غدوا ظاهرة عالمية موضوعية لم يعد في الإمكان تجاهلها ولا غض الطرف عنها، وما عاد في وسع أحد اليوم أن ينكر إلا جهلا أو استكبارا أن التواصل والتفاعل والتبادل بين الثقافات على المستوى العالمي هي عوامل تساهم فعليا - عبر جسور وآليات المتاقفة - في نسج علاقات ثقافية متداخلة بين الشعوب، وفي تنقل قيم وأفكار وأساليب في الحياة والسلوك خاصة بكيان ثقافي معين، إلى كيان أو كيانات ثقافية أخرى، ومن شأن ذلك أن يؤدي بالتالي إلى إحداث تغييرات جزئية في أنماط الفكر والسلوك لدى الأفراد والمجتمعات. لا يمكن اليوم الاعتقاد في إمكانية وجود حواجز سياسية أو استراتيجية قادرة اليوم على الصمود طويلا، أمام سرعة انتقال المعرفة والمعلومات والأفكار والقيم والمكتسبات الإنسانية الراهنة، وقدرتها الفائقة على اختراق جميع الحدود.²

إن الاتصالات بوسائلها التكنولوجية الحديثة تساهم - حسب العديد من الباحثين - في تحقيق الانفتاح على الآخر، والتقارب بين الشعوب، والتفاعل والحوار بين الثقافات، وتسجل معالم التسامح بين المتناقضات، وبالتالي إزالة حدة التوتر والصراعات والحروب المتراكمة عبر التاريخ. فالיום، أكثر من أي وقت مضى، "ينبغي أن يقوم مجتمع المعلومات على أساس احترام الهوية الثقافية والتنوع الثقافي واللغوي والتقاليد والأديان، وأن يعزز احترام هذه المفاهيم، وأن يشجع الحوار بين الثقافات والحضارات".³ وذلك بممارساته العملية الاتصالية على الوجه الذي يضمن له تحقيق ذلك.

¹ - حسن مالك، مرجع سابق، ص 31.

² - عبد الرزاق الدوي، مرجع سابق، ص ص 39، 40.

³ - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 56.

وعليه فإن هذه المعطيات الواقعية تفرض على جميع المجتمعات الشروع في تنفيذ خطة استراتيجية مشتركة تمكن جميع الأطراف من إنتاج مضامين جيدة عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة بصفة عامة يجد فيها كل منا تعبيراً حقيقياً عن هويته وعن تراثه الحضاري وخصوصياته الثقافية. أي السعي لأن تصبح الشبكات الحوارية التفاعلية (Interactive) ذات النطاق العريض دعامة حقيقية لتبادل ثقافي حر أكثر توازناً وتكافؤاً.¹

من هنا وبالنظر إلى التقدم الضخم في تكنولوجيا الاعلام ثم الظروف الحالية للعالم، يمكن القول أن هناك ضرورة ملحة لتوسيع محاسن الثقافة والتبادل الثقافي بحيث يشمل عدداً أكبر من الناس، ولا يعني ذلك ظهور ثقافة عالمية لأنها ستكون ثقافة جمهور وحيد متماثل، وإنما يجب خلق ثقافة يواكبها تنوع الأوساط والبيئات، بما يضع العالم كله في اتصال مستمر، بعد أن كان دهوراً طويلة متباعداً.² ولن يكون ذلك متاحاً وممكناً إلا بتدخل الدولة وفرض رقابتها التي تستطيع من خلال إحكام سيطرتها ولو جزئياً على تلك العلاقات.

بالتالي فلا يمكن توقع أن تخرج هذه الوسائل وتتمرد على مجتمعها لأنه عندما نتحدث عن وسائل الاتصال الرقمي فإننا نجد أنها تقع في قلب النقاشات حول مسألة التنوع الثقافي خاصة بعد أن تطور هذا القطاع ونما بفضل الثورة التكنولوجية التي أحدثتها التحولات المعلوماتية خلال العقد الماضي، وأضحى مصدراً مهماً من مصادر المعرفة التي تغذي قيم التنوع الثقافي في مجتمعنا المعاصر وتسهم في إذكاء حراكه الثقافي والاجتماعي استناداً إلى قيم حق الاتصال، وحرية التعبير والتعددية، والتشاركية. وهي ذات القيم التي يقوم عليها التنوع الثقافي وفلسفتها العامة في أوضح حالاته.³ إضافة إلى دورها في:⁴

-تشجيع فكرة الحوار بين الحضارات والثقافات والمساعدة في نشر وتحقيق السلم والأمن في العالم.
-إشاعة روح التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب.

¹ - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 51.

² - على عبد الرازق جلي وآخرون، مرجع سابق، ص 31.

³ - عبد الكريم عبد الديسي، زهير ياسين الطاهات، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي. مجلة الاتصال والتنمية. ع6، دار النهضة، 2012، ص 38.

⁴ . المرجع نفسه، ص 39.

- تعزيز الحوار الموضوعي النزيه بين الحضارات والثقافات.

- تفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات من خلال التوسع في إقامة المنتديات في أكثر من منطقة وإقليم على مستوى العالم وتكريس جهودها لإشاعة قيم الحوار والتعايش.

تساهم وسائل الاتصال الرقمي في دعم الحوار بين الثقافات من أجل نشر مبادئ المحبة والتعاون والسلام وتعزيز قيم الحوار الحضاري بين الأمم والشعوب، وتعمل على نبذ ومحاربة كل دعاة الصدام بين الحضارات الذي تدعو إليه بعض الأصوات التي لا تؤمن بمنهجية الحوار الديمقراطي البناء، بل تؤمن بالصدام والصراع بين أبناء الأمم والشعوب. من جانب آخر فإن وسائل الاتصال الرقمي تلعب دورا أساسيا في التسويق الاجتماعي الخاص بتبني أفكار وأسس وسياسات التنوع الثقافي، الذي يعتمد على تكتيكات ومبادئ نظرية وعملية لتقديم أي قضية اجتماعية جديدة، أو فكرة أو سلوك مستندا إلى تكنولوجيا أساليب التغيير الاجتماعي من حيث تصميم وتنفيذ برامج اتصالية تهدف إلى زيادة قبول الفكرة الاجتماعية أو الممارسة.¹

2-9- الشبكات الاجتماعية وتهديدها للعلاقات الاتصالية بين الثقافات:

رغم أهمية الوسائل الحديثة عموما وشبكات التواصل الاجتماعي خصوصا للاتصال إلا أنها باتت تفرض رهانات جسام أمام الأمم والشعوب للمحافظة على جذورها الثقافية وصيانة مقوماتها الحضارية، وحمايتها من تيارات العولمة، ومخاطر التلاشي والذوبان في سيل الأنماط الأحادية والقوالب الجاهزة. ويكفي في هذا السياق أن نشير إلى أن ما يزيد إحصاءات عن 90 بالمئة من المضامين الرقمية على شبكة الأنترنت تستعمل اللغة الإنجليزية.² ولا يفوتنا ما للغة كعنصر أساسي من عناصر الثقافة من قدرة على تغيير موازين القوى الثقافية كونها القالب الذي تنقل بفضلها الدول ما تملكه من مقومات ثقافية من جيل إلى جيل ومن رقعة إلى رقعة جغرافية أخرى.

¹ - عبد الكريم عبد الديسي، مرجع سابق، ص 40.

² - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 43.

يجعل الوضع الراهن بعض الأمم تشعر أن أمنها مهدد، إذا ما أصبحت شعوبها تتجاوب مع الثقافات والقضايا العالمية، أكثر مما تتفاعل مع الخصوصيات والمشاكل المحلية. فالمشهد الثقافي اليوم وفي ضوء التحولات الناشئة وطغيان الاتصال وبروز مجتمع المعلومات أفضى إلى ظهور ما يعرف بثقافة المعرفة، ثقافة تعتمد على قدرة العنصر البشري في إنتاج الخطاب الثقافي، وبالتالي قدرته على المحافظة على خصوصياته الثقافية والحضارية، وحسن التمتع في الفضاء الثقافي الافتراضي خاصة مع الانفتاح الثقافي الذي يشهده العالم اليوم، الذي يفرض على المجتمعات الصمود أمام تيارات ثقافة الآخر وطوفان الصورة وتدفق المعلومات بشكل غير مسبوق.¹ وهذا التمتع يحتاج إلى آليات خاصة تمكنه من الثبات والبقاء في ظل عالم يأكل القوي فيه الضعيف.

يؤكد الاتصال البين شخصي عند أفراد المجتمع الواحد أنه لا يكفي بث رسالة كي تكون مفهومة كما هي من قبل المستقبل، فالاتصال لا يحتزل في التقنية، بل يحمل أيضاً بعداً سياسياً وشروطاً ثقافية. غير أن مكوناته لا تتطور بإيقاع واحد، فالأفراد يعدلون طريقتهم بالاتصال بسرعة أقل من تبديل الأدوات. ولهذا السبب لم يتم أبداً استقبال رسالة معينة مرسله إلى عدد كبير من الناس، بنفس الطريقة من قبل كل واحد، هذا الإقرار الملاحظ على صعيد الدولة صالح بالأحرى على الصعيد العالمي، فالمعلومة نفسها تستقبل من قبل الجماعات التي تتعامل معها، وذلك تبعاً لسياق ثقافي اجتماعي حيثما توجد هذه الجماعات. ربما أصبح العالم قرية كوكبية على المستوى التقني، لكنه ليس كذلك على المستوى الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي. وبدلاً من التقريب فإن تكنولوجيا المعلومة والاتصال الجديدة تكشف عن عدم تجانس بين منظومات القيم، فالآخر الذي كان حقيقة بعيدة، قد أصبح حقيقة يجب التعايش معها. باختصار إن غزارة المعلومات لا تبسط شيئاً، بل ويمكن القول أنها تعقد كل شيء.²

¹ - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 48،49.

² - كاترين ألبيرن، وجان كلود روانو بوربالان، مرجع سابق، ص 414، 415.

الفصل الثالث :

الخطية الإمبريقية للدراسة وفق مقاربتها النظرية وإجراءاتها المنهجية

أولاً: نظريات الدراسة والنموذج التفاعلي في إطار المقاربة النسقية
ثانياً: الإجراءات المنهجية للدراسة

أولاً- نظريات الدراسة والنموذج التفاعلي في إطار المقاربة النسقية

تشهد دراسة الظواهر الانسانية عامة والاتصالية خاصة نوعاً من التعقيد نظراً لما تتضمنه من زوايا متعددة تثير إشكالات مختلفة، لذا فاعتماد المقاربة النظرية من شأنه أن يساعد الباحث على ضبط مساره البحثي في اتجاه محدد حتى يستطيع فهم مشكلته وتحقيق أهداف دراسته، وذلك بعد أن تمكنه من تحديد الأبعاد والمؤشرات التي تزيل التجريد عن المفاهيم. وقد اخترنا لمعالجة هذا الموضوع المقاربة النسقية التي رأينا أنها الأكثر خدمة لعنوان الدراسة، والأكثر مواءمة لأهداف البحث، إذ استطعنا من خلال نظرياتها المختلفة بناء الأسئلة الفرعية بما يتوافق مع خصوصيات الموضوع وأبعاده. وتمثلت تلك النظريات في كل من: نظرية التفاعلية الرمزية، نظرية بالو ألتو (Palo Alto)، ونظرية الفعل التواصلي. واستكمالاً للفائدة البحثية في هذا السياق قمنا باعتماد نموذج تحليلي تفاعلي يصف هذه الظاهرة وهو ما يسمى بـ "نموذج التل الجليدي"، ولكننا لم نعمل على تطبيقه ميدانياً في كل جزئياته، وإنما اخترنا أحد عناصره الهامة التي تدعم زاوية البحث في حدود التفاعلية الرمزية، وهو ما يحقق لنا تحليلاً أعمق لهذه الظاهرة وفق هذا النسق. من هنا عمدنا بداية إلى التعريف بالمقاربة النسقية ومختلف النظريات السابقة الذكر والإحاطة بأهم عناصرها، ثم حاولنا إسقاطها على موضوعنا بما يعطي شرعية ومصداقية أكثر للبحث في جانبه الإمريقي.

1- المقاربة النسقية:

يمثل النسق مجموعة من العناصر المتفاعلة أو المترابطة بشكل منتظم بحيث تشكل وحدة واحدة، أو مجموعة من الأشياء أو منظمة تشكل شبكة خاصة لخدمة هدف مشترك. فهو نموذج رياضي تم تطبيقه على المجموعات الإنسانية، إذ يشكل مجموعة من العناصر وسماتها، وقد ظهرت في الولايات المتحدة في العقد الخامس من القرن الماضي.¹ وقد أثرت هذه المقاربة إيجاباً على العديد من المجالات مما ساعد

¹ - Donnadiou Gérard et autres **L'Approche systémique : de quoi s'agit-il ?** Synthèse des travaux du Groupe AFSCET" Diffusion /de la pensée systémique , 2003. P 1. .

على تطور العديد من العلوم الأخرى، وقد بدأ هذا التوجه بالظهور والانتشار خاصة بعد قصور ونقص التفكير الكلاسيكي في توفير أدوات ووسائل كافية لفهم الواقع المعقد.¹

تقوم المقاربة النسقية على كلمة "نظام" الذي يتلخص في عبارة "مجموعة من العناصر المتفاعلة"، ومع ذلك، فإن مثل هذا التعريف العام لا يكفي لتوفير إطار دقيق لهذا المفهوم، لذا يمكن التعبير عنه أيضا بالكلمات التالية: "النظام هو مجموعة من العناصر المتفاعلة ديناميكيا، منظمة بناء على هدف"، فبالإضافة إلى توضيح التفاعل والديناميكية بدلا من الثبات، يدخل هذا التعريف فكرة الغاية أو الهدف. وعلى الرغم من أنه أكثر شمولاً، إلا أن هذه التعريف تظهر مرة أخرى عامة للغاية، لذا يبدو أن محاولة فهم مفهوم النظام من خلال ممارسة التعريف مرشحة للفشل النسبي، فالضبابية الأصلية المترتبة على التعريفات العامة تحكم على استنتاجات مثل هذه المحاولات بالعقم.²

تستند النسقية على مجموعة من المفاهيم نذكر منها:

- **التعقيد "La complexité"**: يعد إدراك التعقيد هو السبب الرئيسي وراء الظهور التدريجي للنهج النظامي بدون التعقيد، لذا يمكن للعقلانية التحليلية أن تكون كافية لفهم العالم والعلم.³

يشير هذا المفهوم إلى جميع صعوبات الفهم (الضبابية، والغير مؤكدة، والمتقلبة، والمبهمة، والعشوائية) التي تواجه في الواقع وترجم إلى نقص في المعلومات (قابلة للوصول أو غير قابلة للوصول) للمراقب.⁴

- **النظام "Le système"**: يشكل هذا المفهوم الأساس الذي يستند إليه النهج النظامي النسقي من الناحية الأصولية، وتأني الكلمة من اليونانية sustēma وتعني "مجموعة منسجمة". ويمكن تقديم هنا العديد من التعاريف ونذكر هنا:

1 - Cambien Aurore , **Une introduction à l'approche systémique**. Centre d'études sur les réseaux, les transports, l'urbanisme. France: Certu . 2007. P 09.

2 - Ibid. P 18.

3 - Donnadiou Gérard et autres, **L'Approche systémique : de quoi s'agit-il ?** Synthèse des travaux du Groupe AFSCET" Diffusion /de la pensée systémique , 2003. P.03

4 - Ibid. P 03

✓ التعريف "الواسع" الذي أعطاه جاك ليسورن **Jack Lisorn**: النظام هو مجموعة من العناصر التي تتفاعل بشكل ديناميكي.

✓ التعريف "الضيق" الذي أعطاه جويل دي روزناي **Joel de Rosnay**: النظام هو مجموعة من العناصر التي تتفاعل بشكل ديناميكي ومنظمة بناءً على هدف. يضع هذا التعريف التركيز على الغرض أو الهدف الذي يسعى إليه النظام. تم اقتراح العديد من التصنيفات للأنظمة أيضًا من قبل الباحثين¹: أنظمة مفتوحة / أنظمة مغلقة تجاه بيئتها _ أنظمة طبيعية / صناعية / اجتماعية _ أنظمة منظمة بشكل تسلسلي / أنظمة شبكية.

هناك نوع مهم مقترح من قبل الأمريكي **M. Bunge** يستند إلى النظام المفترض لظهور الأنظمة المختلفة مع مرور الوقت من خلال الأنظمة الحية، ويحدث تطور للتنظيم الذاتي الإبداعي. يطلق على مثل هذه الأنظمة اسم (SHC) أي الأنظمة فائقة التعقيد.

● الشمولية "La globalité": هذه هي خاصية الأنظمة المعقدة، وعادة ما يترجمها مصطلح "الكل أكثر من مجرد مجموع أجزائه" والتي تشير إلى أنه لا يمكننا فهم هذه الأنظمة بشكل حقيقي إلا عند اعتبارها ككل. هذا الاكتمال يعبر عن الترابط بين عناصر النظام وتناغم المجموع بأكمله. ومع ذلك، فإن هذا المفهوم الغني يترجم في العديد من الأحيان بشكل سطحي بالعبارة الغامضة "كل شيء في كل شيء"، وتحت مسمى النهج الشامل، يشير المفهوم أيضا إلى طريقة الدخول إلى النهج النظامي، يعني ذلك أنه يجب النظر في جوانب المشكلة بشكل تدريجي وليس بطريقة تتابعية، بدءا من رؤية عامة (شاملة) لتعميق التفاصيل، مع العديد من التكرارات والرجوع لإكمال أو تصحيح الرؤية السابقة.²

● التفاعل **Interaction**: هذا المفهوم واحد من أكثر المفاهيم غنى في النهج النظامي، وهو يكمل مفهوم الاكتمال، لأنه يركز على التعقيد على مستوى العلاقة الأولية بين مكونات النظام زوجين

¹ - Donnadieu Gérard et autres., P 03.

² - Ibid. P04 .

بزوجين. يتم ترجمة العلاقة بين المكونات في الأنظمة المعقدة عادة عن طريق علاقة التأثير أو التبادل التي تشمل تدفقات المواد والطاقة والمعلومات¹.

إن مفهوم التفاعل يتجاوز بكثير مجرد علاقة السبب والنتيجة التي تهيمن على العلم التقليدي، ومن المهم للمتمكن في النهج النظامي أن يعرف طبيعة وشكل التفاعل أكثر من معرفة طبيعة كل مكون في النظام.

إذا كانت هذه المفاهيم الأربعة ضرورية، فمن الضروري معرفة مفاهيم أخرى على الأقل، وهي أكثر توجهاً نحو التطبيق، للبدء في تعلم النهج النظامي.

● **المعلومات Information:** هذا المفهوم الذي يعود لنفس الفترة التي ظهر فيها مفهوم السيبرناتيك، سبق وأن ولد قبل ظهور النهج النظامي ولكنه الآن يعتبر جزءاً منه. ويتداخل الاستخدام المستمر للمعلومات في التبادلات بين الأنظمة وداخلها بالتوازي مع التدفقات الأساسية الأخرى للمواد والطاقة. يفصل المتمكن في النهج النظامي بين المعلومات التي تتداول (والتي يجب معالجتها كتدفق قابل للتلف) والمعلومات المشكّلة (التي تكون جزءاً من ذاكرة النظام)².

● **الغاية (يمكن ربطها بمفاهيم المشروع والهدف):** وفقاً لتعريف جويل دي روزناي Joel de Rosnay الضيق، يعمل أي نظام على تحقيق هدف أو غاية معينة، بالنسبة للأنظمة البشرية أو المصممة من قبل الإنسان³.

هذا الاستنتاج له تأثير في دراسة النظام: عند مواجهة "كائن" للنمذجة، فإنه ينصح بشدة للمحاكي أن يطرح السؤال "لأي غرض؟" قبل أن يتساءل: كيف يعمل؟. فالغرض الذي يحدد سلوك النظام بشكل متسامح من خلال القدرة الاستثنائية للأنظمة على الحفاظ على توازنها من خلال ظواهر التنظيم⁴.

1 - Donnadiou Gérard et autres. op-cit. P04.

2 -Ibid, P.04.

3 -Ibid . P.05

4 - Cambien Aurore. op-cit. P 19.

• ردود الفعل المعاكسة: تم اكتشاف ظاهرة التغذية الراجعة على وجه الخصوص من خلال تقاطع أبحاث وينر وروزنبلوث Wiener et Rosenblueth، وهي مفهوم مركزي تماماً، إن لم يكن المفهوم الأساسي في النهج النظامي. في أي نظام يتم تحويل المدخلات إلى المخرجات من قبل المحول، فتنشأ المدخلات من تأثير البيئة على النظام، وتنشأ المخرجات من تأثير النظام على البيئة. يطلق على آلية إعادة التغذية الراجعة أو حلقة التغذية الراجعة الآلية التي تعيد نتائج التحويل أو العمل القائم على المخرجات إلى مدخل النظام بصورة بيانات.¹

في نظام أو جزء فرعي يتم فيه التحويل، هناك متغيرات إدخال ومتغيرات إخراج، حيث يتأثر المدخل ببيئة النظام والنتائج تنشأ من نشاطه الداخلي. ويشار إلى أن أي آلية تسمح بإرجاع معلومات معتمدة مباشرة على النتائج إلى مدخل النظام بوصفها بيانات تعرف بالحلقة الراجعة (ردود الفعل)(feed-back) بالإنجليزية.²

انطلاقاً مما سبق وإسقاطاً على موضوع الدراسة يمكن القول أن التفاعل بين الثقافتين العربية والإسلامية يتم في حدود أنساق مختلفة قد تكون داخلية أو خارجية، ولا يمكن عزلها عنها في أثناء العلاقة التواصلية بينهما، خاصة في ظل تعقيد شبكات التواصل الاجتماعي كفضاء افتراضي يتوفر على الأنساق الواقعية المتداخلة، لكنه يطرح صعوبات أكثر في التحكم في سيرورتها، خاصة في حدود الكونية والعالمية التي يتسم بها، وعليه: فيم تتمثل النظريات النسقية المختلفة التي يمكن البحث على ضوءها وفي حدود فرضياتها في هذا الموضوع؟.

2- نظرية التفاعلية الرمزية لـ "هربرت ميد Herbert Mead":

تبلورت التفاعلية الرمزية في أحضان مدرسة شيكاغو السوسولوجية التابعة لجامعة شيكاغو في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي لدراسة السلالات الإثنية والعرقية، ومشاكل المهاجرين، وانحراف الشباب في المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام مختبرات اجتماعية. وبعد ذلك، ظهر جيل جديد من الباحثين، بعد الأربعينيات من القرن الماضي، اهتموا بدراسة المؤسسات والأوساط المهنية

1 - Cambien Aurore , P 22

2 - Donnadiou Gérard et autres P.-05

والحرفية، وقد استخدموا مناهج كمية وكيفية، تاريخية وبيوغرافية، ومناهج التحقيق والمعايشة المشتركة المستعملة في الأبحاث الأنثروبولوجية والإثنولوجية. وقد انصب اهتمام هذه المدرسة على معاني الأفعال لدى الأفراد، داخل الوضعيات المجتمعية التي يعيشونها.¹

يقصد بالتفاعل الرمزي ذلك التفاعل الذي يقوم بين الأفراد ضمن نسق مجتمعي معين، ويظهر ذلك التفاعل في مجموعة من السلوكيات التي يقوم بها فاعل ما، في علاقة بالسلوك الذي يصدر عن الفاعل الآخر. وتعبير آخر، تصدر عن الذوات المتبادلة مجموعة من الأفعال وردود الأفعال في تماثل مع بنية المجتمع، وتتخذ هذه الأفعال معاني ودلالات رمزية متنوعة تستلزم الفهم والتأويل.² فالتفاعلية الرمزية توجه انتباهنا إلى تفصيلات التفاعلات الشخصية، والطريقة التي تتم بها هذه الترتيبات لإعطاء المعنى لما يقوله ويفعله الآخرون. وينوه منظرو هذه المدرسة بالدور الذي تؤديه هذه التفاعلات في خلق المجتمع ومؤسسته.³

• رواد التفاعلية الرمزية ومبادئها:

ارتبطت نظرية التفاعل الرمزي بجورج هربرت ميد Herbert Mead، كما يبدو ذلك جلياً في كتابه (الفكر والذات والمجتمع) من وجهة نظر السلوك الاجتماعي (الذي نشره سنة 1934م)، ضمن منشورات جامعة شيكاغو، ولم يترجم إلى اللغة الفرنسية إلا في سنة 1963م، لكن هذا المفهوم قد وظفه بلومر لأول مرة سنة 1937م. ويمكن القول عموماً أن كل واحد من الرواد قد أضاف شيئاً متميزاً نجم عنه تنمية التفاعلية الرمزية في مجال معين، وأشهر رواد التفاعلية الرمزية فهم جورج هربرت ميد Herbert Mead (1893-1931) وهربرت بلومر Herbert Plumer وأخيراً فيكتور تيرنر Victor

¹ - جميل حمداوي، نظريات علم الاجتماع، ط1، الشاملة الذهبية، دم ن، 2015، ص ص 41، 42، من الرابط: <http://shamela.ws/index.php/book/96834>.

² - المرجع نفسه، ص 42.

³ - أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، 2005، ص ص 76،

Turner.¹ ويمكننا هنا دراسة الافكار التي جاء بها هؤلاء الرواد وأهم الكتب والابحاث العلمية التي نشروها والتي تفسر آراءهم إزاء التفاعلية الرمزية:

أ - جورج هيربرت ميد **Herbert Mead** : هو من أشهر علماء الاجتماع الأمريكيان، وقد تأثر عند تأسيسه للتفاعلية الرمزية بأفكار وليم وينت (William Wunt) العالم الالماني المتخصص في علم النفس الفردي وعلم النفس الفيزيولوجي، كما تأثر ميد بأفكار عالم النفس والمربي الأمريكي وليم جيمس (William Jattes) وزامل جون ديوي وأثر في أفكار كل من هيربرت بلومر وفكتور تيرز. ساهم جورج هيربرت ميد في إرساء المبادئ والأفكار الأساسية للنظرية التفاعلية الرمزية من خلال دراسته للذات في المجتمع، ودرسته للأصول الاجتماعية للذات كما يقيّمها الفرد، ودرسته للذات كما يقيّمها الآخرون، بمعنى آخر أنا كما أقيّم ذاتي وأنا كما يقيّمني الآخرون. (I and me) . يعتقد جورج هيربرت ميد بأن الذات في المجتمع أو الذات الاجتماعية هي حصيلة تفاعل عاملين أساسيين هما العامل النفسي الداخلي الذي يعبر عن خصوصية الفرد وسماته الشخصية المتفردة والعامل الاجتماعي الذي يجسد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيطة بالفرد، وأن تظافر هذين العاملين بعضهما مع بعض كما يعتقد ميد هو الذي يكون الذات الاجتماعية عند الفرد.²

يمكن درج أهم المبادئ الأساسية للتفاعلية الرمزية كما وضعها مؤسسها العالم جورج هيربرت ميد في النقاط الآتية:³

- يحدث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد الشاغلين لأدوار اجتماعية معينة ويأخذ زمناً يتراوح بين أسبوع الى سنة
- بعد الانتهاء من التفاعل يكون الأفراد المتفاعلون صوراً رمزية ذهنية على الأشخاص الذين يتفاعلون معهم، وهذه الصور لا تعكس جوهر الشخص وحقيقته الفعلية، وإنما تعكس الحالة

¹ - جميل حمداوي، مرجع سابق، ص 43.

² - إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المعاصرة -دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة-، ط 3، دار وائل، عمان، 2005، ص ص 81، 82.

³ - المرجع نفسه، ص ص 88، 89.

الانطباعية السطحية التي كوَّنها الشخص اتجاه الشخص الآخر الذي تفاعل معه خلال مدة زمنية معينة.

➤ عند تكوين الصورة الانطباعية عن الفرد تلتصق هذه الصورة عن الفرد بمجرد مشاهدته أو السماع عنه أو التحدث اليه من دون التأكد من صحة المعلومة أو الخبر أو الحادث، لأن الشخص أو الفرد اعتبر الفرد الآخر رمزاً، والرمز هو الذي يحدد طبيعة التفاعل، مع أن الصورة الرمزية التي يكوِّنها الفرد عن الآخر قد تكون ايجابية أو سلبية اعتماداً على الانطباع أو الصورة الذهنية التي كوَّنها عنه.

➤ حينما تتكون الصورة الرمزية عن شخص معين فإن هذه الصورة سرعان ما ينشرها الشخص الذي كوَّنها عن الشخص الآخر المتفاعل معه، وتنتشر هذه الصورة بين الآخرين، فيكوِّنون صوراً إيجابية أو رمزية اعتماداً على نوع الانطباع وليس عن حقيقة ذلك الشخص ودوافعه.

➤ عندما يعطي الشخص المقيّم انطباعاً صورياً أو رمزياً معيناً يكون هذه الانطباع ذا نمط متصلب ليس من السهولة بمكان تغييره أو إدخال صورة ذهنية مخالفة للصورة الذهنية التي تكونت عنه، وهذه الصورة الذهنية أو الانطباعية سرعان ما يعلم بها الفرد المقيّم فيقيم نفسه بموجبها. وهنا يكون تقويم الفرد لذاته بموجب الصورة الرمزية التي تكوَّنت عنه أو الصورة الرمزية التي كوَّنها الآخرون تجاهه.

➤ تفاعل الشخص مع الآخرين أو انقطاع التفاعل إنما يعتمد على الصورة الرمزية التي كوَّنها الآخرون اتجاهه، فإذا كانت الصورة الرمزية إيجابية فإن التفاعل يستمر، بينما إذا كانت الصورة الرمزية المكوَّنة عنه سلبية فان تفاعله مع الشخص الذي كون الصورة الرمزية حياله لا بد أن ينقطع أو يتوقف.

ب - هيربرت بلومر **Herbert Plumer** : أما هيربرت بلومر (1900-1981) فهو تلميذ جورج

هيربرت ميد **Herbert Mead** ، إذ تأثر بأفكاره عن التفاعلية الرمزية لاسيما ما يتعلق بالذات الاجتماعية وأصل الذات، وتفسير أنا كما أفهم نفسي وكما يفهمني الآخرون. إلا أن هيربرت بلومر **Herbert Plumer** على الرغم من سيره على خطوات وأسلوب ميد في الدراسة التفاعلية للجماعة

والمجتمع إلا أنه يختلف عنه في أمور كثيرة نظراً للإضافات التي قدمها للتفاعلية الرمزية هذه الإضافات التي طورتها في مجالات شتى والتي ظهرت في كتابه الموسوم " التفاعلية الرمزية: المنظار والطريقة"، ذلك أن بلومر Herbert Plumer يعد أول من أطلق تعبير التفاعلية الرمزية على النظرية التي أوجدها وفسرها وحلل أركانها جورج هيربرت ميد.¹

يعطينا هيربرت بلومر Herbert Plumer (1969) أوجز صياغة للفرضيات التفاعلية والتي تتطابق

تقريباً مع الأقسام الثلاثة لكتاب ميد "العقل والذات والمجتمع":²

- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
- وهذه المعاني تحور وتعديل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

ج - فكتور تيرنر Victor Turner : يعد فكتور تيرنر Victor Turner من رواد التفاعلية الرمزية

بعد جورج هيربرت ميد وهيربرت بلومر، من مؤلفاته المهمة التي انطوت عليها أفكاره ودراساته عن التفاعلية الرمزية كتاب غابة الرموز (Forest of Symbols) ، في هذا الكتاب يعتقد تيرنر بأن الإنسان محاط بغابة من الرموز التي اختبر وجرب الإنسان معانيها ورموزها ودلالاتها خلال فترة حياته التي قد تمتد لخمسین سنة أو أكثر. فالأشياء المادية المحيطة بالإنسان كالغرف والأبنية والأثاث والأجهزة.... والأشياء غير المادية كالصحة والمرض والحيوية والخبرات والقيم والأخلاق والأديان... الخ مع الأصدقاء والأعداء والأشخاص إنما يجربهم ويختبرهم الإنسان الواحد، وأثناء عملية الاختبار يكون الفرد صورة ذهنية عن كل شيء مادي أو اعتباري يجربه، وهذه الصورة سرعان ما تتحول إلى رمز له قيمة معينة عند الفرد الذي يجربه. وبالنهاية يرى الانسان نفسه بأنه محاط بعدد غير محدود من الرموز التي لها تقييمات معينة عند الافراد وهذه التقييمات هي التي تحدد الصلة التي تظهر بين الرمز والانسان. وهذه الرموز قد تكون

¹ - إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المعاصرة - دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة-، مرجع سابق، ص 82، 83.

² - إيان كريب، النظرية الاجتماعية - من بارسونز إلى هابرماس-، تر: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص

إيجابية أو سلبية بالنسبة لنا اعتماداً على خبرتنا وتجربتنا معها، فإذا كانت الرموز إيجابية فإننا نكون التفاعل القوي والحي معها بحيث تنجذب لها وهي تنجذب لنا، أما إذا كانت الرموز سلبية فإننا ننفر منها، وبالتالي تكون صلتنا التفاعلية معها ضعيفة وهامشية على أحسن الأحوال. لذا التفاعل مع الأشياء في العالم الخارجي إنما يعتمد على صلتنا بها، وصلتنا بما تعتمد على الصورة الذهنية التي نحملها إزاءها.¹

تبقى التفاعلية الرمزية مع ذلك منظورا معرفيا في دراسة الشخصية، ويظل مركز اهتمامها هو دراسة التفكير وعملياته، فنحن نفهم البشر حينما نفهم ما يعتقدون أنهم يعرفونه عن العالم، أي نفهم معانيهم ومفاهيمهم عن أنفسهم. وإذا ما قبلنا بوجود العمليات اللاشعورية أيضا في إمكاننا القول تبعا لذلك إن أي نظرية تتعلق بدراسة الفرد لا بد لها أيضا من التعامل مع المستويات المختلفة للشخصية وعلاقة تلك المستويات ببعض، أي أن من الضروري إعطاء الشخصية فحوى.²

لقد استقطبت هذه النظرية عدة أشخاص ومفكرين وأتباع لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد انبثقت من التفاعلية الرمزية بعد ذلك عدة مدارس أهمها مدرسة التبادل الاجتماعي التي أسسها كل من كيلي وثيبوت وجورج هومنز وبيتر بلاو Kelly, Thibaut, George Hommens, and Peter Blau، ومدرسة التمثيل المسرحي التي أسسها آرفنج جوفمان Irving Goffman (1922-1982)،³ وقد قاد تركيزه على أهمية الرموز في بناء المجتمع إلى تطوير تقنية تسمى التحليل الدرامي "dramaturgical analysis" أين استخدم جوفمان المسرح كنظير للتفاعل الاجتماعي وأدرك أن

¹ - إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المعاصرة - دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة، مرجع سابق، ص 84، 85.

² - إيان كريب، مرجع سابق، ص 127.

³ - إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المعاصرة - دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة، مرجع سابق، ص 86.

تفاعلات الناس أظهرت أنماطاً من "النصوص الثقافية"، نظراً لأنه قد لا يكون واضح الجزء في الذي قد يلعبه شخص ما في وضع معين، فعليه أن يرتجل دوره مع تكشف الوضع Goffman (1958).¹

ترتبطاً على ما سبق ذكره فإن شبكات التواصل الاجتماعي تمثل بيئة اتصالية لها سماتها ومكوناتها وشروطها الاتصالية الخاصة بها، ومن ثم رموزها الحصرية المتداولة بين مستخدميها، وفي حدود هذا المجال ومن خلال تلك الرموز التفاعلية التي تظهر في تعليقاتهم أو الرسائل الشخصية الخاصة بهم والتي تعبر عنهم، وعبر مجموعة من الإمكانيات والتقنيات التي تتسم بها مختلف مواقع الشبكة، يستطيع الأفراد المستخدمون بمختلف ثقافتهم تعريف ذواتهم وتحديد أدوارهم، ومن ثم تكوين صور ذهنية ورمزية محددة لدى بعضهم البعض قد تكون إيجابية أو سلبية. والتي يترتب عليها العلاقات الافتراضية الكائنة عبر هذه الشبكة، وبالتالي اتباع المستخدمين من الثقافتين العربية والغربية لسلوكيات تفاعلية معينة تتحكم فيها سياقات معينة، منطلقاً من المعارف و الصور الذهنية التي تم تكوينها عبر التفاعل الرمزي.

كل ذلك يعمل على تأسيس شبكة من العلاقات الاجتماعية بين الثقافتين، والتي قد تقوى أو تضعف وفقاً للمواقف المختلفة التي توجهها الصورة الذهنية المرتبطة بالعديد من المتغيرات المتعلقة برمزية الذات الفردية، ورمزية الرسالة الاتصالية بما تحمله من لغة تنقل التفاعلات والرموز، والرمزية الفردية المتمثلة بأنماط السلوك التفاعلي للمستخدم الآخر العربي، وأخيراً رمزية الوسيلة المتمثلة في شبكات التواصل الاجتماعي وما توفره من خلال سماتها التفاعلية.

إن سيرورة التفاعلات والتبادلات التي تحدث بين الثقافتين في الواقع هي سيرورة تأويلية تعطي معاني جديدة للحقائق من خلال عملية التفاعل الإلكتروني بينهما، وليس بالضرورة أنها الصورة الحقيقية للواقع. وهذا التفاعل بمختلف أشكاله سواء كانت تعليقات أو إعجابات أو اتصالات ذات بعد شخصي تساهم في فهم أفعال الطرفين وماذا يجبون، بل وقراءة حتى أفكارهم عن طريق الرموز المقدمة من طرفهم.

¹ - علي أسعد بركات، علم الاجتماع، ددن، جامعة الشام، 2019، ص 17.

في ضوء فروض نظرية التفاعلية الرمزية يمكن أن نعبّر عن موضوع العلاقة بين المستخدم العربي المسلم والآخر الغربي في شبكات التواصل الاجتماعي وفقاً للخطوات* التي تمر خلالها هذه النظرية عند تطبيقها. وهذه الخطوات هي:

- يتم التفاعل والاتصال بين العربي والآخر الغربي ثقافياً عبر الفضاء الافتراضي لفترة تتراوح بين أسبوع وسنة، بحيث يتعرف تماماً كل طرف على الطرف الآخر.
- بعد الانتهاء من التفاعل الذي يستغرق فترة من الزمن يبدأ كل طرف من أطراف العلاقة بتكوين صورة انطباعية أو صورة ذهنية أو رمزية عن الطرف الآخر، وهذه الصورة الرمزية لم تتكون إلا بعد تجريب كل طرف للطرف الآخر والتعرف على كل ما يحمله ذلك الطرف من سمات وخواص.
- يكون التفاعل بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر اللغة والاتصال وكل ما تتيحه شبكات التواصل الاجتماعي من رموز، ثم من خلال ذوات هذين الشخصين المتفاعلين.
- الصورة الرمزية التي يكونها كل طرف إزاء الطرف الآخر في التواصل بين الثقافتين افتراضياً تحوّل الطرف إلى رمز، وهذا الرمز قد يكون مرغوباً به أو غير مرغوب.
- عندما يصل تقييم أحد الأفراد إلى الفرد الآخر في الاتصال الثقافي بينهما، والتقييم هنا هو رمزي كأن يقيّم الفرد على أنه متعصب أو منافق أو استغلالي.... فإن الفرد المعني يقيّم نفسه بالتقييم الذي قيّمه به الآخرون، أي أن تقييم الفرد لذاته هو من تقييم الآخرين له.
- إذا كان التقييم الرمزي إيجابياً فإن التفاعل بين العربي والآخر الغربي يستمر عبر الشبكات الاجتماعية، أما إذا كان التقييم سلبياً فإن التفاعل بينهما يتعثر أو ينقطع كلياً.
- التقييم الرمزي هو عملية ذات وجهين، فالمستخدم العربي قد يعطي رمزا إيجابياً للآخر العربي إذ يعتبره متقدماً ومنفتحاً، وعند وصول التقييم له فإنه يقيّم نفسه بموجب تقييم العربي له. كما أن هذا الآخر المختلف يقيّم العربي برمزا إيجابياً كأن يسميه بالخلوق أو الاجتماعي...، ومثل

* - مجموعة خطوات منتقاة من مبادئ التفاعلية الرمزية طبقها الكاتب إحسان محمد الحسن في كتابه السابق الذكر على مواضيع مختلفة تعبر عن العلاقة بين شخصين، انظر ص ص 90-92.

هذا التقييم يؤثر في الاعتبار الذي يعطيه العربي لذاته، مما يعمق العلاقة بين العربي والآخر الغربي ويؤدي الى استمراريتها.

3- نظرية بالو ألتو (Palo Alto) لـ "غريغوري باتسون Gregory Bateson":

سميت مدرسة بالو ألتو (Palo Alto) بهذا الاسم نسبة إلى المدينة الصغيرة الموجودة بكاليفورنيا "Californienne" التي تنحدر منها، ظهرت في الخمسينات من القرن الماضي، تشكل تيارا فكريا للبحث متعدد التخصصات يجمع بين الأنثروبولوجيين وعلماء النفس والأطباء النفسانيين "Less therapeutes"، ولقد جدد هذا التيار السلوكيات الإنسانية وذلك من خلال التركيز على النسق العائلي الاجتماعي وليس على الأفراد، حيث أحدثت أبحاث هذا التيار مقاربة جديدة في مجال العلاج النفسي والعلاج النفسي العائلي - la thérapie familiale -، بل لها أيضا تأثير على تحليل التواصل وكذلك على سيرورات التحول الاجتماعي.¹

ركزت هذه المدرسة على الفكرة التي مؤداها أن معنى تواصل ما يتوقف أساسا على السياق المنجز داخله، حيث أكد العلماء المنتمون إلى هذه المدرسة (غريغوري باتسون، بول فاتسلافيك، دون جاكسون Gregory Bateson, Paul Wenceslasek, Don Jackson... إلخ) على أهمية السياق من خلال استخلاص مفهوم التأطير استنادا إلى السياق ذاته. وثمة قاعدة تنسب إلى بالو ألتو تقضي بأنه "لا يمكن أن لا نتواصل"، ومفادها أن كل جزئية في حياتنا تعتبر عنصرا توصليا على اعتبار أن لكل سلوك اجتماعي قيمة تواصلية.²

جاءت مدرسة بالو ألتو (Palo Alto) باقتراح نظرية جديدة للتواصل، تتجلى في تجاوز النموذج التواصل الخطي المحض الذي ممثله كلود شانون ثم بعده ورومان جاكسون Claude Shannon and Roman Jacobson، وتعويضه بالنموذج النسقي على اعتبار أن التواصل من منظور مدرسة بالو ألتو

¹ - إدموند مارك، مدرسة بالو ألتو: مدرسة التواصل، تر: عبد العزيز السراج، مجلة علوم التربية، ع 37، المغرب، 2008، ص93.

² - المرجع نفسه، ص 92.

Palo Alto أساس أي خلل قائم داخل النسق العائلي الاجتماعي، ولا يتم التركيز على الجذور التاريخية لهذا الخلل على خلاف المنهج الفرويدي، بقدر ما يراعي النسق العائلي الاجتماعي في حالته الحاضرة، ويدرس نظام العلاقات القائم فيه. ولعل من المفاهيم الأساسية التي اعتمدت عليها مدرسة بالو ألتو في هذا الإطار مفهوم الإجمار المزدوج "contrainte"، كمفهوم ذا قيمة علمية أساسية مكنت من فهم حالة انفصام الشخصية بمعزل عن التصور الفرويدي.¹

إن الذي ألفت بين اختلافات أعضاء هذه المدرسة هو النزوع نحو المسعى النسقي (systemique) كمرجع مشترك وتتكون هذه المدرسة من فريقين، يضم الفريق الأول كريكوري باتسون "Gegory Bateson" الذي بفضل أبحاثه اعتبر الأب الروحي لهذه المدرسة. أما الفريق الثاني فينشطه السيكلوجي جاكسون "Don. D. Jackson" الذي أسس سنة 1958 (MRI) المؤسسة العقلية للبحث "Mental Recetch institues" التي تجنح نحو العلاج النفسي.²

• مبادئ مقارنة بالو ألتو (Palo Alto):

تعمل المقاربة النسقية من خلال هذه النظرية على تجاوز النموذج الخطي، الذي يعمل على نقل الأخبار والرسائل من باعث نحو مستقبل انطلاقاً من سنن التشارك، مستندة على المبادئ الأساسية التالية:

➤ التواصل باعتباره ظاهرة اجتماعية: حيث يتم التركيز على العلاقة التي تربط بين الأفراد وليس على الفرد بمعزل عن الآخر (كما تسلم بذلك السيكلوجية التقليدية). فكل تدخل لعضو من نسق ما (عائلة، فريق، تنظيم... الخ) يعد بمثابة استجابة لتدخل الآخر، بل يشكل بدوره المثير الذي من خلاله يصدر رد فعله وهكذا، وعلى هذا الأساس فالتواصل سيرورة دائرية بحيث تحدث كل رسالة تغذية راجعة feed Back لدى المخاطب Tinterlocuteur.³

¹ - إدموند مارك، مرجع سابق، ص 92.

² - المرجع نفسه، ص 93.

³ - المرجع نفسه، ص 94.

➤ المبدأ الأساسي وهو عدم القابلية للتواصل: أي لا يمكن عدم الاتصال وفقاً لمدرسة بالو ألتو، إذ تعتبر الاتصالات أساسية في كل سلوك، بل إن كل سلوك هو عملية تواصل. وبناءً على هذا المنطق، يعود هذا النمط إلى فكرة استحالة عدم التواصل، فعلى سبيل المثال، يشرح جوفمان Goffman (1981) أنه حتى لو توقف الفرد عن الكلام لا يستطيع أن يمتنع عن التواصل من خلال لغة الجسد، وبالتالي لا يمكنه أن لا يقول شيئاً. فعلى سبيل المثال، عندما يكون شخصان وجهًا لوجه، فليس لديهما خيار سوى التواصل، وهذا التواصل يمكن أن يتم من خلال قبول الاتصال أو رفضه، أي يجب أن يتم توصيل هذا الرفض، فالتواصل هو ممارسة تأثير بوعي أو بدون وعي على الآخرين، وبالتالي، إذا كان من المستحيل عدم التواصل، فمن المستحيل عدم التأثير.¹

أي أن التواصل لا يختزل في الرسائل النقطية فحسب، على اعتبار أن لكل سلوك اجتماعي قيمة تواصلية، ففي حالة التفاعل "لا يمكن أن لا تواصل" إذ إن الإماءات أو الحركات أو المواقف بل أيضا السلوكيات تنقل رسالة ما، فالصمت مثلا يمكن أن يدل على الخجل أو التحفظ، أو القمع أو الامتعاض...²

➤ يتحدد التواصل من خلال السياق الذي يُوّطره: ويعني هذا السياق بالعلاقات التي تربط بين الأشخاص الذي يتواصلون (العلاقات بين مجهولين، وبين الزملاء في العمل، وبين الآباء وأبنائهم) في الإطار الذي يتم فيه التفاعل وكذا المقام الذي يجعل المتعارفين في علاقة، وبذلك يغدو السياق إطارا رمزيا عاملا للمعايير والقواعد والنماذج وطقوس التفاعل.³

➤ كل تواصل يحتوي على جانبيين: المحتوى والعلاقة: حيث يحتوي الجانب الثاني على الجانب الأول وبالتالي يكون توصالا عبريا. تعرف الميتا-الاتصال بأنه الاتصال حول الاتصال، وهو مفهوم مركزي في نهج مدرسة بالو ألتو Palo Alto، إذ يعد مهارة اتصالية يمكن أن تولد التناقضات، ولكنها أيضا تسمح للأشخاص في سياق التفاعل بالخروج من الاختلافات، وبالتالي القدرة على التواصل حول

¹ - Jean-Curt Keller. **Le paradoxe dans la communication : implications épistémologiques et usages thérapeutiques**. Philosophie. Université Paul Verlaine - Metz, 2006.p 30

² - إدموند مارك، مرجع سابق، ص94.

³ - المرجع نفسه.

كيفية تبادل المعلومات وعلى نوع العلاقة المناسبة التي يتبادلها المتحدثون في تبادلهم. إن الميتا-الاتصال هو الذي يساعد فعلاً على فك رموز هذه العلاقة في التبادلات بين المتحدثين، فطبيعة العلاقة تعتمد على تنقيط تسلسلات الاتصال بين الشركاء.¹

➤ **طبيعة العلاقة تعتمد على تنقيط تسلسلات الاتصال بين الشركاء:** يشبه التواصل خيطاً بدون بداية أو نهاية. إنه من خلال وضعنا لتنقيط التسلسل في عملية التواصل الدائرية والمستمرة يمكننا منحها بداية ونهاية. يقترح لوك لوكير أن نفهم مفهوم التنقيط كإغلاق: "تنقيط التفاعل يعني منحه بداية ونهاية، ووضع إغلاق اصطناعي في التواصل لنتمكن من إعطاء معنى للوضع. ينجم عن ذلك بشكل اعتباطي إزالة بعض العناصر التي ستكون خارج الإغلاق وجعل الأحداث تظهر كسلسلة من الأسباب والنتائج." بالتالي، يمكننا أن نرى أن كل شخص ينقط الواقع وفقاً لنقطة نظره الخاصة. في التواصل، يتم التنقيط بطريقة ذاتية بناء على المنطق السببي والنتيجة. وبالتالي، يميل الفرد بطريقة ذاتية إلى رؤية رد فعله الخاص كنتيجة، في حين يرون آخرون بشكل أكثر قوة كسبب.

➤ **التواصل البشري يستخدم بشكل متزامن التواصل الرقمي والتشاهبي:** حيث يمارس الاتصال بطريقة رقمية وتشاهبية بنفس القدر الذي تتميز به بجوانبها الاثنتين: المحتوى والعلاقة. بالنسبة لواتسلاويك وبيفن وجاكسون (Loatslawic, Bevin, and Jackson) (1972)، فإن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على استخدام اللغة الرقمية والتشاهبية، يجب عليه أن يجمع بين هاتين اللغتين باستمرار كمرسل ومستقبل. تتميز اللغة الرقمية بصيغة منطقية معقدة جداً ومريحة جداً (صيغة منطقية، مجردة، غير مبهمه: كلمة / معنى - نعم / لا - إذا / ثم)، لكنها تفتقر إلى دلالة مناسبة للعلاقة. يكون التواصل الرقمي طبيعته رمزية. هذه الرموز هي الكلمات التي نستخدمها لتسمية الأشياء، وهي تنتمي إلى اتفاقية دلالية تنطبق على لغة محددة. يحدد المحتوى للعلاقة. أما بالنسبة للغة التشاهبية، فهي تحتوي على الدلالة، ولكن ليس لديها صيغة مناسبة لتحديد العلاقة بشكل غير مبهم.²

➤ **تقتضي كل رسالة مستويين من الدلالة:** فهي لا تنقل المحتوى الإخباري فحسب (وقائع، آراء، مشاعر أو تجارب المتكلم)، بل تعبر أيضاً عن شيء ما حول العلاقة التي تربط المتخاطبين

¹ - Jean-Curt Keller.p 32

² - Ibid.

"Interlocuteur"، فعندما يقول رجل ما لامرأة أنت ترتدين فستانا جميلا، فهو بذلك ينقل له رأيه، وبموازاة ذلك يمكن أن نستنتج علاقة إعجاب بينهما.¹

➤ أصل التكافؤ كل تبادل للاتصال يكون متماثلا أو مكتملا: اعتمادا على ما إذا كان مبنيا على المساواة أو الاختلاف. في العلاقة المتماثلة، يشارك الأفراد في اتصال يستند إلى المساواة، محاولين إقامة توازن في القوة والمكانة. على سبيل المثال، يمكن لشخصين في علاقة متماثلة أن يتنافسا على السيطرة والتفوق في الاتصال.²

➤ تبنى العلاقة بين المتخاطبين حسب نموذجين كبيرين هما: النموذج التناظري "symétrique"، والنموذج التكاملي "complémentaire" ففي النموذج الأول تحدد العلاقة كنصير égalitaire، وأن للمتتافرين سلوكات براقية، وفي النموذج الثاني يتأقلم المتتافرون مع سلوكات شديدة التضاد تطابق بين الفرد والآخر، حيث يمكن للعلاقة التكاملية أن تصبح تراتبية Hierarchique يعني أنها تأخذ وضع "صاعد" وآخر "نازل" كعلاقة المشغل بمستخدمه.³

بالنظر إلى موضوع دراستنا وفق الخلفية النظرية لـ "بالو ألتو" Palo Alto " يمكن القول أن العلاقات الاتصالية والتفاعلات التي تحدث بين الثقافتين العربية والإسلامية لا تحدث من فراغ، وإنما تحدث وفق أطر مرجعية توجه الاتصال بينهما، وتؤثر على أحكام كل منهما، وعلى السلوكيات والآراء والمواقف، بالتالي لا يمكن التعرف على واقع هذه العلاقة خارج السياقات التي تغذيها، خاصة في فضاء شبكات التواصل الاجتماعي الذي يطرح الكثير من السياقات الواقعية في أبعادها والكونية الافتراضية في تمثالاتها.

¹- إدموند مارك، مرجع سابق، ص 95.

²- Jean-Curt Keller. p 33

³- إدموند مارك، مرجع سابق، ص 95.

4- نظرية الفعل التواصلي لـ "يورغن هابرماس" Jorgen Habermas :

يعتبر الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس Jorgen Habermas من أشهر رواد الفلسفة وعلم الاجتماع على مستوى العالم، وهو يمثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية، وعلاوة على الكانطية والهيغيلية والماركسية والتيارات الفلسفية الألمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فإن المصادر الأساسية لنظرية هابرماس النقدية بدأت أولاً عبر تأثره العميق بفلسفة مارتن هيدجر، ثم بالفلاسفة الألمان المعاصرين، وبخاصة رواد مدرسة فرانكفورت، أو أولئك الذين جمعوا بين الفلسفة والسوسيولوجيا والمنظور السياسي في دراسة الواقع.¹

عمل هابرماس Jorgen Habermas على تغيير اتجاه الفكر الفلسفي، من فلسفة تدور حول الذات واعتبار العقل أداة لدى المركزية الغربية مشبع بالبعد الغائي الحسابي والعلمي مؤسسة على المطلق الأداتي للإنتاج إلى فلسفة تدور حول التواصل الإنساني، بل وينبغي أن يستبدل بنموذج معرفة الأشياء نموذج الوفاق بين ذوات قادرة على الكلام والعمل.²

يعدّ يورغن هابرماس Jorgen Habermas من أشهر علماء الاجتماع الذين أسهموا في تحليل الدور الذي يقوم به الاتصال في المجتمعات الحديثة، وبخاصة في مجالي التغيير الاجتماعي والديمقراطية. ونرى ذلك واضحاً في عمليه المميزين: "نظرية الفعل التواصلي" و "التحول الهيكلي في المجال العام"، ويعد مؤلفه نظرية الفعل التواصلي " من أهم مؤلفاته في مشروعه الاجتماعي والفلسفي، فهو عمل يتوحد بمجهوداته في فترة الستينات والسبعينات، ويجمع مرجعيات فلسفية وسوسيولوجية وعلمية ولغوية مختلفة.³

تعرف "الأفعال التواصلية" عند "هابرماس Jorgen Habermas" بتلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية غير مرتبطة بمحاجات السياسة بل مرتبطة بأفعال التفاهم. وقد شدد "هابرماس" على أهمية اللغة في عملية التفاهم والعلاقات التواصلية، فلا تفاهم

¹ - علاء طاهر، مدرسو فرانكفورت، من هوركهيمر إلى هابرماس، بيروت، منشورات مركز الإنماء القومي، د.ت ن، ص 91.

² - هابرماس يورجين: القول الفلسفي للحدائثة، تر: فاطمة الجبوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 453.

³ - حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص 80.

بدون لغة كما يقول. ولتعزير تصوره للفعل التواصلي من أجل فهم أفضل للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع يذهب الى أن الفعل التواصلي يتميز عن غيره من الأفعال الأخرى بأنه لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير في الآخر، بل يبحث عن كيفية التوصل إلى تفاهم معه وتوافق متبادل دونما إكراه أو قسر كيفما كان نوعهما.¹

طرح (يورغن هابرماس) في هذا السياق بعدا آخر من أبعاد الحدائثة التي يدعو لها اصطلاح عليها هذا الفيلسوف الألماني بـ "الحدائثة التواصلية" التي صاغت معقولة تجعل أي منتم لأي شكل ثقافي أو لأية لغة فاعلا منخرطا في ممارسة تواصلية وبوعي تواصلي، فالتفاعل التواصلي يشحذ العقل بالمعرفة الواسعة المعمقة بكل الأنماط والأشكال والدوائر الثقافية من أجل الإجهاز على الجهل المتبادل الذي هو السبب الحقيقي والمباشر لحالات الاضطراب التي تعرفها العلاقة بين المجتمعات وداخل المجتمع الواحد، وحين يعوض الجهل المتبادل بالاعتراف المتبادل يتحقق السلام العالمي المنشود.²

• شروط تحقق التجربة التواصلية عند هابرماس **Jurgen Habermas**:

التواصل ليس حديثا منولوجيا، وإنما هو حوار يدور بين ذوات فاعلة ومختلفة، ونقاش مؤسس على ضوابط:

➤ **الفعل التواصلي**: هو علاقة تفاعل بين ذاتين أو أكثر داخل مجال العالم المعيش، ولذلك فمن حق أي فرد له المقدرة على الفعل على الحوار والكلام أن يشارك في التجربة التواصلية، على أن يعلن الاعتراف بمزاعم أو مطالب الصدق المتفق عليه بين الذوات.³

➤ **اللغة**: هي روح عملية التواصل بين الذوات المشاركة في التفاعل، وبينهم وبين العالم الخارجي باعتبار أن اللغة هي أساس التواصل، سواء كان المشارك متكلما أو مستمعا، يقول هابرماس: "في

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 80.

² - محمد مصطفى القباج، مرجع سابق، ص 71.

³ - عطيات أبو السعود، حصاد فلسفة القرن العشرين وبحوث فلسفية اخرى، مؤسسة هندواوي، المملكة المتحدة، 2021،

النشاط التواصلي كل واحد يحفز عقلا نيا من طرف الآخر للفعل بطريقة مشتركة، وذلك يقتضي مفعولات الالتزام الكلامي، الملازم لما نقتحه من أفعال الكلام".¹

➤ مبدأ تكافؤ الفرص بين المشاركين في الحوار: بحيث أن كل واحد منهم له الحق في الدفاع، أو الاعتراض أو السؤال، مع الاعتراف بإمكانية الوقوع في الخطأ، وإمكانية تصحيحه فلا شيء غير معرض للنقد، ولا تمارس أي سلطة على الحوار إلا سلطة العقل.

➤ تححر النقاش من كل ألوان التسلط والهيمنة: التي يمكن أن يتعرض لها من الخارج، أي أن الحوار يجب أن يكون حرا بين ذوات حرة ومتكافئة في المكانة والمستوى لضمان موقف مثالي للحديث.

➤ إن الحوار يجب أن يتوافر على قواعد أخلاقية: والتي من أهمها ضمان الإجماع الذي لا يمكن أن نصل إليه إلا من خلال مفهوم الأطروحة الأفضل، وبهذا يخضع الحوار لمقاييس عقلانية تفرض نفسها على أطراف التواصل: إن قوة برهان ما تقاس داخل سياق معين بصحة الحجج، وهذه الصحة تظهر من بين ما تظهر فيه قدرة تعبير معين على إقناع المشاركين في المناقشة، وعلى تبرير قبول ادعاء الصلاحية"².

➤ ترمي التجربة التواصلية للوصول إلى اتفاق بين المشاركين في النقاش: ويفترض وجود تعارف متبادل بين أطراف الحوار، ووجود نوع من التقارب في وجهات النظر، ومعنى ذلك أن الاتفاق طريقه التفاهم والتفاهم يفترض التفاهم المتبادل والتقارب في وجهات النظر، إن التفاهم هو العملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على الأساس المفترض لادعاءات الصلاحية المعترف لها باتفاق مشترك.³

أما المجال العام (Public Sphere) فينظر إليه هابرماس على أنه فضاء مستقل عن أجهزة السلطة الإدارية للدولة ذات الطبيعة التحكومية والمستقل أيضا عن سيطرة العائلة والعشيرة والطائفة، وتعد الأسواق والمقاهي والصالونات والإعلام والمكتبات العامة التي تمارس فيها كل أنواع الفعاليات الحوارية والخطابية أمثلة واضحة على المجال العام عنده. ويرى هابرماس Jürgen Habermas أن المجال العام لا

1-Jürgen Habermas, **morale et communication**, tra, par Christian bouchindhome, ed cerf .paris. 1991, p 79.

2 -Jürgen Habermas; **theorie de l'agir communicationnel**. ,tra/jean louis Schlegel Ed fayard, paris, 1987, p 34

3-Jugen Habermas; **logique des sciences sociales** op. cit 320

يوجد بالضرورة في فضاء مميّز ومحدد، ولكنه في شكله المثالي يظهر إلى الوجود من خلال الحوارات والمناقشات التي يشارك فيها الأفراد الخصوصيون لتكوين هيئة عامة تساعد في وضع وتحديد حاجات المجتمع مع الدولة. وهو من هذه الزاوية يشكل شبكة لتوصيل المعلومات والتواصل بين الآراء ووجهات النظر المختلفة التي تعبر عن اتجاهات إيجابية أو سلبية إزاء أمر ما.¹

أخذ المجال العام يتطور بوصفه فضاء متميزا عن الدولة، بحيث يمكن للأفراد أن يتواصلوا عبره فيما بينهم كمواطنين مستقلين من أجل التداول والتفاهم حول الصالح العام ومناقشة القضايا السياسية والأخلاقية والاجتماعية كافة، دون أن يغلب عليها الطابع البيروقراطي التسلسلي. وبهذا وبإدخال القضايا السياسية في دائرة الحوار النقدي وقف المجال العام ضد الدولة وفي مواجهتها، ولكونه الفضاء الوحيد للمناقشة والقرار الذي لا يفسده تفاوت القوة الاجتماعية والسياسية بين مستخدميها فإنه عكس سلطة كان على الدولة إدراكها وهي قوة هذا الفضاء. ولقد كانت النتيجة التاريخية للحوارات النقدية التي تضمنها المجال العام الدخول إلى الديمقراطية النيابية، ومع تحقق ذلك استطاع المواطنون أن يكونوا خارج الدولة ناقدين ومراقبين لها، وداخل الدولة نوابا مشرعين.²

أي أن الهدف الرئيسي من وجود المجال العام حسب رؤية هابرماس Jurgens Habermas يتمثل في الوصول إلى فهم عقلائي مشترك حول القضايا الخلافية في المجتمع، مما يساعد على تشكيل هيئة جماعية لتوجيه القرارات السياسية.³

أضاف باحثون آخرون إلى هذا المجال خاصية الافتراضية ليرتبط المجال العام بالإنترنت ارتباطا وثيقا، ويشكل لنا "المجال العام الافتراضي"، والذي يعدّ فرصة أمام الأفراد ليتبادلوا الأفكار والمعلومات والهوايات والاهتمامات المشتركة والمتجانسة، وليكون مجالاً للتعبير الحر عن آرائهم التي لا يستطيعون البوح بها أو التعبير عنها في مجتمعاتهم الواقعية. ففي هذا المجال يشكل المشاركون فيه ثقافة من نوع

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 81.

² - المرجع نفسه، ص 81.

³ - المرجع نفسه، ص ص 81، 82.

خاص تسمى "ثقافة المجال الافتراضي"، وهي ثقافة لها قيمها وعاداتها ولغتها وسلوكها الذي يميزها من الثقافة الواقعية، ويتوفر هذا الفضاء على مجموعة مقومات تتمثل فيما يلي: ¹

أ- المعرفة التي يمتلكها الأفراد المشتركون في الفضاء الرمزي: لا تقتصر المعرفة في هذا الفضاء على الجانب العلمي والثقافي فحسب، بل على معرفة الطرق التي تمكن الأفراد المشاركين من الدخول إلى هذا العالم والنفوذ إليه واكتساب آليات التعامل معه أيضا.

ب- الشعور بالتميز والوحدة: يشعر الأفراد المشتركون في المجتمع الافتراضي بأنهم يشكلون جماعة خاصة مميزة لها اهتمامات وأهداف مشتركة يعملون معا من أجل تحقيقها.

ج- المشاركة القائمة على تجانس الاهتمامات: يجمع الأفراد في المجال الافتراضي اهتمامات ودوافع وهوايات متشابهة إلى حد كبير يصل حد التجانس، فقوة المعرفة التي بحوزة الأفراد المشتركين في المجتمع الافتراضي وإحساسهم ببعضهم كجماعة مميزة تشارك باهتمامات متشابهة هما اللذان يدفعان بهم إلى المشاركة في النشاطات وإلى تحقيق الأهداف التي اجتمعوا من أجلها في هذا المجال.

انطلاقا من نظرية هايرماس Jurgen Habermas يمكن أن نعتبر أن العلاقة بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية تعبر عن فعل تواصل يقيم على المشاركة بين أناس قادرين على الكلام والتفاعل، وهذا الفعل يحتاج لشروط تضمن نجاحه، تتعلق بالحوار القائم بين الثقافتين من أجل تحقيق التقارب الفعلي بينهما، بالاحتكام إلى سلطة العقل التواصلي لا الأداتي.

يمثل المجال العام الذي تحدث عنه هايرماس فضاء عمومي يجتمع فيه الأفراد من الثقافتين من أجل التفاعل وتبادل المنافع، في سبيل تأسيس ديمقراطية تشاورية تمنح الحق في المناقشة الحجاجية لكلا الطرفين، وتتنوع كل ثقافة من ذاتيتها لتدمجها في مجهود جماعي كوني عالمي بعيد عن الاكراه والهيمنة.

نظرا لطبيعة الفضاء الذي يجمع بين الثقافتين والمتمثل في شبكات التواصل الاجتماعي فهو يعبر عن المجال العام الافتراضي الذي تنبه له بعض الباحثون في هذا السياق، والذي يتيح التعبير عن الآراء بحرية تامة حول مجموعة قضايا خلافية خاصة بالصالح العام، بغية الوصول إلى فهم عقلائي مشترك.

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص ص 139، 140.

5- نموذج التل الجليدي لـ "كلوتيه" Cloutier:

يعدّ نموذج الباحث الكندي "كلوتيه" المسمى "التل الجليدي" (Ice Berg Model) من أهم نماذج التواصل الاجتماعي التي تؤكد على التفاعل الدائري بين أطراف العملية التواصلية، حيث جاء نموذج رد فعل على النماذج الخطية التي لم تقدم رؤية صائبة لفهم هذه العملية بشكل دقيق، ويعد "كلوتيه" Cloutier عملية الاتصال في جوهرها عملية دائرية تفاعلية، فالمرسل في هذا النموذج هو متلق أيضا، وكذلك المتلقي هو مرسل في الوقت ذاته.¹

يشدّد تينغ-تومي Ting-Toomey (1999) عند تعريفه للتواصل بين الثقافات على أهمية محاولة التواصل وفهم الآخر، وهو أمر غاية في التعقيد، حيث يستخدم غالبا مثال الجبل الجليدي للحديث عن الثقافة،² وهنا يسلط الضوء على الفرق بين الجزء المرئي والجزء الغير مرئي من الجبل الجليدي، حيث يكون الجزء الغير مرئي أكثر أهمية من الجزء المرئي. ويصبح هذا المثال أكثر توضيحا عند الحديث عن التواصل الثقافي، في سياق التواصل بين اثنين من الجبال الجليدية، وعند التساؤل عن كيفية تصور كل جبل جليدي للآخر.³

في هذا النموذج يشبه "كلوتيه" Cloutier "شخصية كل من المرسل والمتلقي أثناء اتصالهما في المواقف الاتصالية والمناسبات الاجتماعية المختلفة بجبلين ضخمين من الجليد مخفيين تحت سطح ماء البحر والذي لا يبدو منه للآخر سوى جزء ضئيل من حجمه. وأما الجزء الكبير من هذا الجبل الضخم فهو مخفي في أعماق البحر. وهذا الجزء المخفي هو الذي يتحكم بسير الجزء البارز الذي يطفو فوق سطح الماء، أي أن الآخر الذي تتواصل معه لا يرى من شخصيتنا الحقيقية سوى قدر قليل منها، ونحن كذلك، لا ترى من شخصيته إلا قدرا ضئيلا.⁴

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 182.

² - Meier, O. **Management interculturel :stratégie -organisation-performance. Dunod**, Paris ,2016, P 150.

³ - Claire Chaplier. **COMMUNICATION INTERCULTURELLE Exemples de rhétorique et de pragmatique culturelles**. Educação, Sociedade & Culturas, n° 35, 2012, p150.

⁴ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 182.

بهذا المنظور للعملية الاتصالية، نستطيع أن نقول أن كلا من طرفي الاتصال ما هو إلا كتلة جليدية أو تل جليدي، يحاول أن يقترب للاتحام بالطرف الآخر الذي لا يبدو منه سوى جزء خفيف لا يتجاوز الثمن، وهذا الجزء الضئيل هو الذي يمكن متابعته والتنبؤ بما يمكن أن يحدث فيه ومنه نتيجة للاتصال. أما ما خفي تحت سطح الماء من هذا التل فهو الجزء الأكبر من التل والذي يصل حجمه إلى سبعة أثمان من مكونات العملية الاتصالية، وهذا الجزء هو أهم جزء يجب أن نتنبه إليه وأن نهتم به عند دراسة الاتصال الشخصي، سواء من حيث نسبة حجمه للعملية كلها، أو من حيث ما يحدث فيه من عمليات معقدة ومتعددة وخفية.¹

إلى جانب ما يمكن أن نلمسه في العملية الاتصالية، وما نراه يحدث بين القائم بالاتصال وبين المتلقي في العملية الاتصالية، تجري أحداث وعمليات خفية «سطح الماء» سواء قبل الإعداد للرسالة أو أثناء نقلها أو بعد ذلك. وانطلاقاً من هذا الفهم يمكننا أن نحدد الطريق الذي تسلكه الرسالة لكي نتعرف على ما يحدث من تفاعلات تتم في الجزء غير المرئي من العملية الاتصالية.²

يرى "كلوتيه" أن الرسالة التي تريد أن تبعثها للآخر في هذا النموذج التفاعلي الدائري تمر في ثلاث مراحل أو مناطق متداخلة قبل أن تصل إليه، وتخضع الرسالة في كل مرحلة أو منطقة منها لمتغيرات كثيرة ومعقدة، بعضها داخلي، أي يتعلق بالفرد الموصول أو المتلقي، وبعضها الآخر خارجي لا دخل لأي منهما فيها. هذه المتغيرات على تؤثر على سير العملية الاتصالية بين الشخصين الجلبين، وعلى محتوى الحديث بينهما، وعلى النتائج المترتبة عن هذا الحديث كذلك.³

ينقسم الطريق الذي تسلكه الرسالة في المنطقة المغمورة الخفية في الأعماق إلى أربعة مناطق:⁴

أ- منطقة الغرائز أو اللاشعور .

ب- منطقة الصور .

¹ - انشراح الشال، دراسات في علم الاجتماع الاعلامي-مدخل الى علم الاجتماع الاعلامي-مكتبة نفضة الشرق جامعة القاهرة، القاهرة، 1985، ص61.

² - انشراح الشال، مرجع سابق، ص61.

³ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 183.

⁴ - انشراح الشال، مرجع سابق، ص ص61، 62.

ج- منطقة الفكر والشعور

أ- منطقة الغرائز: ترتبط منطقة الغرائز بالاشعور واللاوعي، أي أنها تخرج عن إرادة الانسان، ومن ثم يصعب التحكم فيها. ففي داخل كل فرد منا تكمن رغبات وغرائز متضادة لا شعورية. ومن هذه الغرائز اللاشعورية التي نتمنّا في علوم الاتصال نجد داخل كل منا حالتين متضادتين: الخوف من الاتصال والرغبة فيه. وقد نبعت هاتان الحالتان من الحاجة إلى إقامة علاقات اجتماعية، والتخوّف من مغبة هذا الأمر، من الرغبة والقلق من مواجهة الآخر، من رغبة الفرد في أن يعرفه الآخر وخشيته من أن يكشف نفسه أو من أن يتعرى، فيتمكن منه الطرف الآخر، وتتوأكب هذه الحالات باستمرار وتتطاحن حتى تتغلب إحداها على الأخرى في لحظة ما وتحت ظروف معينة، أهمها شخصية كل من القائم بالاتصال والمتلقي، والتفاعل الذي يتم بينهما في وقت ومناخ خاص تتم فيه العملية الاتصالية.¹

ب- منطقة الصور: هذه المنطقة هي أهم المناطق التي تتحكم بمحتوى الرسالة وشكلها تحت سطح الماء قبل أن تخرج إلى المتلقي، وأما الصور (Images) التي تتكون منها هذه المنطق فهي:²

- صورة المرسل عن نفسه: سواء كانت صورة حقيقة (طويل، قصير، متسرع، متسامح، فوضوي.... إلخ) أو صورة مثالية يتمنى أن يكون عليها (يتمنى لو كان أقل سمّة إذا كان سمينا أو أن أكثر تسامحا، أو أكثر تحكما في النفس... إلخ).
- الصورة التي يرغب أن يعرفها عنه المتلقي: كان يرغب في أن يأخذ عن المتلقي صورة المؤدب أو الذكي أو المتواضع... إلخ)، وهذه الرغبة تتحكم في محتوى الرسالة والشكل الذي ستكون عليه.
- الصورة التي يعتقد أن الآخر يعرفها عنه: هذه الصورة التي يعتقد القائم بالاتصال أن الطرف الآخر قد كوّنّها عنه قد تكون صورة غير صحيحة، بل ضربا من الأوهام لدى القائم بالاتصال، أي أنها قد تكون بعيدة تماما عن الواقع الفعلي لصورته لدى المتلقي. هذه الصورة التي يعتقد القائم بالاتصال أن المتلقي يعرفها عنه تؤثر في الرسالة التي يريد أن

¹ - انشراح الشال، مرجع سابق، ص 62.

² - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 184.

ينقلها إليه. وكثيرا ما نسمع شخصا يقول: (فلان يعتقد انني .. ، حسنا ، فسوف يرى (...). ما سوف يراه الآخر كرد فعل للصورة التي يعتقد القائم بالاتصال أن المتلقي يعرفها عنه، رد الفعل هذا قد يدعم هذه الصورة وقد يهدمها.¹

• الصورة التي ترسم أثناء الاتصال: وهي الصورة أو الصور التي يكونها كل من المرسل والمتلقي عن بعضهما بعضا أثناء الاتصال، وتعكس نفسها من خلال سلوكات معينة يقومان بها اتجاه بعضهما.

ج- منطقة الشعور أو الوعي: هنا تقترب الرسالة من سطح البحر بعد أن تكون قد قطعت الطريق السابق كله تحت سطح الماء، حيث يتم تعديل الفرد لبعض الصور السابقة، سواء كانت عن نفسه، أو عن المتلقي، وعندما تصل الرسالة إلى هذه المنطقة يتدخل الوعي في تشكيل الرسالة من جديد فيقوم الفرد بشكل واع باختيار بعض الصور السابقة أو باستثناء بعضها أو تعديل بعضها الآخر. وأما الصور التي استقر عليها واختارها لتمثل شخصيته فإنه يقوم بوضعها في رموز معينة قبل أن يتصل معه.²

من هنا يمكن أن نستخلص أننا نرفض الاعتقاد السائد في أن الانطباع الأول يظل قائما « The first impression is the last one » ، فمن المستحيل أن يبقى الفرد القائم بالاتصال أو المتلقي على صورة ثابتة، بل يمكننا تشبيه الانس ان بالصورة التي تعكسها صفحة ماء النهر تحت تأثير عوامل عديدة تغير في شكلها الطبيعي : انسياب سمكه تحت السطح أو حجر صغير القاه شخص ما في النهر ، أو ريح تدفع الماء في موجات متتالية...، كلها عوامل مختلفة ومتعددة تؤثر في النهاية على الصورة المعكوسة على صفحة الماء.³

إن هذه نظرية نسلم بها تماما عندما نرفض الانطباع الأول ولا نعتبره صحيحا، بل قد نعتبره في درجة الخطورة، إذ أنه يتجاهل العوامل الأخرى ويحقر من شأنها. أي أننا نرفض تصنيف الناس ووضعتها

¹ - انشراح الشال، مرجع سابق، ص 63.

² - حلمي ساري، مرجع سابق، ص ص 184، 185.

³ - انشراح الشال، مرجع سابق، ص 65.

في قوالب يعني جامدة، لأن هذا التصنيف وإن كان مريحاً وسهلاً، إلا أنه تشويه للحقائق وتحميد غير منطقي لطبيعة الإنسان غير الثابتة.¹

الأمر المهم في هذه المرحلة كما يرى "كلوتيه Cloutier" هو تدخل بعض العوامل الخارجية التي قد تؤثر في اللحظة الأخيرة على الرسالة، فتفقد شيئاً من حيويتها وقوتها وطاقاتها، أو قد تزيد منها (كتدخل شخص آخر، وظهور شيء مفاجئ لم يكن بحسبان المرسل) أي أنها تحرفها عن مسارها الأصلي الذي خطط به المرسل، إذ كثيراً ما تسمع بعض الناس يقول: (كنت أرغب أن أقول كذا أو كذا... ولكن مجيء فلان أو تدخله، أو خجلي.... جعلني أغير مما كنت سأقوله، أو لم أجد التشجيع المناسب منه).²

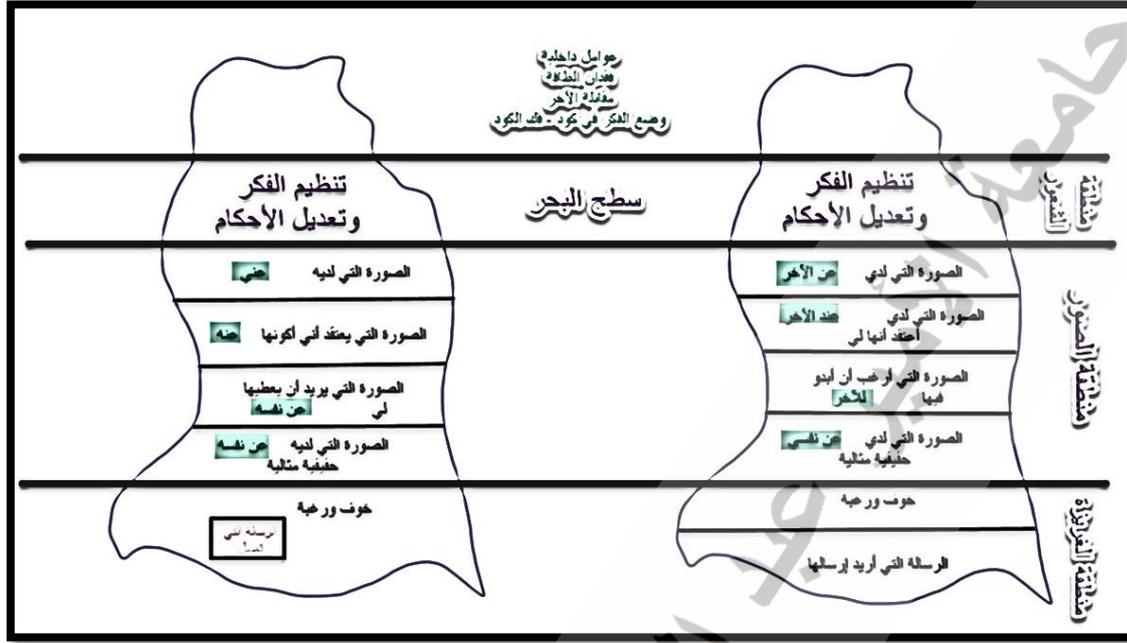
د- مرحلة فك الترميز: هي مرحلة يقوم بها المتلقي بتفكيك رموز ما وصله من رسائل من أجل فهم ما تعنيه والمقصود منها ودلالاتها، وهنا تتدخل أيضاً عوامل كثيرة في عملية فك الترميز تشبه تماماً تلك العوامل التي تدخلت في حالة الإرسال السابقة. وهذا يعني أن رسالة المتلقي الآن ستمر بالخطوات نفسها أو ستسلك الطريق نفسها التي مرت بها رسالة المرسل وسلوكته، وستعرض للمتغيرات نفسها أيضاً، بمعنى آخر سيتحول المتلقي إلى مرسل والمرسل إلى متلق بحكم كون العملية الاتصالية ذات بعد تفاعلي.³

¹ - انشراح الشال، مرجع سابق، ص 65.

² - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 185.

³ - المرجع نفسه، ص 185.

شكل رقم (2) يمثل نموذج التل الجليدي لـ "كلوتيه" "Cloutier":



المصدر: من كتاب انشراح الشال (مرجع سابق)¹

يطرح هذا النموذج زوايا هامة ومتعددة للبحث في نسق العلاقة التفاعلية بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، ولعل من أهم تلك الزوايا التي ركز عليها هذا النموذج هي زاوية الصور كنوع من أنواع الأنساق الأساسية التي لها إفرازاتها الواضحة والمؤثرة على سيورة العملية التواصلية بين الطرفين، ورغم أن نظرية التفاعلية الرمزية قد أثارت هذا الفضول العلمي من هذا الجانب في بحثنا، إلا أن هذا النموذج قد منحنا الآليات العملية لتطبيقه بما يحقق تحليلاً أعمق لهذه الظاهرة من هذه الزاوية البحثية.

ثانياً: الإجراءات المنهجية للدراسة:

1- منهج الدراسة:

من الخطوات الأساسية في البحث العلمي اختيار المنهج المناسب للموضوع الدراسة وأهدافها، بما يسهل عملية البحث ويضبط مسارها، ويعرف المنهج العلمي على أنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن

1- أنظر ص 70.

الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلوم".¹

كما يعرف بأنه: "مجموعة من القواعد يتم وضعها بقصد الوصول الى الحقيقة في العلم، والطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، فهو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حيث نكون بها جاهلين، وإما من جهة البرهنة عليها للأخرين حيث نكون بها عارفين".²

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة **المنهج الوصفي**، لأنها "تنطلق من فحص ظاهرة اتصالية بهدف وصف وتحليل وتقويم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين فيها، يغلب عليه صفة التحديد، وهي دراسة للحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس، أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الظواهر"،³ كما أنها لا تقف عند مجرد جمع البيانات والحقائق، بل تتجه إلى تصنيفها وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها، وتحديدتها بالصورة التي هي عليها كميًا وكيفية بهدف الوصول إلى نتائج نهائية يمكن تعميمها،⁴ فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي يعطيها وصفًا رقميًا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى.⁵

ومن أهداف الدراسة التي تقوم على المنهج الوصفي:⁶

- جمع معلومات حقيقية ومفصلة لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع معين.

¹ - كمال دشلي، منهجية البحث العلمي، منشورات جامعة حمادة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دم ن، دس ن، ص 27.

² - عمار بوحوش، محمد محمود الذنبيات، مرجع سابق، ص 99.

³ - سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص 132.

⁴ - محمد شفيق، البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية -، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1998، ص 108.

⁵ - ناهد عبد زيد الدليمي، أسس وقواعد البحث العلمي، ط 1، دار صفاء، عمان، ص 98.

⁶ - عمار بوحوش، محمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحوث، ط 4، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص 139.

- تحديد المشاكل الموجودة أو توضيح بعض الظواهر.
- إجراء مقارنة أو تقييم لبعض الظواهر.
- تحديد ما يفعله الافراد في مشكلة ما، والاستفادة من آرائهم وخبراتهم وفي وضع تصور وخطط مستقبلية، واتخاذ قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة متشابهة.

تسعى دراستنا هذه إلى وصف عملية الاتصال بين المستخدمين من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي وصفا واقعيا، بجمع الحقائق والبيانات حول ظاهرة التواصل في الفضاء الافتراضي وتحليلها وتفسيرها انطلاقا من تجارب شخصية لمبحوثين ومشاركين وتوجهات علمية لمتخصصين في هذا المجال. وقد اعتمدنا على الوصف الكمي أولا من خلال رصد حجم هذه الظاهرة لدى عينة الدراسة بداية بالنظر إلى بعدها الكمي الذي تقدمه أداة الاستبيان ثم تحليل مضامين تعبر عن العملية التواصلية الافتراضية، ثم عمدنا إلى التحليل الكيفي لنتائج هاتين الأداةين عن طريق البحث فيما وراء الأرقام من دلالات ومعاني تفسر هذه الظاهرة. وقد كان لهذا النوع الأخير من التحليل أيضا ظهورا بارزا قائما بذاته من خلال مقابلة بعض الأشخاص الذين يخدمون أهداف الدراسة والاستفادة من آرائهم وخبراتهم حول الموضوع، من أجل تشكيل فهم تقريبي للواقع عن هذا الموضوع، واستخلاص النتائج المناسبة التي تعبر عن حقيقة التواصل بين الثقافتين في شبكات التواصل الاجتماعي.

❖ **مدخل التحليل:** اعتمدت الباحثة في التحليل على الأسلوبين الكمي والكيفي، من أجل فهم الظاهرة أكثر والإحاطة بها والتعمق فيها، موظفة في ذلك "مدخل التثليث (Triangulation Approach)" ، وهو من أبرز مداخل وطرق المنهج المختلط (mixed-method) التي تم تبنيها في تناول ودراسة القضايا البحثية المتنوعة، لاسيما في البحث الاجتماعية والاعلامية.

وبالرجوع لأدبيات المنهج نجد تعدد في تعريفات هذا المدخل -مدخل التثليث- بسبب عدم تبلور مفهومه بعد، فقد عرفه دينزين "Densin" بأنه: استخدام مجموعة من طرق البحث المتعددة في دراسة الظاهرة ذاتها، باعتباره إطارا لدمج عدة نظريات ومصادر بيانات وأساليب في تحقيق واحد، من خلال دعوة علماء الاجتماع إلى أنه يجب أن يتجاوزوا التحقيقات المعتمدة على طريقة واحدة "بدون نظرية"،

لأن الواقع الاجتماعي يفرض أنه لا يمكن لطريقة واحدة أو نظرية واحدة أو مراقب واحد أن يمسك بكل ما هو ذي صلة ومهم.¹

بعبارة أخرى فالتثليث (Triangulation) في العلوم الاجتماعية هو استخدام ومزج البيانات أو الأساليب حتى تسلط الأضواء على موضوع من منظورات ووجهات نظر متنوعة مع مزج أنواع مختلفة من البيانات، أو ما يعرف بتثليث البيانات (Data Triangulation)²

يرى الكثير من منظري هذا المدخل التحليلي أنه يوفر عدة فوائد نظرا لتعقيدات الظاهرة الاجتماعية وتحديات دراسة العالم الاجتماعي، ومن بين الفوائد الرئيسية لاستخدام التثليث:³

■ **زيادة الصدق:** يتضمن التثليث استخدام عدة أساليب ومصادر بيانات، أو إطارات نظرية للتحقق من النتائج وتأكيد صحتها بشكل أفضل. يمكن أن يؤدي استخدام مصادر متعددة وأساليب مختلفة إلى التأكيد على النتائج وتحسين مستوى الثقة في التحليلات والاستنتاجات.

■ **توسيع الفهم:** بفضل التثليث، يمكن للباحثين فهم المشكلة المدروسة بشكل أعمق وأكثر شمولاً، ويمكن أن يكشف التوازن بين الأساليب والمصادر المتنوعة عن جوانب مختلفة من الظاهرة المدروسة، مما يساعد على تطوير النظرية وتحسين الشرح والتحليل.

■ **تعزيز القوة التفسيرية:** بتوظيف البيانات الكمية والكيفية في مراحل مختلفة من البحث، يمكن للباحثين تحليل العلاقات والآليات بشكل أكثر عمقا، كما يمكن أن يساعد التحليل المختلط على فهم كيفية تفاعل المتغيرات وتأثيرها بشكل أوضح وأشمل.

■ **توحيد المعلومات:** يمكن للتثليث أن يجمع بين المعلومات من مصادر مختلفة وأساليب متنوعة ويجمعها في دراسة واحدة، فيساعد هذا الجمع على بناء قصة متكاملة حول المشكلة ويعزز التكامل بين المعرفة المختلفة.

¹ - Denzin, N. **The research act: A theoretical introduction to sociological methods**, New York: McGraw-Hill. 1978. p X.

² - Olsen, W. **Triangulation in social research: qualitative and quantitative methods can really be mixed**, *Developments in sociology*, 20, 2004. 113.

³ - Phillip M. Ayoub and author. **Triangulation in Social Movement Research. Methodological Practices in Social Movement Research**. Oxford University Press. September 2014. pp 60,61.

- تحسين الثقة في النتائج: بفضل تكرار النتائج وتأكيدها من خلال أساليب مختلفة، يمكن أن يزيد التثليث من مصداقية البحث ويساهم في إثبات القوة الاستنتاجية للدراسة.
- لقد ميز دنزين "Denzin" بين أربعة أنواع للتثليث وهي:¹
 - **تثليث مصدر البيانات:** يقصد به استخدام مصادر مختلفة للبيانات والمعلومات، حيث يتم حصر الأشخاص الذين لهم علاقة مباشرة بموضوع الدراسة ثم يصنفون في فئات معينة، بعدها يحاول الباحث جمع المعلومات من مختلف هذه الفئات.
 - **تثليث المحققين أو الباحثين:** حيث يقوم بالدراسة أكثر من باحث لتفادي التحيز والذاتية، أو يتم استخدام عدد من الملاحظين أو عدد من المحاورين لإجراء المقابلات.
 - **تثليث النظريات:** حيث يلجأ الباحث إلى استخدام أكثر من مدخل نظري لتفسير مجموعة واحدة من البيانات والمعلومات، وذلك بغية الوصول إلى صورة أكثر شمولية للظاهرة.
 - **تثليث أدوات جمع البيانات:** حيث يتم اعتماد عدة أساليب ووسائل لدراسة الظاهرة (ملاحظة، مقابلات، وثائق، مواد..).

انطلاقاً مما سبق يتضح لنا أن دراستنا هذه استخدمت ثلاثة أنواع من التثليث كآلي:

- ✓ **تثليث مصدر البيانات:** حيث اعتمدت الباحثة على مصدرين مختلفين للبيانات لجمع ثلاث أنواع من البيانات وهي: المستخدمين العرب المسلمين لشبكات التواصل الاجتماعي الذين يتواصلون مع الآخر الغربي، حيث جمعت من فئة منهم بيانات تتعلق بالسياق، ومن جزء من ذات الفئة بيانات أخرى تتعلق بالصور الذهنية. أما المصدر الآخر فتمثل في فيديوهات على موقع اليوتيوب حيث جمعت منه بيانات تتعلق بالتعليقات الموجودة فيه.
- ✓ **تثليث النظريات:** استخدمت الباحثة المقاربة النسقية بثلاث نظريات ونموذج تحليلي لدراسة الموضوع وهي: نظرية التفاعلية الرمزية، نظرية بالو الطو، نظرية الفعل التواصلية، ثم نموذج التل الجليدي.

¹- مسعودة بايوسف، دور الأسرة في توجيه استخدام الطفل للإنترنت -دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة وأولياهم بورقلة-، أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2018/2017، ص 24.

✓ تثلث أدوات جمع البيانات: عمدت الدراسة إلى جمع البيانات عن طريق: أداة الاستبيان الإلكتروني، أداة المقابلة، وأداة تحليل المضمون.

2- أدوات جمع البيانات وصدقها:

2-1- أدوات جمع البيانات:

تمثل مرحلة اختيار الأدوات المناسبة لجمع البيانات من مجتمع البحث أو من المضامين الموجودة في الشبكات الاجتماعية، ثم بناؤها بما يتوافق مع أبعاد ومؤشرات الموضوع من أهم المحطات البحثية التي يجب أن يوليها الباحث أهمية خاصة في مساره البحثي.

إن أدوات جمع البيانات منبع رئيسي للباحث لاستقاء المعلومات اللازمة للبحث، حيث تعرف أنها: "الوسيلة التي تجمع بها المعلومات عن أسئلة البحث وتختبر فروضه".¹

تحدد أدوات البحث حسب المنهج المتبع، وتختلف تبعاً لاختلاف المشكلة التي تهم الباحث، ثم المقاربات النظرية التي يتبناها في معالجة موضوعه، لذا يمكن استخدام أكثر من أداة لجمع المعلومات حول مشكلة الدراسة والإجابة على تساؤلاتها، في حدود سياق نسقي يدعو إلى تعدد وتكامل الأدوات. وقد فرضت علينا هذه الدراسة الاعتماد على الأدوات الآتية: استمارة الاستبيان الإلكتروني، المقابلة، وتحليل المضمون.

2-1-1- استمارة الاستبيان الإلكتروني Online survey form:

يعتبر الاستبيان من أهم أدوات جمع البيانات الكمية التي تترجم المنهج الوصفي واقعيًا، ويعرف على أنه: "أداة لتجميع البيانات ذات صلة بمشكلة معينة، وذلك عن طريق ما يقرره المستجيبون لفظياً أو كتابياً في إجاباتهم على الأسئلة التي يتضمنها الاستبيان"²، فهو يمثل مجموعة من الأسئلة والاستفسارات

¹- سناء محمد سليمان، أدوات جمع البيانات التقنية والتربوية، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 2010، ص19.

²- المرجع نفسه، ص103.

المتنوعة، والمرتبطة ببعضها البعض بشكل يحقق الهدف الذي يسعى لتحقيقه الباحث من مشكلة البحث.¹

استخدمنا في دراستنا الاستبيان الإلكتروني كونه الأداة المناسبة لجمع البيانات من الفضاءات الافتراضية، حيث يصمم الباحث استمارته وتوضع على أحد مواقع الشبكات الاجتماعية، ويرسل الباحث الرابط إلى الأفراد عبر الشبكات الاجتماعية أو بريدهم الإلكتروني الذي يحدده الباحث.²

اقتصرننا في هذه الأداة على الأسئلة المغلقة التي تعطي الاختيارات للباحث بما يسمح له باختيار ما يوافق توجهاته وآرائه، كما اعتمدنا في بعض الأسئلة على قياس الاتجاهات باستخدام مقياس (ليكرت) (Likert scale) الذي يتناسب مع بعض الأسئلة.

يعد قياس الاتجاهات بمثابة مؤشرات نتوقع في ضوءها سلوكا معيناً مميّزاً للفرد في مواقف لاحقة، فالإتجاهات لا تشتمل على مكونات الانفعالية فقط، وإنما تتضمن مكونات معرفية تتعلق بمعارف الفرد حول موضوع الإتجاه، كما تشتمل مكونات سلوكية تتعلق بأفعال الفرد واستجاباته نحو الموضوع.³

"مقياس ليكرت" (Likert scale) هو أداة قياس تستخدم في الاستبيانات والأبحاث لقياس مواقف الأفراد وآرائهم اتجاه مجموعة محددة من العبارات أو العناصر. يتكون المقياس من سلسلة من العبارات أو العبارات المقدمة للمشاركين، ويطلب منهم تقديم تقييماتهم أو ردود فعلهم باستخدام مقياس متعدد الخيارات. وعادة ما يتم تقديم المقياس بشكل نظامي يتضمن خيارات تشمل الرأي الموافق بشكل كامل، والرأي الموافق بشكل عام، والرأي المحايد، والرأي الغير موافق بشكل كامل، والرأي الغير موافق بشكل عام. أين يطلب من المشاركين اختيار الخيار الذي يعكس أفضل تقدير لرأيهم أو موقفهم. وهو مقياس يوفر قياساً نسبياً للمواقف أو الآراء، ويمكن استخدامه في تحليل البيانات الكمية للحصول على

¹ - محمد سرحان علي المحمودي، مرجع سابق، ص 126.

² - فاطمة الزهراء بكوش، مليكة عطوي، المقابلة والاستبيان في البيئة الرقمية، مجلة السياسة العالمية، مج 6، ع 1، 2022، ص 1254 asjp.cerist.dz/en/downArticle/455/6/1/191546 ، تاريخ الدخول 2023/07/10 على الساعة 22:00.

³ - سعد النفيعي، أساليب التقويم - الاستبانة وأسلوب ليكرت - تقويم تربوي، ددن، الرياض، السعودية، 14هـ، ص ص 15، 16.

تقديرات كمية للاستجابات. ويعتبر مقياس "ليكرت" "Likert scale" أداة شائعة في العلوم الاجتماعية والسلوكية والبحوث التسويقية وغيرها.¹

نظراً للمستوى الثقافي الذي تتمتع به عينة الدراسة هنا - حسب مرحلة الاستطلاع الأولي لبعض الأفراد- تم استخدام المقياس الخماسي (موافق بشدة- موافق- محايد- معارض- معارض بشدة).

قمنا بتقسيم استمارة الاستبيان الإلكتروني هنا إلى أربعة محاور بما يمكننا من الإجابة على السؤال الفرعي الأول الذي يتعلق بـ: تجليات السياق الثقافي الذي يوجّه الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، ثم تقسيم كل محور إلى أسئلة تعبر عن مؤشرات هذا البعد كالتالي:

- المحور الأول: أنماط استخدام العربي للشبكات الاجتماعية في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي: ويحتوي على 10 أسئلة.
- المحور الثاني: تجليات السياق الثقافي الديني الذي يوجّه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية: ويتضمن 4 أسئلة.
- المحور الثالث: تجليات السياق الثقافي القيمي الذي يوجّه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية: ويتضمن 3 أسئلة.
- المحور الرابع: تجليات السياق الثقافي اللغوي الذي يوجّه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية: ويحتوي على 5 أسئلة.

وقبل هذه المحاور قمنا بطرح مجموعة من الأسئلة تتعلق بالبيانات السوسيوديمغرافية للمبحوث، والتي بلغ عددها 5 أسئلة، وسيتم عرضها من خلال خصائص عينة الاستبيان.

¹- Ankur Joshi and auther. **Likert Scale: Explored and Explained**. British Journal of Applied Science & Technology. 2015.p 296.

2-1-2- أداة المقابلة:

تعتبر المقابلة من بين الأدوات الأساسية التي تساعدنا في جمع بيانات أكثر عمقا، بما يسمح لنا بتحليلها تحليلا كفيلا، وتعرف على أنها: "عملية اجتماعية بين الباحث الذي يجمع المعلومات ويوجه الأسئلة بتتابع وترتيب والمبحوث الذي يدلي بالمعلومات للباحث مجيبا عن أسئلته"¹، بما يعكس حقائق أو معارف محددة يحتاج الباحث للوصول إليها تحقيقا لأهداف الدراسة واحتياجاتها العلمية والبحثية.

قمنا بإجراء هذه المقابلات بعضها مباشرة وجها لوجه، وبعضها عن بعد باستخدام تقنية المسنجر في الفاييس بوك، تحت مسمى "المقابلة الإلكترونية" التي تمثل الشكل غير المباشر للمقابلة، حيث يستعين الباحث بالوسائل التكنولوجية كالهاتف والانترنت لإجرائها، إذ تستفيد المقابلات الإلكترونية من الطبيعة الأكثر تفاعلية للبريد الإلكتروني، إما في شكل مقابلة فردية أو إنشاء مجموعات (Brewer). وعليه، يمكن أن تتم المقابلة الإلكترونية صوتيا من خلال البرامج التي توفرها شبكة الأنترنت مثل برامج المسنجر وغرف المحادثة والدرشة وقد يتعداه أيضا إلى إمكانية أن يرى المقابل - بكسر الباء والمقابل بفتح الباء - ويتوصلا مباشرة من خلال كاميرات الويب، إضافة إلى ما توفره اليوم وسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتز وغيرها من الوسائل التي يمكن توظيفها في تحقيق أهداف البحث العلمي.²

استخدمنا المقابلة نصف المقننة، التي تعتمد على إعداد بعض الأسئلة الجوهرية والمحورية في الموضوع، والتي تهيكّل المسار العام لها، ثم استنباط أسئلة جديدة بناء على إجابات المشاركين، والتي ستفياً أثناء عملية تحليلها، كفئات فرعية للأسئلة المحورية الموضوعية سلفا.

طرحت من خلال هذه الأداة (4) أسئلة محورية تمكّننا من الإجابة على السؤال الفرعي الثاني، والتي يتعلق بـ: الصور الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم الثقافية العربية الإسلامية والآخر الغربي في حدود الاتصال بينهما، وتتمثل هذه الأسئلة فيما يلي:

¹ - منال هلال المزاهرة، منهجية البحث و تقنياته في العلوم الاجتماعية، ط1، المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية و السياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2014، ص70.

² - فاطمة الزهراء بكوش، مليكة عطوي، مرجع سابق، ص 1251.

- السؤال الأول: فيم تتمثل الصورة الذهنية للذات الثقافية لدى المشاركين من خلال اتصاهم مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية؟.
- السؤال الثاني: فيم تتمثل الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى المشاركين من خلال العلاقة الاتصالية بينهما؟.
- السؤال الثالث: ماهي توجّهات المشاركين نحو شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق الاتصال مع الآخر الغربي؟.
- السؤال الرابع: ما هي توجّهات المشاركين نحو الرسائل المتبادلة في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي؟

قبل طرح هذه الأسئلة قمنا بالاستفسار عن بعض المعلومات الشخصية التي تتعلق بالمشاركين والتي بلغت 7 أسئلة، وهي ما ستوضحه خصائص عينة المقابلة.

2-1-3- أداة تحليل مضمون:

استخدمنا أداة تحليل مضمون كأداة لدراسة المضامين التي تعبر عن التواصل بين الثقافات عبر شبكات التواصل الاجتماعي كميًا ثم كفيًا، ويعتمد تحليل المضمون "على جمع البيانات الكمية والموضوعية عن محتوى وسيلة معينة"¹ ويعرفه بيرلسون Perlsون بأنه: "أسلوب البحث الذي يهدف إلى الوصف الكمي والموضوعي والمنهجي للمحتوى الظاهر للاتصال"².

إن أسلوب تحليل المحتوى في حقيقة الأمر لا يقف عند الوصف الظاهر، بل يتجاوزه للكشف عن المعاني الكامنة Latent Meaning ، وقراءة ما بين السطور Making Inference والاستدلال عن الأبعاد المختلفة لعملية الاتصال.³

¹-Albert Kientz, **Pour analyser les media-Analyse de contenu**, 2eme Ed, Maison Mame France, 1971, p50

²-Madeleine Grawit, **Méthodes des sciences sociales**, 11eme Ed, Dalloz ,Paris, 2001, p606.

³- محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، دار ومكتبة الهلال، دار الشروق، بيروت، 2009، ص 19.

يرى هولستي Holsty أن تحليل المحتوى بحث يسعى إلى اكتشاف علاقات ارتباطية بين الخصائص المعبرة في أي مادة اتصالية عن كريق التعرف على هذه الخصائص بطريقة منهجية، بينما يعتبره هارولد لازويل Harold Laswell أسلوب يهدف إلى الوصف الدقيق والمحايد لما يقال عن موضوع معين وفي وقت معين.¹

يقوم تحليل المضمون على أساسيات تعتمد على فئات ووحدات التحليل، فـ"الفئات" هي مجموعة من التصنيفات أو الفصائل يقوم الباحث بإعدادها طبقاً لنوعية المضمون ومحتواه لكي يستخدمها في وصف هذا المضمون وتصنيفه بأعلى نسبة من الموضوعية والشمول، وبما يتيح إمكانية التحليل واستخراج النتائج بأسلوب سهل وميسور.²

من هنا وتماشياً مع طبيعة الدراسة وتساؤلاتها التي تفرض نوعاً من الفئات لتحقيق أهدافها، قمنا بتقسيم أداة تحليل المضمون هنا إلى فئات خاصة بالشكل وأخرى خاصة بالمضمون بما يجب على السؤال الفرعي الثالث الذي يتعلق بـ: كيفية ظهور الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستويي المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب، وذلك كما يلي:

- فئات المضمون التي تجيب على السؤال: ماذا قيل؟ وتتمثل هنا في: فئة قيم الاتصال، فئة نوع الاتجاه، فئة نوع اسم المستخدم.
- فئات الشكل التي تجيب عن السؤال: كيف قيل؟ وتتمثل هنا في: فئة الأسلوب اللغوي للاتصال، فئة نوع السياق، فئة أشكال التفاعل.

أما "وحدات التحليل" فتمثل وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعدد والقياس بسهولة، ويعطي وجودها أو غيابها، وتكرارها أو إبرازها دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية،³ وقد

¹ - محمد أوزي، تحليل مضمون ومنهجية البحث، المغربية للنشر والتوزيع، الرباط، 1993، ص 12.

² - محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، مرجع سابق، ص ص 115-118.

³ - المرجع نفسه، ص 136.

اعتمدنا في كل فئات الدراسة على "تعليق المستخدم" كوحدة تحليل ووحدة عد وقياس في ذات الوقت، وذلك بالنظر إلى التعليق كوحدة كلية تعبر عن الفئات المعنية بالدراسة.

انطلاقاً مما سبق حاولنا بناء مخطط مختصر يجمع الأدوات البحثية الثلاثة بمختلف عناصرها وعيانتها

الشكل رقم (3) يمثل مخطط ملخص لأدوات جمع البيانات في الدراسة وكل ما يتعلق بها من

عناصر بحثية



المصدر: من إعداد الباحثة

2-2- صدق أدوات الدراسة:

نقصد به مدى مصداقيتها وقدرتها على تحقيق أهداف البحث والوصول إلى النتائج المرجوة، إذ أنه قبل بداية تطبيق أدوات الدراسة لابد من استكشاف ميدان الدراسة وهي المرحلة الاستكشافية والاستطلاعية للدراسة، ثم التحقق الظاهري من أدوات البحث، ثم التحقيق الميداني من محتوى الأدوات، وقد تم ذلك عموماً من خلال مرحلتين أساسيتين:

2-2-1- المرحلة الاستكشافية :

في المرحلة الاستكشافية قمنا بداية بالتعرف على بعض المبحوثين الجزائريين الذين يتواصلون مع ثقافات غربية من أجل التعرف على الخصائص العامة لهذه الفئة، ومدى قدرتها على إفادتنا في الموضوع من جهة، وفي الوصول إلى العينة المناسبة من جهة أخرى، حيث قمنا بطرح بعض الأسئلة التي تتعلق بالتصور العام لمحتوى أداة الاستبيان وفق المقاربة النظرية المعتمدة، لتشكيل عناصر مبدئية لبناء هذه الأداة.

أما مرحلة الاستكشاف في بناء أداة المقابلة فبدأت بعد استرجاع الباحثة لاستمارة الاستبيان، أين تفتنت الباحثة إلى زاوية هامة في البحث من شأنها أن تبين أكثر واقع العلاقة القائمة بين الثقافتين، فقررت الباحثة أن تتواصل مع من تعرفهم أو تستطيع الوصول إليهم من المبحوثين الذين أجابوا على الاستبيان، لتشكيل بذلك عينة أخرى تعالج فيها نقطة أخرى من الموضوع في ظل مقاربة نظرية ثانية.

بينما في القسم التحليلي والذي كان في المرحلة الأخيرة فقمنا بالبحث في شبكات التواصل الاجتماعي عموماً عن المضامين التي يمكن أن تنقل لنا صورة عن التواصل بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، للتعرف على مختلف الأبعاد والمؤشرات التي تخدم الموضوع.

2-2-2- مرحلة التحقيق:

بهدف التحقق من صحة الأدوات وصحة عباراتها وإمكانيتها على تحقيق الأهداف المرجوة منها من خلال مرحلتين :

✓ التحقيق الأولي: بعد الاستكشاف والاستطلاع الأولي قمنا ببناء الأدوات الثلاثة بالنظر إلى المعلومات الأولية التي قدمها الجمهور وقدمتها المادة التحليلية الأولية، وبالنظر إلى الافتراضات الأساسية للمقاربة والتي تتوافق كل نظرية منها مع أداة معينة. وسعياً منا للتأكد من صدق كل أدوات جمع البيانات قمنا بعرضها - بعد تعديلها مع الأستاذة المشرفة- على مجموعة من الأساتذة المحكمين،¹ ثم تمّ انطلاقاً من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم التصميم النهائي للأدوات البحثية .

✓ التحقق من صحة المضمون: التحقق من محتوى الأدوات يكون من خلال القيام باختبار قبلي، وقد تم توزيع الاستمارة على عينة تجريبية من مجتمع البحث، التي قدر حجمها بخمسة أفراد، وذلك قصد التعرف على مدى وضوح الأسئلة وفهم العينة لأسئلة الاستمارة وعباراتها. كما تم تجريب فئات تحليل المضمون على 11 تعليقا من تعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب"، لمعرفة مدى إلمام فئات التحليل بمضمون وشكل محتوى العلاقة المعنية بالتحليل.

بعد عملية التجريب تم تغيير بعض الأسئلة في الاستبيان* وبعض الفئات في تحليل المضمون** بما يخدم أهداف البحث، ويعرفنا على واقع العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي في الكثير من أبعادها التي تتوفر عليها الأسئلة الفرعية للدراسة. التي قمنا بتجريبها أولاً ثم جمع البيانات الميدانية من خلالها.

1- وهم : أ.د فضيل دليو، أ.د الطيب صيد، أ.د بشير بن طبة، أ.د أحمد عبدلي، د. نور الدين رواينية ، د. سميرة طرادخوجة ، أ. أحمد رواينية .

*- تمثل التغيير هنا في استبدال الأسئلة المفتوحة بالمغلقة، نظراً لإعراض العينة التجريبية كلياً عن الإجابة عليها، ثم حذف الكثير من الأسئلة نظراً لطول الاستمارة التي بلغت ثلاثون صفحة في بداية بنائها، أين لاحظنا عدم الإجابة على أغلب الأسئلة، لذا حاولت أن أنتقي أكثرها ارتباطاً بالمحاور بما يخدم أهداف البحث.

** -وضعنا بعض الفئات في بناء الأداة ثم قمنا بحذفها نظراً لضعف دلالاتها التي أظهرتها العينة التجريبية منها: فئة اللغة المستخدمة في التعليقات، وفئة الاستمالات الإقناعية، فئة الأهداف.

3 - مجتمع الدراسة:

لا يمكن القيام بدراسة ميدانية دون اختيار مجتمع البحث المناسب الذي يتوافق مع طبيعة الدراسة وأهدافها، وذلك لضمان نجاح البحث العلمي في بعده الإمبريقي، ويعرفه محمد عبد الحميد على أنه: "المجتمع الأكبر أو مجموع المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق نتائج الدراسة، ويمثل المجتمع الكلي المستهدف"¹.

لتحديد إطار البحث أو مجتمعه عادة ما يتم اللجوء إلى تحديد المجالين المكاني والزمني، أي أين ومتى يتم إجراء البحث.، كما يجب الاعتماد في تحديد مجتمع البحث الذي سيتم أخذ مفردات العينة منه، على معايير واضحة ومحددة مسبقاً، يصفها "روبينسون (Robinson) بالتضمينية و/ أو الاستبعادية (الإقصائية) "Inclusion and/or exclusion criteria"، ويقصد بمعايير التضمين الخصائص التي يجب على مفردات العينة أن تتميز بها لتكون مؤهلة للمشاركة في البحث، بينما تحدد معايير الاستبعاد الخصائص التي تجعلها غير مؤهلة للمشاركة في البحث، وذلك من خلال تحديد الخصائص المطلوب توافرها في مفردات العينة، والتي قد تشمل تحديد سمات ديموغرافية معينة (مثل العمر والجنس)، أو سمات اجتماعية-ثقافية (مثل العرق والدخل والمستوى التعليمي)... وهي نفس المعايير تقريبا التي تستعمل في اختيار نوع من أنواع العينات القصدية مثل، العينة المعيارية.²

نظرا لتعدد الأدوات البحثية في هذه الدراسة، فلا بد أن تتعدد معها مجتمعات البحث بما تخدم أهداف البحث أيضا، ويمكن أن نقسمه على أساس أدوات البحث إلى ما يلي:

• **مجتمع البحث الخاص بأداة الاستبيان الإلكتروني:** ويتمثل في المستخدمين العرب المسلمين الذين يتواصلون من خلال شبكات التواصل الاجتماعي مع ثقافات غربية لا ينتمي أفرادها للإسلام*،

¹ - محمد عبد الحميد، البحث العلمي في تكنولوجيا التعليم، ط1، عالم الكتب لنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص204.

² - فضيل دليو، اختيار العينة في البحوث الكيفية، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، مج 3 / ع3، 2022، ص9. من موقع <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/778/3/3/201551>، تاريخ الدخول 2023/05/05 على الساعة 30:00.

* نظرا لخصوصية هذا العنصر الثقافي وقدرته على توحيد وجهات النظر، قمنا بوضعه كشرط في المجتمع ثم العينة للحفاظ على التباين الذي على أساسه سيدرس السياق الديني.

طيلة الفترة الزمنية من جانفي 2020 إلى غاية نوفمبر 2020، وهي الفترة التي وزعت فيها الاستمارة بعد بنائها في انتظار استرجاع قدر كاف من الإجابات.

● **مجتمع البحث الخاص بأداة المقابلة:** ويتمثل أيضا في المستخدمين العرب المسلمين الذين يتواصلون من خلال شبكات التواصل الاجتماعي مع ثقافات أجنبية غربية لا ينتمي أفرادها للإسلام، وهم ذات الأفراد الذين أجابوا على الاستبيان، وذلك خلال الفترة الزمنية من فيفري 2021 إلى سبتمبر 2021، وهي الفترة التي نتظر فيها توفر العينة التي توافق على إجراء المقابلة، والتي تتوافق مع قدرات الباحثة في التواصل معها لإجراء المقابلة التي جمعت بين شكيلين عن بعد ووجها لوجه.

● **مجتمع البحث الخاص بأداة تحليل مضمون:** ويتمثل في تعليقات المستخدمين عموما على المواضيع المتنوعة المعروضة عبر موقع اليوتيوب والتي تحمل البعد الثقافي في مضامينها، ويتمثل المجتمع هنا في التعليقات التي كانت موجودة خلال مرحلة البحث الممتدة في الفترة الزمنية من مارس 2022 إلى غاية ماي 2022.

4-عينة الدراسة وخصائصها:

4-1-عينة الدراسة:

نظرا لكبر حجم العينة لا يمكننا دراسة جميع الأفراد، وبالتالي فإن الضرورة البحثية هنا تستدعي اختيار عينة مناسبة لتحقيق أهداف البحث، والتي تعرف على أنها: "جزء من مجتمع الدراسة وهي العناصر المراد دراستها والعملية التي تقوم على العينة هي المعاينة"¹.

تماشيا مع طبيعة اختيار العينة في هذه الدراسة والذي تم عبر الإنترنت فإن التعريف هنا سيرتبط بهذا الفضاء الافتراضي كالاتي: "يمكن وصف أي عملية اختيار العينة بكونها عبر الإنترنت عندما يتم فيها استخراج الوحدات من مجتمع الدراسة المستهدف من خلال وسائل الاتصال عبر الإنترنت [...]."

¹ - منذر الضامن، أساسيات البحث العلمي، ط1، دار مسيرة، عمان، 2007، ص 160.

ويتكون هذا المجتمع عموماً من أشخاص أو محتويات أو منظمات [...] أو علاقات (مثل الروابط التشعبية وروابط التواصل) أو سلوكيات أو خبرات".¹

إن تعدد مجتمعات البحث الافتراضية بما يتوافق مع الأدوات البحثية، يحتم بالضرورة تعدد العينات التي سوف تختلف توافقاً مع ذلك، وقد كانت كالتالي:

• عينة أداة الاستبيان الإلكتروني: وتتمثل في عينة كرة الثلج الافتراضية، وفي هذا الصدد يذكر الدكتور فضيل دليو بأنه عندما يتم الطلب من بعض المستهدفين بالبحث بتحديد المزيد من الأشخاص للرد فسنكون بصدد عينة كرة الثلج الافتراضية أو بالسلسلة أو "الموجهة من طرف المبحوثين" (Respondent-Driven Sampling) أو العينة "المرجعية" (Referral) كما يسميها البعض. فهي تقنية رغم ما بها من أخطاء في التحيز إلا أنها أسرع، ويفضل استعمالها في المجموعات الافتراضية حيث يكون الناس يعرفون بعضهم بعضاً، ويتحدثون على الرد، وينشرون أداة جمع البيانات عبر مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر، فيسبوك، تلغرام، إنستغرام، لينكدإن...) وخاصة إذا كان مجتمع الدراسة المستهدف يستعمل مثل هذه المواقع. وعينة كرة الثلج عادة ما تضبط زمنياً بعامل التشيع المعلوماتي، مع الإشارة إلى أن هؤلاء المجنّدون النشطون في معاينة كرة الثلج الافتراضية لا يرقون إلى مستوى فعالية المجنّدين النشطين من خلال الاتصال الشخصي خارج العالم الافتراضي.² وهو ما انعكس على دراستنا حيث لم نستطع تجاوز الستين مبحوثاً من خلال هذه العينة.

لجأنا إلى هذا الأسلوب لأن الوسط غير معروف كلياً، أي أننا نتوجه إلى البعض من خلال البعض الآخر، إلى غاية الحصول على العدد المطلوب، وعليه فإننا سنضخم العينة أكثر فأكثر، بالضبط كما لو كنا ندفع كرة ثلجية، إنها الصورة الأكثر تعبيراً عن هذا النوع من الفرز".³

1- فضيل دليو، اختيار العينات عبر الأنترنت في البحوث الاجتماعية، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج 06، ع 02، 2023، ص 03. من موقع <https://www.researchgate.net/publication/370830861> ، تاريخ الدخول 2023/06/05 على الساعة 00:00.

2- المرجع نفسه، ص 13.

3- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية -تدريبات عملية-، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2006، ص ص 314، 315.

كما كان من أسباب اختيارنا لها إعراض أفراد مجتمع البحث الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة على الإجابة على الاستبيان الإلكتروني عندما قمنا بوضعه في مجموعات على موقع الفاييس بوك، لذا لجأنا في البداية إلى البحث قصديا على المستوى الواقعي عن الأفراد الذين تتوفر فيهم شرطي العروبة والإسلام مع شرط التواصل مع الثقافات الغربية على أن لا ينتمي أفرادها للإسلام، وهم بدورهم دأونا على أشخاص آخرين افتراضيين تتوفر فيهم نفس الشروط السابقة للإجابة على الاستبيان الإلكتروني، حتى توقف عدد مفردات العينة عند العدد ستون.

بعد مدة من الانتظار قاربت السنة، والتي وزعت فيها الاستثمارة دون زيادة هذا العدد قمنا بالاكتماء بـ (60) مفردة، خاصة وأنا وجدنا تكرارا معتبرا في اتجاه الإجابات مما يعني وصولنا لمرحلة التشبع نسبيا بهذا العدد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه العينة لا تمثل إلا نفسها، وإن كان هناك بعض الإجابات التي يمكن من خلالها إسقاط الحكم على المجتمعات العربية ككل، انطلاقا مما قرره الباحثون في هذا الموضوع.

● **عينة أداة المقابلة:** اخترنا هنا قصديا العينة المريحة، وتعتبر العينة المريحة أو بالصدفة أو العرضية، التي تعرف أحيانا باسم العينة المتاحة (Available) أو الظرفية (Opportunity) نوعا من العينات غير الاحتمالية التي يكون سحب مفرداتها من الجزء الأقرب من متناول اليد من مجتمع البحث. فنتختار هذه العينة لأنها سهلة المنال ومريحة للباحث. وقد يكون ذلك من خلال مقابلة الأشخاص مصادفة في أروقة المؤسسات أو إدراجهم في قائمة العينة بعد الالتقاء بهم ميدانيا أو اختيارهم بعد العثور عليهم من خلال الإنترنت أو عبر الهاتف... كما قد يكونوا من "المتطوعين" -حسب "أومونا" Omona"، وهو نوع من العينات القصدية الذي عادة ما يتم اعتباره نوعا مستقلا عن العينات المريحة، وتنطوي المعاينة المريحة على اعتماد الحالات "المستجيبة" على التوالي إلى حد استكمال عدد وحدات التحليل الذي يشير إليه حجم العينة التقديري أو المحدد مسبقا. حيث يتم اختيار مفرداتها جزئيا أو كليا، بما يناسب راحة الباحث. فالباحث لا يقوم بأي محاولة، أو يقوم بمحاولات محدودة، لضمان تحصيل عينة مجتمع بحثه.¹

1- فضيل دليو، اختيار العينة في البحوث الكيفية، مرجع سابق، ص12.

خلال فترة البحث عن العينة - كما ذكرنا سابقا في مجتمع المقابلة- قمنا باختيار المشاركين من عينة الاستبيان والذين أتاحت لنا الفرصة للتواصل معهم والوصول إليهم بسهولة، وقد بلغ عدد هؤلاء 9 مشاركين.

● **عينة أداة تحليل المضمون:** يمكن أن نشير بداية إلى أن الأفضلية المعترف بها للأسبوع المبني في تحليل المحتويات الإعلامية التقليدية (الثابتة) لم تعد مطلقة في حالة تحليل المحتويات الإلكترونية غير الثابتة "زمنانيا"، والتي قد تتطلب قدرا من القصدية في اختيار بعض محددات المعاينة. كان في السابق الاختيار القصدية يتعلق بفترة زمنية خاصة بحدث معين تُمَّتْ تغطيته إعلاميا طيلة هذه الفترة (حملة انتخابية، حدث ديني أو ثقافي أو رياضي أو اجتماعي...)، أما في الإعلام الإلكتروني، فلا يمكن تثبيت البيانات الإخبارية الأولية عبر الإنترنت، فما بالك بالتعليقات والتحليلات الإعلامية المرتبطة بها إلكترونيا، ومن ثم يجب استخراج المعنى من محتويات متحركة ومتكاثرة.¹

إضافة إلى ذلك، فإن إمكانية تحرك الآلاف بل الملايين من المحتويات المستهدفة وكيفية تغييرها ووضعها في سياقات مختلفة من خلال التعليقات والارتباطات الشعبية، تؤثر أيضا على المعنى الذي يمكن أن يكون مستمدا من دراستها. وبالتالي لا يمكن من حيث المبدأ، أن تكون هناك وحدة مفضلة للتحليل مسبقا، لأن المحلل لا يعرف ما هي الحدود التي ستكون ذات دلالة. ويتربط على ذلك أن تحليل هذا المحتوى "السائل - liquid" يحتاج إلى عدة نقاط قياس قصدية وطريقة تحليل كيفية تساعده في استنباط المعاني الموضوعاتية - كما يقول "هيرينغ" (Herring2010) وذلك بطريقة تدرجية مع توالي الأخبار وتحيينها وبالاعتماد على المحتوى والسياق. وهذا بدوره يشير إلى أن المعاينة يجب أن تكون على الأقل وإلى حد معين قصدية (تستبعد المعلومات غير المهمة) واستقرائية واقعية (لأنه من المستحيل معرفة ما سيحدث في بنية ومحتوى الوسيلة الإعلامية مسبقا). وبالرغم من أن هذا الإجراء الموجه تبعا للمستجدات الإخبارية قد يبدو طريقة تحليل المحتوى المعمول بها سابقا، إلا أنه لا يزال مستمدا من

1- فضيل دليو، اختيار العينات عبر الانترنت في البحوث الاجتماعية، مرجع سابق، ص14

"الارتباطات المنطقية" التي يجب أن توجه أي عملية اختيار للعينات. ومع ذلك، فإن عملية الاختيار، بسبب التحديات المكانية والزمانية للوسائط الرقمية مختلفة تماما.¹

من هنا عمدنا إلى الاختيار القصدي للمادة التحليلية في هذا الفضاء الافتراضي وفق العينة

القصدية متعددة المراحل حسب تصنيف "أونيغبوزي وكولينس Onigbuzi and Collins (2007)".²

نشير بداية إلى أن تحديد التعليقات في مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كمادة لتحليل المضمون يعود إلى قدرة هذا الشكل على التعبير عن التواصل بين مختلف الثقافات العربية وغيرها، نظرا لما رأيناه أثناء المرحلة الاستطلاعية من قدرتها على التعبير على فئات التحليل المختارة وبالتالي التعبير على الاتصال بين مختلف الثقافات بما يخدم أحد أهداف البحث. كما أن ذلك كان نتيجة عدم تمكننا من الوصول إلى مجموعات تعكس التنوع الثقافي مع توفر المواضيع المثيرة للجدل، مع عدم تمكننا بل استحالة السماح لنا من طرف المبحوثين أو المشاركين بتحليل رسائلهم الشخصية مع الآخر الغربي.

ثم إن اختيارنا لموقع "اليوتيوب" من بين المواقع الكثيرة التي تتوفر عليها شبكات التواصل الاجتماعي يعود لكثرة التعليقات التي تتوفر عليها، واختلاف توجهاتها. في البداية أردنا أن نأخذ عينة الدراسة من موقع الفاييس بوك كونه الأكثر في الاستخدام بالنسبة لعينتي المقابلة والاستبيان الإلكتروني، ولكن بعد الدراسة الاستطلاعية وجدنا أن البحث في الموقع الأول كان أثرى من حيث التعليقات التي تخدم الموضوع، إضافة إلى أن استخدام عينتي الدراسة لموقع الفاييس بوك في التواصل مع الآخر الغربي يبدو من خلال إجاباتهم وأنماط استخدامهم أنه كان ذو بعد شخصي أكثر منه جمعي، مما دفعنا لاختيار موقع اليوتيوب كميدان للدراسة التحليلية.

تصرح هنا الكاتبة ثريا أحمد البدوي أن الهدف الأول لاستخدام اليوتيوب على مستوى الأفراد هو تدعيمه للمشاركة بين الثقافات، عبر تشجيع المستخدمين بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية على مشاركة الأنشطة المختلفة، كرفع الفيديوهات Up loading والمشاهدة Viewing والمناقشة Discussing

¹ - فضيل دليو، اختيار العينات عبر الانترنت في الحوث الاجتماعية، مرجع سابق، ص 14.

² - فضيل دليو، اختيار العينة في البحوث الكيفية، مرجع سابق، ص 11.

وإنشاء قنوات خاصة بهم على الموقع لإنتاج محتوى إبداعي ومشاركة مقاطع الفيديو التي تخصهم مع المستخدمين حول العالم.¹ وقد زادت فاعلية هذا الموقع مع الوسائط التكنولوجية الحديثة التي يتيحها الذكاء الاصطناعي والتي على رأسها إمكانية ترجمة الفيديو كتابة إلى أي لغة يريدها المستخدم، مما سهل تبادل المعارف بين مختلفي الثقافات.

من بين المواضيع الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى في موقع اليوتيوب، اخترنا -بالاتفاق مع الأستاذة المشرفة ثم بالنظر إلى إجابات الباحثين في أداة الاستبيان الإلكتروني- * بعض المواضيع التي نرى بأنها تثير الجدل بين المجتمع العربي الإسلامي والمجتمع الغربي، وتمثل هذه المواضيع في: الحجاب، مكانة اللغة العربية، صورة العرب لدى الغرب، الحجاب، تعدد الزوجات، الديانة الإبراهيمية.

اعتمدنا على اللغة الفرنسية في البحث عن تلك المواضيع نظراً لأنها اللغة الأكثر شيوعاً لدى عيني الاستبيان والمقابلة، والأكثر توافقاً مع الآخر الذي تتواصل معه العينات الذي كان فرنسي بالدرجة الأولى.

قد اخترنا خمسة فيديوهات من مختلف المواضيع السابقة الذكر والتي تتوفر على أكثر عدد من التعليقات، لتتحصل على المواضيع الآتية: صورة العرب في فرنسا، تعدد الزوجات في فرنسا، مع أو ضد الحجاب في فرنسا، البيت الإبراهيمي في أبو ظبي، وأخيراً تأثير اللغة العربية على الفرنسية.**

نظراً لعدد التعليقات الكبير جداً في كل فيديو والذي يبلغ الألف أحياناً أو يفوقها، ولأنه لا يوجد إمكانية لتحديد جنسية الآخر أو انتماءه الديني أو الثقافي بصفة عامة، والتي لا يمكن أن تظهر من خلال اسم المستخدم أو بياناته الشخصية إلا نادراً، نظراً لطغيان الهويات الافتراضية على أكثرها، ليتضح لنا ظهور بارز للثقافتين العربية والإسلامية والغربية، انطلاقاً من ذلك قمنا باختيار بداية التعليقات الأهم من خانة "أهم التعليقات"، ولأن عددها كان كبير أيضاً اخترنا منها في كل فيديو ما بين سبعة

¹ - ثريا أحمد البدوي، مرجع سابق، ص 48.

* - أين قمنا باختيار بعض المواضيع لمعرفة اتجاه العربي المسلم والآخر الغربي نحوها، ثم اخترنا من بعضها ما يختلفان حولها.

** - مما هو ملاحظ من العناوين أن أغلبها ارتبط بالدولة الفرنسية لأننا في بحثنا على هذه المواضيع بصفة عامة اخترنا الفيديوهات التي توفرت على أكثر عدد من التعليقات وباللغة الفرنسية، مما يؤكد حساسية العلاقة بين هذه الدولة والمجتمع العربي الإسلامي عموماً.

عشر إلى عشرون تعليقا عند إحساسنا بالوصول إلى مرحلة التشبع، وذلك بعد أن لاحظنا أن هناك تكرارا واتجاها موحدًا في التعليقات، وقد تأكدنا من ذلك أيضا بعد استطلاعنا للتعليقات المتبقية الخارجة عن عينة التحليل، أين وجدنا أنها تسير على منحى التعليقات عينة التحليل، من هنا كان عدد التعليقات عينة الدراسة التي طبق عليها التحليل 91 تعليقا موزعة على الفيديوهات السابقة كالآتي:

- 17 تعليقا في فيديو "صورة العرب في فرنسا".
- 20 تعليقا في فيديو "تعدد الزوجات في فرنسا".
- 18 تعليقا في فيديو "مع أو ضد الحجاب في فرنسا".
- 17 تعليقا في فيديو "البيت الإبراهيمي في أبو ظبي".
- 19 تعليقا في فيديو "تأثير اللغة العربية على الفرنسية".

4-2- خصائص عينة الدراسة:

تتنوع خصائص العينة بتنوع عينات الدراسة التي تتعلق بأدوات جمع البيانات، والمتمثلة فيما يلي:

4-2-1- خصائص عينة الاستبيان الإلكتروني: تتميز عينة الدراسة هنا بجملة من الخصائص

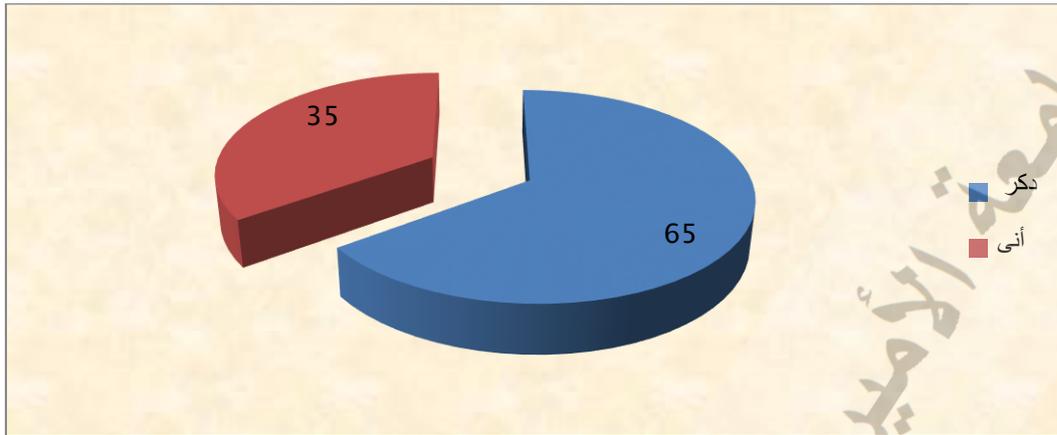
السوسيوديمغرافية

تتسم عينة الدراسة الخاصة بالاستبيان بجملة من الخصائص السوسيوديمغرافية التي تميز مفرداتها عن بعضها البعض، نعرضها من خلال المؤشرات الآتية:

❖ متغير الجنس:

يعتبر الجنس أهم الخصائص الديموغرافية التي تميز مفردات العينة، والتي يجب التعرف عليها لإدراك أيهما الجنس الأكثر تواسلا مع الآخر بين المبحوثين عينة الدراسة، وهو ما يبيّنه الشكل الموالي.

شكل رقم (4) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب متغير الجنس



أثبتت نتائج الدراسة التي يعكسها التمثيل البياني أعلاه أن نسبة "الذكور" أعلى من نسبة "الإناث" والتي بلغت 65% في مقابل 35% من الإناث، وهو ما يمكن أن يثبت أن الإناث لا يملن كثيرا للتواصل مع المختلف عنهم ثقافيا، والذي يحتاج عادة إلى مهارات أوسع في التواصل ووقت فراغ أكثر، وهو ما لا يمكن أن يتوفر للمرأة عادة خاصة في ظل خروجها للعمل مع ضغط مسؤولياتها في البيت، مما يجعلها ربما أقل إقبالا على هذا النوع من التواصل.

هذه النسب تتوافق مع دراسة "إيمان سكور" التي توصلت إلى نتيجة عامة مفادها أن الذكور أكثر استخداما للفيس بوك من الإناث،¹ ولكنها تخالف ما توصلت إليه دراسة "شيرين سلامة السعيد الدسوقي" من أن استخدام الإناث لشبكات التواصل الاجتماعي أكثر من استخدام الذكور،² وفي كلا الدراستين فإن الاستخدام هنا يتعلق بالتواصل بصفة عامة مع مختلف المستخدمين، على عكس دراستنا التي حددت صنفا معينا وهم الآخريين المختلفي ثقافيا عن المجتمع العربي.

عموما ليس هناك إحصائيات علمية - حسب علمنا - تثبت أيهما أكثر استخداما للشبكات الاجتماعية من بين الذكور والإناث في الوطن العربي، مما يجعل نتائجنا هنا نسبية تتعلق بميدان معين وفئة معينة ولا يمكن تعميمها على المجتمع العربي ككل.

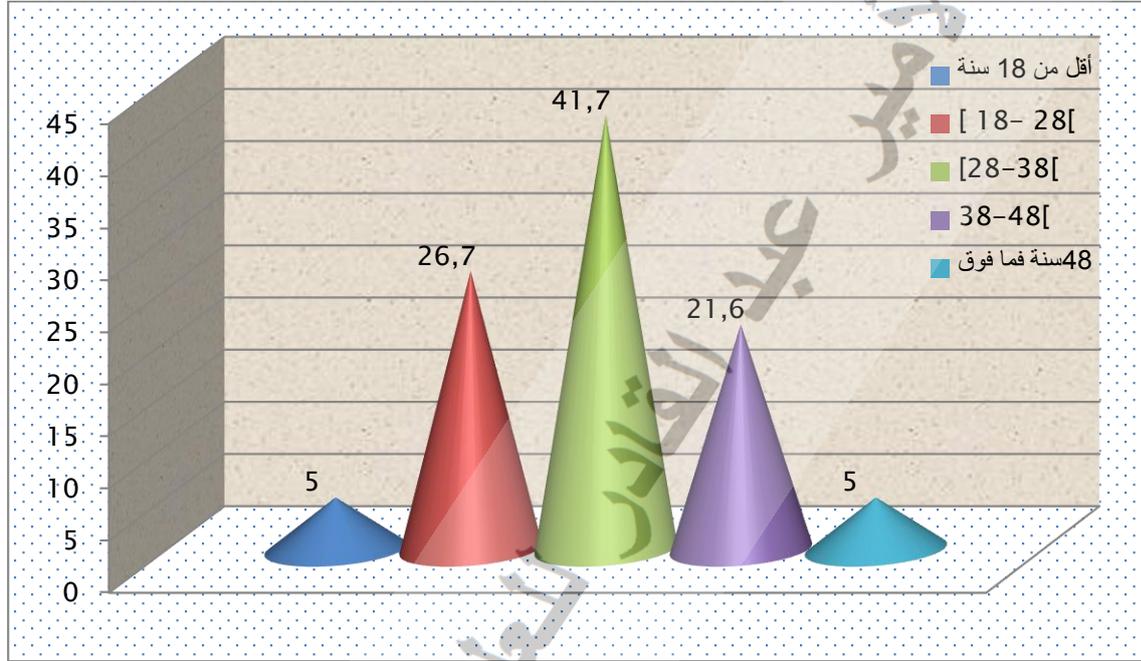
¹ - انظر ص 52 من عرض الدراسات السابقة.

² - انظر ص 67 من عرض الدراسات السابقة.

❖ متغير السن:

من الخصائص الهامة أيضا والتي تميز عينة الدراسة خاصية السن، أين نتعرف من خلاله على أعمار الأشخاص الأكثر تواسلا، فكانت النتائج كما يوضحها الشكل الموالي.

شكل رقم (5) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب متغير السن



تبين النسب الموجودة في الشكل رقم (5) أن أغلب مفردات العينة التي طبقت عليها الدراسة تنتمي إلى الفئة العمرية [38-28] بنسبة بلغت 41,7%، وهو ما لا يتوافق مع أغلب الدراسات السابقة في هذه المذكرة والتي توصلت إلى أن الفئة العمرية من 20 إلى 30 سنة هي الفئة الأكثر تواسلا ولكن عبر الشبكات الاجتماعية بصفة عامة،¹ وهو اختلاف يمكن أن نرجعه أساسا إلى خصوصية الموضوع، فهذه الفئة العمرية عموما تمتاز بقدر من النضج، وربما وعي أكبر بضرورة بناء جسور للتواصل مع الآخر المختلف، وما يمكن أن تحققه من منفعة على المستوى الشخصي أو العام.

¹ - ارجع إلى الصفحات على التوالي: 52، 64، 67، في نتائج دراسات كل من: إيمان سكور، خالد لمسيح، وشيرين سلامة سعيد الدسوقي.

تليها العينة التي يبلغ سنها من [18-28] بما يعادل نسبة 26.7%، وهي فئة الشباب عموماً، وتماشياً مع خصوصية الموضوع تؤكد هذه النتائج بصفة غير مباشرة أن الشباب عادة يهتمون بالتواصل أكثر مع من هم في نفس ثقافتهم نظراً لسهولة التواصل معهم بسبب التوافق اللغوي والقيمي والديني، ولكن هذا لا يلغي النسبة المعتبرة التي جازت عليها هذه الفئة، مما يعني أن هناك إقبالا معتبراً منها على هذا النوع من الاتصال الذي يفتح لهم آفاق التعارف والانفتاح على الآخرين، وهو ما يمثل طموحات الكثير من الشباب في عصرنا اليوم.

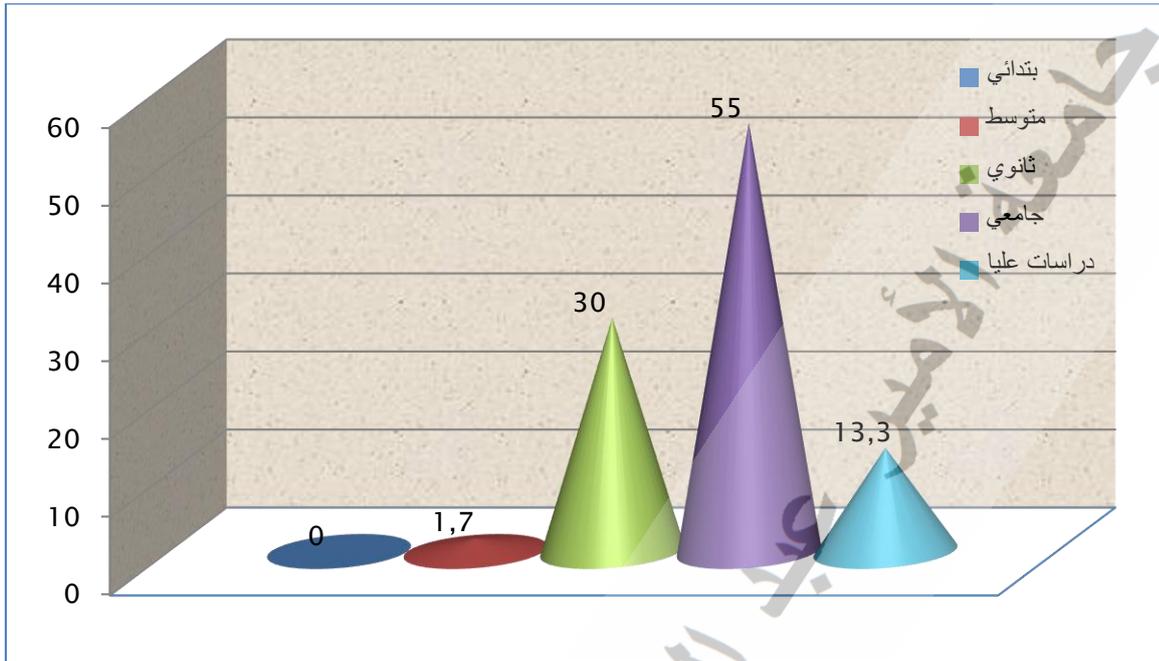
أما النسبة التي بلغت 21.6% فهي تعبر عن الفئة العمرية من [38-48] سنة، وهي نسبة تعكس عادة خصوصية هذه الفترة العمرية أين تجد الأشخاص أكثر انشغالا بالأمر الواقعية وأقل اهتماماً بالفضاء الافتراضي.

جاءت فئتي أقل من 18 سنة و48 سنة فما فوق بنسب مماثلة بلغت 5%، وهي نسبة قليلة جداً تتوافق عادة مع خصائص كل مرحلة عمرية واحتياجاتها، ففئة الأقل من 18 سنة لاتزال في مرحلة التعليم الثانوي، وهي أكثر المراحل العمرية حساسية في المسيرة العلمية للفرد، مما يستدعي مراجعة الأولويات ووضعها في المقدمة، وما عداها فهو مؤجل. أما من هم أكثر من 48 سنة فهم عادة أناس أكثر حذراً في علاقاتهم بالآخرين، وأكثر حرصاً على تحقيق أهدافهم بالاعتماد على الفضاء الواقعي أكثر من الافتراضي.

❖ متغير المستوى التعليمي:

من الخصائص الديمغرافية التي نحتاج لمعرفتها لما لها من أهمية بالغة في تكوين معارف الفرد واتجاهاته هي المستوى التعليمي، والذي لا بد أن له أثره الخاص في سيورة العملية التواصلية مع الآخر المختلف ثقافياً. والشكل الموالي يوضح المستوى التعليمي لمفردات العينة.

شكل رقم (6) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي



حسب الشكل رقم (6) يبدو لنا أن أكثر مفردات عينة الدراسة تتميز بمستوى تعليمي "جامعي" بما يعادل نسبة 55%، وتتوافق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة التي عرضناها سابقاً، إلا أنها تقصد مستخدمي الفيس بوك في التواصل بصفة عامة،¹ إلا أننا نقصد بصفة خاصة التواصل مع الآخر المختلف، وهذا المستوى التعليمي هو الذي يسمح للفرد عادة بإتقان أكثر من لغة، بما يتيح له التواصل مع الآخر، وهذه خاصية يتميز بها أساساً ذوو درجات علمية جامعية فما فوق.

أما المستوى الثاني الذي بلغ نسبة 30% فكان لفئة "الثانوي"، في حين حازت "الدراسات العليا" على نسبة 13.3%، وكانت النسبة الأقل لفئة أصحاب المستوى التعليمي "المتوسطي" بنسبة 1.7%، أما المستوى التعليمي "الابتدائي" فلم يكن هناك من يحمل هذه الخاصية من عينة الدراسة، مما يعني بصفة عامة أن الذين يتواصلون مع الثقافات الأخرى يملكون جميعاً مستويات علمية عالية في مجملها.

¹ - ارجع إلى الصفحات على التوالي: 52، 64، 67، في نتائج دراسات كل من: إيمان سكور، خالد المسيح، وشيرين سلامة سعيد الدسوقي.

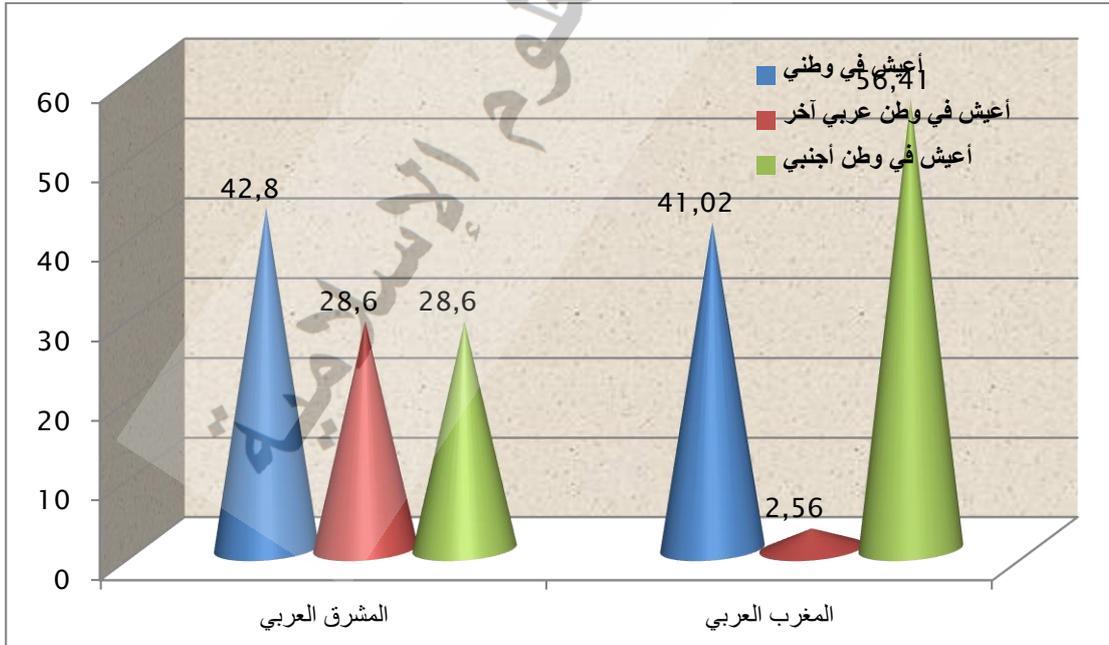
❖ بالنسبة لمكان الإقامة مع المجال الجغرافي:

تختلف أهمية المتغيرات الديمغرافية حسب طبيعة الموضوع، وفي موضوعنا هذا كان من الأهمية بمكان التعرف على المجال الجغرافي الذي تنتمي إليه عينة الدراسة ومكان إقامتها كما يوضحه الشكل البياني الموالي، وذلك نظرا لإمكانية تأثير ذلك على العملية الاتصالية بين المستخدمين.

جدول رقم (1) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب متغيري مكان الإقامة والمجال الجغرافي

المغرب العربي		المشرق العربي		المجال الجغرافي	مكان الإقامة
%	ك	%	ك		
41,02	16	42,8	9	المجال الجغرافي	أعيش في وطني
2.56	1	28,6	6		أعيش في وطن عربي آخر
56.41	22	28,6	6		أعيش في وطن أجنبي
100	39	100	21		المجموع

شكل رقم (7) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب متغيري مكان الإقامة والمجال الجغرافي



من خلال الشكل البياني أعلاه يتضح لنا أن أغلب عينة الدراسة كانت من "المغرب العربي"

بتكرار 39 من أصل 60 مفردة، في حين لم يكن من "المشرق العربي" إلا 21 مفردة.

في عينة "المغرب العربي" كانت النسبة الأكبر منهم "تعيش في وطن أجنبي" والتي بلغت 56.41%، ثم جاءت نسبة الذين "يعيشون في وطنهم" والتي تقدر بـ41.02%، أما الذين يعيشون في "وطن عربي آخر" فعددهم كان قليل جدا والذي لم يتجاوز نسبة 2.56%.

من جهة أخرى كانت العينة التي من "المشرق العربي" متمركزة بصفة أكبر في الذين "يعيشون في وطنهم" بدرجة أولى بنسبة 42.8%، ثم بين من "يعيشون في وطن عربي آخر" و"في وطن أجنبي" بنسبة متساوية بلغت 28.6% لكل منهما. أي أن الذين يعيشون في وطنهم هم الأكثر في التواصل مع الآخر، مما يعكس حاجتهم للتواصل مع الآخر أكثر من الذين يعيشون معهم، والذين ربما يميلون إلى أقربائهم وذوي ثقافتهم بسبب حنينهم لبلدهم.

نجد هنا النتائج تتناقض مع سابقتها في المغرب العربي، أين نجد المغاربة المغتربين أكثر تواصلًا مع الآخر، ربما بسبب العلاقات اليومية التي تربطهم معهم وتفرض عليهم هذا التواصل الواقعي، والذي في حالات كثيرة ينتقل إلى العالم الافتراضي.

❖ متغير مستوى اللغة:

مستوى اللغة أيضا من البيانات الديموغرافية الهامة التي تفرض ضرورة التعرف عليها في هذا الموضوع، ولمعرفة مستوى اللغات لدى عينة الدراسة قمنا بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات الباحثين، حيث تم تحديد مجال المتوسط الحسابي المرجع من خلال حساب المدى (4-1=3) ثم تقسيمه على طول الخلية (3/4=0.75)، ثم إضافة النتيجة المتحصل عليها إلى أقل قيمة في هذا المقياس الذي وضعته الباحثة وهي (1) لتتوصل على جميع أطوال الخلايا، والتي كانت كالآتي:

جدول رقم (2) يمثل المتوسط الحسابي المرجح

الاستجابة	الدرجة	المتوسط الحسابي المرجح	مستوى الاستجابة
ضعيف	1	من 1 إلى 1,75	منخفض
متوسط	2	من 1,76 إلى 2,50	متوسط
حسن	3	من 2,51 إلى 3,25	مرتفع
جيد	4	من 3,26 إلى 4	مرتفع جدا

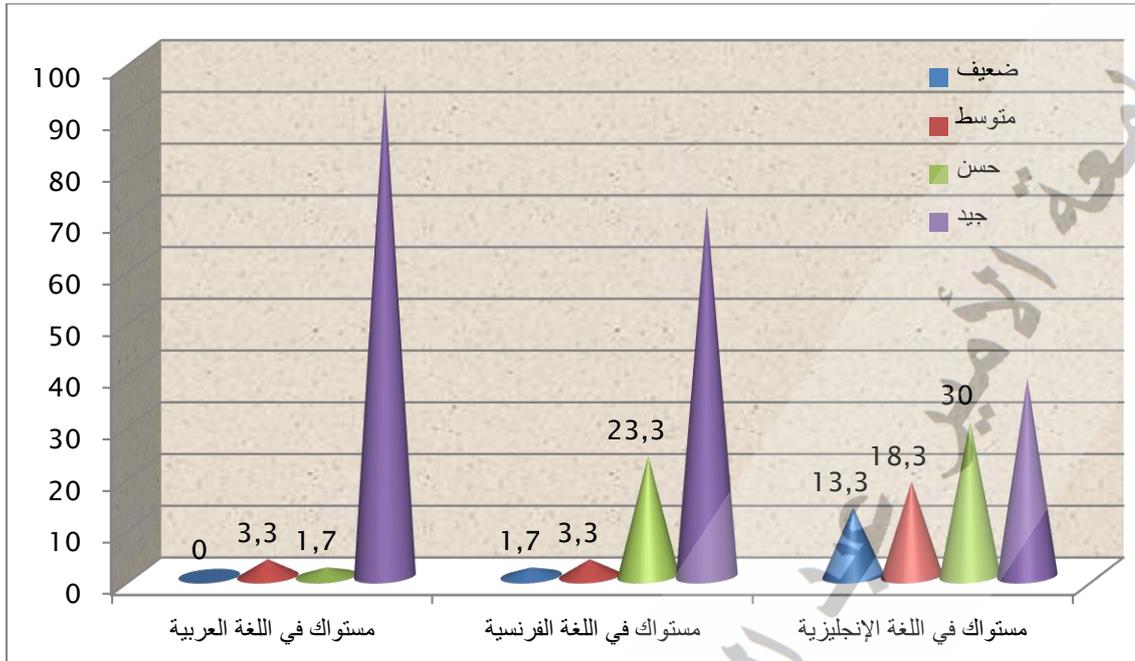
الجدول أعلاه عبارة عن دليل على مختلف مستويات الاستجابة لدى عينة الدراسة انطلاقا من

المتوسط الحسابي المتحصل عليه، كما يوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم (3) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب مستوى اللغة لدى مفردات العينة

مستوى الإجابة	مستوى الإجابة	المتوسط الحسابي	الانحراف	مستوى الإجابة	ضعيف	متوسط	حسن	جيد
مستواك في اللغة العربية	مرتفع جدا	3,91	,381		-	-	1	57
					% 00	% 3,3	% 1,7	% 95,0
مستواك في اللغة الفرنسية	مرتفع جدا	3,65	,633		1	2	14	43
					% 1,7	% 3,3	% 23,3	% 71,7
مستواك في اللغة الإنجليزية	مرتفع	2,93	1,055		8	11	18	23
					% 13,3	% 18,3	% 30,0	% 38,3

شكل رقم (8) يمثل توزيع عينة الدراسة حسب متغير مستوى اللغة



تعكس نتائج الجدول رقم (3) مع تمثيله البياني مستوى الاستجابة المرتفع جدا لمستوى المستخدم العربي في "اللغة العربية"، والذي بلغ متوسطه الحسابي 3.91، بانحراف معياري يعادل 0.38، وهي قيمة ضئيلة جدا تدل على التشتت المنخفض في استجابات أفراد عينة الدراسة حول مستواهم في هذه اللغة، وتعكس التقارب في وجهات نظر الباحثين، وهذا أمر طبيعي فهم عرب، واللغة العربية من أهم معالمهم الثقافية التي يجب أن يحافظوا عليها بالرغم من أن أغلبهم يعيشون خارج وطنهم، وهو ربما السبب في كون بعضهم دون مستوى حسن أو متوسط في هذه اللغة.

المستوى في "اللغة الفرنسية" أيضا كانت استجابته مرتفعة جدا بمتوسط حسابي بلغ 3.65، إلا أن انحرافه المعياري فاق انحراف المستوى في اللغة العربية، والذي بلغ 0.63، وهو إن كان يعكس تقارب إجابات الباحثين لأنه ضعيف نسبيا، إلا أنه يبين أنها أقل تقاربا من المستوى في اللغة العربية، وهو ما تعبر عنه نتيجة "حسن" التي نالت نسبة 23.3%.

إن هذه النتائج الإحصائية تتوافق بصورة ملحوظة مع خصائص العينة المدروسة من حيث مكان الإقامة والمجال الجغرافي، حيث أن أغلب أفراد العينة هم من المغرب العربي، فلا ريب من أن لغتهم

الأجنبية التي يتقونها أكثر والتي هي اللغة الثانية بالنسبة لهم هي اللغة الفرنسية بحكم العامل الاستعماري الذي عانت منه أغلب دول المغرب العربي، والذي ترك بصمته بقوة في هذا المجال.

أما "اللغة الإنجليزية" فقد حازت على مستوى استجابة مرتفع فقط بلغ متوسطه الحسابي 2.93، بانحراف معياري يقدر بـ 1.05، وهو مرتفع نسبيا مقارنة مع غيره، حيث يظهر من خلال التكرارات التي يعرضها الجدول حول هذه اللغة أن هناك نوعا من التشتت، حيث نالت كل درجة على عدد معتبرا من التكرارات، وإن كان أغلبهم في خانة المستوى "الجيد" والذي يعبر عن اهتمام نسبي من قبل مفردات العينة بهذه اللغة التي أصبحت لك مكانتها الخاصة على المستوى العالمي، وبالتالي مكانة خاصة في التواصل مع الآخر.

يتوافق مستوى الاستجابة أيضا في هذه اللغة مع المجال الجغرافي الذي كثيرا ما يرتبط بالعامل الاستعماري في انتشار لغة على حساب لغة أخرى، أين انعكست قلة العينة المنتمية إلى المشرق العربي على مستوى الاستجابة هنا، وإن كانت لهذه اللغة خصوصيتها التي تجعلها تتجاوز المعايير السابقة على حساب عالميتها التي تترجم مكانتها على المستوى البحثي العلمي ثم التواصلية.

4-2-2- خصائص عينة المقابلة: تتميز عينة المقابلة أيضا بجملة من الخصائص التي يمكن أن تؤثر في سلوكياتها مع الآخر الغربي واتجاهاتها نحوه، ومع اختلاف هذه الخصائص فإنها تجتمع في سمة أساسية وهي المستوى التعليمي المرتفع الذي كان العامل الأساسي في تمييزها عن خصائص عينة الاستبيان. ويمكن أن نعرض هذه الخصائص من خلال الجدول الموالي:

جدول رقم (4) يوضح خصائص عينة المقابلة

المشارك الخصائص	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العمر	31	29	28	56	55	32	34	27	47
المستوى التعليمي	دراسات ت عليا (دكتوراه هـ)	جامعي	دراسات عليا (ماجستير)	دراسات عليا (ماجستير)	دراسات عليا (بروفيسور)	دراسات عليا (تحضير للدكتوراه)	جامعي	جامعي (ماستر)	مهندس
المهنة	أستاذ جامعي	طبيب	طبيب	صحفي وباحث في الشأن المغاربي	أستاذ جامعي	أستاذ جامعي	عاملة بدار رعاية المسنين	أستاذة في الطور الثانوي	مهندس في الإعلام الآلي
التخصص	اتصال مؤسسا في	طب جلد	طب عام	علاقات دولية	أدب مقارن	إعلام واتصال	علوم قانونية	الإنجليزية	إعلام آلي
الجنسية	جزائرية	جزائر ية	جزائرية	جزائرية	جزائرية	جزائرية	مزدوجة جزائرية فرنسية	جزائرية	مزدوج الجنسية جزائري فرنسي
مكان الإقامة	الجزائر	ألمانيا	ألمانيا	فرنسا	الجزائر	الجزائر	فرنسا	الجزائر	فرنسا

5-2-3- خصائص عينة تحليل المضمون: تتمثل عينة تحليل المضمون في مجموعة من التعليقات على بعض المواضيع في موقع اليوتيوب والتي حددتها الباحثة وفق اعتبارات معينة، ولأننا لا يمكن توصيف التعليقات التي ستظهر خصائصها بعد عملية التحليل من خلال الفئات المناسبة لذلك، قمنا بتوصيف الفيديوهات المختارة* كعينة قصدية من موقع اليوتيوب، والتي أخذت منها عينة التعليقات، والجدول الموالي يوضح ذلك.

* -انظر في الملاحق.

جدول رقم (5) يوضح خصائص عينة فيديوهات تحليل المضمون

الفيديو الأول	
Polygamie en France, let's talk Macron !	العنوان
https://www.youtube.com/watch?v=bGVjJPsr6vw&t=8s	الرابط
تعدد الزوجات في فرنسا: لنتحدث عن ماكرون	الترجمة
Fabienne Chauvin	جهة النشر
تعدد الزوجات	فكرة موضوع البحث*
أفريل 2021	تاريخ النشر
4.278 ألف	المشاهدة
340	الإعجاب
94	التعليقات
13.5 ألف	الاشتراك
عرض الفيديو حوارا لشخصيات فرنسية معروفة يناقشون موضوع تعدد الزوجات، بنظرة سلبية ترى ضرورة منعه قانونيا، من باب الحفاظ على حقوق المرأة والمساواة بينها وبين الرجل، في مقابل حرية الرجل في إقامة علاقات مع أكثر من امرأة خارج إطار الزواج. وهنا عرضت صاحبة الفيديو آراء ومقاطع فيديوهات أخرى ونماذج تفند وجهات نظر المتحاورين وتبين بطلانها وتناقضاتها.	الملخص
الفيديو الثاني	
La Maison d'Abraham à Abu Dhabi, symbole de la tolérance religieuse	العنوان
https://www.youtube.com/watch?v=8jKMI5DXa8s&t=7s	الرابط
البيت الإبراهيمي في أبو ظبي: رمز التوافق والحوار الديني	الترجمة

*- نقصد به الفكرة الأولى التي انطلقنا منها في البحث عن المواضيع المختارة قصديا، وهي ذات التسميات والعناوين التي حافظنا عليها عند تحليل تعليقات مختلف الفيديوهات عند عرض وتحليل نتائج أداة تحليل المضمون.

euronews (en français)/ Inspire-Middle East	جهة النشر
الديانة الإبراهيمية	فكرة موضوع البحث
29 أكتوبر 2020	تاريخ النشر
23.599 ألف	المشاهدة
165	الإعجاب
177	التعليقات
1.77 مليون	الاشتراك
عرض الفيديو مشروع الإمارات في بناء بيت يتكون من ثلاثة بنايات تمثل المسجد والكنيسة والكنيس بهدف إقامة توافق بين الديانات السماوية الثلاثة، وقد تحدثت المقدمة عن أهداف هذا المشروع والاتفاقيات التي عقدت بين البابا وإمام الأزهر أحمد الطيبي والتي تدعو إلى الأخرة ونشر السلام في العالم، كما عرضت مجموعة من الآراء الموافقة لهذا الرأي من طرف شخصيات إسلامية ومسيحية.	الملخص
الفيديو الثالث	
Pour ou Contre le Voile Islamique ?	العنوان
مع أو ضد الحجاب الإسلامي	الترجمة
https://www.youtube.com/watch?v=pXQ0-mm9CLM&t=31s	الرابط
Micro-Troittoir/ MTA Français	جهة النشر
الحجاب	فكرة موضوع البحث
26 مارس 2019	تاريخ النشر
212.852 ألف	المشاهدة
3 آلاف	الإعجاب
2.9 ألف	التعليقات
14.2 ألف	الاشتراك

الملخص	تم في هذا الفيديو طرح سؤال على بعض العينات من المجتمع الفرنسي الذين كان من بينهم المسلمين حول رأيهم في ارتداء المرأة للحجاب في مجتمعه، وهل هو مع هذا السلوك أو ضده، وهنا تباينت وجهات النظر بين موافق ومحيد ومعارض للحجاب، إلا أن أغلبهم اعتبروه حرية شخصية لا يقبل التدخل فيها.
العنوان	الفيديو الرابع Jean Pruvost évoque son livre «Nos ancêtres les Arabes»
الرابط	https://www.youtube.com/watch?v=mfibl2KDYNs&t=53s
الترجمة	جون بريفوست ايفوك وكتابه: "أجدادنا العرب"
جهة النشر	La Grande Librairie
فكرة موضوع البحث	مكانة اللغة العربية
تاريخ النشر	4 أبريل 2017
المشاهدة	239.993 ألف
الإعجاب	3.5 ألف
التعليقات	1.6 ألف
الاشتراك	192 ألف
الملخص	عرض الكاتب في هذه الحصة كتابه "أجدادنا العرب" أين تم مناقشة محتويات الكتاب مع مجموعة من المتخصصين اللغويين. ويدور محتوى الكتاب حول مساهمة اللغة العربية في إثراء اللغة الفرنسية، وقد قدموا الكثير من الأمثلة الحية حول بعض الكلمات الموجودة في القاموس الفرنسي والتي هي من أصل عربي. ثم تحدثوا عن مدى خطورة تحول الفرنسية إلى عربية والتي نفاها أغلبهم.
العنوان	الفيديو الخامس L'image des arabes en France
الرابط	https://www.youtube.com/watch?v=4iXWAMh_iY&t=16s
الترجمة	صورة العرب في فرنسا

Majid Oukacha	جهة النشر
صورة العرب لدى الغرب	فكرة موضوع البحث
17 سبتمبر 2019	تاريخ النشر
144.736 ألف	المشاهدة
6.5 ألف	الإعجاب
4.807 ألف	التعليقات
114 ألف	الاشتراك
<p>تحدث صاحب الفيديو ماجد عكاشة عن الصورة السلبية التي يحملها الفرنسيون عن العرب في بلاد الغرب، وذلك نتيجة للسلوكات السيئة التي يقوم بها الكثير منهم، والتي جعلتهم يعممون الحكم على الجميع وليس على فئة محددة، وهو ما جعل صاحب الفيديو يقوم بنصح المستخدم بعدم اتخاذ تلك المواقف والتجارب الشخصية معيارا في تعميم الصورة على جميع العرب المسلمين.</p>	

الفصل الرابع:

عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أولاً: تحليلات السياق الثقافي الذي يوجه الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية

ثانياً الصور الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم العربية الإسلامية والآخر الغربي في حدود الاتصال بينهما

ثالثاً: كيفية ظهور الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستويين المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب

رابعاً: عرض النتائج العامة للدراسة

أولاً: تجليات السياق الثقافي الذي يضبط الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية

ثانياً: دل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية

1. أنماط استخدام العربي للشبكات الاجتماعية في العلاقة الاتصالية مع

الآخر العربي

2. تجليات السياق الثقافي الديني الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين

المستخدم العربي والآخر العربي عبر الشبكات الاجتماعية.

3. تجليات السياق الثقافي القيمي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين

المستخدم العربي والآخر العربي عبر الشبكات الاجتماعية.

4. تجليات السياق الثقافي اللغوي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين

المستخدم العربي والآخر العربي عبر الشبكات الاجتماعية

أولاً- تجليات السياق الثقافي الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين مستخدمي الشبكات

الاجتماعية في ظل التنوع القائم بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية:

تنطلق هذه الدراسة الميدانية من مبادئ التفاعلية الرمزية، أين يستند التفاعل الرمزي إلى منهجية فردية ذاتية، بمعنى أن المقاربة التفاعلية الرمزية تعطي دوراً كبيراً للفاعل ضمن بيئته الاجتماعية الطبيعية، وتعبير آخر يعتمد التفاعل الرمزي على استعراض تجارب الأفراد، بغرض فهم الدلالات الرمزية لأفعال الأفراد داخل السياق الاجتماعي، وما تتميز بها هذه الأفعال البينية من دلالات ومعان وحمولات رمزية.¹

عمدنا هنا إلى عرض آراء الباحثين حول تواصلهم مع الآخر الغربي، على ضوء نظرية بالو ألتو (Palo Alto)، وذلك بالنظر إلى سياقات ثقافية مختلفة تعمل على ضبط وتوجيه تلك التجارب، وتساعدنا على فهم الدلالات الرمزية للعينة في سياقها، من خلال مجموعة مؤشرات-نرى أنها مهمة- تظهر في العلاقة الاتصالية بين العينة والآخر الغربي، وتوجهنا للتعرف على استجابات عينة الدراسة في حدودها، وقد تمثلت تلك المؤشرات التي عبرنا بها على هذا السياق فيما يلي:

1) - أنماط استخدام الباحثين للشبكات الاجتماعية في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي

يتواصل مستخدمي الشبكات الاجتماعية بعبادات مختلفة وأنماط متنوعة تبين لنا مميزات ذلك الاتصال وخصوصيته في هذا الفضاء، ولا بد أن هذه العادات والأنماط تختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر، بهدف تحقيق غايات محددة من هذا التواصل، لذا سنحاول هنا التعرف على ذلك في حدود السؤال الآتي: ما هي أنماط تواصل الباحثين مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية؟
قمنا بتفكيك هذا البعد في هذا السؤال إلى مجموعة من المؤشرات التي نرى بأنها مناسبة وكافية نسبياً للإجابة على هذا السؤال في حدود عينة الدراسة المختارة، وتتمثل فيما يلي:

¹ - جميل حمداوي، مرجع سابق، ص 43، 44.

✓ الموقع الأكثر استخداما في التواصل مع الآخر الغربي:

تتعدد المواقع الخاصة بشبكات التواصل الاجتماعي وتتنوع وفقا للامميزات والخصائص التي تتميز بها والتي تتيحها لمستخدميها، وهو ما يجعل المستخدمين يختارون موقعا دون آخر بما يحقق أهدافهم ويتوافق مع إمكانياتهم، لذا حاولنا التعرف هنا على أكثر المواقع استخداما من طرف عينة الدراسة في التواصل مع هذا الآخر المختلف كما يوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم (5) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير الموقع الأكثر استخداما لديها في التواصل مع الآخر الغربي:

الموقع	ك	%
الفايس بوك	26	43.33
التويتتر	1	1.66
الواتس آب	10	16.66
الأنستغرام	12	20
التيك توك	3	5
اليوتيوب	8	13.33
أخرى تذكر	-	-
المجموع	60	100

يتضح لنا من خلال الجدول رقم (5) أن موقع "الفايس بوك" هو الأكثر استعمالا في التواصل مع الآخر الغربي من طرف عينة الدراسة وذلك بنسبة كبيرة جدا بلغت 43.33%، ثم موقع "الأنستغرام" بنسبة 20%، يليه موقع "الواتس آب" الذي احتل المكانة الثالثة بنسبة 16.66%، ثم جاءت نسبة 13.33% لموقع "اليوتيوب"، وبعدها موقع "التيك توك" بنسبة قدرت بـ 5%، أما في المرتبة الأخيرة وبنسبة 1.66% وقع اختيار العينة على موقع "التويتتر".

تعكس النتائج أهمية الفايس بوك كموقع احتل الصدارة في استعماله للتواصل مع الآخر الغربي لدى عينة الدراسة، وهو الموقع الذي احتل الصدارة في أغلب الدول العربية وبفارق كبير عن باقي

المواقع، ومن هذه الدول: الجزائر، مصر، المغرب، المملكة العربية السعودية، الإمارات...¹، فالمجتمع الجزائري مثلاً وصل استخدامه للفيس بوك نسبة 87.61% في ديسمبر 2022،² وهذا الموقع الذي يتيح التواصل الجمعي مع الآخرين عن طريق التعليقات، يتيح أيضاً عن طريق المسنجر فايس بوك التواصل ذو البعد الشخصي، مما يجعله محل استقطاب أكثر من طرف العينة، والتي يبدو أنهما توظفها في هذا الشكل أكثر من غيره كنمط اتصالي يقرب العلاقة أكثر.

كما أن هذه النتيجة تتوافق مع ما توصلت إليه دراسة مؤيد نصيف جاسم المعدي عن الوظيفة الاتصالية لشبكات التواصل الاجتماعي في تفضيل العينة لاستخدام هذا الموقع،³ وكذلك دراسة Winda Monika and other التي أثبتت أن العينة تتواصل مع أصدقائها الدوليين ومعظمهم موجودون على الفيس بوك،⁴ لكن الاختلاف طبعاً يبقى قائماً انطلاقاً من خصوصية كل عينة، والأهداف المراد تحقيقها من خلال هذا الموقع.

أما المرتبة المئوية فجاءت لموقع "الأنستغرام" الذي يعزز الاتصالات السريعة عبر الصور والتعليقات عليها أو تسجيل الإعجاب، وهو من المواقع التي اكتسبت شعبية على المستوى الفردي والمؤسسي. والأنستغرام تطبيق متاح لتبادل الصور، إضافة إلى أنها شبكة اجتماعية. وقد كانت بدايته عام 2010م حينما تم الوصول إلى تطبيق يعمل على التقاط الصور، وإضافة فلتر رقمي إليها، وإرسالها عبر خدمات الشبكات الاجتماعية، كما أن هناك استخدامات شائعة للكيك kik والتانغو Tango وسناب شات Snap Chat وغيرها،⁵ لتمكّن العينة من التواصل مع الآخر الغربي بأحدث الوسائط التي تسمح بنقل المعلومات بمختلف أشكالها.

¹ - بالاعتماد على موقع social media stats / gs.statcounter.com وهي إحصاءات خاصة بدول الوطن العربي

بداية من جانفي 2022 إلى غاية ديسمبر 2022. تاريخ الدخول 2023/01/13 م على الساعة 01:06

² - وهو ما يوضحه نفس الموقع الذي عرض نتائج خاصة بكل دولة في استخدام موقع الفيس بوك.

³ - انظر ص 71 من عرض الدراسات السابقة.

⁴ - انظر ص 61 من عرض الدراسات السابقة.

⁵ - عبد الرحمن بن ابراهيم، مرجع سابق، 2015، ص 66.

بعدها جاء موقع "الواتس آب" الذي انتشر بين الشباب لسهولة التعامل مع هذه التقنية من خلال الهاتف المحمول وإمكانية تشكيل مجموعات التواصل وتحويل الرسائل النصية والصور وإمكانية الحفظ، بل أصبحت الوسيلة الشعبية للتواصل الاجتماعي والمؤثر الفاعل على السلوك الفردي والجماعي،¹ وبالتالي سمحت لهذه الفئة باستغلال تقنياتها في التواصل مع الآخر الغربي.

أما موقع "اليوتيوب" الذي كانت له مكانة أيضا كوسيلة للتواصل عبر عن الاتصال الجمعي أكثر من الشخصي لكونه يتيح بصفة أساسية التعليق على مختلف الفيديوهات، "بدأت في عام 2005 على يد ثلاثة من موظفي "PayPal"، وتم تمويلها بمبلغ 11.5 مليون دولار من قبل صندوق رأس المال المخاطر المحترم "Sequoia Capital"، يعد حاليا من أكبر المواقع لمشاركة الفيديوهات على الويب،² فهو يتيح إمكانية التحميل عليه أو منه لعدد هائل من مقاطع الفيديو، وهناك أعداد كبيرة يمتلكون حساب فيه ويوزره الملايين من البشر يوميا، وتستفيد منه وسائل الإعلام المختلفة بعرض مقاطع الفيديو، التي لم يتمكن مراسليها من الحصول عليها... ويشتمل الموقع على مقاطع متنوعة من أفلام السينما والتلفزيون والفيديو والموسيقى.³

يأتي بعد ذلك موقع "التيك توك" الذي يعد أحد أكثر التطبيقات المجانية تنزيلا في الربع الأول من العام الجاري، بعد ما تم تحميله 315 مليون مرة على مستوى العالم، وبشكل عام يمكن تفسير سماته في تقديمه فيديوهات جذابة لا تتجاوز مدتها الدقيقة، مع إضافة الموسيقى وبعض المؤثرات الصوتية بجانب الملصقات التي تضاف إلى الوجه، وذلك باستخدام تقنيات التصوير المتاحة على التطبيق والهواتف الذكية، فعند فتح التطبيق تعرض مقاطع الفيديو الواحد تلو الآخر ما يمكن من مشاهدة مئات الفيديوهات لساعات ممتدة، كما يمكن مشاركتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي،⁴ وبالتالي استخدم بهذه الميزات للتواصل مع الآخر الغربي بأحدث الوسائط الممكنة.

¹ عبد الرحمن بن ابراهيم، مرجع سابق، ص 65.

² - Dan zarella , **the social media marketing book** , OReilly Media , canada , 2010 , p83

³ عبد الرحمن بن ابراهيم ، مرجع سابق، ص 65.

⁴ - الصين يحقق نجاح كبير غير مسبوق في الولايات المتحدة الأمريكية!!، عن الموقع:

www.arabtoday.com/2018/11/tik tok ، تاريخ الدخول 11/07/2023 على الساعة: 11:44 .

أخيرا جاء موقع "التويتر" الذي يتميز بأن التغريدات فيه ليست مقصورة على الأصدقاء، ولكن يمكن البحث عنها بشكل عالمي، وعند حدوث أي خبر عاجل في أي مكان في العالم فإن التويتر يعمل كأداة هامة ذات نفوذ قوي لصحافة المواطن فضلا عن أن لديه قوة وصول كبيرة.¹

من ثمّ فإن التويتر ليس وسيلة للتواصل الاجتماعي فقط، وإنما هو مصدر أساسي للأخبار حيث أن مستخدميه لا يشاركون الأخبار من مصادرها فقط، وإنما قد يكونون هم أنفسهم مصدرا للأخبار العاجلة من أماكن حدوثها قبل أن تصل للصحافة،² من هنا كان استخدامه في التواصل مع الآخر الغربي أقل من غيره من المواقع.

عموما يمكن القول أن مكانة الموقع في التواصل تختلف من بلد إلى آخر، كما يخضع اختيارها إلى ميولات المستخدم وورغباته واحتياجاته، بل ويخضع هذا الاستعمال أيضا إلى ميولات الآخر الغربي وورغباته، ليحصل الاتفاق بينهما على الموقع الذي يحقق أكثر فاعلية في التواصل لكليهما معا.

✓ عدد الآخرين الغربيين الذين تتواصل معهم عينة الدراسة :

لا بد أن أغلب مفردات عينة الدراسة لا تتواصل مع شخص واحد يخالفها ثقافتها، لذا سنحاول التعرف على عدد من تتواصل معهم، حتى نحدد فيما بعد جنسية الشخص الأكثر تواجدا معه.

¹ -S. Shariff and other. **User Perception of Information Credibility of News on Twitter**. 36th European Conference on IR Research, Amsterdam, April 13–16, 2014 .

² - Shanen Ma. **Breaking News: Twitter is more powerful than Facebook at breaking news**. Telstra Exchange. 2012

<https://exchange.telstra.com.au/twitter-is-more-powerful-than-facebook-at-breaking-news>

جدول رقم (6) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير عدد الآخرين الغربيين الذين يتواصلون معهم

عدد الآخرين المختلفين	ك	%
أقل من 5	42	70
[5 - 10]	14	23.3
أكثر من 10	4	6.7
المجموع	60	100

يعكس الجدول أعلاه أن أغلب عينة الدراسة وهم 70% يتواصلون مع أجنبي لا يفوق عددهم "5" أشخاص، في حين نسبة 23.3% يصرحون بأن أصدقاءهم الأجنبي يتراوح عددهم من "5" إلى "10" أشخاص، أما الذين يفوق أصدقاؤهم الأجنبي الذين يتواصلون معهم "10" أشخاص فتبلغ نسبتهم 6.7%.

تقدم النتائج سالفه الذكر نتيجة مفادها أنه مهما أتاح العالم الافتراضي وشبكات التواصل الاجتماعي بناء علاقات تواصلية مع الأجنبي، سيقى للمستخدم ميولاته ورغباته الخاصة في اختيار أصدقائه وفق ما يتوافق مع شخصيته واهتماماته، والتي يمكن أن لا تتوفر في الأصدقاء المختلفين عنهم ثقافيا، لذا كان عددهم صغير نسبيا عند أغلب عينة الدراسة، خاصة وأننا نلاحظ أن عدد الأصدقاء عادة كثير جدا في أغلبه عند المستخدمين العرب لهذه الشبكات. ومن النتائج الهامة التي توفرت عليها دراسة كل من نورية سواملية وكثوم صدراقي والتي تدعم ما توصلنا إليه هنا هو تفضيل عينة الدراسة التواصل مع ذوي الجنسيات الجزائرية والديانات الإسلامية مثلهم، ثم مع العرب بصفة عامة، وأخيرا مع الأجنبي.¹

أما النسبة التي جاءت في المرتبة الثانية والتي تعبر عن عدد أصدقاء يتراوح من 5 إلى 10 فهي في رأيي يمكن أن تعبر عن علاقات عمل، ومصالح أكثر منها علاقات شخصية وصدقات، وخاصة

¹ - ارجع ص 50 من عرض الدراسات السابقة.

بالنسبة لعينة الدراسة التي تعيش بالخارج، والتي يفرض عليها الواقع أن تحتك بهم، وأن تبني علاقات معهم بما يخدم احتياجاتهم الاجتماعية الواقعية.

مع ذلك فإن العدد بدأ يقل عند الفئة الأخيرة بفارق كبير نوعاً ما، مما يؤكد أنه مهما دعت الضرورة لهذه العلاقات فإن العدد يبقى محدوداً مقارنة مع ما نراه من كثرة تواصلهم عبر الشبكات الاجتماعية مع أشخاص عرب مثلهم - كما ذكرنا سابقاً -، أشخاصاً يتقاسمون معهم الكثير من الصفات والاهتمامات التي توثق العلاقة أكثر بينهم.

✓ انتماء الآخر الغربي الأكثر تواملاً معه من طرف عينة الدراسة:

تبين لنا سابقاً أن عينة الدراسة تتواصل مع أكثر من شخص غربي، ولا بد أن شدة العلاقة معهم تختلف من شخص لآخر، لذا حاولنا من خلال هذه الجزئية أن نتعرف على انتماء هذا الغربي الذي تتواصل معه العينة بصفة أكبر.

جدول رقم (7) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير انتماء الآخر الغربي الأكثر تواملاً معه

انتماء الآخر	ك	%
أمريكي	10	16.66
ألماني	7	11.66
فرنسي	35	58.33
بريطاني	2	3.33
اسباني	2	3.33
أخرى تذكر	4	6.66
المجموع	60	100

يبين الجدول أعلاه أن النسبة الأكبر لانتماء الآخر الغربي الذي يتواصل معه المبحوثون كانت "فرنسي" بما يعادل 58.33%، تليها الانتماء "أمريكي" بنسبة 16.66%، ثم احتلت "ألماني" المرتبة الموالية في التوزيع بنسبة 11.66%، وبعدها جاءت فئة "أخرى تذكر" بنسبة 6.66%، والتي مثلتها

كل من الانتماءات "كندي" و"هولندي" و"نرويجي" و"روسي"، وفي الأخير وبنسب متساوية بلغت 3.33% لكل انتماء منهما جاءت "إسباني" و"بريطاني".

إن تصدر الآخر ذو الانتماء الفرنسي للمرتبة الأولى يتجانس مع كون أغلب عينة الدراسة من المغرب العربي عموماً، ومن جهة أخرى مع المستوى المرتفع لاستجابات العينة في اللغة الفرنسية، وهنا نلمس البعد التاريخي لهذه العلاقة التي لم تستطع أن تنقطع بعد كل هذه السنوات من خروج الاستعمار من دول المغرب العربي بصفة عامة، إذ لا يزال هناك حبل تواصل معهم ولكن بأسلوب يتوافق مع خصوصية هذا العصر الإلكتروني الذي استطاع أن يتجاوز الكثير من العوائق التي أوجدتها الحياة الواقعية.

يمكن القول أيضاً أنّ عامل اللغة له بصمته الخاصة، إذ أن اللغة التي يتقنها الكثير من المجتمعات المغاربية وخاصة الكبار منهم والمتقنين بعد اللغة العربية هي اللغة الفرنسية، مما جعل الوضع يفرض على من يريدون التواصل مع الأجانب أن يختاروا أصدقاء يفهمون هذه اللغة.

كما أن عامل الهجرة يمكن أن تكون سبباً مقنعاً في العلاقة القائمة بين الطرفين، إذ أن أكبر نسبة للجالية المغاربية موجودة في فرنسا، مما يزيد من الترابط بين المجتمعين على المستوى الواقعي أولاً، ليستدعي الأمر ولضرورات الحياة اليومية الانتقال بها وتدعيمها أكثر من خلال الفضاء الافتراضي.

إن العلاقة القائمة بين الفرنسي والمنتسب للمغرب الغربي علاقة تتجاوزها الكثير من المعطيات السياسية والثقافية والتاريخية التي تجاوزت المستويات الدولية إلى المستويات الفردية، أين يكون التواصل فيما بينهم أكثر سهولة نظرياً للخلفيات المعرفية لكل واحد منهما عن الطرف الثاني.

بعدها جاء الانتماء الأمريكي للآخر الذي أصبح يسيطر عالمياً وعلى جميع المستويات، فلا غرابة في الإقبال على التواصل معهم من قبل العينة، والاستفادة من خبراته ومعارفه، خاصة في مجال العلم والتكنولوجيا. كما أن النتائج هنا تتوافق من جهة أخرى مع عينة الدراسة التي تنتمي إلى المشرق العربي، لتظهر هنا سلطة التاريخ في هذا الميول، إضافة إلى النتائج التي تعكس مستوى اللغة الإنجليزية لدى عينة الدراسة.

أما بالنسبة للانتماءات الأخرى فيمكن أن نرجع تواصل الباحثين مع ذويها إلى العالم الجغرافي الذي يجمع طرفي العلاقة في رقعة جغرافية واحدة، انطلاقاً من النتائج السابقة الخاصة بخصائص عينة الدراسة والتي تثبت أن نسبة معتبرة من العينة تعيش في بلدان أجنبية. ومما لا شك فيه أن الكثير من العلاقات في الواقع الافتراضي هي امتداد لعلاقات واقعية، كما يمكن أن يظهر هنا عامل المصلحة الشخصية التي تقتضي التواصل مع انتماءات محددة دون غيرها.

✓ أسس اختيار العينة التواصل مع هذا الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية:

بما أن عينة الدراسة اختارت شخصية محددة تتواصل معها أكثر من غيرها، فلا بد أن لذلك علاقة بخصائص معينة تتوفر في هذه الشخصية دون غيرها من الآخرين الذين يتواصلون معهم، وهو ما تبينه نتائج الجدول الموالي.

جدول رقم (8) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير أسس اختيارها التواصل مع هذا الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية:

أسس اختيار التواصل مع الآخر	ك	%
الجنس المشترك	22	19.29
المستوى التعليمي المشترك	26	22.8
السن المشترك	16	14.03
الاهتمام المشترك	13	11.4
المهنة المشتركة	28	24.56
أخرى تذكر	9	7.89
المجموع	114	100

يبين الجدول أعلاه أن "المهنة المشتركة" هي الأساس الأول في اختيار التواصل مع هذا الآخر الغربي، وذلك بنسبة 24.56%، يليه وبنسبة متقاربة فئة "المستوى التعليمي المشترك" والتي بلغت نسبتها 22.8%، ثم جاءت فئة "الجنس المشترك" بنسبة 19.29%، وبعدها احتل أساس "السن المشترك" المرتبة الرابعة في اختيار عينة الدراسة، حيث قدرت نسبتها بـ 14.03%، ثم كان الاختيار

الذي في مرتبة موالية لأساس "الاهتمام المشترك" بنسبة بلغت 11.4%، ليأتي في آخر القائمة "فئة أخرى تذكر" بنسبة 7.89%.

إن النتائج الكمية السالفة الذكر تعكس مكانة "المهنة المشتركة" كأساس مهم في اختيار التواصل مع الآخر الغربي، وهو ما يؤدي إلى تبادل الخبرات المهنية العملية، أو على الأقل يعكس حرص الطرف الأول على الاستفادة من معارف ومهارات وخبرات الآخر الذي يمارس نفس مهنته، وهو ميول منطقي لمن أراد استثمار علاقاته التي كثيرا ما كنا نظن أنها مجرد دردشات عابرة ومضيعة للوقت، لكن هذا الاختيار يثبت وعي الباحثين في اختيار الأساس الذي تبنى عليه علاقاتهم مع الآخر الغربي، والذي يجعلها عادة ذات ديمومة أكبر.

لا يقل أهمية عما سبق، الأساس الذي جاء في المرتبة الموالية وهو "المستوى التعليمي المشترك"، إذ يعتبر أيضا من العناصر المهمة والموجهة للتواصل مع الآخرين بصفة عامة ومع الآخر الغربي بصفة خاصة، وبالتالي فهو يعكس سعة الأفق لدى مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي عينة الدراسة، ووعي بأساس هام يحقق التوافق بين المتواصلين، ويخلق فرصا أكبر لتبادل الخبرات في المستويات التعليمية للطرفين، إضافة إلى أن له علاقة كبيرة بالأساس الأول، والذي كثيرا ما يمثل بابا من أبوابها.

كما أن "للجنس المشترك" أهميته الخاصة لدى عينة الدراسة، تظهرها النسبة التي حازت عليها هذه الفئة، وهو ما يدل على أن التواصل مع الآخر وعند الكثيرين مشروط بالجنس المشترك الذي يخلق راحة أكبر وفسحة أوسع في التواصل وعرض مختلف المواضيع، إذ أن اختلاف الجنس هنا قد يتجاوز حدودا في التواصل لا يسمح بها دين المجتمع العربي الإسلامي وعاداته وتقاليده، لأن التواصل مع الجنس الآخر في هذا المجتمع له شروطه وضوابطه التي يصعب التحكم فيها في هذا الفضاء الافتراضي، وإن كانت أهون بالنسبة لمن يقاسمهم نفس الدين والعادات والتقاليد، لأنهم يعرفون الحدود الفاصلة بين العلاقتين، ولكنهم في الكثير من المواقف قد يتجاوزونها في ظل غياب الرقابة من طرف المؤسسات الاجتماعية في شبكات التواصل الاجتماعي.

أيضا كان "تقارب السن" من الأسس التي جعلت عينة الدراسة تختار التواصل مع هذا الآخر، ولا يخفي علينا أهمية السن الذي ينتج عنه اقتراب في الأفكار والرغبات والاحتياجات، وحتى الاهتمامات التي جاءت كأساس موال في الاختيار.

أما الأساس الذي نال النسبة الأقل في الاختيار فكان "الاهتمام المشترك" الذي لا نشك في أهميته كعامل أساسي من عوامل اختيار الأصدقاء عموما في الفضاء الافتراضي، بل حتى في اختيار التواصل مع الأجانب كما أثبتته دراسة نورية سواملية وكثوم صدراتي في كونها المحفز الأول لذلك¹ ويمكن أن نرجع هذا التباين في مكانة هذا العامل بين الدراستين إلى اختلاف السن بين العينتين، إذ كانت عينة دراستنا في مستوى متوسط عمري يعكس انتماءهم لسوق العمل خلاف عينة دراسة سواملية وصدراي التي كانت من الطلبة، مما يعني تركيزهم على الاهتمامات المشتركة أكثر من أي شيء آخر.

أما فئة "أخرى تذكر" فشملت في مجملها الأسس الآتية: حيز العمل المشترك، صلة القرابة بينهما، الرقعة الجغرافية المشتركة في السكن... وهي كلها أسس تعبر على الارتباط القوي بين علاقات العالم الواقعي والافتراضي، خاصة بالنسبة للمهاجرين الذين يعيشون بالخارج، إذ كثيرا ما نرى ذلك الانتقال في العلاقات، والذي عادة ما يزيد من صلابتها واستمراريتها، وتعويضها لعلاقات الوطن، وهو ما يتوافق مع دراسة **Ming Xie1 & Chin-Chung Chao** التي أثبتت أن وسائل التواصل الاجتماعي تعوض فقدان الدعم الاجتماعي والرأس مال الاجتماعي غير المتصل بالإنترنت من بلدانهم الأصلية.²

عموما ينبه هابرماس في هذه النقطة على أن العقل التواصلية الحوارية يستوجب أن يكون المتواصل المتحاور حذرا في اختيار الأشخاص أو الجهات التي تفرضها اهتماماته وأهدافه مع انتهاج كل قواعد الاحتراس، ومن بينها الإقرار بأن أولئك الأشخاص أو الجهات تمتلك نفس القدرات

1- ارجع ص 50 في عرض الدراسات السابقة.

2- ارجع ص 63 في عرض الدراسات السابقة.

والمهارات التواصلية، بل والنظر إليها كسلطة معرفية لاتخاذ مواقف أو اكتساب مصالح. يتجلى من هذه الحرية التواصلية - بحسب تحليلات يورغن هابرماس - أن غاية كل طرف هي الوصول إلى اتفاقات مبرهن عليها، أو اكتشاف قواسم مشتركة تتحقق بها مصالح الجميع، أو تساعد على التعايش في إطار حياة ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو عقدية، بذلك وفي حالة المنازعات المسلحة أو المصارعات الاقتصادية أو المواجهات الحضارية والثقافية والعقدية تنتقي الأطراف وباتفاق مسبق حلولاً مقبولة لأنها معقولة.¹

✓ دوافع التواصل بين عينة الاستبيان والآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

لابد أن تواصل عينة الدراسة مع الآخر ليس من فراغ، وإنما له دوافع ووراءه أسباب أوجدت رغبة لدى المستخدمين في التواصل مع الأجناب الغربيين لإشباع هذه الرغبة، وأدت إلى ظهور هذه العلاقة التفاعلية معه، وخلق مجال للاتصال والتعارف بينهما، وهو ما يوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم (9) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير دوافع تواصلها مع الآخر الغربي عبر

شبكات التواصل الاجتماعي:

دوافع التواصل مع الآخر الغربي	ك	%
الاستفادة من خبرات ومعارف الآخر	22	36.7
تضييع الوقت	3	5
التعرف على ثقافة الآخر المختلف	13	21.66
التعريف بثقافتك للآخر	6	10
إشباع رغبات عاطفية	2	3.33
بناء صداقة جديدة	12	20
مساعدتك في الهجرة إلى بلده	2	3.33
أخرى تذكر	-	-
المجموع	60	100

¹ - محمد مصطفى القباج، مرجع سابق، ص 141.

انطلاقاً من الجدول رقم (9) حاز دافع "الاستفادة من معارف وخبرات الآخر" على أكبر نسبة والتي بلغت 36.7%، يليه دافع "التعرف على ثقافة الآخر" والذي تقدر نسبته بـ 21.66%، ثم جاء دافع "بناء صداقة جديدة" بنسبة متقاربة مع سابقه بلغت 20%، يليه دافع "التعريف بثقافتك للآخر" بما يعادل نصف نسبة الدافع السابق، والتي بلغت 10%، وأخيراً احتلت دوافع "تضييع الوقت" و "إشباع رغبات عاطفية" و "مساعدتك في الهجرة إلى بلده" المراتب الأخيرة بنسب ضئيلة ومتقاربة بلغت على التوالي 5% للأولى و 3.33% لكل دافع من الدوافع الأخرى.

إن هذه النتائج تعكس بصورة جلية أن الآخر بالنسبة للعربي هو ذلك الشخص الذي يمتلك مختلف المواهب و"الخبرات والمعارف" التي تؤهله لأن يكون محط اهتمام من قبل غيره، خاصة أولئك الذين يمتلكون شهادات عليا، لما عرف عليهم من الاتقان والاجتهاد وحب العمل، مما يسمح لمفردات العينة بتبادل الخبرات معهم والاستفادة منهم، خاصة وأن أغلبهم كانوا ذوو مستوى علمي جامعي.

جاء بعدها دافع "التعرف على ثقافة الآخر"، أين نجد شباب اليوم مولع بالآخر ونمط حياته، مما ولد لديه الفضول والرغبة في التواصل معه والتعرف على ثقافته وقيمه وعاداته، وهي نتيجة توافق ما توصلت إليه دراسة نورية سواملية وكثوم صدراتي من كون الاحتكاك بالثقافات المختلفة وتبادل المعارف مع شعوب مغايرة في الديانات والأجناس هو من الأسباب التي تدفعهم للتواصل مع الأجانب.¹

إن الاختلاف الثقافي بين العربي والآخر هو أهم ما يميز هذه العلاقة عن غيرها من العلاقات التي تتيحها شبكات التواصل الاجتماعي، لأنه يمكن أن يتواصل المستخدم العربي مع أصدقاء من نفس ثقافته بدافع الاستفادة من الخبرات أو بناء الصداقات أو تضييع الوقت... الخ، وهي دوافع

¹ - ارجع ص 50 من عرض الدراسات السابقة.

يمكن أن يحققها له أي شخص يتواصل معه. ولكن لا يمكن أن يتحقق هذا الدافع ويحقق هدفه إلا مع هذا الآخر الغربي المختلف عنه ثقافيا في أبعاد وعناصر متنوعة.

لن يستطيع العربي التعرف على ثقافة الآخر والاستفادة منها إلا إذا تحلى بثقافة الاختلاف، فالاختلاف ليس على قدر واحد من الدرجة، فالاختلاف الحاصل مثلا بين الثقافتين الإنجليزية والفرنسية ليس بنفس حدة الاختلاف الحاصل بين إحداها والثقافة الصينية وهكذا يكون الاختلاف أساسيا لوجود الثقافة، لكنه يزيد وينقص تبعا لعوامل كثيرة منها التاريخي والجغرافي والديني والقيمي...، ونحن بحاجة إلى التحلي بثقافة الاختلاف التي تحتاج إلى الانطلاق من وجود الاختلاف ابتداء¹. إن الفهم العميق لأهمية الاختلاف الثقافي، والتمكن من آليات الاستفادة من مختلف الخبرات الثقافية العالمية يساهم وبشكل فعال في إثراء القدرات العقلية وبناء أدوات ذهنية جديدة، بل ويفسح المجال أمام الفرد المكوّن للجماعة كي يتجاوز وجهة النظر القائمة على مركزية الذات، مما يعني القبول بفكرة الانتماء إلى الإنسانية، التي تتنوع وتتكامل وتغني بتعدد ثقافاتهما، وهي خطوة بالغة الأهمية إذا ما أردنا الانخراط في برنامج التعايش مع الآخر المختلف².

أما الدافع الثاني في التواصل مع الآخر الغربي هو دافع يتوافق مع خصوصية الشبكات الاجتماعية التي أنشئت أساسا لبناء "علاقات وصدقات مع الآخرين"، حيث نلاحظ أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي اليوم لهم أعداد كثيرة من الأصدقاء العرب مثلهم، فلا عجب في رغبتهم في تجربة الصداقة مع الآخر الغربي، وقد أكدت ذلك دراسة كل من نورية سوامية

¹ - سعد البازعي، ثقافة الاختلاف: نحو تأصيل المفهوم، مجلة العربي، ع59، 2008، من موقع:

<https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/6729> تاريخ الدخول 2023/01/08 على الساعة 08:30

² - عبد العزيز نميرات، في شرعية الاختلاف الحضاري والتعددية الثقافية، مجلة التفاهم، مج 16، ع 62، نشر من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2018، من موقع <https://tafahom.mara.gov.om> تاريخ الدخول 2023/01/08 على

الساعة 09:30

وكلثوم صدراتي التي توصلت إلى أن الدافع الأول من استخدام الشبكات عموما هو التواصل مع الأصدقاء والتعرف عليهم.¹

من هنا فاللجوء إلى الاعلام الاجتماعي والدردشة الالكترونية مع الآخرين الرمزيين قد يكون تعبيراً عن حاجة إلى الاتصال أو الانتماء إلى الآخرين أو الحصول على الحس الاجتماعي، غير أن الارتباط رمزي ووهمي، ومن ثم فهو لا يحقق الرغبة الأصلية إلا بصفة شكلية مؤقتة، وعلى هذا الأساس قد تكون النتيجة عكسية إذا لم تتحول هذه العلاقة الرمزية حقيقة في الواقع.²

جزء معتبر من عينة الدراسة صرّح بأن تواصله مع الغربي كان بدافع "التعريف بثقافته العربية الإسلامية"، وهو ما يوحي إما بافتخاره بثقافته المستمدة أساساً من دينه، ورغبته في تعريف الآخر بها، أو بوعيه بجمالية ذلك في ظل التشويه الذي يطالها من الغرب، وفي ظل غياب مبادرات بمستويات أعلى لتحسين تلك الصور الذهنية وترشيدها، فجاء هذا المستخدم من عينة الدراسة ليحاول أن يضع لبنة تغيير حسب قدراته والفرص المتاحة له.

هناك دوافع عبرت عن رغبات عدد قليل جداً من عينة الدراسة والمتمثلة في "تضييع الوقت" الذي يعاني منه الكثير من الشباب العربي سواء صرح بذلك أم لم يصرح، فالواقع خير شاهد على إدمان الكثيرين على مواقع التواصل الاجتماعي وكثرة الدردشات مع الأصدقاء. هناك أيضاً من عينة الدراسة من يتواصل مع الآخر الغربي لبناء "علاقات عاطفية" بغض النظر عن مدى صدقها، خاصة مع ولع الكثير من شباب اليوم بالزواج بالأجنبيات والأجانب من أجل الانتقال إلى العيش في بلادهم، فهم يعيشون على أمل تحقيق ذلك بشتى الوسائل المشروعة أو غير المشروعة، وهو ما يوافق أيضاً الفئة التي قالت بأن دافعهم الأول للتواصل هو "الهجرة"، وهو اتجاه أكدته فئة معتبرة من عينة

¹ - ارجع ص 49 من عرض الدراسات السابقة.

² - عزى عبد الرحمن، حفريات في الفكر الاعلامي القيمي -مالك بن نبي، النورسي، الورتلاني، صن تسو-، ط1، الدار المتوسطة، تونس، 2011، ص171.

دراسة كل من نورية سوامية وكلثوم صدراتي في تبرير تفضيلها للتواصل مع الأجانب، أين اعتبرت أن عامل الهجرة هو مشروع مهم في حياتهم لن يتحقق إلا عن طريق التواصل مع الأجانب.¹ إن عامل الهجرة يعبر بقوة عن واقع شباب اليوم بصفة عامة والذي لم يعد يجد سبيلا للنجاة من صعوبة العيش ومشاكل البطالة إلا في الهجرة إلى بلاد الغرب. أما في دراستنا فقد لمسنا نوعا من وعي العينة في اختياراتها، وهي التي كانت في مستوى عمري وثقافي يجعلها تحدد دوافعها وأهدافها بموضوعية وبحكمة أكبر.

✓ السيرورة الزمنية لتواصل العينة مع هذا الآخر الغربي

لكل علاقة مع أي إنسان سيرورة زمنية قد تطول وقد تنقطع حسب متانتها وصدقها، تطول إذا توفرت على شروط التواصل ومهارات الحفاظ عليها، وتقصّر لتتقطع إذا أساء أحد طرفيها أو كلاهما تسيير هذه العلاقة على النهج الصحيح، وفي هذا الجزء سنحاول التعرف على سيرورة العلاقة الزمنية بين طرفي العملية الاتصالية في موضوعنا.

جدول رقم (10) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير السيرورة الزمنية لتواصلها مع الآخر

الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

السيرورة الزمنية	ك	%
أقل من سنة	16	26.7
من سنة إلى خمس سنوات	28	46.7
من خمس سنوات إلى عشر سنوات	4	6.7
أكثر من عشر سنوات	12	20
المجموع	60	100

صرحت أغلب عينة الدراسة وكما يوضحه الجدول أعلاه أن تواصلها مع هذا الآخر الغربي كان "من سنة إلى خمس سنوات" بنسبة 46.7%، في حين أن نسبة 26.7% يتواصلون مع الآخر

¹ - ارجع ص 50 من عرض الدراسات السابقة.

"منذ سنة" فقط، أما النسبة الأقل منها والتي أجابت على فئة "عشر سنوات فأكثر" فقد كانت 20%، وفي الأخير تأتي أقل نسبة لهؤلاء الذين كان تواصلهم مع الآخرين منذ مدة تتراوح من خمس إلى عشر سنوات، وقد بلغت 6.6%.

لاحظنا من خلال الجدول أن نسبة ما يقارب نصف العينة لها علاقات تواصلية مع الآخر تتراوح سيرورتها الزمنية من "سنة إلى خمس سنوات"، وهي مدة طويلة نوعا ما تنبئ بتطور العلاقة مع الآخر، وديمومتها وحرص كل منهما على الحفاظ عليها، وهو أمر إيجابي يعكس الانفتاح على الآخر وبناء علاقات جدية، وليست فقط مرحلية تتعلق بظروف واحتياجات وقتية.

ثم جاءت في مرتبة موالية الفئة التي تتواصل مع الآخر "منذ أقل من سنة" وهو ما يعبر عن حداثة العلاقة من جهة، ومن جهة أخرى على بداية انفتاح على الآخر، ووعي بضرورة الاتصال معه في ظل عالم لا يسمح بالانغلاق، وفي ظل تقدم علمي يتمتع به الآخر ويحتاج للاستفادة منه العربي المسلم.

أيضا هناك فئة معتبرة تتواصل مع الآخر "منذ عشر سنوات"، وهي مدة طويلة جدا تعكس شدة متانة العلاقة وجدديتها، كما يمكن أن تعبر عن أصل هذه العلاقة التي تعود بدايتها إلى العالم الواقعي.

✓ كثافة تواصل عينة الدراسة مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

لكل مفردة من مفردات العينة ظروفها ووقتها المتاح الذي يتحكم في كثافة تواصلها مع الآخر، إضافة إلى مدى شدة العلاقة التي تضيفي بصمتها على هذه الكثافة، لذا سنحاول هنا التعرف عليها من خلال الجدول الموالي.

جدول رقم (11) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير كثافة تواصلها مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

كثافة التواصل	ك	%
نادرا	5	8.3
أحيانا	22	36.7
غالبا	18	30
دائما	15	25
المجموع	60	100

أسفرت النتائج المعروضة في الجدول أعلاه عن فئة كثافة التواصل مع الغربي لدى عينة الدراسة وهي فئة "أحيانا" بنسبة بلغت 36.7%، تليها فئة "غالبا" بنسبة 30%، ثم فئة "دائما" بنسبة 25%، وأخيرا فئة "نادرا" بنسبة 8.4%.

إن النسب السابقة تعكس أن علاقة المبحوثين مع الآخر لم تكن بتلك الصلة الكبيرة التي يمكن أن ينالها الأصدقاء المقربون، وهو ما يعكس ربما سطحية العلاقة التواصلية مع الآخر وحرص الطرفين على إبقاء مساحة بينهما، لأن أغلب هذه العلاقات في العادة تبنى على مصالح وقضايا مشتركة أكثر مما تبنى على المودة والمحبة التي تفتح مجالا أوسع وأعمق للتواصل، كما أن مشاغل الحياة ومسؤوليات الفرد لا تسمح له ولا تعطيه وقتا كبيرا للتواصل الشخصي الافتراضي المكثف، سواء مع القريب أو البعيد، إلا في حدود احتياجاته ودوافع محددة تخدم أغراضه الشخصية أو النفسية أو العملية.

من جانب آخر يمكن أن نستنتج من نتائج الجدول أن العلاقة بين الطرفين تميل إلى المتانة لا الهشاشة، وإلى الاستمرارية لا الانقطاع، وذلك بالنظر إلى الفئة المعتبرة التي تفوق النصف والتي أجابت بـ "غالبا" و"دائما"، وإجابة المبحوثين هنا تعكس أن هذا الآخر يحظى بمكانة خاصة لديها، وإلا لم تكن هذه الكثافة بهذا القدر في تواصلهما.

✓ فترة التواصل المفضلة بين عينة الدراسة والآخر الغربي:

لا يمكن لمفردات عينة الدراسة أن تتواصل مع الآخر المختلف على مدار اليوم بأكمله، وإنما تختار منه الفترة التي تراها الأفضل للتواصل وفقا لظروفه العملية والعلمية والنفسية، وقد كانت اختيارات العينة كما يوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم (12) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير فترة التواصل المفضلة لديها مع

الآخر الغربي:

فترة التواصل	ك	%
صباحا	10	16.7
ظهيرة	5	8.3
مساء	45	75
المجموع	60	100

تعبر النسب التي يتضمنها الجدول أعلاه عن الفترة الأكثر استغلالا في التواصل من طرف عينة الدراسة والتي كانت "الفترة المسائية" وذلك بنسبة 75%، ثم جاءت "الفترة الصباحية" بنسبة 16.7%، وأخيرا أجابت نسبة ضئيلة أنها تتواصل في "فترة الظهيرة" وذلك بنسبة 8.3%.

إن تصريحات عينة الدراسة حول هذا المؤشر تتوافق مع مجريات الحياة اليومية من جهة، ومع نتائج الدراسات السابقة من جهة أخرى،¹ "فالفترة المسائية هي الأنسب للتواصل لأن الإنسان في النهار يكون منهمكا في أشغاله إن كان عاملا، وبدراسته إن كان طالبا أو باحثا، وبممارسة كامل نشاطاته اليومية بمختلف أشكالها، وعندما يحل المساء يكون قد تفرغ وتنصل من كل مسؤولياته، فيجد نفسه غارقا في الغوص في العالم الافتراضي، والتواصل مع أصدقائه الافتراضيين في جو من الهدوء والاستقلالية التي يعيشها الإنسان ليلا، والتي من شأنها أن توفر له الجو الملائم للتواصل مع الآخر، الذي بدوره يبادل نفسه الميول مادام أنه قبل بالتواصل في هذه الفترة.

¹ - ارجع ص 68 من عرض دراسة شرين سلامة سعيد الدسوقي التي توصلت إلى نفس النتيجة.

مع ذلك فهناك من مفردات العينة من يتواصلون في الفترة الصباحية أو الظهرية، مما يعني أنه زمن يوافق طبيعة عملهم وأوقات فراغهم أو فراغ الآخرين الذين يتواصلون معهم، أو حتى اختلاف الوقت بين طرفي العملية التواصلية باختلاف الانتماء الجغرافي بينهما، مما قد يجعل تبادل الرسائل بينهما يقع بين زمنين مختلفين.

✓ عدد الساعات التي تقضيها عينة الدراسة في التواصل مع الآخر الغربي:

تواصل عينة الدراسة مع الآخر الغربي في مدة زمنية معينة، قد تطول أو تنقص حسب طبيعة الظروف والمواقف الاتصالية والمواضيع المعروضة للنقاش، وقد حددت العينة عدد الساعات التي تقضيها عموماً في التواصل مع الطرف الثاني، وهو ما بيّنه الجدول الموالي.

جدول رقم (13) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير عدد الساعات التي تقضيها في التواصل مع الآخر الغربي:

عدد الساعات	ك	%
أقل من ساعة	45	75
[3 - 1]	13	21.7
3 ساعات فأكثر	2	3.3
المجموع	60	100

بيّن الجدول أعلاه أن أغلب عينة الدراسة وبنسبة 75% تقضي "أقل من ساعة" في تواصلها مع الآخر، في حين تقضي نسبة 21.7% من "ساعة إلى 3 ساعات" في التواصل مع الآخر، أما النسبة المتبقية والتي بلغت 3.3% فتقضي "3 ساعات فأكثر" في التواصل مع الآخر، وهي نسبة قليلة جداً تعبر عن شخصين فقط من عينة الدراسة.

تختلف نتائج هذا الجدول مع نتائج الدراسات السابقة، فدراسة شرين سلامة سعيد الدسوقي وجدت أن أعلى مدة في التواصل بين المستخدمين هي التي تستغرق من ساعة إلى ثلاث ساعات، بينما دراسة خالد لمسيح توصلت إلى أن أغلب عينة الدراسة تتواصل مع الآخرين

افتراضيا في مدة تستغرق من ثلاثة إلى خمس ساعات،¹ أما في دراستنا فنجد أن أعلى نسبة من المستخدمين يتواصلون مع الآخر المختلف ثقافيا في مدة "أقل من ساعة"، وهي نتائج تعكس خصوصية العلاقة مع الآخر الغربي على خلاف العلاقات الأخرى التي ظهرت من خلال الدراستين السابقتين، فالإتصال مع أشخاص لا نعرف الكثير عنهم عادة لن يستغرق وقتا طويلا، وسينحصر في أمور محدودة قد تكون لها علاقة بأمور عملية أكثر منها ثقافية أو مجالات أخرى، كما أن المستخدمين عموما ومع كثرة صداقاتهم عادة لا يمكنهم أن يستغرقوا وقتا طويلا في التواصل مع أي شخص يعرفونه، وخاصة في فضاء شبكات التواصل الاجتماعي التي تتيح سرعة في التواصل غير معهودة من قبل، وإمكانيات كبيرة في نقل الأفكار والمعلومات بمختلف الوسائط التي تتوفر عليها الشبكة، وبالتالي لا يحتاج الفرد للوقت الطويل لنقل أفكاره والتعبير عنها.

هناك في المقابل فئة معتبرة تتواصل مع الآخرين في مدة "تتراوح بين ساعة وثلاث ساعات"، إذ يمكن أن يعبر ذلك عن دلالات مختلفة منها وقت الفراغ المتاح للطرفين، أو موضوع النقاش بينهما، أو متانة العلاقة والصلة التي تجمعهما، وهو ما ينطبق أيضا على الباحثين الذين صرّحوا بأنهما يتواصلان في مدة تفوق الثلاث ساعات، والتي على ما يبدو أنها عبارة عن علاقات عاطفية أكثر منها علاقات أخرى. وعلى العموم يرجع طول مدة التواصل أو قصرها في أغلبه إلى سياقات معينة - كما ذكرنا-، مما يجعل تحديدها نسبي يعبر عنه المتوسط الإجمالي الذي تراه العينة.

✓ الوسائط المتعددة الموظفة لدى العينة في التواصل مع الآخر الغربي:

تتنوع الوسائط المتعددة التي يوظفها المستخدمون في شبكات التواصل الاجتماعي حسب طبيعة المواضيع والمواقف التي تفرض استعمال وسيط دون آخر، وأيضا حسب قدرة هذا الوسيط على توصيل الفكرة للطرف الآخر، وعينة الدراسة بدورها استخدمت عدة وسائط في تواصلها مع الآخر كما يوضحه الجدول الموالي.

¹ - انظر صفحتي 68، 64 من عرض الدراسات السابقة.

جدول رقم (14) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير الوسائط المتعددة التي توظفها في التواصل مع الآخر الغربي:

الوسائط المتعددة	ك	%
الصورة	7	5.98
النص المكتوب	49	41.88
الكلام المنطوق	27	23.07
الفيديو	10	8.53
الروابط	5	4.27
الجمع بين أكثر من أسلوب	19	16.23
أخرى تذكر	-	-
المجموع	117	100

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن "النص المكتوب" هو الوسيط الأكثر استخداماً لدى عينة الدراسة في التواصل مع الآخر الأجنبي وذلك بنسبة 41.88%، تلاها "الكلام المنطوق" بنسبة 23.07%، ثم جاءت فئة "الجمع بين أكثر من أسلوب" بنسبة 16.23%، أما وسيط "الفيديو" فجاء في مرتبة رابعة بنسبة بلغت 8.53%، وبعدها بنسبة 5.98% احتل وسيط "الصورة" المرتبة الموالية، ثم يأتي بنسبة أقل وسيط "الروابط" والذي قدرت نسبته بـ 4.27% كأخر مرتبة في الوسائط.

نلاحظ من خلال النتائج السابقة أن "الكلمة المكتوبة" أهمية خاصة في التواصل، وهو ما تثبتته أيضاً دراسة شرين سلامة سعيد الدسوقي التي توصلت إلى نفس النتيجة،¹ فالكلمة هي أبسط وأسرع أسلوب في توصيل الأفكار والتعبير عن المشاعر بطريقة مباشرة خاصة بالنسبة للمستخدمين عينة الدراسة الذين يتواصلون بلغة غير لغتهم الأم، وبالتالي فإن الكتابة تتيح لهم مراجعة الأفكار وتركيب الكلمات وتصحيح الأخطاء إن وجدت والتأني في الرد.

¹ - ارجع ص 68 من عرض الدراسات السابقة.

جاء وسيط "الكلام المنطوق" في درجة ثانية من الاستعمال، وهو لا يقل أهمية عن الكلمة المكتوبة، بل إنه أكثر توفيرا للوقت، في زمن يسعى فيه الفرد إلى تأدية كل مهامه في أقصر وقت ممكن، إذ يبحث دائما عن السبيل الأمثل لذلك، كما أنه يتميز بخاصية إرفاقه بنبرات الصوت ومختلف الانفعالات التي لها دور كبير في التعبير عن الأفكار والمشاعر وبالتالي التعبير عن الاتصال غير اللفظي على مستوى الحديث، وهو ما لا توفره الكلمة المكتوبة، التي قد تصبح عائقا في التواصل إن لم تتقنها عينة الدراسة كتابة.

بما أن موقع الفايس بوك هو الأكثر استخداما لدى عينة الدراسة فهو يتيح بقوة توظيف هذا الوسيط في التواصل عن طريق مسنجر فايس بوك سواء بإرسال مقاطع صوتية للطرف الثاني، أو بالاتصال مباشرة بهذه التقنية.

من الأساليب الأخرى المهمة في التواصل لدى عينة الدراسة هي "الجمع بين أكثر من أسلوب"، وهذا التنوع يتيح ضمان نقل الفكرة التي يمكن أن لا تفهم باستعمال وسيط واحد، وهو من أهم خصائص الشبكات الاجتماعية التي تتيحها لمستخدميها، خاصة في ظل تواصل المبحوثين بلغة غير لغتهم الأم، وبالتالي فهذا الأسلوب يساعدهم كثيرا في نقل الأفكار التي لم يستطيعوا أن يعبروا عنها بوسيط واحد.

لم يلق وسيط "الفيديو" الاهتمام الكافي من عينة الدراسة رغم ما له من قدرة كبيرة في نقل الأفكار وتلخيصها للآخر الغربي، إذا ما أحسن اختيار ما يعبر عن الفكرة بأوضح صورة وبأسرع طريق، خاصة مع إمكانياته في تحقيق الهدف الأول من التواصل بين الطرفين وهو إكساب العينة معارف وخبرات جديدة بأساليب متطورة، أين يساعد كثيرا كوسيط في شرحها وتبسيطها.

رغم ضعف استعمال "الصورة" أيضا كوسيط، فإنه لا يفوت أي واحد منا أهميتها كلغة ثانية في نقل الأفكار، وما تحمله من دلالات ورموز قد تختصر الكثير من الكلمات في ظل عصر السرعة والإبداع، وفي ظل عزوف الكثيرين عن الرغبة في القراءة والشعور اتجاهها بالملل، مما يجعلهم يميلون

لأقصر طرق توصيل المعلومات، والتي من أهمها وأبرزها استغلال الصور وتوظيفها في التعبير. لأن "الصورة ترحل وتخرق الحدود اللغوية بسرعة، ولذا، فإنها تستخدم على نحو أكثر من اللسان لإعلام الجمهور المتعدد اللغات والثقافات".¹

لقد طغت الصورة في زمن الاتصال الافتراضي واكتسبت سلطة مطلقة وسطوة نافذة في مجتمع المعلومات، فبين من يعتبرها وسيلة فنية للتعبير، أو مطية للكسب المادي، أو أداة ترفيهية، أو آلية ثقافية وتربوية، أو عنصر دعاية وتسريب أيديولوجي... تتأكد الحاجة إلى هذه الصورة التي دخلت في أعماقنا وفعلت فعلها فينا مثلما تشاء.²

للصور القوة التأثيرية التي هي سابقة أساسا على الكتابة، ولهذا السبب غالبا ما قام المبلغون في كل مرحلة وفي كل مجتمع بالتماس الصور، إذ يمكن استغلال القوة التواصلية للصورة لتحقيق هدف المرسل في التأثير على الطرف الآخر، كذلك بإمكانها أن تخلق إحساسا بالافتتان والدهشة، وأن تخلق اقتناعا أو تقززا،³ لذا يجب الاهتمام بها أكثر في تحقيق تواصل ذو فعالية وفائدة أكثر.

على أهمية الصورة **فللروابط** دورها أيضا في نقل المعلومات، وإن لم تستغل كما ينبغي من طرف مفردات العينة، حيث أن الروابط تنقل الطرف الآخر إلى ما يريد أن يوصله له المرسل، وما يريد أن يعرفه به، وبالتالي فهي أيضا من الطرق السريعة في نقل المعلومات بتوضيح أكبر وتفصيل أكثر قد لا يسمح المقام ولا المقال بذكرها.

¹ - نصر الدين العياضي، الصورة في الأخبار التلفزيونية العربية: رهانات النظر، مجلة المستقبل الغربي، ع 392، ص 34، مركز

دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011، ص 119.

² - جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 41.

³ - عبد الكريم غريب، مرجع سابق، ص 61.

(2) - تجليات السياق الثقافي الديني الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين المستخدم عينة الدراسة والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.

على ضوء ما سبق في هذه الدراسة من أدبيات نظرية، ندرك جيدا أهمية الدين في حياتنا بصفة عامة، وأهميته في تكوين ثقافتنا بصفة خاصة، إذ يعتبر من الأساسيات التي تقوم عليها الثقافة والتي تعطى مقومات الاستمرار والثبات. كما له دوره الفعال في سيرورة العملية الاتصالية بين الأفراد وتوجيهها وفقا لمبادئه وقواعده وتشريعته التي يقوم عليها، وقد حاولنا في هذا الجزء الميداني البحث على معالم هذا السياق، للتعرف على مدى فاعليته ونجاعته في تسيير العلاقة بين كل من المستخدمين العرب كعينة للدراسة والآخرين الغربيين كطرف ثان في التواصل في حدود السؤال الآتي: فيم يتجلى السياق الثقافي الديني الذي يساعد في توجيه العلاقة الاتصالية بين المستخدم عينة الدراسة والآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

وقد ارتأينا الإجابة على هذا السؤال من خلال المؤشرات الآتية:

✓ ديانة الآخر الغربي الذي تتواصل معه عينة الدراسة:

من العناصر الثقافية التي تظهر بقوة في العلاقات التواصلية بين الأفراد عنصر الدين، أين تظهر معاملة بأسلوب صريح أو ضمني في الكثير من المواقف التي تجمعهما، لذا جاء الجدول الموالي ليوضح لنا ديانة الآخر الغربي* الذي تتواصل معه عينة الدراسة أكثر من غيره.

* - استثنينا منذ البداية أن يكون هذا الغربي مسلما، نظرا لأن وجود الإسلام سيزيل الكثير من الفوارق الثقافية، وهو مالا يخدم أهداف البحث.

جدول رقم (15) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير ديانة الآخر الغربي الذي يتواصلون

معه

متغير الديانة	ك	%
اليهودية	2	3.3
المسيحية	46	76.7
لا دين له	4	6.7
لا أعرف	8	13.3
أخرى تذكر	-	-
المجموع	60	100

من خلال الجدول رقم (15) نستنتج أن الديانة الأغلب التي يدين بها الآخر الغربي الذي تتواصل معه العينة هي "المسيحية" وذلك بنسبة 76.7%، تليها الفئة التي أجابت بأنها "لا تعرف" ديانة من تتواصل معه، والتي بلغت نسبتها 13.3%، في حين صرّح في مرتبة موالية نسبة 6.7% بأن من يتواصلون معهم من الغربيين "لا ديانة لهم"، وكانت الفئة الأقل من عينة الدراسة هي التي تتواصل مع الآخر ذو الديانة "اليهودية" بنسبة 3.3%.

يمكن أن نفسر النتائج السابقة التي تعكس الفارق الكبير بين الديانتين اليهودية والمسيحية في النسب، انطلاقاً من واقع يشهده العالم العربي الإسلامي في مجمله - إن لم نقل بأكمله - وهو النفور من اليهود والصهاينة مهما كانت هناك ضرورة للتواصل معهم، إذ أن المجتمع العربي بأفراده له موقف شبه موحد نحو هذا الآخر (بغض النظر عن موقف الحكومات من هذه القضية) جراء الانتهاكات التي يقوم بها الصهاينة في فلسطين. ومع ذلك ومن باب الإنصاف يجب أن نقرّ بأنه ليس لكل اليهود نفس الموقف من القضية الفلسطينية، وهو ربما ما ساهم في وجود نسبة تتواصل معهم.

إن النسب السالفة الذكر تبين بوضوح تفضيل العرب التواصل مع المسيحيين، ربما لأنهم أكثر سلاسة في التعامل مع المسلمين من غيرهم، كما يؤكد ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَتَجِدَنَّ

أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ¹.

لكن هناك مفارقة بين مسيحي ذلك العصر الذين منهم القسيسين والرهبان وبين مسيحية هذا العصر المخزفة في أحكامها وعقائدها، والمستعلية بأفرادها. ومع ذلك فإن عينة الدراسة تتواصل معهم بصفة أكبر من الفئات الأخرى، وهو ما يتوافق مع دراسة نورية سواملية وكثوم صدراتي التي توصلت إلى أن عينة دراستهم في تواصلهم مع الأجانب يفضلون أصحاب الديانات المسيحية على الديانات الأخرى.²

إن الرسائل السماوية الصحيحة عموماً تقوم على الإشارة إلى مجموعة من القيم الدينية التي ترشد القيم الاجتماعية المستخلصة من التفاعل الاجتماعي وتكملها وتستهدف تحقيق نوع من التوازن بينها، مما يؤدي في النهاية إلى إشباع حاجيات المجتمع، ليس فقط على المدى القريب والبعيد، بل أيضاً فيما وراء المدى البعيد أي في الحياة الأخرى.³

جاءت في المرتبة الثانية العينة التي "لا تعرف ديانة" من تتواصل معهم، ومما لا شك فيه أن هذا الجهل له آثاره على نجاح العملية الاتصالية بينهما، لذا يجب أن يتعرف المتواصل على الأقل على الحد الأدنى من مكونات ديانة الآخر، حتى يحسن التعامل والتفاعل معه، ويفهم الرسائل التي تأتيه من الآخر في هذا الجانب.

هناك فئة قليلة جداً تقر بأن من تتواصل معهم "ليس لهم ديانة"، وهذا ما قد يحدث خلافاً على مستوى العلاقة بينهما، فالدين "هو الذي يسير العلاقات بين الإنسان وبين مختلف الموجودات، وتحت

¹ - سورة المائدة: الآية [82].

² - انظر ص 50 من الدراسات السابقة.

³ - نورهان منير حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،

1999، ص 144.

أية ثقافة معينة، لتشكل هذه الفكرة وتسعى لتصحيح أنماط اجتماعية أو تنظيمًا اجتماعيًا¹، لذا من الصعوبة أن يكون هناك اتصال إيجابي وانسجام فكري مع هذا الصنف من الآخر المختلف.

مما يؤكد على أهمية الدين قول هنري برجسون: "قد نجد في الماضي أو الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم أو الفن أو الفلسفة ولكن ليس ثمة مجتمع بلا دين. فالتدين فطرة خلق عليها الإنسان، ينزع إليها ليشبع حاجة الروح إلى المعبود، ويستمد من هذا الإيمان عقيدته ومفاهيمه للوجود، ويضبط به أمور حياته، فالأديان ذات حضور مؤثر في بناء الثقافة مهما كان هذا الدين من الصحة أو البطلان"².

يمثل الدين في حقيقته عند علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية لازمت الإنسانية منذ ظهورها، حيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وقام على أساس ديني يساعد على إيجاد التجانس في العقيدة بين أفرادها، ويرسي أساسا من المعايير الأخلاقية، كما يستهدف تعود أفرادها على الطاعة والخضوع لنظام اجتماعي معين، مما يؤدي إلى إمكانية قيام حياة اجتماعية، وعلى هذا فإن الدين يعتبر أساس العلاقات الاجتماعية والأخلاقية بين أفراد المجتمع.³ ولكن بلاد الغرب اليوم تشهد في مجملها تغييرا للسياق الديني في بيئتها الاجتماعية وتجرّدا من ثوب التدين، وخروجا صارخا عن قواعده ومبادئه، إذ لم يعد هناك ما يكبح جماح شهواتها ونزواتها في ظل عالم تغزوه العلمانية وتسيطر عليه الفردانية والأنانية. لذا يجب على الغرب إعادة ترتيب أولوياته في تعامله مع الدين وفقا للتشريعات التي يقوم عليها، والأخلاق والقيم التي يدعو لها، بما يحقق استقرار الإنسان في الأرض، ذلك بأن الحياة قائمة على العلاقات الإنسانية اليومية، والأمان والسلام فيها مرهونان بحسن تسيير تلك العلاقات وتوجيهها نحو المسار الذي يضمن التفاهم والانسجام.

¹ - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 227.

² - أحمد بن عبد العزيز الحلبي، مرجع سابق، ص ص 15، 16.

³ - نورهان منير حسن فهمي، مرجع سابق، ص 140.

✓ مدى اتفاق عينة الدراسة مع الآخر الغربي حول بعض المواضيع الدينية:

قد تتنوع المواضيع التي يتحدث بها العربي مع الآخر الغربي، وقد تنحصر في مجال واحد تحقيقاً لأهداف الاتصال، ومن المواضيع الهامة التي تثير الجدل بين الطرفين هي المواضيع الدينية نظراً لاختلاف قواعد وشرائع كل ديانة عن الأخرى، لذا حاولنا من خلال الجدول الموالي التعرف على مواطن الاتفاق والاختلاف بين عينة الدراسة وهذا الآخر في بعض القضايا التي نرى - من وجهة نظرنا* - أنها تثير الجدل في وقتنا الحاضر.

للتعرف على مواقف عينة الدراسة أثناء عرض بعض الموضوعات الدينية بينهم وبين الآخر قمنا بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات المبحوثين، حيث تم أولاً تحديد مجال المتوسط الحسابي المرجع من خلال حساب المدى (3-1=2)، ثم تقسيمه على طول الخلية (3/2=0.66)، ثم إضافة النتيجة المتحصل عليها إلى أقل قيمة في هذا المقياس الذي وضعته الباحثة وهي (1) لتتوصل على جميع أطوال الخلايا، والتي كانت كالآتي:

جدول رقم (16) يوضح مستوى المتوسط الحسابي المرجح الخاص بجدول الموضوعات الدينية

مستوى الاستجابة	المتوسط الحسابي المرجح	الدرجة	الاستجابة
منخفض	من 1 إلى 1.66	1	تختلفان حول الموضوع
متوسط	من 1.67 إلى 2.33	2	عدم مناقشة الموضوع
مرتفع	من 2.34 إلى 3	3	تتفقان حول الموضوع

* - قمنا بمناقشة مجموعة مقترحات مع الأستاذة المشرفة، ثم خرجنا بقائمة تمثل لنا هذه المواضيع الدينية، وقد أضفنا فئة "أخرى تذكر" إلا أنه لم يجب عليها أحد، وهو اتجاه أغلب المبحوثين الذين لا يهتمون عادة بالإجابة على الأسئلة المفتوحة لأنها تأخذ وقتنا أطول وتحتاج جهداً أكبر في التفكير.

جدول رقم (17) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير بعض القضايا الدينية المعروضة للنقاش بينها وبين الآخر ومدى اشتراكهما في المواقف

مستوى الاستجابة	الانحراف المعياري	المتوسط	تختلفان حول الموضوع	عدم مناقشة الموضوع	تتفقان حول الموضوع	الاتجاه القضايا الدينية
مرتفع	0,71	2,63	08 % 13,3	06 % 10	46 % 76,7	حرية ممارسة الشعائر الدينية
متوسط	0,87	2,13	19 % 31,7	14 % 23,3	27 % 45,0	تقبل اللباس الذي يعبر عن الانتماء الديني
مرتفع	0,90	2,36	17 % 28,3	4 % 6,7	39 % 65,0	رفض الإساءة لرموز الدين
متوسط	0,65	1,86	17 % 28,3	34 % 56,7	9 % 15,0	بناء دور العبادة في بلاد الغير
منخفض	0,76	1,58	35 % 58,3	15 % 25,0	10 % 16,7	تعدد الزوجات
متوسط	0,90	1,70	36 % 51,4	6 % 8,6	18 % 25,7	المساواة بين الرجل والمرأة
متوسط	0,52	1,89	12 % 20,0	43 % 71,7	5 % 8,3	حق المثلية
متوسط	/	2.02	المتوسط الحسابي العام			

يوضح لنا لجدول أعلاه أن مستوى استجابة عينة الدراسة والآخر الغربي في الاتفاق حول بعض المواضيع الدينية من وجهة نظر العينة هو مستوى متوسط، أين بلغ متوسطه الحسابي 2.02، مما يعكس الاتفاق الجزئي حول هذه المواضيع، والذي يميل في العادة إلى عدم النقاش فيها.

أما بالنسبة لاتجاه عينة الدراسة نحو كل عبارة في فيما يتعلق بموقفها وموقف الآخر الغربي

فكانت كالآتي:

■ بالنسبة لقضية "حرية ممارسة الشعائر الدينية"* حازت على مستوى استجابة مرتفع حيث بلغ المتوسط الحسابي فيها 2.63، والانحراف المعياري 0.71، وهو ما يعبر عن تقارب إجابات المبحوثين وضعف تشتتها، والتي تركزت في أغلبها على الاتفاق حول الموضوع، مما جعل المتوسط الحسابي مرتفعاً.

إن هذا الاتفاق على هذا الموضوع يدل على وعي كلا الطرفين من الثقافتين بجرية ممارسة الشعائر الدينية، سواء تعلق الأمر بشعائر المسلمين أو غير المسلمين، إذ يرجع هذا الأمر لخصوصية كل ثقافة وديانتها، ولا يحق التدخل فيها احتراماً للآخر وديانته. كما أن هذا يعتبر من باب احترام الديانات الأخرى كما يدعو له الدين الإسلامي، ومن باب الحرية والديمقراطية، وفصل الدين عن المجالات الأخرى كما تنص عليه ثقافة الآخر الغربي، ومع ذلك فهناك آراء أخرى في ذلك، تمثل مواقف بعض الأفراد من جهة، وسياسات الكثير من الدول من جهة أخرى، إذ أن هذا الأمر يطرح إشكالات كثيرة على مستوى الواقع الممارساتي، وخاصة من الجانب الغربي الذي كثيراً ما يرفض ممارسة المسلمين خاصة لشرائعهم الإسلامية، وإن كان يغض الطرف إذا تعلق الأمر بغيرهم من الديانات والثقافات الأخرى، وهو ما مثلته الفئة القليلة التي تختلف مع العربي في هذه القضية. فالحكم هنا نابع من سياق ديني له أبعاده السياسية والتاريخية الصليبية، وسن كل القوانين الممكنة لمنع المسلمين خاصة من ممارسة شعائرهم بجرية.

إن حرية المعتقد في تطورها وإقرارها اصطدمت دوماً بالاضطهاد الديني والتعصب المذهبي، وظلت نسبية وضيقة حتى في أرقى ديمقراطيات العالم المعاصر. وإن ما نشهده في عصرنا الحديث من خطابات في الحرية والحوار بين الحضارات والأديان خاصة في أوروبا باعتبارها مهد الحرية لا يعدو أن يكون لغواً

* - وتعني الشعائر الدينية الممارسات الفعلية أو القولية التي يؤديها أصحاب الملل الدينية بغية التقرب من الذين يؤمنون به ويعتقدون فيه، لذا فهي وثيقة الارتباط بالشعور الديني وفق الضوابط والشروط المشروعة. (بلحاج مونير، الحق في حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية، مذكرة ماجستير "منشورة"، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران، 2012/2011، ص 20)

سياسيا في حالات كثيرة، تجافيه حقيقة العلاقات الدولية والممارسات المتكررة والتي تجافي حقيقة إقرار الحق في حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية.¹

أما الذي دفع العينة لهذه الاستجابة هنا هو السياق الديني في بعده التاريخي في التعامل مع هذه القضية، أين ذهب الإسلام بشريعته إلى حد بعيد في مجال الحريات احترام الديانات وتحقيق المساواة في بناء المقاصد الشرعية، وذلك بالتوفيق بين حرية الفرد وحرية المجتمع الذي يعيش الفرد، لذا لا يجوز تقييد الحرية في الإسلام إلا للضرورة ولمصلحة المجتمع أي المصلحة العامة، فإذا تعدت تلك الحدود تكون اعتداء على حرية الآخرين.²

ساهم التاريخ الإسلامي مثلا في ترسيخ صورة مشرفة عن الذات الثقافية العربية الإسلامية، أين شهد على سماحة المسلمين واحترامهم الشعائر الدينية للآخر، حين تركوا حرية لغير المسلمين في أداء طقوسهم الدينية بعد الفتح الإسلامي للبلدان، على ألا يمس ذلك بقوانين الدولة وفق شروط تقوم بوضعها لتسهيل عملية إدماج الآخر في حدود معينة. وكل هذه الأحداث كانت دافعا للعينة للانتهاج نفس المنهج مع هذا الآخر.

■ أما القضية الثانية وهي "تقبل اللباس الذي يعبر عن الانتماء الديني"، فقد كان مستوى الاستجابة فيها متوسط، حيث بلغ المتوسط الحسابي 2.13 بانحراف معياري 0.87، وهو متوسط يعكس درجة الاتفاق المقبولة نوعا ما بين عينة الدراسة والآخر الغربي. إلا أن نتائج الجدول تبين أن نسبة معتبرة أيضا عبرت بالعكس، وإلى غير بعيد منهم صرحت نسبة بعدم مناقشة مثل هذه المواضيع المثيرة للجدل، والتي يمكن أن تكون سببا في تذبذبات العلاقة بين الطرفين، وعليه فمن يتفقون على هذه القضية هم عادة من يتمتعون بالقيم السالفة الذكر من احترام الخصوصية والديموقراطية.

أما بالنسبة للذين أجابوا بأنهم يختلفون حول هذه القضية، فالواقع هنا يؤكد هذه الحقيقة التي كثيرا ما يكون الآخر الغربي هو سببا فيها، لكونه يرفض الحجاب بالدرجة الأولى كأبرز مظهر من مظاهر الدين الإسلامي، ويعتبره انتهاكا لحقوق المرأة وانتقاصا من قيمتها وحرمتها، وأنه عائق لها في

¹ - بلحاج مونيير، مرجع سابق، ص 44.

² - المرجع نفسه، ص 35.

العمل والدراسة، لتسقط هنا كل شعارات الدول الغربية حول الديمقراطية وفصل الدين عن الدولة، والسياق الاجتماعي مازال شاهدا عليها لغاية اليوم.

أما السياق التاريخي لهذه القضية، فله مشاهدته الكثيرة منها الحرب الضروس التي شنتها مثلاً الرئيس الفرنسي السابق ساركوزي على الحجاب حينما كان وزيراً للداخلية، حيث عمل على حرمان طالبات فرنسيات مسلمات من التعليم تحت ذريعة أن علمانية الدول تتناقض مع الرموز الدينية، في حين كان الطلاب ولعقود يتمتعون بحقهم في ارتداء الصليب ولبس قبعة الكيبا، بل إن فرنسا تسمى شوارعها بأسماء قديسين دون أن يتعارض ذلك وعلمانية الدولة.¹

أما العرب المسلمين فلم يسجل عليهم التاريخ -حسب علمي- مواقف عنصرية ضد اللباس الديني للآخر، سواء تعلق الأمر بالصليب أو القنصوة... أو غيرها، وحتى وإن وجدت فهي مواقف فردية لا تعكس حقيقة الدين الإسلامي الذي يدعو إلى احترام الآخر وخصوصيته في حدود ما تسمح به شريعته. ولكن في المقابل هناك فئات من هذا المجتمع بل وحتى من مثقفيه من مارس تلك العنصرية الفكرية ضد هذه الشريعة، ولا يزال يجادل في حقيقة فرض الحجاب في الإسلام وفي مدى حفاظه على المرأة وعلى كرامتها.

■ أما بالنسبة لقضية "رفض الإساءة لرموز الدين" فقد بلغ متوسطها الحسابي 2.36، وهو يعبر عن مستوى استجابة مرتفع، حيث اتفقت أغلب عينة الدراسة مع الآخر الغربي على هذه العبارة حسب رأيها، وهو أمر يدل على إدراك الطرفين لحساسية هذه القضية، وما يمكن أن تسببه من تشققات في العلاقة التواصلية بينهما. كما أن هناك إدراكاً لحدود حرية الرأي والتعبير التي يجب أن لا تمس بالآخرين، وأن تحترم ديانة الطرف الثاني وخصوصيته، انطلاقاً من مراعاة المسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين، سواء تعلق الأمر بالرموز الإسلامية والتي على رأسها رسول الله محمداً ﷺ، أو الرموز الدينية للغرب والتي قد يجهلها الكثيرون منهم.

¹ - ياسر سعد الدين، الإساءة للإسلام ومواقف عربية رسمية، على الموقع:

<https://aljazeera-net.cdn.ampproject.org>، تاريخ الإطلاع: 2022/11/11، على الساعة: 17:00.

إن هذا السلوك الحضاري ساهم في تشكيله سياق ديني تسامحي يمارسه الإسلام مع غير المسلمين، في رفض الاعتداء عليهم أو الإساءة لرموزهم الدينية، تصديقا لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾¹، وبالتالي فعدم الالتزام بهذا المبدأ في التعامل سوف يزعزع الاستقرار ويسعى إلى العلاقات القائمة بين الديانتين، لأن الحرية المسؤولة تتوقف عند حقوق الآخرين.

في المقابل شهد السياق التاريخي على معاناة المسلمين كثيرا من إساءات الغرب في هذه القضية، حيث تعددت أشكال الإساءة للدين الإسلامي والتضييق على الأقليات الإسلامية أينما كانوا، وتزايد الأمر واستفعل في السنوات الأخيرة أي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وإعلان الولايات المتحدة الأمريكية حربها على ما يسمى بالإرهاب.²

من أشهر تلك الإساءات ما نشرته صحف دانيماركية في 30 سبتمبر 2005 من رسوم كاريكاتورية مصورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم تمس بشخص الرسول عليه السلام وبالإسلام، وتكررت هذه الإساءة عدة مرات. وقد ترتبت عنها ردود فعل شديدة من العالم الإسلامي وصلت إلى حد المقاطعة. أما ممثلوا الديانات الأخرى، فمنهم من عبّر بنفس المواقف، ومنهم من ميز بين الفعل وردة الفعل، إذ كتبت صحيفة "لاترييون دو جنيف" على لسان رجل الدين الكاثوليكي "بيار موني" أن تلك الصور الكاريكاتورية مثيرة للصدمة، لأن حرية التعبير ليست مطلقة بل يجب أن تمرّ عبر احترام حقوق الإنسان، ومن بين هذه الحقوق احترام المعتقد.³

إن كل تلك الأحداث التاريخية لم تتخذ منها العينة مسوغا للمسّاس برموز الآخر، أو عدم التسامح معه، بل انتهجت ما يمليه عليها دينها، لتثبت هنا سلطة الدين عموما والإسلام خصوصا في توجيه السلوكات قبل سلطة السياق السوسولوجي في المعاملة بالمثل.

¹- سورة الممتحنة: الآية [08]

²- بلحاج مونير، مرجع سابق، ص 46.

³- المرجع نفسه، ص 47

لعب السياق الإعلامي هنا دورا كبيرا في ذلك، حيث يضخم القضايا فيحرك جموعا كبيرا من الجماهير، في حين يقزم أخرى مما يجعل الجمهور لا يبالي بها، بل إن الإعلام كان سببا في الإشهار لأعمال أدبية أو فنية فقيرة المحتوى، هزيلة المبنى.¹

ما يمكن أن نستنتجه من خلال نتائج الجدول حول هذه القضية أن الكثير من الغربيين اليوم كأفراد لا يتبعون سياسة دولهم اتجاه الإسلام والمسلمين،² ويتعاملون معهم بنوع من الحيادية والفصل بين أمور الصداقة وأمور الدين وما يتعلق به، خاصة في العلاقات الشخصية التي تجمعهم. ومع ذلك تبقى هناك فئات أخرى- ممن يتواصلون معهم أو من غيرهم- يتبعون نفس النهج والسياسة التي تسير عليها دولهم، وبينون من خلالها أفكارهم واتجاهاتهم وصورهم الذهنية حول الإسلام والمسلمين، وبالتالي يساهمون في زيادة الهوة بين الطرفين

■ أما بالنسبة "لبناء دور العبادة في بلاد الغير" فقد صرح أغلب عينة الدراسة بعدم مناقشتهم لهذا القضية في حديثهم وتواصلهم مع الآخر، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهذه العبارة 1.86، بمستوى استجابة متوسط وانحراف معياري قدر بـ 0.65، وهو ضعيف يعكس عدم تشتت وجهات نظر الباحثين، واتفق أغلبهم على إجابة واحدة وهي عدم مناقشة الموضوع.

يبدو لنا من خلال هذه النتائج أن هذا الموضوع لا يثير النقاش والحوار لدى عينة الدراسة مع الآخر، وإن كان يثيره على مستويات أخرى دولية واستراتيجية أكثر منها فردية، وعدم إثارة مثل هكذا مواضيع يعكس الرغبة المتبادلة من الطرفين في تجنب كل ما من شأنه إحداث تشقق في العلاقة.

مع ذلك فهناك فئة معتبرة من العينة أقرت بوجود ذلك الاختلاف، الذي يتعلق ببناء المساجد أو الكنائس أو المعابد لليهود، والذي يطرح إشكالات واسعة على المستوى السياسي أو القانوني. إن الخلاف هنا بدوره مرهون بالخلفية الدينية التاريخية حول هذه القضية، ثم بالأحداث الواقعية التي لا تزال تبرهن عليه، ففي مقابل تسامح المسلمين في ما مضى مع أهل الذمم في الحفاظ على

¹ - ياسر سعد الدين، مرجع سابق.

² - وهو ما أثبتته تعليقات المستخدمين حول فيديو "الحجاب" في عرض نتائج تحليل المضمون.

معابدهم ، وعدم تحطيمها واحترام من يتعبدون فيها، خضوعا لقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُدَّيْتُمْ صَوَامِعَ وَيَبِيعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝۱ ﴾¹ " وقد نقل هنا فخر الراوي (ت606 هـ) في تفسيره "مفتاح الغيب" عن إمام المفسرين ابن العباس (ت 68/688م) أن من معاني الدفع المذكور في الآية أن الله يدافع بدين الإسلام وبأهله عن أهل الذمة. أي أن في هذا التفسير لمحة هامة تجعل أهل الأديان السماوية جبهة موحدة لمواجهة غيرهم من اللا دينيين، وإلا - كما يقول الرازي- لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وعطلوا ما بينونه من مواضع العبادة، ولذلك ذكر الصوامع والبيع والصلوات وإن كانت لغير أهل الإسلام. وقد رأى العلامة رشيد رضا (1353هـ/1935م) في "تفسير المنار" أن ما تضمنته هذه الآية سبب ديني عام وصریح في حرية الدين في الإسلام وحماية المسلمين لها ولمعابد أهلها، وكذلك كان الأمر عبر التاريخ الإسلامي².

أما السياق الواقعي فيقول عكس ذلك، وهو الذي يوجّه الآخر الغربي نحو هذه القضية، من منطلق الخوف من انتشار الإسلام أكثر فأكثر في الدول الأوروبية، أين يعاني المسلمون من التضييق عليهم في هذا الباب، وهو من بين أهم المداخل التي لا تعكس التسامح واقيا مع الإسلام، ولكن الآخر هنا في أغلبه اتجه منحى آخر حسب تصور عينة الدراسة، منحى يتجاوز عقبات الواقع لايجاد مداخل ممكنة للحوار.

■ أما عن موضوع "تعدد الزوجات" فقد كان مستوى الاستجابة فيه منخفض، عبر عنه متوسط حسابي بلغ 1.58، وانحراف معياري ضعيف يعكس عدم تشتت الإجابات، حيث بلغ 0.76، ويظهر هذا المستوى المنخفض بسبب تصريح العينة بأنهم يخالفون رأي الآخر حول تعدد الزوجات، فالمسلمون يؤمنون بأحقية الرجل في تعدد الزوجات ومشروعية ذلك في الدين الإسلامي

¹ - سورة الحج: الآية [40].

² - إبراهيم الدويري، خلفاء بنوا كنائس وخلفاء حموها والصلبيون يدشنون عهد تنصير المساجد... الصراع على دور

العبادة في التاريخ الإسلامي من موقع <https://www.aljazeera.net/turath> تاريخ الدخول 2023/01/05 م على الساعة 13:30.

بشروط (وإن كان أغلب النساء يرفضنه إذا تعلق الأمر بهن)، أما الآخر الغربي فلا يقبل بهذا المبدأ، رغم أنه في المقابل يقبل بالخيانة الزوجية، والتعرف على أكثر من امرأة، وبناء علاقات دون زواج. إن التخالف في الرأي هنا، وبالنظر إلى هذا السياق الديني، يمكن أن يكون في حقيقة الأمر نابع من الجهل بالذات الثقافية الدينية أو التجرد أصلاً من البعد الديني، أما السياق التاريخي فيثبت حقائق تعكس جهل الآخر بتاريخ المسيحية كجزء من ذاته، فالمسيحية اليوم تجرم التعدد وتمنعه، رغم أنه ثبت تاريخياً أن من بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون بأكثر من واحدة، ولم تعترض الكنيسة عليهم، بل إن من آباء الكنيسة الأقدمين من كان لهم الكثير من الزوجات، فقد كان مثلاً للملك شارلمان زوجتان واثنتان من السراري، كذلك عقد الملك فردريك غليوم زواجه على امرأتين.¹ كما ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "المرأة في القرآن الكريم" أن وستر مارك العالم الثقة في تاريخ الزواج يقول: "إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر، وكان يتكرر كثيراً في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة".²

هذه الحقائق وغيرها تؤكد بأسلوب ضمني أهمية التعرف على الذات الثقافية حتى لا يقع الفرد في تناقض آرائه مع معتقداته، وبالتالي الحكم على الآخر انطلاقاً من أهواء بعيدة عن العلم والموضوعية.

أما الشق الثاني في هذا التصور نحو الآخر، قد يكون منبعه التجرد أصلاً من الدين الذي يمارس وسيلة ضبط كبيرة على سلوكيات الفرد وآرائه، وبالتالي يصبح الرأي هنا خاضع لرغبات شخصية ونفسية، بعيدة عن المنطق والعقل.

■ موضوع "المساواة بين الرجل والمرأة" نال مستوى استجابة متوسط بلغ متوسطه الحسابي 1.70، بانحراف معياري قيمته 0.90، وهو ما يعبر نوعاً ما عن اقتراب في وجهات النظر التي تركزت حول الاختلاف في الرأي بين العربي والآخر الغربي في هذه القضية. فالاختلاف في الآراء ضرورة حتمية بين البشر، ولكن يجب يكون مؤسساً على المنطق والعقل، لا على الأهواء والعشوائية.

¹ - مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط4، دار السلام، القاهرة، 2010، ص 48.

² - عبد الله ناصح علوان، تعدد الزوجات في الإسلام والحكمة من تعدد زواج النبي، ط1، دار السلام، القاهرة، ص 07.

إن تصور هذا الآخر نحو هذا الموضوع ليس إلا نتيجة لإفراز سياق تاريخي اجتماعي فرض على المرأة الخروج للعمل، ما جعلها تعتقد بأحقية مساواتها بين الرجل والمرأة، وبالتالي أسست حركات خاصة نسوية تدعو لذلك، بل إن الأمر تطور للاهتمام بهذه الطاهرة ليظهر علما قائما بذاته تحت مسمى "الجندر".

أما تصور عينة الاستبيان فنابع من سياق ديني إسلامي وضع فروقا بين الرجل والمرأة على كثير من المستويات، وفي ذلك مثلا تقول الكاتبة المغربية "أسماء المرابط" وهي من أبرز وجوه الحركة النسوية في المغرب: "بالرغم من اعتماد الخطاب القرآني في بعض المواضيع لصيغة المذكر، إلا أن هذه الصيغة وكما نلاحظ في الترجمة إلى اللغات الأخرى تستعمل صيغة لغوية محايدة، ويظل النص شاملا لآيات نجد فيها مساواة كاملة في الأمر أو النهي، وفصولا لا تشتمل على ذكر الرجال والنساء على حد سواء بنوع من التساوي اللغوي والمعنوي، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾¹، حيث تكشف هذه الآية بشكل واضح المساواة بين الجنسين بتركيز دقيق على طبيعتهما وصفتهما الإنسانية، وقد ورد في القرآن إحدى وعشرون آية جاءت في المساواة تخاطب الذكر والأنثى في قضايا متعددة، منها ما جاء حول العمل الصالح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾²، وهو تقرير لعموم المساواة بين الرجل والمرأة.³

هذا المعنى لا يقرره السياق الإسلامي فحسب، وإنما شرائح كثيرة من غير المسلمين يؤمنون بهذه القضية، ومن هؤلاء ومن أشهرهم أستاذة العلوم السياسية في جامعة شيكاغو أيريس "ماريون يونغ"

1- سورة الأحزاب: الآية [35].

2- سورة النساء: الآية [124].

3- محمد خير موسى، المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام، سؤال التوصيف والأفضلية:

<https://mubasher.aljazeera.net>، تاريخ الدخول: 2022/11/13، على الساعة: 11.36.

(توفيت 2006)، وهي منظرة سياسية أمريكية ونسوية اشتراكية أسست تيارا نسويا كان يرى أن المرأة تتعرض للظلم والإجحاف من خلال المساواة المطلقة مع الرجال، وكانت ترفض المساواة المطلقة، وإنما تكون في فرص محدودة فقط، أي أن المقارنة تسقط بين الرجل والمرأة ومن ثم يسقط تحديد الأعلى والأدنى.¹

■ وأما عن آخر مسألة وهي "حق المثلية"، فقد حازت على مستوى استجابة متوسط بلغ 1.89، وانحراف معياري ضعيف جدا بلغ 0.52، أين يعكس التقارب الشديد بين إجابات المبحوثين التي تركزت أغلبها في عدم مناقشة هذا الموضوع الذي ترفضه الفطرة الإنسانية أولا سواء كانت عربية أو غربية.

نشير هنا إلى أنه تم إعطاء الحرية للمثليين في الزواج في معظم الدول الأوروبية، بل وتقنين أوضاعهم الشاذة قانونيا ومدنيا، في حين تمنع القناة المسلمة من ارتداء الحجاب، أو يمنع فيه مسلم من ممارسة شعائره بحرية، ومنه لا بد من مراجعة أسطورة الحرية الغربية التي مسّت الكثير من العقول والأفكار ولكنها في حقيقة الأمر تعبر عن ازدواجية قراراتهم التي يرونها ضرورية بحجة حماية وحفظ هويتهم الثقافية والوطنية.² وهنا يظهر أن التعامل مع مختلف الأوضاع لا يعكس إلا خدمة مصالح ورغبات ذاتية بعيدة عن واقع الأمور وانعكاساتها على الواقع.

إن توجهات أغلب عينة الدراسة حول بعض القضايا الدينية ليس أكثر من إفرازات لسياقات دينية لدى العينة بمختلف أبعادها التاريخية والاجتماعية، أما ما تتصوره عن الآخر فكان أكثر مرونة في التعامل مع هذه القضايا، بحثا عن إيجاد مساحة كبيرة للتوافق، ليشكل هذا السياق التواصلية الافتراضي الداعم الأول والموجه الأول لآرائه، أنا بالنظر إلى السياقات الدينية الخاصة بالآخر فنلاحظ أنها تشهد الكثير من التناقضات بين النظري والممارساتي، كما أن السياقات التاريخية هي في حقيقة الأمر سياقات كثيرا ما أثبت زيفها، أما الحقيقية منه فهي تقف ضده لا في صفه.

¹ - محمد خير موسى، مرجع سابق.

² - بلحاج مونيير، مرجع سابق، ص 47، 48.

✓ استجابات التواصل بين عينة الدراسة والآخر الغربي في سياق مناقشة مختلف المواضيع

الدينية

إن الحديث الذي يدور بين عينة الدراسة والآخرين الغربيين عبر شبكات التواصل الاجتماعي حول المواضيع الدينية بصفة عامة لا بد أنه سيفرز مجموعة استجابات حول التعامل بين الطرفين في هذا السياق، وهو ما سيوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم (18) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير استجابات التواصل بينها وبين الآخر

الغربي في سياق مناقشة المواضيع الدينية

الآخر الأجنبي		العربي		العينة الاستجابات
لا	نعم	لا	نعم	
32	28	41	19	البحث في النقاط المشتركة بين الديانتين
% 53.3	% 46.7	% 68.3	% 31.7	
38	22	51	9	الرغبة في التعرف على ديانة الطرف الآخر
%63.3	% 36.7	%85.0	% 15.0	
53	7	47	13	دعوة الطرف الثاني إلى اعتناق الديانة
% 88.3	%11.7	% 78.3	%21.7	
39	21	35	25	التركيز على نقاط الاختلاف بين الديانتين
%65.0	%35.0	% 58.3	%41.7	
52	8	50	10	اثارة الشبهات حول ديانة الطرف الثاني والتشكيك فيها
%86.7	%13.3	% 83.3	% 16.7	
23	37	55	5	استصغار أهمية الدين في الحياة
% 38.3	%61.7	%91.7	% 8.3	

يعكس الجدول أعلاه النتائج الآتية:

❖ بالنسبة لاستجابة "البحث في النقاط المشتركة بين الديانتين" نفتها عينة الدراسة عن نفسها بنسبة تقدر بـ 68.3%، في حين أن نسبة 31.7% تفر ببحثها في النقاط المشتركة بين ديانتها التي هي الإسلام وديانة الآخر.

أما من وجهة نظر العينة نحو الآخر في هذا السلوك فهي متقاربة بين من يصرحون برغبة الآخر وسعيه في البحث عن النقاط المشتركة بين ديانتهم والإسلام بنسبة 53.3%، وبين من يرون عدم سعي الآخر لذلك بنسبة 46.7%.

إن عدم البحث في النقاط المشتركة لدى عينة الدراسة يمكن أن يكون مؤشرا على ضعف إدراك أهمية هذه العملية ودورها الفعال في بناء جسور فعالة للتواصل والقضاء على الخلافات القائمة مع الآخر، بعيدا عن الصراعات التي يشهدها الواقع، ويحاول أن يتجاوزها الفضاء الافتراضي.

في مقابل ذلك عيّرت النسبة القليلة المتبقية عن انتهاجهم لهذا المنهج في تواصلهم مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية، وهو ما يمكن أن يساهم في التعريف بدينهم كونه دين لا يعارض الديانات الأخرى في كل جزئياتها - طبعاً السليم منها-، وهذه الفئة عادة تجدها تحرص على دعوة الآخر للتعرف على الإسلام وتغيير الصورة النمطية التي يحملها عنه. فالبحث في المشترك بين الديانتين يمكن أن يمتد العلاقة أكثر بين طرفي الاتصال ويعرف كل منهما بديانة الطرف الثاني، كذلك حتى لا يبقى هذا الآخر في دائرة الجهل بالإسلام، والتي تزيده من ترسيخ الصورة السيئة التي يسعى الإعلام الغربي إلى تأكيدها باستمرار.

من جهة أخرى كان موقف الآخر من وجهة نظر عينة الدراسة موزعاً بالتقارب بين الاتجاهين، بين من لا يبحثون في النقاط المشتركة وهم عادة من لا يهتمون بجانب الدين، أو من لا دين لهم، أو من يحملون الصورة المشوهة عن الإسلام، وبين من يبحثون في النقاط المشتركة، وهم عادة من يريدون التعرف على الإسلام، والتأكد مما ينقله الإعلام الغربي عن هذا الدين الذي ظلت تطاله الشبهات من مصادر مختلفة. ولا يخف علينا أن الكثير من غير المسلمين وبسبب تواصلهم مع من يحملون

مشعل الإسلام بحق أو من كانوا قدوة في هذا الدين قد تأثروا بهم، وأصبحوا يرغبون في التعرف على هذا الدين بموضوعية وبدون تحيز.

لا بد أن من العوامل الأساسية التي تسهم في نجاح العلاقة مع الآخر الغربي أو الحوار معه الانطلاق من النقاط المتفق عليها، إذ أن ثقافة الحوار تتطلب البدء بالقضايا المشتركة لتتولد أسباب التواصل، وتعمق في الوعي والسلوك المبادئ المشتركة.¹

❖ أما بالنسبة للاستجابة الموائية وهي "الرغبة في التعرف على ديانة الطرف الآخر"، فقد أجابت النسبة الأكبر من عينة الدراسة بـ "لا" بما يعادل 85%، في حين بقيت نسبة 15% لمن أجابوا بـ "نعم". أيضا كانت إجاباتهم بشأن الآخر تتمركز في درجة "لا" بنسبة 63.3%، ونسبة 36.7% تعبر عن "نعم".

تنفي عينة الدراسة رغبتها في التعرف على ديانة الطرف الآخر، وهو ما يمكن أن يعكس ثقفتها بصدق دينها، وبالتالي لا داعي للتعرف على الديانات الأخرى، أو يمكن أن يعبر عن جانب آخر عن قلة وعي من طرفها بضرورة التعرف على ثقافة الذي تتواصل معه في بعدها الديني* حتى يكون التواصل فعالا ومثمرا، ويكون عن علم ومعرفة كقاعدة أساسية في التواصل مع الآخر المختلف، وهو ما تسعى له ربما النسبة القليلة التي صرحت برغبتها في ذلك.

أما بالنسبة للآخر الذي ذكرت عينة الدراسة بأن نسبة معتبرة منه ترغب في التعرف على ديانتها الإسلامية، فهذه نتيجة تتوافق مع واقع يؤكد انتشار الإسلام في العالم، مع بروز الكثير من المحاولات لتحسين صورته لدى الآخرين، فمثلا استطاعت فعاليات موندريال قطر أن تنقل للعالم صورة حسنة عن الإسلام في الكثير من أبعاده، وهو ما يمكن أن يجعل غير المسلمين يرغبون في التعرف على هذا الدين الذي يحفظ مكانة الأسرة والوالدين، ويحافظ على الحقوق والكلمة الطيبة

¹ - محمد زومان، مرجع سابق، ص 135.

* - إن عدم رغبة عينة الدراسة في التعرف على ديانة الآخر لا ينافي دافعها في التعرف على ثقافة الآخر، والتي نرى بأنها تقصد بها التعرف على قيم وعادات ولغة وانجازات... هذا الغربي وليس دينه الذي تمتلك القناعة بانحرافه.

وروح الأخوة... التي تجسدت جميعا في هذا المونديال. في المقابل هناك فئات أخرى لا ترغب في ذلك مما يعني أن هناك صورة ذهنية حوله يصعب تعديلها.

❖ بالنسبة لاستجابة "دعوة الطرف الثاني إلى اعتناق الديانة" صرحت نسبة 78.3%، بأنها لا تدعو الطرف الآخر إلى اعتناق الإسلام، بينما نسبة 21.7%، قامت بذلك.

كذلك الأمر عن الآخر فقد صرحت عينة الدراسة بنسبة أكبر بلغت 88.3% بأنه لم تتم دعوتهم من الآخر لاعتناق ديانتهم، بينما أكدت ذلك نسبة 11.7%.

يمكن أن نفسر النتائج أعلاه أن عينة الدراسة لا تضع هذا الهدف ضمن أهدافها العامة في التواصل مع الآخر، أو حتى هدف تعريفها بثقافتها، فأهدافها من هذا التواصل كثيرا ما تتمحور حول البحث العلمي أو العمل أو اكتساب الخبرات، كما أن القيام بهذا العمل يحتاج إلى دراية كافية بالآخر والسبيل الأمثل لدعوته، ويلزمه أيضا مهارات خاصة في التأثير والإقناع التي ربما لا تمتلكها عينة الدراسة، مما جعلها تعرض عن هذا الهدف رغم أن سياقها الديني في بعده التاريخي ينقل الكثير من المشاهد المعبرة عن ذلك، بل حتى السياق الاجتماعي اليوم يؤكد تحقق هذا الهدف ونجاحه في كثير من الدول الغربية.

من هنا ظهرت فئة قليلة صرحت بالإيجاب في هذه العبارة، أين يمكن أن نفسر ذلك بالتأثر بالسياق الديني الواقعي في هذا الجانب، خاصة عند متانة العلاقة بين الطرفين، كونها عاملا مهما في ذلك، إذ أن العلاقات المتينة والتي تدوم طويلا تفتح المجال في مواضيع حساسة وتتيح تحقيق أهداف خاصة أكثر من العلاقات حديثة العهد، والتي يشوبها عادة الحذر والحيطه والانتقاء في المواضيع.

من جهة أخرى لم يسع الآخر كثيرا للدعوة لدينه كما صرحت عينة الدراسة، وهو ما يعكس ربما علمهم بالتأثير الكبير للسياق الديني على المسلمين مهما كان هناك تقصير في أداء فرائضه على الوجه المطلوب، مما يبقى الدين الإسلامي مقدسا عند أغلب المسلمين. وهو ما يتوافق مع نتيجة

دراسة محمد اعبابو التي أثبتت أنه يوجد نواة صلبة من المعتقدات لدى عينة الدراسة التي تعيش بالخارج رغم ارتباطهم الضعيف بالمعتقدات وذلك حفاظاً منهم على الذات الثقافية وخوفاً من فقدان الهوية.¹

كما يمكن أن يعكس هذا التوجه أيضاً هامشية السياق الديني عند هذا الآخر، ذلك الدين الذي لا يلمس أثره في الحياة اليومية، فإذا كان هو لا يملك تلك القناعة الكافية فأنتى له أن يدعو الطرف الثاني لذلك. كما أن بعضهم كما صرحت عينة الدراسة لا دين له أصلاً.

في المقابل هناك فئة قليلة قامت بدعوة المسلمين إلى اعتناق ديانتهم، وهي الفئة التي تفعل ذلك إما قناعة حقيقية بدينها، أو رغبة فقط في انحراف المجتمع الإسلامي وإخراجه عن دينه، خاصة في ظل هشاشة الأسس الدينية عند الكثير من الشباب العربي في العصر الحالي، وانحراف أغلبهم نحو التقليد الأعمى الذي يرى في الآخر رمز التقدم والرقي والتطور، مما جعل المخالفين للإسلام يسعون بشتى الطرق وبالأساليب المباشرة أو غير المباشرة لزراعة مكانة الدين في قلوب المسلمين وفي حياتهم، وتشتيت تفكيرهم بأمر جانبيه تزيغ بهم عن الطريق السليم.

❖ بالنسبة لاستجابة "التركيز على نقاط الاختلاف بين الديانتين"، صرّحت عينة الدراسة بنسبة 58.3% أنهم لا يقومون بذلك، في حين نسبة 41.7% يفعلون ذلك، كذلك الأمر فيما يخص الآخر، فالنسبة الأكبر من عينة الدراسة تؤكد أيضاً أنهم لا يركزون على نقاط الاختلاف أين بلغت نسبتهم 65%، في مقابل من يقومون بذلك وهم 35% كما أقرّ المبحوثين.

إن عدم التركيز على نقاط الاختلاف من كلا طرفي العملية التواصلية مع عدم البحث في النقاط المشتركة كما دلت النتائج السابقة، يعبر عن عدم اهتمامهم بهذه المسألة الهامة، التي لها أثرها في التعريف بديانة المسلمين والتعرف على ديانة الآخر بأسلوب المقارنة الذي يكون أكثر رسوخاً في الأذهان. ومع ذلك يمكن أن يسبب التركيز على نقاط الاختلاف دون التشابه بعض الحساسيات

¹ - ارجع ص 45 من عرض الدراسات السابقة.

بين الطرفين، خاصة إذا كان بأسلوب متعال، مما يؤدي إلى تباعد المسافات أكثر من تقاربها مع الآخر، وهو سبب كاف للإعراض عن ذلك من كلا الطرفين.

أما من يركزون على نقاط الاختلاف من كلا الطرفين فهم - في رأينا - يفرقون أكثر مما يجمعون، إذ أن ذكر الاختلاف هو بمثابة وضع حدود فاصلة بينهما، وبالتالي لا يمكن غض النظر عنها ولا تجاهلها وإنما تأكيد وجودها. فالمسلم مثلاً كثيراً ما يريد أن يبيّن للآخر بأن هذا الاختلاف هو الذي يميزه عن دين الآخر ويجعله الأحق بالاتباع، في حين أن هذا الآخر يريد أن يؤكد من خلال هذه المسألة أنه لا يمكن أن يجتمعا أو يتفقا في أي مسألة من مسائل الدين، وهي حقيقة لا مناص منها، في ظل التحريف الذي ظل تحريف الكثير من الديانات.

كما أن ثقافة التواصل والحوار تقتضي البحث في نقاط التشابه فهي تقتضي أيضاً تحديد نقاط الاختلاف بين المتحاورين بدقة، ثم ترتيبها في سلم المحاور الواحدة بعد الأخرى، حيث يبدأ المتحاورون بالأهم فالمهم وينتقل الحوار من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات بتناسق مطرد.¹ كذلك نبه القرآن إلى أن هذا الاختلاف بين البشر ليس للتصادم والصراع الذي يفضي إلى إفناء الناس بعضهم بعضاً، وإنما هو سبيل للتعارف ومن ثم للتعاون، فالتنوع في القرآن تنوع تكامل وتعايش وليس تنوع تضاد وتصادم،² وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾³.

❖ بالنسبة لاستجابة "إثارة الشبهات حول ديانة الطرف الثاني والتشكيك فيها" فإن نسبة

83.3% من العينة تنفي عنها هذا الفعل، في مقابل 16.7% يشبتون ذلك، أما عن رأيهم في الآخر فهم يرون أن نسبة 86.7% لا تعمل على إثارة الشبهات في حين 13.3% يقومون بذلك.

¹ - محمد زرمان، مرجع سابق، ص 135

² - سورة الحجرات: الآية [13].

³ - محمد زرمان، مرجع سابق، ص 137.

تدل النسب السالفة الذكر أن عينة الدراسة لا تعمل على إثارة الشبهات حول ديانة الطرف الآخر في سياق اتصالها مع الآخر، ربما حفاظا منها على تلك العلاقات، إذ أن إثارة تلك الشبهات كثيرا ما يمكن أن تؤدي إلى ردود فعل عنيفة من الطرف الآخر، خاصة إذا كان لا يملك الرد المناسب لذلك، ولا يعرف كيف يدافع عن دينه. كما أن هذا الأمر قد يفتح على المسلم أبوابا من طرف الآخر لا يعرف سدها، إذ أنه قد لا يجيد دحض شبهات الآخرين عن دينه، لظنه بأنها مسؤولية العلماء والمتقنين الذين يملكون الآليات اللازمة لذلك، وهو ما يدفعهم -حسب اعتقادنا- إلى عدم إثارتها لدى الآخر سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

كما أن ضرورة احترام الديانات المختلفة يوجب على كلاهما تجنب مثل هذه القضايا، التي كما ذكرنا تنتهي بالقدح في ديانة الطرف المقابل، والانتقاص من مبادئها وشرائعها وعقائدها. ومع ذلك فهناك فئة معتبرة من كلا الطرفين تعمل على إثارة الشبهات ضد ديانة الطرف الثاني، مما يمكن أن يؤدي إلى زرع الشك والريب في قلوب ضعاف الدين، لذا فإن هذا الواقع يفرض عليهم اكتساب ثقافة دينية واسعة تمكنهم من الدفاع عن ديانتهم بعلم ووعي.

أيضا فإن إثارة الشبهات بالنسبة للآخر اتجاه دين المبحوثين ما هي إلا إفراز لسياق تاريخي أتتجه علم قائم بذاته وهو علم الاستشراق الذي انكب على دراسة الشرق، والبحث عن زلاته وإثارة الشبهات حول دينه، مما جعله يأخذ شرعية أقواله من هذا العلم، متجاهلا أن إثارتها يعني السير في فض العلاقة بينهما.

❖ بالنسبة لاستجابة "استصغار أهمية الدين في الحياة" وكما يعبر الجدول فإن النسبة الأكبر من عينة الدراسة تنفي عنها ذلك بما يعادل 91.7%، وتثبتته بالنسبة للآخر بنسبة 61.7%، غير أن نسبة قليلة منهم لم تتجاوز 9% تقرّ بذلك بالنسبة لهم، ونسبة 38.3% تنفيها عن الآخر الغربي. تعبر هذه النتائج عن وعي العينة بأهمية دينهم نظرا لفاعليته في كل نواحي الحياة ومجالاتها، فالإسلام عندهم له أهمية ومكانة كبيرة في ممارساتهم اليومية، في قيمهم وأفكارهم وألفاظهم، في شكلهم وعلاقاتهم.

إن السياق الديني الإسلامي هو الذي أكسب العينة الثقة بدينها انطلاقاً من الكثير من مظاهر السلوك اليومي التي تعكس دور الدين كأحد المقومات الثقافية الهامة للمجتمع العربي الإسلامي، و تكشف في الوقت ذاته عن قوته ومدى تمسك المسلمين به، إذ هناك الكثير من أركان الإسلام التي تساعد على ازدياد ترابط المسلمين رغم كل ما يكون من اختلافات في الانتماءات المذهبية، فالزكاة مثلاً نوع من التكافل الاجتماعي بين أعضاء المجتمع، وفي ذلك يقول الله تعالى " ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۗ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾".¹ أما الحج فيعد أكثر تجمع يضم أناساً ينتمون إلى عدد كبير من الدول ذوو جنسيات أخرى وليس فقط من الدول العربية، ويعتبر من أكبر العوامل في التقريب بين المسلمين والعمل على تماسكهم، بغض النظر عن كل ما يقوم بينهم من اختلاف وتباين على مستوى السلالة والجنسية واللغة واللون والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.²

رغم ذلك فهناك من عينة الدراسة من يرى محدودية الدين في مجالات معينة، وأنه يتمركز أساساً في حدود العقائد والعبادات بين الإنسان وربه، وهم في أغلبهم هؤلاء العلمانيين من المسلمين الذين يرون أن في الدين الكثير من التزمّت والتضييق على حياة الفرد، لذا يحصرونه في حدود خاصة جداً بين العبد وربه.

في المقابل فإن الآخر وبنسبة أكبر يستصغر أهمية الدين في حياته اليومية، وهو شعور أوجدته العلمانية التي توجّه حياته في طريق الفصل بين الدين والحياة، ضف إلى ذلك أن هناك منهم فئة لا دين لها أصلاً. ومع ذلك فهناك مجموعة أخرى من وجهة نظر العينة لا تستصغر أهمية الدين في حياتها وتعتبره من المقومات الثقافية الهامة التي يجب الحفاظ عليها والتمسك بها، وهي تلك الفئة التي مازالت متمسكة بالمسيحية، إذ يظهر ذلك مثلاً في تقديس الصليب الذي يلبسونه، أو تقديس البابا

¹ - سورة التوبة: الآية [60].

² - فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص 235، 236.

بمختلف الوسائل والأساليب التي يدعمونه بها، بل ويترجم ذلك في دعوة العينة إلى اعتناق ديانتهم كما ظهر سابقاً.

إن هناك الكثير من الدراسات السوسولوجية التي تشير إلى عودة الدين بقوة إلى الحياة العامة في أوروبا، سواء من حيث زيادة نسبة الإقبال على الكنائس ودور العبادة، أو من خلال ظهور جماعات وحركات تميل إلى تدين الفضاء العام وإعطاء الدين ثقلاً سياسياً وهوياتياً، وتضع المعتقد كأساس في نظرتها للآخر. فصحيح أن الفصل بين الكنيسة والسلطة في معظم الدول الأوروبية لا يزال قائماً منذ أن حسم الأمر لصالح هذه الأخيرة قبل أربعة قرون، بيد أن البعد الثقافي والقيمي للدين لا يزال قائماً لدى البعض، باعتباره ستاراً وافياً اتجأ ما يعتبرونه محاولة للتمدد الإسلامي الواضح في المجتمعات الأوروبية.¹

✓ الاستجابات التي يحققها الانتماء الديني لعينة الدراسة في سياق علاقتها بالآخر الغربي

مما لا شك فيه أن الانتماء الديني الإسلامي لعينة الدراسة يدفعها لاستجابات واتجاهات معينة اتجأ الآخرين الغربيين عبر شبكات التواصل الاجتماعي، تظهر في مختلف المواقف الاتصالية التي تجمع بينهما، وهو ما سيوضحه الجدول الموالي.

للتعرف على تلك الاستجابات التي يحققها الانتماء الإسلامي للعينة قمنا أولاً بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات المبحوثين، حيث تم تحديد مجال المتوسط الحسابي المرجع من خلال حساب المدى (5-1=4) ثم تقسيمه على طول الخلية (0.8=5/4)، ثم إضافة النتيجة المتحصل عليها إلى أقل قيمة في هذا المقياس الذي وضعت الباحثة وهي (1) لتتوصل على جميع أطوال الخلايا، والتي كانت كالآتي:

¹ - بلحاج مونير، مرجع سابق، ص 45.

جدول رقم (19) يمثل المتوسط الحسابي المرجح لاتجاهات عينة الدراسة

الاستجابة	الدرجة	المتوسط الحسابي المرجح	مستوى الاستجابة
معارض بشدة	1	من 1 إلى 1.80	منخفض جدا
معارض	2	من 1.81 إلى 2.60	منخفض
محايد	3	من 2.61 إلى 3.40	متوسط
موافق	4	من 3.41 إلى 4.20	مرتفع
موافق بشدة	5	من 4.21 إلى 5	مرتفع جدا

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على مقياس ليكرت الخماسي

جدول رقم (20) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير الاستجابات التي يحققها لها انتماؤها

الديني في سياق علاقتها بالآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

الدرجات الاستجابات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
الحوار مع الآخر بالحسنى	25	26	4	5	-	4,18	0,89	مرتفع
	%41.7	%43.3	%6.7	%8,3	-			
تفضيل الأجنبي المسلم على غيره	10	23	22	5	-	3,63	0,86	مرتفع
	%16.7	%38.3	%36.7	%8.3	-			
الحرص على مراجعة معلوماتك الدينية الإسلامية	37	19	4	-	-	4,55	0,62	مرتفع جدا
	%61.7	%31.7	%6.7	-	-			
التعرف على تعاليم ديانة الآخر	-	26	23	11	-	3,25	0,75	متوسط
	-	43.3%	%38.3	18.3%	-			
المتوسط العام								
مرتفع								

يعكس الجدول أعلاه أن مستوى الاستجابة العام حول مختلف السلوكيات التي تبناها عينة الدراسة في تفاعلها مع الآخر الغربي نتيجة انتمائها الديني الإسلامي هو مستوى "مرتفع" بلغ متوسطه الحسابي 3.90، مما يعني اتجاه العينة الإيجابي نحو مبادئ الإسلام في توجيهها للتواصل مع الآخر الغربي. وقد كانت النتائج التي تتعلق بكل عبارة كالآتي:

➤ بالنسبة لاستجابة "الحوار معه بالحسنى" حازت على مستوى استجابة مرتفع أين بلغ المتوسط الحسابي فيها 4.18، بانحراف معياري يقدر بـ 0.83، وهو انحراف ضعيف يدل على ضعف تشتت الإجابات التي كان أغلبها في درجتي موافق وموافق بشدة، لتكوّن اتجاهها إيجابيا نحو هذه الاستجابة التي تعتبر من القواعد الأساسية التي جاء بها الإسلام في التعامل مع الآخر، فغالبية عينة الدراسة تدرك أن الإسلام لم يأمرنا بعباء الآخر والتعامل معه بفضاضة لأنه غير مسلم، بل بالعكس فقد دعا للجدال معه بالتي هي أحسن، وهي أبرز قيم الإسلام في هداية الآخرين لهذا الدين، لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹.

إن الصراعات والنزاعات الدائمة، لا تنشأ من وجود الاختلاف والتنوع، وإنما تنشأ من العجز عن إقامة نسق مشترك يجمع الناس ضمن دوائر ارتضوها، واعتماد حوار بين الإنسان وأخيه الإنسان يقوم على الجدل بالتي هي أحسن، حيث يعتبر هذا الأخير من النوافذ الأساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية من دونها. كما وأن التزام الأدب وحسن الخلق عموما، والتواضع على وجه الخصوص له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرا وتواضعا، ويلمس خلقا كريما، ويسمع كلاما طيبا، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لاستماع رأيه. وعليه فإن الجدل بالتي هي أحسن لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الديني أو الثقافي أو السياسي، وإنما يسعى لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجددا ومعا في النظر إلى الأمور. والدين الإسلامي أولى العناية والاهتمام بقيمة الحوار

¹ - سورة النحل: الآية [125].

والدعوة والمجادلة والتي هي أحسن،¹ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.²

تحتاج سيرورة تطبيق هذا المبدأ للوعي المعرفي والسلوكي من كلا طرفي العلاقة الاتصالية، فهي وإن كانت قيمة ظهرت أساسا في سياقها الديني الإسلامي، إلا أنها ذات بعد إنساني يجب أن يتحلى بها كل من أراد بناء علاقات تواصلية مع الآخرين.

لذلك يجب على الفرد أن يفكر قبل أن يتكلم، فلا يتكلم اعتبارا وارتجالا، ولا تستدرجه الإثارات والانفعالات، بل يتأمل ويتدبر فيما يريد قوله، ومما يعينه على ذلك أن يجعل نفسه مقياسا، فيضعها مكان الطرف الآخر، فلا يقول كلمة للآخرين حتى يستفتي مشاعره وعواطفه نحوها.³

كما لا يفوتنا أن الحوار أسلوب الأنبياء جميعا عليهم السلام، أين استطاعوا النفاذ إلى قلوب الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة، وقد بينوا لنا سبل الحوار الهادئ والهادف الذي يلتزم العرض والإقناع مع الإيضاح والبيان بكل رفق وتلطف. فلم يكن حوارهم مع أقوامهم حوار الإكراه أو الاجبار، أو حوار القسر والقهر، وإنما كان حوارا يحترم الفكر والشعور ويستعمل ألين العبارات في الدعوة والبحث عن قاعدة اللقاء كيفما كانت: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾⁴، لأن التعدي في الحوار بأساليب فضّة من شأنه الهدم لا البناء والتنافر لا التواصل.⁵ وفي هذا رسالة لجميع الديانات لاقتدائها بأنبيائها في التحلي بأخلاق التواصل التي على رأسها الحوار بالحسنى، وهو الذي دعا له

¹ - عمار كاظم، ثقافة التواصل والحوار والانفتاح من موقع <https://www.balagh.com/article>، تاريخ الدخول: 2021-09-12 على الساعة 01:00.

² - سورة فصلت: الآية [34].

³ - حسن بن موسى الصفار، التسامح وثقافة الاختلاف-رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات-، ط2، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، دار أطياف، المملكة العربية السعودية، 2011، ص110.

⁴ - سورة آل عمران: الآية [64].

⁵ - إبراهيم حسن أبو حسنية، التواصل في القرآن الكريم، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2013، ص ص 218،

بدوره هابرماس في الفضاء العام، للبحث والنقاش في القضايا التي تهم الطرفين، والتي لن تحقق أهدافها إلا بالتحلي بأخلاقيات التواصل والحوار المبني على الديمقراطية التشارورية.

➤ كذلك استجابة "تفضيل التواصل مع الأجنبي المسلم" تحصلت على مستوى استجابة مرتفع من طرف عينة الدراسة، بمتوسط حسابي بلغ 3.63، وانحراف معياري قدرت قيمته بـ 0.86، وهو ما عبّر عن ضعف التشتت في إجابات عينة الدراسة التي يظهر الجدول ميولها إلى الاتفاق حول هذه العبارة، وهي اتجاه يعكس أهمية الدين كعنصر مهم في الثقافة العربية، وعامل أساسي من عوامل ترشيد العلاقات وتوجيهها في المسار الصحيح، لذا فإن الاتفاق في هذه النقطة مع الآخر سيزيل الكثير من صعوبات التواصل ويذللها، إذ أن الاختلافات في العناصر الثقافية الأخرى كاللغة والعادات والتقاليد والتاريخ... لن تخلق عقبات كبيرة أمام العلاقة بينهما، لأن الإسلام الذي لا يفرق بين الناس إلا بالتقوى سيجمعهم تحت راية واحدة وهدف واحد وقيم واحدة.*

➤ جاءت استجابة "الحرص على مراجعة معلوماتي الدينية" بمستوى استجابة مرتفع جدا و بمتوسط حسابي بلغ 4.55، وهو ما يعبر عن الاتجاه الإيجابي لعينة الدراسة نحو هذا السلوك، كما أن الانحراف المعياري كان منخفضا جدا أين بلغ 0.62، ليعكس الاتفاق الكبير بين المبحوثين هنا، إذ يرون أن تواصلهم مع الآخر حول المواضيع الدينية كان حافظا لهم في مراجعة معلوماتهم الإسلامية، والتي يمكن أن توظف في تعريفهم للآخر بالإسلام أو دحض الشبهات التي لديهم عنه، أو معرفة الرد المناسب عند استفسار الآخر عن أي نقطة في الإسلام.

من هنا فإن معرفة الذات في بعدها الديني معرفة صحيحة يمكن أن تكسب الفرد الكثير من الأساليب التواصلية الفعالة مع الآخر، وتمنحه الثقة في النفس، والثبات على المبادئ، ليكون بذلك فاعلا في مسار السعي للتقريب بين الثقافات، إذا ما امتلك الوعي الكافي لذاته، ثم الوعي بحسن

*- وهو ذات السبب الذي جعلنا نستثني المسلم من الآخر الغربي، حتى تظهر مدى فاعلية هذا السياق في التواصل مع

المختلف دينيا.

تمثل قيمها واقعيًا، خاصة في المواقف الاتصالية، وبالأخص في التواصل مع الآخر المختلف الذي يمثل هنا العربي، مما يعطيها الحصانة من تيارات وعواصف الانحلال والذوبان.

➤ بالنسبة لاستجابة "التعرف على ديانة الطرف الآخر" أجابت عليها عينة الدراسة بدرجة استجابة متوسطة بلغ متوسطها الحسابي 3.25، وذلك بانحراف معياري بلغ 0.75، وهو انحراف ضعيف يعبر عن تقارب إجابات المبحوثين وعدم تشتتها، حيث عبر الجدول عن ميولهم إلى الاتفاق على هذه العبارة، إذ يرون أن دينهم يدعوهم للتعرف على ديانة الطرف الثاني، وليس طبعًا بهدف التعلم منها، وإنما معرفتها لاكتساب الحصانة وآليات التواصل، لأن الإنسان عدو ما يجهل، كما أن عدم معرفة الانتماء الديني للطرف الثاني هو من أكبر عوائق الاتصال التي يمكن أن تعترض المتواصلين.

في المقابل بقيت مجموعة كبيرة منهم على الحياد، وأجاب آخرون بالاعتراض على هذه الاستجابة، ربما لاعتقادهم بأنهم في غنى عن التعرف على ديانة الآخر، ويكفي التعرف على دينهم والالتزام به ومعرفة أحكامه، ولكنهم لم يعوا أن نجاح التواصل مع الآخر وتحقيق أهدافه مرهون بدرجة كبيرة بالتعرف عليه أولاً، إذ لا يقل ذلك أهمية عن التعرف على الذات.

3- تجليات السياق الثقافي القيمي الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر العربي عبر الشبكات الاجتماعية.

على ضوء ما سبق من معلومات نظرية في موضوع القيم، ندرك أهمية القيم وضرورتها في حياة الفرد بصفة عامة وفي التواصل مع الآخرين بصفة خاصة، أين تظهر فاعليتها في توجيه سلوك الفرد واتخاذ القرارات اللازمة في مختلف المواقف التي يتعرض لها مع الآخر، لذا حاولنا من خلال هذا المبحث التعرف على السياق الثقافي القيمي الذي يوجه عملية التواصل بين العربي والآخر المختلف وذلك في حدود الإجابة على السؤال الآتي: فيم يتجلى السياق الثقافي القيمي الذي يساعد في توجيه العلاقة الاتصالية بين عينة الدراسة والآخر العربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

وقد ارتأينا الإجابة على هذا السؤال من خلال المؤشرات الآتية:

✓ مدى التحلي بالقيم التواصلية الإنسانية الآتية في العلاقة الاتصالية بين عينة الدراسة والآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

هناك ارتباط وثيق بين السلوك وبين المنبهات التي تؤثر على السلوك، وبالتالي يجب التأكيد على فكرة المواقف ودورها في تحديد محددات القيمة وجعلها تسير بالسلوك في الاتجاه الإيجابي أو السلبي،¹ وقد تحضر قيم في التواصل مع الآخرين وقد تغيب أخرى لتحدث الانسجام والتوافق في العلاقة الاتصالية، ولكن الحقيقة التي لا مناص منها هي ذلك الاختلاف في السلم القيمي بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، لذا سنحاول من خلال الجدول الموالي التعرف على مدى التحلي ببعض القيم في التواصل بين كلا طرفي الثقافتين من خلال وجهة نظر المستخدمين عينة الدراسة لشبكات التواصل الاجتماعي.

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو الحسن، مرجع سابق، ص 381.

جدول رقم (21) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير مدى التحلي ببعض القيم التواصلية الإنسانية في العلاقة الاتصالية بينها وبين الآخر الغربي:

الغربي		العربي		قيم التواصل الإنسانية
لا	نعم	لا	نعم	
2	58	-	60	الانفتاح على الآخر
%3.3	%96.7	-	%100	
54	6	35	25	تقديم المصلحة المشتركة على المصلحة الشخصية
%90	%10	%58.3	%41.7	
44	16	1	59	التناصح مع الآخر
%73.3	%26.7	%1.7	%98.3	
3	57	2	58	الحرية دون المساس بالآخر
%5	%95	%3.3	%96.7	
1	59	10	50	احترام الوقت
%1.7	%98.3	%16.7	%83.3	
26	34	9	51	الأصالة والتمسك بالعادات والتقاليد
%43.3	%56.7	%15	%85	
6	54	5	55	احترام الرأي الآخر
%10	%90	%8.3	%91.7	
17	43	5	55	الموضوعية في عرض الآراء
%28.3	%71.7	%8.3	%91.7	
8	52	7	53	التسامح مع الآخر
%13.3	%86.7	%11.7	%88.3	
%19.8	%70.2	%13.7	%86.3	متوسط النسب

يعكس لنا الجدول رقم (21) أن هناك تحلي بالقيم الإنسانية لدى عينة الدراسة، حيث بلغ متوسط النسب عند الفئة التي أجابت بـ "نعم" 86.3%، في مقابل 13.7% أجابوا بـ "لا"، وهي ما يعكس وعي أغلب عينة الدراسة بضرورة تمثّل هذه القيم في التواصل مع الآخر الغربي. وتتقارب النسب أيضا من جانب الغربي كما ترى عينة الدراسة، حيث بلغ متوسط النسب بالنسبة للذين قالوا بـ "نعم" حول تحلي الآخر بقيم التواصل نسبة 70.2%، في مقابل الذين نفوا عنه التحلي بها بنسبة 19.8%، مما يعني أيضا وعي الطرف الثاني بجدية توفر قيم معينة أثناء التواصل

بينهما. وهو ما خالف نتائج تحليل المضمون التي لم يظهر فيها هذا التحلي القيمي الكبير عند المتواصلين من الثقافتين بنمطه الجمعي عبر التعليقات.

وفيما يلي عرض لاتجاه العينة نحو تمثّل كل قيمة بالنسبة لها وبالنسبة للآخر الغربي:

- بالنسبة لقيمة "الانفتاح على الآخر" صرحت عينة الدراسة بأكملها بنسبة 100% على انفتاحها على الآخر الغربي، وهو ما يعكس وجود الرغبة في التواصل معه وتقبله.
- ثم صرحت ذات العينة على انفتاح الآخر معها بنسبة 96.7%، مما يدل بدوره على إدراك الطرف الآخر أيضا بأهمية حضور هذه القيمة كأساس في العلاقة الاتصالية ودافعا أوليا لها، ومع ذلك فهناك نسبة ضعيفة جدا لم تتجاوز 4% ترى عينة الدراسة بأنها لا تتمتع بصفة الانفتاح ولا تتواصل معها وفق هذا المبدأ وهذه القيمة.

رغم ذلك فهذا الانفتاح من طرف المستخدم عينة الدراسة اتجاه الآخر الغربي يجب أن يحكمه الكثير من الوعي والحيطه، حتى لا يتحوّل عن مساره الإيجابي نحو التنمييط والتبعية والدوبان في ثقافة الآخر المختلف.

نؤكد هنا أنه لا بد على الجمهور الكوني أن يقتنع بأن محاولة فرض نمط ثقافي واحد على شعوب العالم نتيجة الافتتان البالغ بالمصالح المادية والتوسع الكاسح في المصالح الاقتصادية تضر بمصالحه الثقافية هو نفسه، إذ تضيق من آفاقه الفكرية واستعداداته الشعورية، وتحرم أجياله القادمة من الاستفادة من إمكانات الثقافات الأخرى، لذا يجب العمل بمبدأ الانفتاح والتعارف الثقافي الذي يقرّر بأن الشعوب لم تخلق لإقصاء بعضها وإنما للتعرف على بعضها البعض، والإقرار بحق الآخر في الوجود والاختلاف، بل بقدرته على الإفادة والعطاء، فضلا عن الدخول في دائرة التعاون لتحقيق الأمن والسلام العالميين.¹

كما أن معارف الانسان والمجتمعات والحضارات لا تنمو ولا تتطور إلا من خلال انفتاحها على الآخرين، وتواصلها مع الثقافات الأخرى، لأن الانفتاح يعطي قدرة متشكّلة من جانبين لقراءة أفكار

¹ - طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت-

الآخرين والاستفادة منها، وقراءة أفكار الذات من خلال ما يفرزه الاحتكاك الإيجابي من انعكاس متبادل على الفكر، إذ بالتفاعل يتحقق الإبداع ويتحرك التنافس الإيجابي وتفتح آفاق جديدة للفرد مجتمعا وحضارة.¹

لكن هذا الانفتاح يحتاج أولا إلى القدرة على فهم الآخر والتجاوب الفعال معه، مما يزيل الكثير من التشوّهات التي خلفها الزمن والإعلام، ويعطينا حقيقة الأسباب المعرفية للوقوف على روح التقدم الذي تعيشه الثقافات، وبثريتنا بتجارب إيجابية يمكن تمثّلها بما يخدم ثقافتنا، مما يثير الإبداع ويحقق التجديد. مع التركيز دائما على النقد والحوار، الذي يحمي الأمة من مسخ هويتها الحضارية، ويبقيها في موقع العطاء والنفعة. وعليه فإن ازدهار أي ثقافة هو نتاج انفتاحها، وقدرتها على تأصيل مفهوم الحوار والنقد في مسيرتها، فثمة أشياء ومعارف عديدة يتم الاستفادة منها من جراء الانفتاح والتواصل والحوار. والثقافة التي تصطنع الانفصال والانغلاق تبتز التاريخ وتقف موقفاً مضاداً من الوعي التاريخي. وإن الثقافة الحوارية هي المهاد الضروري إلى التقدم الاجتماعي والسياسي والحضاري. فالحوار يعيدنا جميعا إلى اكتشاف ذاتنا، ويقوي خيارات التواصل والتعارف، ويدفعنا إلى التخلي عن تلك الخيارات العنيفة، التي تمارس النبذ والاقصاء.²

إن هذه المرحلة لا تسمح ولا ينفع فيها الانغلاق القيمي الذي تفرضه الضغوطات الاجتماعية التقليدية، لأن ذلك يجعلها غير قادرة على تحقيق نتائج تجسد ميكانيزمات العصرية والحدثة ومنطلقاتها القيمة والمعرفية والأيدولوجية وكيفية التعامل معها.³ فكيف يمكن أن يكون هناك انغلاق في ظل اكتساح التكنولوجيا الحديثة لكل بيت، وكيف يمكن للإنسان ألا يتواصل وشبكات التواصل الاجتماعي باتت تفرض نفسها بقوة في واقع المجتمعات وحياتهم.

¹ _ مرتضى معاش، الانفتاح والتواصل ومنحنيات الإصلاح والتجديد، مجلة النبأ، عدد 56، 1422-2001، من موقع: <https://annabaa.org/nba56/inftah.htm> ، تاريخ الدخول: 28-09-2021، على الساعة: 00:15.

² - عمار كاظم، مرجع سابق.

³ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو الحسن، مرجع سابق ص 377.

● بالنسبة لقيمة "تقديم المصلحة المشتركة على المصلحة الشخصية" صرحت نسبة 58.3% من عينة الدراسة بغياها أثناء تواصلهم، وصرحت نسبة 41.7% بحضورها في تواصلهم مع الآخر.

إن هذه النتائج تؤكد على ضعف نسبي في حضور قيمة تقديم المصلحة المشتركة لطرفي التواصل، مما يعني سعي عينة الدراسة إلى تحقيق مصالحها الشخصية في تواصلها مع الآخر الغربي، وهو ما يعكس احتمالية عدم ديمومة مثل هذه العلاقات كثيرا، والتي تنتهي بانتهاء وانقضاء المصلحة، لأنها علاقات تفتقر للصدق والمحبة التي يمكن أن تنشأ أكثر بين أصحاب الثقافة الواحدة.

في المقابل هناك فئة معتبرة تثبت حضور هذه القيمة في تواصلها مع الآخر الغربي، أي أن علاقاتها مبنية على أساس المنفعة المتبادلة أكثر منها الشخصية التي يمكن أن تعبر عن أنانية المتواصل.

ذكرت عينة الدراسة أن نسبة 90% ممن يتواصلون معهم من الأجانب لا يعملون على تقديم المصالح المشتركة على مصالحهم الشخصية من خلال هذا التواصل، وفي حين تتحلى نسبة 10% بهذه القيمة.

يعني غياب هذه القيمة أن هناك خللا في هذه العلاقة، لأن الأنانية وعدم اعتبار المصلحة المشتركة والتخلي عنها في سبيل تحقيق المصلحة الشخصية سيذهب بالعلاقة تدريجيا إلى نهايتها، ورغم أن هدف التواصل الأولي هو تعلم الخبرات فهو لا يقتصر على جهة واحدة، وإنما الهدف هو تبادلها، وإن بقيت من جهة واحدة فسوف لن تقدر الجهة الأخرى على الاستمرار في العطاء، فإن كان من الجهتين يسقى وينمو، وإن كان من جهة واحدة يذبل حتى يتلاشى.

● بالنسبة لقيمة "التناصح مع الآخر" فقد صرحت نسبة 98.3% من عينة الدراسة بحضور هذه القيمة في تواصلهم مع الآخر، بينما نفى شخص واحد فقط حضورها لديه.

إن هذه القيمة من القيم الهامة التي دعا إليها الإسلام، وبالرغم من أن العينة تتواصل مع غير المسلمين إلا أنها تحلت بهذه القيمة، باعتبار أن النصح ليس محصورا في الجانب الديني فقط، بل يمكن أن يشمل الحياة اليومية بمختلف تفاصيلها. ومع ذلك فهناك من يفكر بمنطق لا يهمني ما يفعله

الآخر وكل مسؤول عن نفسه وتصرفاته، وهو مبدأ يسير عليه الكثير في وقتنا الحالي، أين نلاحظ غياب النصيحة في كثير من المواقف، إذ أصبح الأشخاص يكتفون بالنقد السلبي أو المشاهدة من بعيد دون أي رد فعل ينهي ذلك المنكر فعلياً.

في المقابل وبالنسبة للآخر الغربي فقد صرّحت نسبة 73.3% من العينة بأن الآخر لا يقدم له النصح إطلاقاً أثناء علاقاتهم التواصلية، في حين أقرت نسبة 26.7% بأنهم يفعلون ذلك.

تؤكد النتائج هنا -وكما هو معروف- أن هذه القيمة ليست من قيم المجتمع الغربي، لأنهم يعيشون على مبدأ الحرية التامة وعدم التدخل في سلوكيات بعضهم البعض، ومع ذلك هناك من يتمتع بالإنسانية، فلا يستطيع أن يتحمل منكراً يراه دون أن يبدي رد فعل يرفض ذلك، ليس من باب التدبّر وإنما من باب الإنسانية، أما في هذا الموقف التواصلية فمما شك فيه أن التنصيح هنا سيوجهه سياق قيمي محدد، وسيتعلق في مجمله بمجالات المنافع المتبادلة مع المبحوثين. وعموماً فالإنسان لن يتمكن عادة من الوصول إلى مرحلة نصح الآخر إلا إذا كان هناك علاقة قوية نوعاً ما بينه وبين الطرف الآخر، علاقة تطورت إلى مرحلة تقبل الانتقاد من الطرف الثاني أو النصح من جهته.

● أما بالنسبة لقيمة "الحرية دون المساس بالآخر" فإن نسبة كبيرة من عينة الدراسة صرحت بالتزامها بذلك بما يعادل نسبة 96.7%، ونسبة 95% من العينة صرحوا بالتزام الآخر أيضاً بهذه القيمة، في حين نفت نسبة 3.3% منهم هذه القيمة، ونفت نسبة 5% التزام الآخر بهذه القيمة.

مما لا شك فيه أن هذه القيمة هي قيمة إنسانية عالمية لا يستطيع أن ينكرها أحد، ولا يمكن لعلاقة تواصلية أن تدوم دون التحلي بها من الطرفين وهو ما تثبته النسب السالفة الذكر، ومع ذلك فهناك أفراد من المبحوثين أو من المجتمعات الغربية من لا يراعي هذا المبدأ في التعبير عن آرائه وأفكاره التي قد تتجاوز الحدود مع الآخرين، وهو ما يؤكد انتهاكات الصحافة في كثير من المواضيع التي لا تعبّر عن حرية الصحافة كما يعتقدون، بقدر ما تعبّر عن تجاوزات لحقوق الآخرين ومساس بمقدساتهم التي هي خط أحمر في التعامل مع الآخر المختلف، لذا فإن هذه القيمة من الركائز الأساسية التي

يجب أن تبنى عليها العلاقات، والتي يجب أن تتوفر في كلا طرفي العلاقة الاتصالية حتى تكفل بالفاعلية والنجاح في تحقيق الهدف المطلوب.

● أما بالنسبة لقيمة "احترام الوقت" فقد أقرت نسبة 83.3% باحترامها للوقت في التواصل مع الآخر، في حين تنفي نسبة 16.7% ذلك عنها بكل صراحة، كما صرحت نسبة 98.3% منهم بأن الآخر الغربي يحترم الوقت في حين نفى واحد فقط من عينة الدراسة ذلك.

يمكن أن نفسر شدة حضور هذه القيمة عند الطرفين سواء الغربي أو العربي أثناء تواصلهما هو التنبه بكونها من القيم الأساسية التي تعطي صورة حسنة عن الإنسان، وتزيد من مكانته لدى الطرف الثاني، وإن كان الواقع يؤكد عموماً حقيقة غيابها النسبي أو أحياناً التام في المجتمع العربي الإسلامي الذي هو أولى بهذا المبدأ في الحياة، والذي هو من الأشياء التي عظمها الله تعالى في كتابه، بل وأقسم بها في سورة العصر بقوله تعالى: ﴿الْعَصْرُ ﴿01﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ¹، وفي المقابل فإن من له علاقة بالآخر الغربي يؤكد حرص هذا الآخر الشديد على الوقت والمواعيد التي تعطى، وهو ربما ما تعلمته عينة الدراسة، لتعامله بالمثل حرصاً على الحفاظ على ديمومة العلاقة واستقرارها.

رغم ذلك فإن هناك قلة قليلة تعترف بعدم احترامها والتزامها بالوقت، وهي عادة نشأت عليها في مجتمعاتها وترسخت في تصرفاتها وبالتالي يصعب التغلب عليها أو تغييرها، خاصة في ظل التحجج الدائم بالظروف اليومية التي تحول دون احترام الوقت، والتي يدللها عادة الآخر الغربي.

● بالنسبة لقيمة "الأصالة والتمسك بالعادات والتقاليد" فقد كانت حاضرة بقوة عند العربي بنسبة 85%، في حين أن البقية صرحوا بعكس ذلك، أما من جهة الآخر الغربي فقد صرحت نسبة 56.7% بأن الغربيين أيضاً متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم، في حين نفت عنهم ذلك نسبة 43.3%.

إن هذه القيمة عموماً لا تؤثر على العملية التواصلية كغيرها من القيم، إلا أنها جزء هام من شخصية الإنسان، وعامل من عوامل الحفاظ على هويته وثقافته، بل هي من مؤشرات ومعالم بروز

¹ - سورة العصر: الآية [01-02].

ثقافة الشخص للطرف الآخر أثناء التواصل، وقد كانت حاضرة بقوة عند عينة الدراسة من المجتمع العربي، مما يعكس اعتزازه بتراثه وتاريخه وعاداته التي يكتسبها من مجتمعه، ليثبت عليها في الداخل أو الخارج. في المقابل هناك فئة قليلة تنفي ذلك، وهي على ما يبدو تلك الفئة التي إما أن تكون تأثرت بالغرب وتقاليده وتعمل على تبنيها وإحلالها تقاليدها وعاداتها، أو أنها فئة لا تحرص على وجود هذه القيمة في التواصل مع الآخر لأنها تراها صفة هامشية لا علاقة لها بطبيعة الصلة مع الآخر.

لا تعني أصالة الثقافة مجرد التمسك بالأصول، بل تعني فيما تعنيه الثبات والديمومة أو الاستمرار والسيورة معا، فتشمل أيضا التجديد والابتكار، وبذلك لا تكون الثقافة العربية دائما وليدة البيئة العربية، وإنما هي وليدة هذه البيئة من تلاقحها أيضا مع ثقافات البيئات الأخرى.¹

في المقابل وكما صرحت العينة وبنسبة فاقت النصف أن هناك فئة من الآخر تحرص على إبراز عاداتها وتقاليدها كجزء من هويتها الغربية، فالآخر كثير الاعتزاز بنفسه وإنجازاته، ولا بد أن تراثه وتقاليده هي جزء لا يتجزأ من هذه الإنجازات التي تنشأ على المستوى المجتمعي، ومع ذلك وكما في فئة العربي، هناك فئة من الغربيين لا يحرصون على ذلك، وهو ما يعود لمعتقدات يتبناها الشخص نحو هذه النقطة ومدى ضرورة التزام الشخص بها وإظهارها للآخرين والتفاخر بها، خاصة في ظل التطور والعصرنة التي يشهدها المجتمع الغربي والتي بإمكانها التغطية على كل ما هو تقليدي وتراثي لمسيرة التطور التكنولوجي ومجريات الواقع، في ظل مصطلحات العولمة وما بعد الحداثة والرقمنة، ليؤثر بدوره على سوسيولوجيا المجتمع وبالتالي على الأفراد وعلاقاتهم بالآخرين.

● بالنسبة لقيمة "احترام الرأي الآخر" فقد قالت نسبة 91.7% بأنها تراعي هذه القيمة في تواصلها مع الآخر، في حين اعترفت نسبة 8.3% بأنها لا تراعيها، وترى نسبة 90% بأن الآخر أيضا يتحلى بها في التواصل معه، في مقابل أن 10% لا يفعلون ذلك.

1- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر- بحث استطلاعي اجتماعي-، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،

إن القيمة السالفة الذكر أيضا من القيم الهامة في تحقيق نجاعة العلاقة التواصلية مع الآخر، وهو ما يتوفر فعلا سواء لدى عينة الدراسة أو عند الذين يتواصلون معهم كما صرحوا، فالآراء في أغلبها تختلف بين الناس من ثقافة واحدة، فكيف بها من ثقافتين مختلفتين، وبالتالي يجب على كل طرف أن يحترم آراء الآخرين وأفكارهم، وأن يكون ما يبدي من رأي بأدب واحترام وتقبل السماع دون ضرورة قبول الفكرة.

يجب أن يدرك المحاور أن الحوار ليس دعوة للطرف المقابل لمغادرة موقعه الطبيعي والانضمام إليه، ولا هو تعزيز للقناعات الذاتية ومحاولة استدراج الآخر لاعتناقها، وإنما هو فضاء واسع لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجددا للنظر إلى الأمور من زاوية أوسع، وب عقلية متفتحة أكثر، ووجهة نظر أغنى و أعمق، والحوار بحاجة إلى ثقافة وفكر يحترم الفروق والتنوع، ويرى الحقائق المجتمعية ماهيات مركبة ذات وجوه وأبعاد، لا جواهر بسيطة مطلقة ذات بعد واحد، إنه فكر يجيد التبادل والتأليف انطلاقا من توسط مشرف، من غير أن ينجح إلى دمج كلي يلغي المسافات والتخوم، أو يقع في تفرعية انقسامية تقطع العلاقات و تعدم التواصل.¹

لاحظنا من خلال النسب أن هناك من لا يتحلى بهذه القيمة من كلا الطرفين، فالآخر الأجنبي مثلا عادة ما يعتقد بصحة رأيه وعلوه على العربي، وهو ما مثلته فئة قليلة يبدو أنها تتعامل بهذا المبدأ وعلى هذا الأساس، مما يبرر سلوك فئة قليلة من العينة ربما تقابله بالمثل، وذلك بسبب تلك الصورة الذهنية التي يحملها عن العرب المسلمين بصفة خاصة.

● بالنسبة لقيمة "الموضوعية في عرض الآراء" فقد أقرت نسبة كبيرة من العينة بأنها تتحلى بذلك وقد بلغوا 91.7%، أما البقية فقد نفوا عنهم ذلك، في المقابل قالت نسبة 71.7% بأن الأجانب الذين يتواصلون معهم يتحلون بهذه القيمة، ونفت نسبة 28.3% ذلك.

¹ - محمد زرمان، مرجع سابق، ص 131.

تعتبر الموضوعية من المبادئ صعبة التحقيق في النقاشات بين الأفراد، إذ أن الجميع يبحث عما يخدم ذاته أكثر مما يخدم ويثري الموضوع وذلك في مختلف النقاشات، فالعرب المسلمين مثلاً كثيراً ما يتواصلون بذواتهم وهويتهم العربية الإسلامية ويعملون على إبرازها والدفاع عنها بدون موضوعية، وفي المقابل يعمل الآخر على رفع أناه والنقاش على ضوء خلفيات ورؤى غير موضوعية، ولكن هذه الفئة عددها محدود سواء في عينة الدراسة، أو فيما صرحت به عن الآخر أيضاً، إذ أن الأغلبية يقرون بالتحلي بالموضوعية من كلا الطرفين، وذلك تحقيقاً لأهداف التواصل لكي يستطيع كل منهما إقناع الآخر بأفكاره ووجهات نظره حول موضوع ما، والتي تمحورت كما ذكرنا سابقاً حول تبادل الخبرات والمعارف، مما يعني أن طبيعة الدافع تستوجب الموضوعية والعلمية.

● بالنسبة لقيمة "التسامح مع الآخر"، فقد كانت النسب متقاربة بين من يتحلون بهذه القيمة سواء من العرب أو من الغربيين وهي 88.3% و 86.7%، أما الذين لا يتحلون بها فقد بلغت نسبتهم 11.7% في الجانب العربي، و 3.3% من الجانب الغربي كما صرحت عينة الدراسة.

إن الاعتراف بالآخر والتسامح معه هو الإقرار بأن هناك شخص آخر يختلف عنا في الدين والعادات والقيم واللغة...، بل هو سنة من سنن الله الكونية التي يعيش عليها البشر، لذا فإن عينة الدراسة وبما أنهم قرروا التواصل مع هذا الآخر المختلف فيجب عليهم الاعتراف بوجوده وبكل ما يحمل من قيم ومبادئ وعادات تختلف عنا، وهو أيضاً التوجه الغالب لدى الطرف الآخر الذي يتواصل مع عينة الدراسة.

كما أن تأكيدهم على التحلي بهذه القيمة يعني أن هناك غياباً للتعصب والهمجية في التواصل بينهما، والتي تصل عند الكثيرين إلى درجة السب والشتم¹ وبالتالي إحلالها التقبل والتجاوز والتغاضي عن بعض الحثيات في سبيل الحفاظ على العلاقات.

¹ - وهو ما وقفنا عليه من خلال تحليل مضامين عينة من التعليقات في اليوتيوب، أين ظهر لنا غياباً فاضحاً لهذه القيمة عند الكثيرين.

إن قبول حرية الآخر في الاختلاف مع ترك مساحة للإبداع الذاتي إنما هي دعوة للتنوع الإنساني والتأكيد على الذات، وما تحمله من تسامح حقيقي يقبل الآخر ويتفاعل معه ويتعاون كل منهما من أجل الأفضل للجميع.¹ وهذا القبول لا يعود بالفائدة بالنسبة للآخر فقط، وإنما يعود على الذات بالدرجة الأولى، أين يكسبها مهارات بناء العلاقات معه، ويزرع فيها ثقافة احترام الاختلاف والتعامل معه بموضوعية وديناميكية تسمح للفرد بالمساهمة في دفع عجلة تنمية المجتمع الإنساني، وتحريره من عقدة الآخر وكيفية التواصل معه.

يقبل الاعتراف بمكانة المتلقي كل شيء لأنه يضيف الشرعية على مسألة الغيرية، وهو ما يغيّر جذريا نموذج الاتصال، ويصبح هذا الأمر كابتا لامحالة، وضربا من المخاطرة مع عدم التواصل كأفقي، واضطرار الأفرقاء للتفاوض باستمرار.²

مما يرتبط بالاعتراف بالآخر ويتداخل معه قيمة التسامح التي تعني أنه "ينبغي لكل واحد من الأمتين المختلفتين أن تحترم أفكار الأخرى، فلا تقتحم عليها مفاهيمها ولا أحكامها ولا قيمها، وهو ما يعني ترك الازدراء لأفكار الغير".³ أي أن العلاقة تبني على أساس المنفعة المتبادلة بما يثري الثقافتين دون إرغام أحد الطرفين للآخر على تبني أفكاره وقبولها، إذ أن الأمر يبقى على الخيار لكليهما.

يقول إيفاندو أغازي: "إن التسامح بذاته أنني مقتنع بأفكار ورجاحة موافقي، وفي نفس الوقت أن الأفكار ليست على درجة تامة من الوضوح، وأن هناك بالتالي جوانب وأبعاد أخرى في المسألة قد أتوصل إلى معرفتها ومعاينتها، غير أنها لا تدخل ضمن صميم أولوياتي، أو هي لا تندرج في جوهر اهتماماتي، ومع ذلك فهذه الجوانب التي لا تنتمي إلى قناعاتي يمكن أن تشكل ضمن موقع آخر أو

¹ - نادية يوسف جمال الدين، مرجع سابق، ص 365.

² - دومينيك ولتون، مرجع سابق، ص 98.

³ - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 146.

ثقافة أخرى أو في سياق تاريخي مختلف، حقائق أو معطيات جوهرية ينبغي احترامها وضمّان تمتعها بحق اختلافها، فلا مجال إذا للأبيض والأسود في عالم الأفكار والقناعات.¹

هذا الاعتراف والتسامح من شأنه أن يفسح الطريق للحوار مع الآخر، ويؤكد هنا روجيه غارودي "أن ليس من الممكن إقامة حوار حقيقي بين الحضارات من شأنه أن يتيح إخصاباً متبادلاً بين الثقافات إذا لم نبدأ بتحليل الآليات التاريخية التي منعت، أو زيفت، هذا الحوار إلى اليوم، وأفقرت معايير المقارنة، ولاسيما شروط عدم التوازن الاقتصادي المطرد بين (الغرب) وبين (العالم الثالث)"²، التي لا تعتبر معياراً صادقاً للتسامح مع الآخر والاعتراف به.

✓ مدى تغير قيم عينة الاستبيان نتيجة تواصلهم مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

من بين خصائص القيم أنها قابلة للتغيير والتبدل مع الوقت، ولكن ذلك لا يكون عشوائياً أو على المستوى الفردي، وإنما يجب أن يكون ممنهجاً اجتماعياً وفعالاً، وقد حاولنا أن نتعرف على مدى تغير قيم أفراد العينة بسبب تواصلها مع الآخر الغربي ومدى تأثيرها به، وهو ما يظهره الجدول الموالي.

جدول رقم (22) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب تغير قيمها نتيجة التواصل مع الآخر الغربي:

الدرجات	أبداً	نوعاً ما	كثيراً
تغير قيم عينة الدراسة	38	20	2
	%63.3	%33.4	%3.3

¹-إيفانغو أغازي، أخلاق التسامح وحق الاختلاف، سلسلة شرع، ع 21، مركز الإدارة، طنجة، 1997، ص 40.

² روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تع: عادل العوا، دار عويدات، بيروت- لبنان، ص 40.

يتبين لنا من خلال الجدول أن نسبة 63.3% "تنفي تماما تغير قيمها" بسبب التواصل مع الآخر الغربي، في حين أجابت نسبة 33.4% بـ "نوعا ما"، لتصرح نسبة 3.3% بـ "التغير الكثير" الذي مس قيمها بسبب التواصل مع الآخر.

تحليل النتائج السابقة إلى تنبّه عينة الدراسة لأصالة القيم وضرورة الحفاظ عليها والتمسك بها، خاصة وأن مصدرها الأول لديهم هو الدين الإسلامي، لذا لا يجب أن يكون الإنسان إمعة يستطيع أيّا كان أن يغيّره، بل إن هذا التواصل قد يكون سببا في تمسكهم بقيمهم أكثر، بسبب المفارقة بين ما تحمله كل ثقافة من القيم، وما تستثمره فعلا، في سبيل بناء علاقة تشاورية، دون أن يمنع ذلك من الاستفادة من قيم الآخر، خاصة في الجانبين الاقتصادي والتكنولوجي.

جاءت النتائج المئوية تعبر عن فئة صرحت ببعض التغير الذي مس قيمها، والسؤال المطروح هنا ما طبيعة ذلك التغير؟، فإن كان تغيرا إيجابيا يحقق ثراء القيم وبالتالي تحقيق التبادل الفعال من خلال هذا الاتصال، فهو أمر محمود خاصة وأن القيم في عصرنا تحديدا تحتاج إلى تجديد وصقل في الكثير من المواقع، وإن كان التغير الخاص بالقيم لا يكون على المستوى الفردي بدرجة أولى، وإنما المطلوب منهم هو الحفاظ على قيمهم الاجتماعية مع تبني القيم الإيجابية التي يتوفر عليها هذا الآخر، ومع ذلك فاحتمال تبني قيم سلبية وارد من طرف هذه الفئة أو بعضها، وهو الأمر الذي يوقعها في التقليد الأعمى والتنصل من القيم الإسلامية وتفسخ الهوية، ويزداد هذا الأمر تأكيدا عند الفئة المتبقية التي قالت بالتغير الكثير لقيمها، والتي على ما يبدو أنها أعجبت بهذا الآخر الغربي بإيجابياته وسلبياته التي لم تعد تراها ولا تدركها جراء الدوبان في التقليد، ولكنهما فردان فقط من عينة الدراسة، مما يجعلنا نضعهم في خانة الحالات الشاذة التي لا يقاس عليها.

نؤكد بالنسبة لهذه النتائج عموما أن الفئة الأكبر من العينة ذات مستوى تعليمي أكثر من المتوسط، مما يمنحها من الوعي ما يحول بينها وبين ذلك التفسخ والتحلل من القيم العربية الإسلامية،

التي لا ننكر أنها تحتاج في الكثير من جزئياتها إلى مراجعة وتجديد بما يتوافق مع مجريات العصر ومع متغيراته، دون الخروج عن أصالتها المستمدة من مصادرها بالدرجة الأولى.

مع هذا فالواقع يشهد أن هذا الانتشار الكبير للتكنولوجيا ساهم في تغيير كثير من قيم المجتمعات والشعوب وأخلاقياتها وتقاليدها وعاداتها، وفي نهاية المطاف نشأت ظاهرة اجتماعية جديدة تتمثل في النزوع المتزايد إلى التجانس والتنميط الثقافي على مستوى العالم بأسره، بمعنى أن أسلوباً معيناً في الحياة والسلوك والتفكير والاستهلاك واللباس، وفي الرغبات والأذواق وتكوين الاتجاهات الفنية والقيم الأخلاقية، يتجه الآن إلى أن يصبح معتمداً، ويفرض نفسه في جميع مجتمعات عالم اليوم.¹

✓ الاستجابات التي يحققها السياق القيمي لدى عينة الدراسة في تواصلها مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية:

من المعروف أن القيم توجه سلوك الفرد في الاتصال بغيره، وتجعله يتبع سلوكيات تختلف باختلاف المواقف، ولا بد أنها هنا تدفع عينة الدراسة لاستجابات معينة أثناء تواصلهم مع الآخر المختلف، وهو ما يبيّنه الجدول الموالي.

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 162.

جدول رقم (23) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير الاستجابات التي يحققها السياق القيمي لديهم في تواصلهم مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية

مستوى الاستجابة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	معارض بشدة	معارض	محايد	موافق	موافق بشدة	العبارات
مرتفع	0.66	3.6	-	-	30	24	6	الحرص على إبرازها في التواصل
			-	-	% 50	% 40	% 10	
منخفض	0.49	2.56	-	26	34	-	-	محاولة اقناع الآخر بما
			-	% 43.3	% 56.7	-	-	
منخفض	0.69	2.58	2	26	27	5	-	التخلي عنها أو تغييرها حسب طبيعة الموقف
			% 3.3	% 43.3	% 45	% 8.3	-	
متوسط	0.99	3.13	5	5	33	11	6	رفض قيم الآخر كلياً
			% 8.3	% 8.3	% 55	% 18.3	% 10	
مرتفع	0.73	3.65	-	3	21	30	6	التعرف على قيمك أكثر من خلال التواصل مع الآخر
			-	% 5	% 35	% 50	% 10	
مرتفع	0.65	3.51	-	-	34	21	5	الاعتقاد بأفضليتها مقارنة بقيم الآخر
			-	-	% 56.7	% 35	% 8.3	
متوسط	-	3.17	المتوسط العام					

يبين الجدول رقم (23) أن مستوى الاستجابة العام لعينة الدراسة حول الاتجاهات التي يحققها السياق القيمي لديهم في تواصلهم مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية هو مستوى متوسط، حيث بلغ المتوسط الحسابي العام فيه 3.17، وهو ما يعكس الاتجاه الإيجابي ولكن نسبياً نظراً لاقترابه من درجة الحياد. والنتائج الآتية توضح المستويات الخاصة بكل استجابة:

➤ حازت استجابة "الحرص على إبرازها في التواصل" على مستوى استجابة مرتفع، أين بلغ المتوسط الحسابي فيها 3.6، ولم يكن هناك تشتت كبير في إجابات الباحثين حيث بلغ الانحراف المعياري 0.66، وهو ضعيف يعكس الاتفاق في وجهات النظر لدى عينة الدراسة، أين وزعت

إجاباتهم بين المحاييد الذي لم يقدم رأياً صريحاً حول العبارة وبين من أجابوا بالموافقة على حرصهم في إظهار قيمهم التي يحملونها ويعيشون على مبادئها أثناء التواصل مع الآخر.

بما أن أهمية النسق القيمي تكمن في كونه المستوى الذي نحتكم إليه في عرض ذواتنا أمام الآخرين، أو يعتبر الموجه الذي يحرك تصرفاتنا لكي تبدو أمام الآخرين بالصورة التي نفضلها.¹ فالحرص على إبرازها من أهم عوامل التأثير في الآخر الغربي، حتى طريق القدوة دون الكلام الصريح والمباشر، لذا فهو مطلب أساسي في الاتصال بهذا الآخر، لأن من شأنه أن يعبر عن مبادئ الإسلام وقواعده وأن يغيّر الصورة النمطية عنه.

➤ بالنسبة لعبارة "محاولة إقناع الآخر بها" كان مستوى الاستجابة فيها منخفضاً، أين بلغ المتوسط الحسابي 2.56، بانحراف معياري ضعيف قدرت قيمته بـ 0.49، بسبب عدم تشتت الإجابات والتي تركزت في خانتين، أين كانت النسبة الأكبر للمحايدين، يليها مباشرة نسبة المعارضين، وهو ما يبين أن علاقاتهم التواصلية ليست قائمة على الإقناع، وإنما قائمة على تبادل المعارف والأفكار في مجال معين.² كما أن القيم تعتبر من المكونات الأساسية للشخصية التي تنشأ مع الإنسان بتفاعله مع مجتمعه وتكبر معه، وبالتالي فهي تترسخ في معتقده وفكره وسلوكه، ومن الصعب إقناع الآخر بتغييرها خاصة عن طريق الكلمات، وإن كان ذلك قابل للتحقق بالقدوة أو السلوك أكثر من غيره من الأساليب، كذلك عملية الإقناع تحتاج إلى امتلاك مهارات وحجج وشواهد قد لا تتوفر في عينة الدراسة مما جعلهم يعرضون عن هذا الأمر.

من جهة أخرى يمكن أن يكون اتجاه الآخر نحو قيم المجتمع العربي الإسلامي التي هي قيم الإسلام اتجاهها سلبياً يجعل عينة الدراسة تغض الطرف عن هذه القضية أو النقاش فيها، خاصة إن لم

¹ - علي عبد الرزاق جلي وآخرون، مرجع سابق، ص 139.

² - وهو ما أثبتته أيضاً نتائج تحليل المقابلة، من أن العينة لا تود اقناع الآخر، وإنما تبادل الخبرات والمعارف والتعريف

ببعضهم.

تكن - كما ذكرنا سابقا- تملك الأساليب المناسبة لذلك، أو لم تتوفر لها الظروف والمواقف المناسبة لإقناع الآخر بذلك.

مع ذلك يؤكد الباحثون على أن أهمية النسق القيمي، لكونه يوجهنا في إقناع الآخرين والتأثير عليهم لتبني مواقف أو معتقدات أو اتجاهات أو قيم نعتقد أنها جديرة بالاهتمام والدفاع عنها.¹ وليس هناك أسلوب أحسن في الإقناع من القدوة الحسنة في تبني القيم والتعبير عنها.

➤ بالنسبة لعبارة "التخلي عنها أو تغييرها حسب طبيعة الموقف"، حصدت من خلال إجابات المبحوثين مستوى استجابة منخفض، أين بلغ متوسطها الحسابي 2.58، بانحراف معياري ضعيف نسبيا بلغ 0.69، وهو ما يعبر على اتفاق نسبي أيضا في وجهات النظر نحو هذه العبارة، أين تنحو الإجابات نحو المعارض، مما جعل اتجاه العينة نحو هذه العبارة سلبيا، أي أنهم يرفضون اتباع هذا المبدأ في التواصل مع الآخر، من باب التمسك بالقيم كجزء من الهوية الثقافية للفرد.*

إن حقيقة القيم في المجتمع ليست إلا حصيلة تغير اجتماعي في فترة ما فرضته مجموعة من الضغوط الاجتماعية، من حيث بعض المواقف أو المصادر ذات القدسية الخاصة، مثل الأديان أو العقائد أو تراث الآباء والأجداد، فنجد أن مثل هذه الضغوطات تفرز لنا قيما ذات عمق وأثر كبير في حياة المجتمعات لتؤثر على سلوك الفرد تأثيرا مباشرا.² أي أن تغير القيم لا يمكن أن يكون على المستوى الفردي أو باجتهاداته الشخصية أو بظروفه ومواقفه الخاصة، وإنما هي عملية يشرف عليها المجتمع وفق شروط تسمح بتغييرها أو تعديلها على المدى البعيد، بما يتوافق مع مقتضيات العصر ومتطلباته التي تعجز فيه بعض القيم عن تحقيق فاعليتها.

أما عن الواقع اليوم فهو يفرض على المجتمع العربي الإسلامي أن يراجع القيم التي تحكمه مراجعة جادة مبنية على المنطق والعقل، تخضع للتحويلات التي يشهدها العالم على جميع المستويات، مما يمنحها نفسا جديدا لمواجهة تحديات هذا العصر، وإن كان الحذر هنا مطلوبا حتى لا تقع في فخ التنميط

¹ - علي عبد الرزاق جلي وآخرون، مرجع سابق، ص 139.

* - وهو ما يوافق نتائج الجدول رقم (22) حول مدى تغير القيم لدى عينة الدراسة.

² - نادية يوسف جمال الدين، مرجع سابق، ص 374 ، 375

والتقليد والتفسخ تحت دعوى التجديد الذي يحتاج لوعي ورجاحة عقل توازن بين الثوابت والمتغيرات على المستوى القيمي.

➤ أما بالنسبة لعبارة "رفض قيم الآخر كلياً" فقد تحصلت على مستوى استجابة متوسط بلغ متوسطه الحسابي 3.13، بانحراف معياري كبير نسبياً مقارنة بانحرافات العبارات السابقة والذي بلغ 0.99، أين يعكس نوعاً ما التشتت في الإجابات الموزعة على جميع الدرجات، ولكنها تركزت أساساً في المحايد ثم في الموافقين على هذه العبارة، إذ يرون بأن قيمهم تدفعهم لرفض قيم الآخر ربما لتعارضها مع قيمهم في بعضها، أو صعوبة الالتزام بها بالنسبة لهم، فالعرب المسلمون عموماً لديهم صورة ذهنية سيئة في مجملها عن الكثير من قيم الغربيين حتى لو تواصلوا معهم لأغراض شخصية أو نفعية، فهم يرون بأنه ذلك الشخص المنحل خلقياً، الاستبدادي الكاره للإسلام والمسلمين، وكل هذا يمكن أن يجعلهم يرفضون قيمه جملة واحدة، دونما النظر في بعض القيم التي هم أولى بالالتزام بها، منها: إتقان العمل، الاجتهاد، حب القراءة والمطالعة... الخ، وهي قيم لديها علاقة مباشرة بالمجال العلمي والعملية الذي يولي لهما الآخر الغربي أهمية خاصة.

إن تمثل الصورة الذهنية السيئة للغرب لدى العينة سوف يؤثر بلا شك على السياق القيمي التواصلية بينهما، مما يذهب عليه الكثير من المنافع القيمية التي يستمدتها ويتعرف عليها من خلال التواصل مع الآخر. ومع ذلك فمن حق العربي المسلم بل من واجبه أن يرفض بعض قيم الآخر، التي يمكن أن لا تتوافق مع جانبه الروحي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني..، لتبقى الحدود والخصوصية القيمية لكل ثقافة والتي لا يجب أن تتجاوزها.

➤ بالنسبة لعبارة "التعرف على قيمك أكثر من خلال التواصل مع الآخر" تحصلت على مستوى استجابة مرتفع، أين بلغ المتوسط الحسابي 3.65، بانحراف معياري ضعيف نسبياً بلغ 0.73، وهو ما نلاحظه من خلال تمركز الإجابات في خانات الموافقين، والمحايد بصفة أكبر، فعينة الدراسة هنا تتفق على أن التواصل مع الآخر يمكنها من التعرف على قيمها أكثر، وذلك ربما راجع إلى أنه بالأضداد

تعرف الأشياء، فقد لا ينتبه العربي المسلم إلى قيمة مهمة في مجتمعه أو يدعو لها دينه، إلا عندما يرى ما يعاكسها لدى الآخر، أين يدرك هناك قيمة ما يملك، وبالتالي فالتواصل مع الآخر وفي مختلف المواقف كفيل بأن يبرز قيما كانت مخفية ومعّية أو حتى مجهولة لدى العربي المسلم.

تعتبر القيم جزء لا يتجزأ من الذاتية التي هي مجال وعي الإنسان بإمكانياته في ضوء إمكانيات الآخرين والتصرف وفقا لهذا الوعي في حدود ما يجب وما لا يجب، ولذا فهي مع مجال شعوري يرتبط بقدرات واستعدادات الشخصية ودرجة التزامها بالقيم المفضلة عند المجتمع. وعندما تلتزم الشخصية بأوامر المجتمع ونواهيه تصبح شخصية منسقة، حيث تتسق فيها الأنا مع نظم المجتمع ومعايير وقيمه المعتمدة بإرادة، وعندما تشكل قيم المجتمع الإطار المرجعي للإنسان تسلك الشخصية سلوكا ذاتيا فتوصف بالذاتية، وعندما لا تلتزم بهذا السلوك وتبتعد عنه بسلوك انسحابي، تقيّم الشخصية في هذه الحالة على أنها حالة ذاتية تميل إلى الأنانية، وإذا لم تتوقف عند نقطة معينة لا بد وأن تصل إلى مستوى أقل أو حالة أقل توصف بأنها حالة أنانية.¹

لذلك لن تظهر هذه القيم إلا بالعلاقات التفاعلية مع المحيط الخارجي الذي يعتبر الآخر جزءا منه، كونه يمثل المحيط الكوني للمستخدم العربي، فيكتشفها باختلاف المواقف التي يتعرض لها، والسياقات التي توجهها، وهنا يظهر مدى ثباته ومتانة قاعدته القيمية التي يجب أن لا تجرفها رياح الهوى، وإنما توجهها الأصول، ليرز أثر التنشئة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها على الفرد وثباته على القيم.

➤ أما العبارة الأخيرة وهي "الاعتقاد بأفضليتها مقارنة بقيم الآخر" فقد حازت على مستوى استجابة مرتفع من طرف عينة الدراسة أين بلغ المتوسط الحسابي 3.51، وكان الانحراف المعياري ضعيف نسبيا قدر بـ 0.65، وهنا يظهر تمركز الإجابات في المحاييد بصفة أكبر ثم يليها الموافق بصفة ثانية، وهذا الاتجاه الإيجابي نحو هذه العبارة يعبر مباشرة على أن السياق القيمي الذي أكسب العينة هذا الشعور، والذي سينتج عنه فخر واعتزاز بها، هو خصوصية المصدر الأساسي الذي تنبع منه

¹ - عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص ص 99، 100.

هذه القيم وتستمد منها قوتها والتمثّل في القرآن والسنة، مما يعكس أفضليتها لديهم، ونجاعتها في التواصل مع الآخر الغربي، وفعاليتها في الحياة اليومية، مع المفارقة هنا بين حقيقتها وبين أسلوب تطبيقها ونمط فهمها وممارستها فعليا.

إن الاعتقاد بالأفضلية هنا وكما يعبر عن الفخر والاعتزاز من جانب، فإنه من جانب آخر يعرقل عملية التواصل، لكونها قد تساهم في إلغاء الآخر أو الاستعلاء عليه، وهذا أو ذاك من شأنهما سد الأفق في تبادل المنافع وتقبل الآخر والانفتاح عليه.¹

يمكن أن نقول عموما أن الكثير من القيم لم تعد تنسب إلى المسلمين العرب بسبب عدم التزامهم بها وإهمالهم لها، في مقابل أن الآخر أحسن استغلالها وتوظيفها وفهمها والوعي بها فأصبحت ملكا له، وهنا يمكننا القول انطلاقا مما سبق أنه لا يمكن الحكم على أفضلية قيم المجتمع العربي الإسلامي على الإطلاق، وإنما هي أفضلية تنحصر أساسا في الجوانب الروحانية والتعبدية، بينما تعاني كثيرا في المجال العلمي والتطور والتقدم التكنولوجي والبحثي، أين لا نجد لقيمها ركيزة في هذا السياق.

إن هذا - كما ذكرنا سابقا - عبارة عن مشكل وعي وممارسات أكثر من أنه مشكل اكتساب ووجود، مشكل مراجعة ونقد أكثر منه مشكل أصالة وخصوصية، وعليه يجب أن تتحدى التغيرات الحاصلة لتصبح قادرة على الخوض أو على الأقل الثبات في وجه الصراع القيمي الذي نشهده مع الآخر الغربي، والذي تكون فيه عادة الغلبة للأقوى اقتصاديا وسياسيا، لتلك الدول المسيطرة على العالم.

¹ - وهو ما ظهر جليا عند تحليلنا لتعليقات المستخدمين عند عرض نتائج تحليل المضمون، أنظر ص؟؟؟؟؟؟

4- تجليات السياق الثقافي اللغوي الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين المستخدم عينة الدراسة والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية:

تشير المعلومات النظرية السابقة حول اللغة إلى أهميتها في حياة الفرد بصفة عامة وفي التواصل مع الآخرين بصفة خاصة، بحكم أنها الأداة الناقلة للثقافة والمعبرة عنها، "فاللغة وعاء الثقافة، والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة للهوية، ومن هنا كانت اللغة من أهم الأركان التي تعتمد عليها الحضارات، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة"¹. ومن خلالها يعبر الفرد عن أفكاره ومشاعره في مختلف المواقف التي يتعرض لها مع الآخر، ومن خلال هذا المبحث سوف نحاول التعرف على السياق الثقافي اللغوي وكيف يوجه عملية التواصل بين العربي والآخر الغربي وذلك في حدود الإجابة على السؤال الآتي: فيم يتجلى السياق الثقافي اللغوي الذي يساعد في توجيه العلاقة الاتصالية بين المبحوثين والآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

ارتأينا الإجابة على هذا السؤال من خلال المؤشرات الآتية:

✓ اللغة الأكثر توظيفا لدى عينة الدراسة في التواصل مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

مما لا شك فيه أن التواصل يحتاج استعمال لغة مفهومة لدى طرفي العملية الاتصالية، ومما لا شك فيه أيضا أن المبحوث هنا هو المطالب بتعلم لغة الآخر الغربي وليس العكس، وذلك بحكم تراجع استعمال اللغة العربية في زمن التكنولوجيا في مقابل تقدم لغات أخرى استطاعت أن تحتل مكانتها في هذا العصر، من هنا جاء الجدول الموالي يوضح اللغات التي تتواصل بها عينة الدراسة مع الآخر الغربي المختلف عنها ثقافيا.

¹ - عبد الناصر بوعلي، مرجع سابق، ص35.

جدول رقم (24) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير اللغة الأكثر توظيفا في التواصل مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

لغة تواصل العينة مع الآخر الغربي	ك	%
العربية الفصحى	3	3.79
اللغة الفرنسية	34	43.03
اللغة الإنجليزية	19	24.05
لغة الرموز (الإيموجي)	12	15.18
لغة المختصرات	7	8.86
أخرى تذكر	4	5.06
المجموع	79	100

يتضح لنا من خلال الجدول رقم (24) أن النسبة الأكبر للغة التي يتواصل بها المبحوثون بدرجة أكبر من غيرها كانت لـ "اللغة الفرنسية" والتي بلغت 43.03%، يليها مباشرة "اللغة الإنجليزية" التي بلغت نسبتها 24.05%، ثم جاءت "لغة الرموز (الإيموجي)" بنسبة 15.18%، وبعدها تأتي "لغة المختصرات" بنسبة 8.86%، أما فئة "أخرى تذكر" فكانت بنسبة أقل بلغت 5.06%، وأخيرا جاءت "اللغة العربية الفصحى" بنسبة 3.79%.

مما لا شك فيه أن العينة مجبرة على التواصل مع الآخر الغربي باللغة التي يفهمها خاصة في ظل فرض سيطرته في المجالات الأخرى، وقد جاءت اللغة الفرنسية في المرتبة الأولى بالنسبة لاستعمالها من طرف عينة الدراسة، توافقا مع كون أغلب أفراد هذا الآخر كانوا فرنسيي الانتماء الثقافي، وعليه كانت اللغة الفرنسية هي الأكثر استعمالا لدى العينة التي كانت غالبيتها من المغرب العربي، فالفرنسية بالنسبة لهذه الرقعة الجغرافية هي اللغة الثانية، والتي يتقنها الكثيرون منهم، مما يسهل عليهم التواصل بها مع هذا الآخر الغربي.

نستنتج هنا أن القيم والمعايير الثقافية للفرنسي تعدّ من الثوابت المشكّلة لفلسفة السياسة الخارجية الفرنسية، والهادفة إلى تعزيز المكانة الثقافية واللغوية لفرنسا في العالم، من خلال نشر لغتها وقيمتها الثقافية والإنسانية، خاصة على مستوى مجال نفوذها التاريخي والتقليدي في أفريقيا وفي المشرق والمغرب العربيين.¹

كما لا يختلف اثنان في أن اللغة الإنجليزية اليوم هي لغة العالم الأولى، هي لغة العلم والمعرفة، هي لغة البحوث والدراسات، والكل أصبح مدركاً لأهميتها بين من بادر فعلاً وسارع لتعلمها، وبين من بقي هذا الوعي لديه على المستوى التجريدي النظري، ولم يترجمه إلى تعلم وإتقان هذه اللغة، وبين من لا زال لا يدرك فعلاً حقيقة الأهمية البالغة التي تحظى بها هذه اللغة في شتى المجالات.

تبين إجابات الباحثين هنا أن استعمالهم للغة الإنجليزية في الاتصال بالآخر الغربي لا يقل أهمية عن اللغة الفرنسية، وهي اللغة التي لا تنحصر عند أهلها، خاصة وأنا علمنا أن عدد الأمريكيين الذين تتواصل معهم العينة لا يتجاوز العشرة أشخاص، مما يعني أن الآخرين من انتماءات ثقافية أخرى يتواصلون بها أيضاً مع المستخدم العربي عينة الدراسة. كما أن من الباحثين فئة معتبرة تجيد اللغة الإنجليزية أكثر من غيرها، وفئة معتبرة أيضاً من المشرق العربي المعروفين باستعمالهم الأكثر للغة الإنجليزية تماشياً مع واقع تاريخي محدد.

جاءت لغة "الرموز التعبيرية (الإيموجي)" في مرتبة مواءمة، وهذه الرموز هي جزء من اللغة بشكل آخر. "إن هيربرت ميد" مثلاً يرى أن البشر يعتمدون على رموز وتفاهات ومواضع مشتركة في تفاعل بعضهم مع بعض، ولأن البشر يعيشون في عالم زاخر بالرموز، فإن جميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل على تبادل الرموز.²

¹ - جيلالي بشلاغم، العلاقات الجزائرية الفرنسية في ظل سياسات اليمين المتطرف 2010/2002، مذكرة ماجستير (منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2010، ص 199 من موقع: <http://dSPACE.univ-tlemcen.dz/handle/112/3119> تاريخ الدخول : 2023/06/20 على الساعة: 11:22.

² - أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص 76.

تعد الرموز التعبيرية كلغة هامة في الفضاء الافتراضي من أهم أدوات نقل الأفكار والمشاعر في المواقع التواصلية، باعتبارها نوعا من أنواع اللغة غير اللفظية، حتى أن بعض الباحثين ذهب إلى اعتبار أن الرموز التعبيرية (الايموجي) ستكون لغة المستقبل، مستنديين على إحصائية تفيد بأن هناك (41) مليار رسالة نصية ترسل كل يوم حول العالم منها (6) مليار رسالة تتضمن واحدة من هذه الرموز التعبيرية، وقد أصبحت شعوب العالم تحتفي باليوم العالمي للرموز التعبيرية "Emoji". ولقد أحدثت الصور التعبيرية قفزة نوعية في مجال اللغة والاتصال، مما أسهم في إثراء اللغة بشكل عام من خلال ما تقدمه من مزايا، أهمها تكملة المعنى الناقص في الكلام المكتوب بوصفها نوعا من أنواع الاتصال غير اللفظي، وعادلت بذلك لغة الجسد كالإيماءات والإشارات والإيحاءات.¹

مما يعتبر من اللغات المستحدثة في الفضاء الافتراضي أيضا، والتي لاقت رواجاً كبيراً من خلال شبكات التواصل الاجتماعي لغة المختصرات،* وهي اللغة التي تعكس لنا بقوة طبيعة المستخدمين للشبكات الاجتماعية، والذين يبحثون عن التواصل السريع بأقصر طرقه وأساليبه وكلماته، فالمستخدم لا يريد أن يكتب كثيراً، وليس لديه الوقت للقراءة كثيراً، لذا يفضل هذه اللغة البديلة التي تنوب عن المفردات الأكثر تداولاً في هذا الفضاء الافتراضي، ورغم إيجابياتها من اختصار في الوقت والجهد للكتابة والقراءة، إلا أن لها تأثيراً سلبياً كبيراً على تشويه اللغة الأصل، حيث أصبحت تعتبر لغة أساسية في التواصل ويجب أن يتقنها مستخدمو العالم الافتراضي، في مقابل بعدها الكلي في أن تكون لغة للعلم أو البحث. ولا تشمل هذه اللغة على المختصرات الأجنبية فقط، بل حتى العربية المكتوبة بالحروف اللاتينية، مثل: Elhamdoulilah التي اختصرت إلى hmd، أو استبدال بعض الحروف ببعض الأرقام، مثل: استبدال الحاء برقم 7، والعين برقم 3، وهكذا... الخ.

¹ - أحمد عبد الكافي عبد الفتاح عبد الكافي، استخدام طلبة الجامعات للرموز التعبيرية (الايموجي) بموقع التواصل

الاجتماعي فيسبوك وانعكاسه على إدراك جودة الصداقة الافتراضية، مجلة البحوث الإعلامية، ع 58، ج 4، القاهرة، 2021، ص 1814.

* - وهي لغة انتشرت بين مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، يعتمدون عليها في اختصار الكلمة في بعض حروفها

مثل: Bonne nuit B8 ومعناها

إن هذه الكتابة الجديدة عن طريق الحروف اللاتينية كتابة وباللغة العربية مضمونا مع استبدال الأحرف التي لا رديف لها في اللغة الأجنبية ببعض الأرقام أنتج لها ما يسميه نديم منصورى "اللاتينية" أو "اللابية" كمصطلح يجمع بين اللاتينية والعربية.¹

يمكن أن نقول عموما أن الفضاء الافتراضي قد خلق لغة تواصل خاصة في المجتمع الافتراضي تتخذ طابعا مميزا يجمع بين الكلمة والرمز، والأيقونة، والوجوه، والصورة وغيرها، التي قد يجري التلاعب برمزياتها وبناء معانيها سعيا إلى خلق خصوصية الأثر في ضوء ديناميكية الجماعات الافتراضية، ثم بلورة الوجود الرقمي في المجتمع الشبكي. من هنا، تجدر بنا الإشارة إلى التحديات التي تواجهها اللغة في ظل المجتمع الشبكي، وبخاصة أن منطق التواصل الافتراضي من طريق اللغة المكتوبة المعبرة عن الردود الفورية السريعة الممزوجة بالمشاعر والانفعالات تتطلب استخدام مختصرات بحروف لاتينية أو عربية أو المزج بينهما أو أيقونات معبرة عن ذلك، الأمر الذي يؤثر في تركيبة اللغة الوطنية ويشوّهها، ولا شك في أن مثل هذه الممارسات اللغوية المعتمدة في المجتمع الافتراضي تعكس التحديات التي تواجهها الهوية في المجتمعات العالمية، وتأثير تكنولوجيا المعلومات في نمط حياتنا المعاصرة.²

ثم جاءت في مرتبة موالية فئة "أخرى تذكر" التي اشتملت على بعض اللغات التي يستعملها أصحابها بصفة أكبر من غيرها والتي توافقت مع الانتماءات الثقافية للآخر الغربي في مجملها، والمتمثلة في: الإسبانية، الألمانية، الهولندية والروسية، وهي توافقت عادة إمكانيات بعض مفردات عينة الدراسة في إتقان لغات أخرى غير الفرنسية والإنجليزية، وبالتالي تدعيمها عمليا عن طريق التواصل مع من يتقنونها.

¹ عبد الحكيم أحمين، مرجع سابق، ص 104.

² كلثوم ببيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي إلى

الممارسة الواقعية، العددان 33 و 34، جوان 2016، ص 81 من موقع

<https://www.researchgate.net/publication/308695437> ، تاريخ الدخول 2023/07/13 ، على الساعة:

.18:00

جاءت في مرتبة أخيرة وكما كان متوقعا التواصل "باللغة العربية، أين اقتصرت على نسبة محدودة جدا من الآخر الذين يجيد الحديث باللغة العربية أو على الأقل يفهمها، وهي نسبة تقترب من نسبة من يفهمون اللغة العربية. وعليه نستنتج أن اللغة العربية ليست لغة اتصالية مع الآخر، ولا يمكن أن تكون كذلك مادام المجتمع العربي لا يزال يتجرع مرارة الجهل، ويتخبط في دائرة المغلوب المنهزم.

يمكن القول عموما أن السياق اللغوي التواصلية هو الذي يفرض استعمال لغة دون أخرى، ورمز دون آخر، بما يخدم الرسائل المنقولة من العينة، وبما يعبر عنها بأحسن وأسرع أسلوب. وهو ما يبرز قوة لغة في مقابل ضعف أخرى في تحقيق فعالية أكبر في التواصل.

يذكر التاريخ أن ضعف اللغة بصفة عامة لا يعود إلى طبيعة بنيتها الصوتية أو تركيبها الصرفية فقط، وإنما مرد ذلك إلى مستعمليها الذين وهنوا وضعفوا فضعفت معهم لغتهم وتقلص نفوذها وتخلت عن نفوذها، بل قد يصل بها الأمر للانقراض لتمتد لغة المنتصر في محيطه وتنساب تدريجيا في اقتصاده وإداراته وتعليمه.¹ وهو ما يعانيه المجتمع العربي الإسلامي اليوم، أين تراجعت لغته العربية ولم تعد قادرة على أن تكون لا لغة للعلم والمعرفة، ولا حتى لغة للتواصل والتعارف مع الآخر الغربي.

لذلك فإن أراد المجتمع العربي النهوض مرة أخرى بلغته العربية ووضعها في مكانها الذي تستحقه، لكونها لغة قادرة على الصمود والمجاهة نظرا لثراء مكوناتها الداخلية، إذ عرفت بسعتها وثرائها وطواعيتها، وما تملكه من وسائل التطور والنمو بالاشتقاق والمجاز والقياس وأشباهاها. لذا يمكن للعالم العربي أن يحدث قفزة نوعية يعيدها في مكانها المناسب عن طريق الأخذ بمتطلبات الحداثة والعصرنة، واستغلال المناهج العلمية والالتزام بالموضوعية في طرح المواضيع.²

¹ - عبد الناصر بوعلي، مرجع سابق، ص 28.

² - المرجع نفسه، ص 38.

✓ مدى استعانة العينة بالترجمة أثناء التواصل مع الآخر الغربي:

إن استعمال عينة الدراسة للغات أخرى غير لغتها الأم في التواصل لا يعني أنها تتقنها جيدا أو لا تجد عراقيل في ذلك، لذلك تعتبر الترجمة من الأساليب الناجعة في تدليل صعوبات الفهم هنا، خاصة في ظل الاستعانة بشبكة الأنترنت في ذلك، والجدول الموالي يوضح لنا درجة توظيف الترجمة من طرف عينة الدراسة في مواقفهم الاتصالية مع الآخر.

جدول رقم (25) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير مدى استعانتها بالترجمة أثناء التواصل مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

التقديرات	أبدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما
الاستعانة بالترجمة	29	17	13	1	-
	%48.3	%28.3	%21.7	%1.7	-

من خلال الجدول رقم (25) يتضح لنا أن أغلب عينة الدراسة بما يعادل نسبة %48.3 صرحت بأنها لم تستعن "أبدا" بالترجمة لفهم كلام الآخر، في مقابل مجموعة ثانية وبنسبة %28.3 أقرت بأنها "نادرا" ما تفعل ذلك، يليها من أجابوا على "أحيانا" والذين بلغت نسبتهم %21.7، في حين لم يجب على "غالبا" إلا نسبة قليلة جدا بلغت %1.7، ولم يختَر أحد فئة "دائما".

تعكس النتائج السابقة فهم أغلب عينة الدراسة للغة التي يتواصلون بها مع الآخر الغربي، وهو ما عبّر عنه عدم استعانتهم بالترجمة، ورغم أن ذلك لا يعني إتقانهم الجيد لهذه اللغة، إلا أنه يعني أن هناك توافقا في التواصل بينهما، وأن اللغة الأجنبية ليست عائقا بالنسبة لهم، فالفهم الصحيح والسليم للأفكار المتبادلة هو أولى خطوات فك تشفير الرسائل وإزالة الغموض عنها، وبالتالي اختيار رد الفعل المناسب لذلك.

كانت الفئة الموالية ممن يستعملون الترجمة "نادرا" مما يجعلها ربما تتعلق ببعض المفردات غير المفهومة لا أكثر، وقد أصبحت الترجمة في عصر التكنولوجيا والأنترنت من أسهل وأسرع العمليات

التي تحققها الشبكة العنكبوتية دون ضرورة الرجوع إلى المعاجم والقواميس المختصة في ذلك، وبغض النظر عن جودة هذه الترجمة إلا أنها تحقق الحد الأدنى على الأقل من الفهم.

هناك نسبة معتبرة من العينة أقرت باستعمالها للترجمة "أحيانا"، وهو ما يرجع ربما إلى اختلاف مستوياتها التعليمية من جهة، وطموحها وإرادتها من ناحية أخرى، فليس كل من يتواصل بلغة أجنبية يجب أن يفهمها بكل مفرداتها ومعانيها، مما يعني أن الترجمة هنا من أهم الأساليب المستعملة في تدليل مثل هذه الصعوبات التي قد تعيق العملية التواصلية أو قد تنحرف بها على المسار المطلوب.

أما أحدهم فأجاب بأنه "غالبا" ما يستخدم الترجمة مما يدل على أنه في مراحله الأولى لتعلم لغة التواصل مع هذا الغربي، في حين لا يوجد من يستخدم الترجمة "دائما"، لأن وجوده يعني أنه غير قادر على التواصل لافتقاده لأهم مقوماته ألا وهي اللغة.

عموما فإن استخدام الترجمة هو أحد محددات السياق اللغوي الذي يفرض التأقلم مع مواقف تواصلية معينة تضع عراقيل لغوية أمام العينة، وتدفعها للبحث لها عن حل في هذا المجال.

✓ مدى فهم الآخر الغربي للغة العربية :

إن استعمال عينة الدراسة للغة غير لغتهم في التواصل مع الآخر الغربي لا يعني الحكم المطلق بأن هذا الآخر لا يفهم اللغة العربية، خاصة في ظل توسع الهجرة التي خلقت الكثير من العلاقات المتنوعة بين المجتمعين العربي والغربي، وفي مقابل ما يتميز به هذا الغربي من حبه للبحث ولتعلم، وعليه سنحاول من خلال الجدول الموالي التعرف على مدى فهم هذا الآخر للغة العربية.

جدول رقم (26) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير مدى فهم الآخر الغربي للغتهم العربية

لا	نوعا ما	نعم	التقديرات
37	18	5	فهم الآخر للغة العربية
% 61.7	% 30	% 8.3	

يعكس الجدول أعلاه بما يحمله من تكرارات ونسب، أن أغلب عينة الدراسة وبنسبة 61.7% تجيب بأن الآخر "لا يفهم" العربية، بينما نسبة 30% تجيب بـ "نوعاً ما"، أما النسبة الأقل وهي التي تصرح بـ "الإيجاب" نحو هذا المتغير فبلغت 8.3%.

إن نتائج هذا الجدول تعكس بشكل ثانٍ اعتزاز الآخر الغربي بلغته وافتخاره بها، وليس من السهل أن يقبل التواصل بغيرها، خاصة مع خلفية الصورة المشوهة اتجاه العرب ولغتهم بصفة عامة والتي لا تحفزه لفهم اللغة العربية أو تعلمها، ليصبح المبحوث هنا هو المجر على تعلم اللغة الأجنبية وفهمها حتى يتواصل معه، خاصة إذا كانت احتياجاته للتواصل مع الآخر الغربي أكثر من احتياجات الطرف الثاني.

مع ذلك فهناك نسبة لا بأس بها في فهم اللغة العربية، مما قد يكون نتيجة للتواصل الذي يولد الرغبة في معرفة بعض جوانب ثقافة الطرف الثاني، والتي تعتبر اللغة من أبرزها.

جاءت النسبة الأقل لتعبر -من وجهة نظرنا- عن وعي الآخر بضرورة معرفة وفهم لغة من يتواصل معه، كما يمكن أن يكون ذلك نابع من دافع الإعجاب بهذه اللغة وبلاغتها أو بمن يتكلمون بها، أو أنه يحتك واقعياً بالمجتمع العربي الذي جعله يتعلم لغته أو يفهمها على الأقل. ضف إلى ذلك أن الغرب بمجتمعاته المتقدمة يسعى دائماً وراء العلم والمعرفة مما جعله ربما يتعلمها كلغة جديدة، فهو يدرك أهمية تعدد اللغات وتنوعها لدى الفرد، لأن الإنسان بطبعه عدو ما يجهل وهم ممن يسعون لمحاربة الجهل. ولإن أقرت عينة الدراسة بأن هذا الآخر يفهم لغتها العربية فإن ذلك لا يعني أنه يتقن الحديث بها، خاصة وأن المحفزات لتعلمها ضعيفة في ظل غيابها عن مجارة العلوم والمعارف المعاصرة.

✓ اتجاه الآخر الغربي نحو اللغة العربية من وجهة نظر العينة:

لا بد أن هذا الآخر الغربي ومن خلال تواصله مع العينة يظهر بعض الانطباعات حول ثقافة هذا الأخير بصفة عامة، ولأن اللغة من عناصر الثقافة الهامة التي تعبر عن هوية صاحبها،

فلا بد أن يظهر هذا الانطباع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تفهم من خلال السياق، وهو ما يوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم (27) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير رأي الآخر الغربي في لغتهم العربية

الاتجاهات الاستجابات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
ييدي الاحترام لها	36	13	11	-	-	4.41	0.78	مرتفع جدا
	% 60	% 21.7	% 3.18	-	-			
يرغب في تعلمها	11	15	29	5	-	3.53	0.89	مرتفع
	% 18.3	% 25	% 48.3	% 8.3	-			
يبحث في النقاط المشتركة بين لغته ولغتك	10	16	34	-	-	3.6	0.76	مرتفع
	% 16.7	% 26.7	% 56.7	-	-			
يرى بأنها لا ترقى لأن تكون لغة تواصل عصرية	5	16	29	5	5	3.18	0.99	متوسط
	% 8.3	% 26.7	% 48.3	% 8.3	% 8.3			
يرى بأنها صعبة	-	-	25	24	11	2.23	0.74	منخفض
	-	-	% 41.7	% 40	% 18.3			
يركز على نقاط الاختلاف مع لغته	-	10	45	5	-	3.08	0.49	متوسط
	-	% 16.7	% 75	% 8.3	-			
المتوسط العام								متوسط

بيّن لنا الجدول أعلاه أن مستوى الاستجابة كان متوسطا حول اتجاهات الآخر الغربي حول اللغة العربية، حيث بلغ المتوسط الحسابي 3.33، وهو اتجاه إيجابي لكنه لا يعكس بقوة إيجابية الآخر نحو اللغة العربية، وهو ما سيبيّنه مناقشة كل استجابة على حدى من خلال النقاط الآتية:

➤ بالنسبة لعبارة "ييدي الاحترام لها" تحصلت على مستوى استجابة مرتفع جدا، بمتوسط حسابي بلغ 4.41، وبانحراف معياري ضعيف يصل إلى 0.78، وهو ما يعبر عن تقارب وجهات النظر حول هذا السلوك الصادر من الآخر الغربي، أين أجابت الغالبية من عينة الدراسة على موافق بشدة، فهم يؤكدون من خلال هذا الاتجاه الإيجابي على احترام الآخر للغتهم العربية، وهذا الاحترام من شأنه أن يضمن أيضا عدم إثارة الشبهات حولها أو الطعن في سلامتها أو ثراء بنيتها الداخلية،

كما يبدو أن هذا الآخر يدرك أن اللغة جزء من خصوصية كل ثقافة، وبالتالي يجب احترامها من باب احترام الطرف الثاني، وهو ما يحقق ديمومة أكثر للعلاقة التواصلية بينهما.

تأكيدا على قدرة أي لغة في تحقيق المنفعة للآخر، يقول في ذلك دومينيك وولتون: "تكنم خصوصية العالم تحديدا في تنوعه، لا يوجد إذن مكان لتراتبية الهويات الثقافية حتى اللغة التي لا يتكلمها سوى بضعة آلاف من الأشخاص، تستحق الاحترام مثلها مثل الإنكليزية والفرنسية، ما دامت لغة تحمل رؤية عن العالم".¹

➤ أما بالنسبة لعبارة "يرغب في تعلمها" فقد بلغ متوسطها الحسابي 3.53، بمستوى استجابة مرتفع، وبانحراف معياري ضعيف نوعا ما مثل 0.89، وهذه النتائج تعبر وبصفة مباشرة عن الاتجاه الإيجابي نحو هذه العبارة، أين كان هناك توافق نسبي يعكسه تقارب النسب بين درجتي موافق بشدة وموافق، وبما أن هذا الآخر يريد أن يتعلم اللغة العربية، فإما أن يكون ذلك من باب الإعجاب بها أو بصاحبها الذي يتواصل معه، أو يود أن يتعرف عليها كجزء أساسي من ثقافة العربي من باب العلم والمعرفة، أو نتيجة للاهتمام بالدين الإسلامي والرغبة في القراءة عنه بلغته. وعلى العكس يمكن أن تكون رغبته نابعة من السعي لإثارة الشبهات نحوها خاصة في ظل تراجعها على المستوى العلمي والمعرفي بل وحتى التواصلية.

والسؤال المطروح هنا هل يستطيع هذا العربي أن يتحمل مسؤولية تعليمه اللغة العربية في ظل تقصيره هو نحوها، ثم في ظل نقص أو عدم امتلاكه المهارات والإمكانيات اللازمة؟، خاصة وأن كل السبل والتقنيات الحديثة متاحة لتعلم أي لغة في العالم، وعليه يجب على العرب بصفة عامة والعينة بصفة خاصة السعي إلى إتقان لغتهم الأم، في ظل مستلزمات هذا السياق اللغوي، ليستطيعوا أن يعطوا أولا صورة إيجابية عنها، ثم ليتمكنوا من نقل بعض معارفهم حولها للآخر الغربي الذي يتواصلون معه إن استدعى الأمر ذلك.

¹ - كاترين ألبيرن، وجان كلود روانو بوربالان، مرجع سابق، ص 417

➤ بالنسبة لعبارة "يبحث الآخر في النقاط المشتركة بين لغته واللغة العربية" كان اتجاه عينة الدراسة نحوها اتجاها إيجابيا، أين كان مستوى الاستجابة مرتفعا وصل فيه المتوسط الحسابي إلى 3.6، والانحراف المعياري إلى 0.76، وهو ضعيف يعكس عدم تشتت الإجابات التي تركزت في الجهة الإيجابية الموافقة على هذه العبارة، أين صرحت العينة بأن الآخر يبحث في النقاط المشتركة بين اللغتين، وقد لاحظنا من خلال الجدول أن هناك تقاربا شديدا بين نتائج هذه العبارة ونتائج العبارة السابقة، فبما أنه يود أن يتعلم اللغة العربية فهو يحتاج للتعرف على أوجه الاختلاف بين لغته وهذه اللغة، كأسلوب من أساليب تسهيل عملية التعلم، مما يكسبه معرفة أوسع ومعلومات أكثر رسوخا.

كما أن البحث في نقاط التشابه - كما ذكرنا سابقا- هو أحد الأساليب التقريبية الهامة بين الثقافتين، وكما أن هناك سياقات دينية تفرضها، فأیضا هناك سياقات لغوية ومواقف محددة تستثير هذه الاستجابة من الآخر الغربي، وتحفزه نحو هذا السلوك.

➤ حصدت عبارة "يرى بأنها لا ترقى لأن تكون لغة تواصلية عصرية" مستوى استجابة متوسط، بمتوسط حسابي بلغ 3.18، وانحراف معياري بلغ 0.99، أين لاحظنا تشتتا نسبيا في الإجابات رغم تركزها أساسا في المحايد، ومع ذلك كان الاتجاه إيجابيا نحو هذه العبارة فيما يخص رأي الآخر في اللغة العربية، واعتقاده بأنها غير مناسبة للتواصل، وهو اعتقاد له ما يدعمه واقعا، بسبب عدم تجديد اللغة العربية أو إدراجها في مجال البحث والتكنولوجيا، مما جعلها بعيدة على السياق التواصلية العالمي، أين تظهر مكانا ضعيفا أساسا في علاقاتها الخارجية وتوظيفها من قبل المجتمع العربي وعدم استغلالها كما ينبغي، فإذا كان هذا رأينا في اللغة العربية فكيف برأيهم هم؟، وهم من تقدموا على العرب في مستويات ومجالات كثيرة لم يعد بالإمكان المنافسة أو اللحاق بهم. ومع ذلك فالفتنة الأكبر هنا كانت محايدة نحو هذا الموضوع، إذ لا تعرف موقف الآخر من لغتها العربية في هذه النقطة، وهو ما يعني أنها من المواضيع التي قد تثير الحساسية في العلاقة التواصلية بينهما مما جعل الآخر يتجنب إثارتها.

إن هذا الرأي المبني على واقع معاش كسياق لغوي فرضته ظروف معينة لا يجب أن يلاقي الاستهجان من طرف العينة بقدر ما يجب أن يدفعهم للتقصي عن الخلل، ثم ابتكار الحلول المناسبة للرجوع بهذه اللغة إلى لغة للعلم كما كانت في قرون سابقة، فهي قادرة على أن تكون كذلك في عصرنا إذا وجدت من يحسن توظيفها في هذا المجال.

➤ تحصلت عبارة "يرى بأنها صعبة" على متوسط حسابي بلغ 2.23 بمستوى استجابة ضعيف، وانحراف معياري ضعيف أيضا بلغ 0.74، أين لاحظنا تمركز الإجابات في المحايد ثم المعارض، وهو ما عبر عن الاتجاه السلبي لعينة الدراسة نحو هذه العبارة، إذ يرفضون أن الآخر يرى أن اللغة العربية ذات تركيب صعب، وهو ما يعكس رغبة عدد معتبر منهم في تعلمها، كما أن الغربي عموما والذي يبحث دائما عن موارد للمعرفة والعلم، والذي من سماته البحث والتقدم والتطور، لا نظن أنه يرى صعوبة تعلم لغة مهما كان نوعها.

➤ أما بالنسبة لآخر عبارة وهي "يركز على نقاط الاختلاف مع لغته" فقد حازت على مستوى استجابة متوسط، أين بلغ المتوسط الحسابي 3.08، وكان الانحراف المعياري ضعيفا جدا بلغ 0.49، وهو ما يعكس تقارب وجهات النظر نحو هذه العبارة التي تتركز في المحايد، الذي يعني بأنه لا يعرف موقف الآخر في هذه النقطة، ولم يتعرض لهذا الموقف، ولكن الفئة المتبقية أجابت بالموافقة على أن الآخر يركز على نقاط الاختلاف مع لغته، وعادة ما يحقق التركيز على نقاط الاختلاف التباعد أكثر من التقارب، خاصة إذا كان هذا الآخر يريد أن يظهر تمايز لغته على لغة عينة الدراسة هنا.

إن اختلاف اللغات ضرورة حتمية كاختلاف البشر فيما بينهم، ولكن خلق التقارب والألفة التواصلية يستوجب البحث في نقاط التشابه لا الاختلاف، إلا إذا كان ذكر هذا الاختلاف والبحث فيه من باب التعلم وليس من باب الانتقاص الذي يزيد من الهوة بين الثقافتين.

✓ الاستجابات التي تحققها اللغة العربية للمستخدم العربي عينة الدراسة في التواصل مع الآخر الغربي:

تحتل اللغة العربية أهمية خاصة في ثقافة المجتمع العربي، ولكنها قد تدفعه إلى بعض الاستجابات الإيجابية أو السلبية أثناء التواصل مع الآخر الغربي، مما قد يؤثر على العلاقة بينهما، لذا حاولنا من خلال الجدول الموالي التعرف على تلك الاستجابات واتجاه عينة الدراسة نحوها.

جدول رقم (28) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغير الاستجابات التي تحققها لهم لغتهم العربية في التواصل مع الآخر الغربي

الدرجات	الاستجابات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
تعيق فهمك للغة الآخر		16	20	24	-	-	3.86	0.81	مرتفع
		%26.7	%33.3	%40	-	-			
تجعل الآخر يعرض عن التواصل معك		9	15	31	5	-	3.46	0.85	مرتفع
		%15	%25	%51.7	%8.3	-			
تفتخر بلغتك رغم أنك لا تتواصل بها مع الآخر		31	5	15	9	-	3.96	0.88	مرتفع
		%51.7	%8.3	%25	%15	-			
تريد أن تعلم الآخر لغتك العربية		-	-	20	12	28	1.86	0.85	منخفض
		-	-	%33.3	%20	%46.7			
تفضل استعمال لغة الآخر حتى لو كان هذا الآخر يفهم العربية		22	10	18	10	-	3.73	1.13	مرتفع
		%36.7	%16.7	%30	%16.7	-			
ترى بأنها غير صالحة للتواصل مع الآخر		25	25	5	5	-	4.08	1.12	مرتفع
		%41.7	%41.7	%8.3	%8.3	-			
المتوسط العام						3.49	-		مرتفع

يعكس لنا الجدول رقم (28) المتوسط العام الذي بلغ 3.49، والذي يمثل مستوى استجابة مرتفع

لعينة الدراسة اتجاه لغتها العربية أثناء التواصل مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية، مما يعبر عن إيجابيتها اتجاه لغته العربية، وبالتالي اعتزازها وافتخارها بها.¹

¹- وهو ما يتوافق مع المشاركين في المقابلة عند تعريفهم بذواتهم الثقافية.

■ بالنسبة لعبارة "تعيق فهمك للغة الآخر" حازت على مستوى استجابة مرتفع، بلغ متوسطه الحسابي 3.86، وانحرافه المعياري 0.81، وهو ما يعكس تقارب وجهات نظر عينة الدراسة، التي تؤكد هذا الاتجاه وتعتبر اللغة العربية عائقا في فهم لغة الآخر، خاصة وأنها تختلف عن لغات الآخر الغربي كليا في تركيبها، فيما تشابه كل من اللغتين الإنجليزية والفرنسية، كما أن صياغة الحديث باللغة العربية والرغبة في ترجمته إلى لغة الآخر سيحدث خللا في تركيب الجمل أو معانيها، لذا يجب على من أراد التواصل مع الآخر أن يحسن لغته ويعد تفكيره عن اللغة العربية، لأن السياق هنا يستدعي هذا السلوك التفكيري لفهم لغة الآخر والتواصل معه بنجاح.

■ تحصلت عبارة "تجعل الآخر يعرض عن التواصل معك" على مستوى استجابة مرتفع بمتوسط حسابي يصل إلى 3.46، وانحراف معياري يبلغ 0.85، ويعبر عن عدم التشنت الكبير في إجابات المبحوثين الذين يتوزعون أساسا بين المحايد ثم الموافق، أين يرون بأن اللغة من عوامل إعراض الآخر عن التواصل معهم، ليس لأنهم يتحدثون بها معهم، وإنما ربما بسبب صورتهم الذهنية عن اللغة العربية كما تصورها لهم وسائل إعلامهم وباحثيهم ومسؤوليهم. ضف إلى ذلك أن المستخدم العربي ولو أتقن لغة الآخر ربما لن يتقنها بنفس مستوى الآخر الغربي، مما قد يجعله يقع في أخطاء لغوية تنفر الآخر، وتجعله يرى في اللغة العربية سببا من أسباب تراجعهم، وهنا تزداد تلك الصورة الذهنية ترسخا عند هذا الآخر.

■ نالت عبارة "تفتخر بلغتك العربية رغم أنك لا تتواصل بها" مستوى استجابة مرتفع، حيث بلغ المتوسط الحسابي 3.96، والانحراف المعياري 0.88، أين عبّر المبحوثون عن اتجاههم الإيجابي نحو هذه العبارة، مما يعني أن العربية تمثل لهم جزءا هاما من هويتهم الثقافية، ومع ذلك هناك فئة وقفت على الحياد وأخرى عارضت ذلك، بسبب الضعف الذي تعاني منه اللغة العربية اليوم، وعدم نجاعتها في مجال البحث العلمي، مما يخلق دافعا قويا لتعلم لغات أخرى قادرة على تحقيق أهداف هذه الفئة في مجالات عدة. ولكن هذا الدافع لا يلغي الافتخار بها وإنما يمكن أن يوجد من يحمل همّ الدفاع عنها والتعريف بها للآخر، إذا ما توفرت سياقات معينة على ذلك.

■ حازت عبارة "تريد أن تعلم الآخر لغتك العربية" على مستوى استجابة منخفض بمتوسط حسابي بلغ 1.86، وانحراف معاري قدر بـ0.85، وهو ضعيف نسبيا يعكس نقص تشتت الإجابات التي تميل في أغلبها إلى المعارض بشدة، مما يبيّن لنا أنهم لا يهتمون بتعليم الآخر اللغة العربية، إما لأن طرق وأساليب التعلم كثيرة ومتنوعة في الفضاء الافتراضي، أو لأنهم لا يملكون الوقت لذلك، أو لأنه يرى أن الآخر الغربي ليس بحاجة أصلا لتعلم اللغة العربية التي لا تستخدم لا في المجال العلمي ولا في التواصل، فكل هذه أو بعضها ربما تكون أسبابا مقنعة للاتجاه السلبي هنا نحو هذه العبارة.

■ تحصلت عبارة "تفضل استعمال لغة الآخر حتى لو كان هذا الآخر يفهم العربية" على مستوى استجابة مرتفع، بمتوسط حسابي يصل إلى 3.73، وانحراف معياري يبلغ 1.13، وهو كبير نسبيا يعبر عن التشتت في إجابات المبحوثين الذين يتوزعون بين مختلف الدرجات ولكن أكثرهم تركز في الموافق بشدة، وهو اتجاه يناقض مع افتخارهم بلغتهم العربية، أين كان من المفترض أن يكون اتجاههم سلبي حول هذه العبارة، ويمكن تبرير ذلك برغبتهم في تعلم لغة الآخر الغربي الذي سيدعمها بقوة هذا التواصل، لأنه ينقلها من التجريد إلى الفعل والممارسة.

■ بالنسبة لعبارة "تراها غير صالحة للتواصل مع الآخر" حازت على مستوى استجابة مرتفع جدا بمتوسط حسابي بلغ 4.08، وانحراف معياري قدره 1.12، وهو انحراف قوي نوعا ما نظرا لتشتت الإجابات وتفرقتها بين مختلف الدرجات، إلا أنها تميل إلى جهة الإيجاب، ولا بد أن اعتقادهم هذا نابع من الأسباب السابقة الذكر، فالعرب هم الجبرون على التحدث بلغة الآخر أثناء التواصل وليس العكس، وذلك حتى لا تكون عائقا في التواصل والانفتاح على الآخر، في ظل الأصوات المتعالية لتحقيق التعايش والتسامح والحوار مع الآخر والتفاعل الثقافي معه، هذا الآخر الذي استطاع أن يفرض لغته على العالم ليس لأنها الأفضل والأكمل، بل لأنه الأقوى اقتصاديا وسياسيا وعلميا.

لذا فإن وجود لغة عربية متطورة يمكن أن يشكل كذلك جسرا للتواصل وتوحيد المفاهيم بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، كما يمكن أن يكون جسرا لنقل التكنولوجيا والثقافة المعلوماتية وتوطينها في التربة العربية. فهناك قاعدة تقول أن كل من يقوم بتسويق لغته بفعالية أكبر لن يواجه صعوبة في تسويق منتجاته وثقافته. أما إذا بقيت اللغة العربية عاجزة عن التطور عاجزة عن الانخراط في منظومة

تكنولوجيا المعلومات والتواصل. فإنها ستكون هي ذاتها عائقا أمام اللحاق بركب المعرفة الإنسانية وأمام تنمية الحوار الثقافي والحضاري العالمي، وحاجزا اجتماعيا للتواصل بين الأفراد والجماعات.¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ - حسن مالك، مرجع سابق، ص 34.

الصورة الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم العربية الإسلامية والأخر الغربي فهي حدود الأتصال بينهما

- أولاً: الصورة الذهنية للذات الثقافية لدى المشاركين من خلال اتصاتها مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية
- ثانياً: الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى المشاركين من خلال العلاقة الاتصالية بينهما عبر الشبكات الاجتماعية.
- ثالثاً: توجهات المشاركين نحو شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق الاتصال مع الآخر الغربي
- رابعاً: توجهات المشاركين نحو الرسالة في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي عبر الشبكات

ثانيا- الصور الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم العربية الإسلامية وعن الآخر الغربي في حدود العلاقة الاتصالية بينهما .

تعتقد النظرية التفاعلية الرمزية أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها ما هي إلا حصيلة التفاعلات التي تقوم بين البشر والمؤسسات والنظم وبقية الكائنات الحية والميتة، وهذه التفاعلات تكون ناجمة عن الرموز التي كونها الأفراد نحو الآخرين بعد التفاعل معهم، فمنذ عملية التفاعل بين شخصين أو أكثر يكون كل فرد صورة ذهنية تكون بشكل رمز عن الفرد أو الأفراد أو الجماعة التي تفاعل معها، وهذا الرمز قد يكون إيجابيا ومحبا أو يكون سلبيا ومكروها، وطبيعة الرمز الذي نكوّنه عن الأشخاص أو الفئات أو الأشياء هو الذي يحدد علاقتنا به أو بهم، فالعلاقة قد تكون إيجابية أو سلبية اعتمادا على طبيعة الرمز أو الصورة الذهنية التي كوّنناها نحوه أو نحوهم.¹

على ضوء هذه المقاربة عمدنا إلى التعرف على الصورة الذهنية التي يكوّنها المستخدم العربي عن الآخر الغربي نتيجة التفاعل معه عبر الشبكات الاجتماعية، والتي تكونت في شكل رموز تتراوح بين الإيجابية والسلبية لتحديد نوع العلاقة القائمة بينهما.

بناء على نموذج التل الجليدي الذي يقدّم في منطقة الصور المراحل العملية التي يمرّ بها تشكّل الصور لدى الإنسان، حاولنا استثارة المعلومات التي يملكها المشاركون حول الصور الذهنية المختلفة والتي تشكل أحد الأنساق الهامة في تواصلهم مع الآخر الغربي، ثم عمدنا إلى تقسيمها إلى فئات كالآتي:

¹ - إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المعاصرة - دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة-، مرجع

سابق، ص 79.

1- فئة الصورة الذهنية للذات الثقافية للمشاركين من خلال تواصلهم مع الآخر الغربي:

قبل أن يشكل الفرد صورة ذهنية عن الآخرين يشكل أولاً صورة ذهنية عن ذاته بأبعادها المختلفة، وتعتبر الذات الثقافية من أنواع الذوات التي تعبر عن ثقافة الفرد وقيمه ودينه وعاداته...، لذا فكل فرد له تصوّر حول ذاته الثقافية يتشكل له من خلال ممارساته اليومية والمواقف التي يمرّ بها، والتي تظهر جوانب كثيرة منها لم يكن يمكن للفرد أن ينتبه لها لولا تلك المواقف، وتعدّدت زوايا النظر إلى تلك الذات لدى المشاركين، وهو ما نعرضه من خلال الفئات الآتية:

➤ العروبة والإسلام عنوان الذات الثقافية للمشاركين:

الذاتية هي تجسيد سلوكي للموروث الفكري والثقافي المتجدد، ولذا فهي تقييمية حيث تستقر القيم السائدة وتحللها وتفسرها ثم تسلك أو تفعل، ولهذا لم تكن تسليمية كما يعتقد البعض، فكل شيء قابل للنقاش والحوار والموافقة أو عدم الموافقة، المهم أنه لا يتعارض مع الإطار المرجعي لأفراد المجتمع، ولذلك تعد أحكامها مرجعية وتقييماتها قيمية.¹

انقسمت إجابات المشاركين هنا في التعريف بذواتهم بين ثلاثة اتجاهات أساسية، تعبر في مجملها عن اختلاف تصوراتهم في حدود الثقافة الواحدة والقواسم الكثيرة التي تجمعهم، حيث يعرف كل واحد نفسه بأكثر ما يعتز ويفتخر به، أما المجموعة الأولى وهي الأكثر تكراراً والمتكونة من 4 مشاركين، كانت إجاباتهم ذات بعد قومي ديني، أين نسبوا شخصهم للإسلام والعروبة بقولهم "أنا عربي مسلم"، فالعروبة والإسلام بالنسبة لهذه الفئة هي مركز هويتهم وذاتيتهم.

تشابهت هذه النتيجة مع ما توصل إليه الطاهر لبيب في الدراسة التي أجراها على عينة من المهاجرين العرب عند سؤالهم عن هويتهم فكانت النتائج متمركزة حول العروبة ثم الإسلام. ويقرر الكاتب هنا بأن العروبة والإسلام تمثلان بهذه الأولوية أكبر دوائر الانتماء اتساعاً ورسوخاً بين أفراد العينة،* ففي حين ذكرت الهوية العربية كانتمء بارز بصورة ملحوظة، فإن الهوية الدينية قد ذكرت هنا

1- عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص 100.

* - وهو ما يتوافق مع عينتنا هنا.

وبلا انفصام عنها. إن التماثل والالتصاق بين الهويتين إلى درجة التوحد، يؤيد حقيقة أن العروبة ليست متنافسة متناقضة مع الإسلام، وإنما متناغمة متفاعلة معه في علاقة جدلية مستمرة، ومن المتوقع أن تستمر كذلك حيّة في الضمير الجمعي باستمرار المجتمع العربي نفسه. فالعروبة تاريخياً، كانت دائماً دائرة انتماء حضاري وقومي، مثلت واقعا طوره الإسلام واعترف به وأقر بفضلله، والأمة العربية هي الطليعة التي استجابت لدعوة الإسلام وتولّت حمايته بالدعوة والفتح، ثم أوجدت حضارته العربية الإسلامية، وحملت الدعوة إليه بين شعوب الأمم الأخرى، والإسلام هو الذي صنع للأمة العربية وحدتها القومية الأولى.¹

من المشاركين من ربط صفة الإسلام في تعريفه بنفسه بصفة أخرى، حيث أجاب طبيب الأطفال بأنه "مسلم مهاجر"، مما يعني أن الهجرة لها من التأثير والانعكاس عليه ما جعلها تكون جزءا من ذاته. فلا شك أن هناك اختلاف بين المسلم الذي يعيش في وطنه، ويجد فسحة وحرية في ممارسة دينه دون تدخلات خارجية، والمسلم المهاجر الذي تعترضه الكثير من الصعوبات والتضييقات في ممارسة شعائره الدينية الإسلامية. كما أن الهجرة هنا يمكن أن تعبر عن حسرة الفرد بسبب البعد عن الأهل والوطن ومرارة ذلك الشعور الذي يحسه، إذ أن غربته كثيرا ما تجعله متمسكا بدينه على الأقل عاطفيا، مما جعلها حاضرة بصفة أكبر من غيرها في تعريفه بذاته وربطها بدينه.

أضاف أيضا الصحفي لخاصية الإسلام في تعريفه بنفسه خاصية أخرى وهي الوطنية من جهة والعالمية من جهة أخرى بقوله "مسلم العقيدة جزائري الوطن عالمي التفكير"، ولأن هذا المشارك يعيش خارج وطنه، انعكس ذلك الحنين والشوق في جعله جزءا بارزا من ذاته الثقافية، ثم أكد من جهة أخرى أن هذه العزّة الوطنية لا تمنعه من أن يكون عالميا في تفكيره، خاصة مع طبيعة عمله وانتمائه المهني* الذي يستدعي بقوة تمثل هذه القمة في سبيل تحقيق النجاح في المجال الإعلامي.

¹ - الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 379.

* - يشتغل صحفي وباحث في الشأن المغاربي بمركز الشرق الأوسط بتركيا، تخصص علاقات دولية.

أما طالبة الدكتوراه فقد عبّرت عن ذاتها بقولها "باحث علمي"، وهنا يظهر حبها للعلم واعتزازها بمهنتها، مما جعلها تعتبرها أساساً محورياً في التعريف بذاتها، وخاصة في الفترة التي تمر بها من البحث كمرحلة حساسة تحتاج تجنيد كل الوقت والجهد لاجتيازها، فالعلم ولا شك من أهم مقومات نجاح الفرد وتحديد مكانته الاجتماعية في المجتمع، بل حتى من أبرز السمات السوسيوديمغرافية التي توجه حكمنا على الأشخاص في عملية التقصي عن الظواهر ودراساتها.

أخيراً ظهر البعد الاجتماعي في إجابة المشاركتين المتبقيتين، فأستاذة التعليم العالي في الأدب عرفت نفسها بقولها "امرأة" متجاوزة بذلك كل المستويات العلمية والمكانة الجامعية التي تحظى بها، لتذكرنا أن المرأة مهما علت قيمتها العلمية تظل امرأة بكل ما تحمله هذه الكلمة من أبعاد سوسولوجية وسيكولوجية وبيولوجية تعكس عظم وظيفتها الاجتماعية قبل أي مجال آخر. وتقاربها في الإجابة العاملة بدار المسنين، والتي يبدو من إجابتها أنها تأثرت بمجال عملها حيث قالت "إنسانة اجتماعية"، وهي إجابة يبرز فيها أيضاً الهوية الاجتماعية أكثر من الثقافية، لتخبرنا أن الفرد قبل كل شيء هو إنسان لا يمكن أن ينعزل على المجتمع أو عن تأديته وظائفه اتجاهه. "والهوية الاجتماعية هي نتيجة للتفاعل بين المظاهر السوسولوجية والبيولوجية لدى الفرد، وتكون تابعة لمركز الفرد ودوره وثقافته، وكذا هويته الثقافية."¹

يمكن القول عموماً أن الذاتية تعدّ شعرة توازن كفتي الميزان الاجتماعي، فعندما يكون الضمير هو المعيار العام لأفراد المجتمع يصبح الإطار المرجعي لهم هو الموروث المشترك بينهم بإرادة، وتصبح الذاتية هي نقطة تمركز الفكرة، وعندما تميل عن نقطة التمركز هذه لا بد وأن تميل إلى ما هو سالب في حالة تغلب الروح الانسحابية، أو تميل إلى الموجب في حالة الاعتماد على الأحكام المنطقية التي يتم فيها الاستماع للآخر وأخذ رأيه فيما يتعلق بالأمر المشترك.²

¹ - مصطفى حدّية، التنشئة الاجتماعية والهوي - دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتدّرس -، تر: محمد بن

الشيخ، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996، ص ص 30، 31.

² - عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص 100.

عبر كل مشارك من عينة المقابلة على ذاتيته بما يتوافق مع شخصه حقيقة كصورة ذهنية واقعية يمارس على أساسها نشاطاته في المجتمع، أو يمكن أن تكون صورته الذهنية المثالية عن ذاته، والتي يود أن يصل إليها ويعرف نفسه للآخرين على ضوءها، فكل الخصائص المذكورة في نقل صور المشاركين عن ذواتهم تحمل بين ثناياها مفارقة كبيرة بين الواقع المتمثل فعلا وبين المأمول المتوقع والمثالي، فهل من عرف نفسه بقوله "مسلم" يطبق فعلا الإسلام؟، وهل من قال "عالمي التفكير" يستطيع أن يتجرد من ذاتيته في كل المواضيع التي يبحث فيها، وهكذا. لذا يمكن أن نقول أيضا أن للإنسان صورتين إحداها حقيقية والأخرى مثالية - كما يعرضها نموذج التل الجليدي-، ويمكن أن تكون -حسب رأينا- صورة واحدة تجمع بين الواقع والمأمول، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون عليه، وهو ما حاولنا استنباطه في مثالنا السابق.

ركز المشاركون في إجاباتهم على خاصية واحدة للتعبير عن ذواتهم وهوياتهم الثقافية، بما يتوافق مع ميولاتهم الداخلية ثم مع سياقاتهم التي تحكم حياتهم الاجتماعية، وعبروا عنها بفخر واعتزاز، ولكن ما هي التصورات التي يحملونها عن ثقافتهم العربية الإسلامية ككل متكامل في تحديد هويتهم في صورتها الإجمالية؟

➤ الاعتزاز والافتخار ترجمة نظرية لتصورات المشاركين نحو ثقافتهم العربية الإسلامية:

تعتبر الثقافة العربية الإسلامية بمختلف أبعادها التي تتوفر عليها من أهم مقومات هوية الإنسان العربي المسلم بصفة عامة، وهويته الثقافية بصفة خاصة، وهي تلك الصورة المثالية التي تكونها جماعة بشرية معيّنة عن نفسها، مقارنة بجماعات أخرى. وهذه الصورة هي السبيل إلى تعريف الذات من خلال تأكيد ما يميزها عن ذوات أخرى. إن الشعور بالانتماء إلى هوية ثقافية معينة، هو حاجة نفسية واجتماعية ضرورية لا غنى عنها بالنسبة إلى أي إنسان يعيش في هذا العالم، فهذا الانتماء هو الوسيلة الطبيعية لنمو الذات وإثباتها وفتحها، إذ إن مثل الكائن البشري مثل شجرة، ليس في استطاعته أن ينمو ويعيش حياة عادية إذا لم تكن له جذور ثقافية عميقة وأصيلة يتغذى منها.¹

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 154.

للإنسان تصوّرات واتجاهات نحو هويته قد تكون إيجابية أو سلبية، يتبنّاها الفرد بسبب مختلف المواقف التي يمرّ بها في حياته، وتترك أثرا في آرائه نحوها تتعلق بمدى فعاليتها من عدمه في تحقيق حاجاته وإشباع رغباته اليومية، وقد حاولنا تقسيمها إلى المؤشرات الآتية للتعرف على اتجاه المبحوثين نحو كل واحدة منها:

أ-الدين: كان الدين ولا يزال أهم عناصر الثقافة العربية الإسلامية، بل إن الثقافة العربية نسبت إليه وعرفت به، فالإسلام هو دين الغالبية العظمى من العرب، وقد أسهم في مراحل الأولى في تكوّن الأمة العربية وإن كان في طبيعته تجاوزا للقوميات، والدوري يقول بأن الإسلام وحّد العرب وحملهم رسالة وأعطاهم قاعدة فكرية أيديولوجية وبه كوّنوا دولة، كما أضاف من ناحية أخرى أن الحركة الإسلامية جاءت عربية في بيئتها وفي القائمين بها، فلم يكن من الغريب أن يشعر العرب في صدر الإسلام برابطة قوية، فالدولة عربية واللغة عربية والعرب حملة الإسلام، ولذا توازى مفهوم الإسلام والعروبة بنظر الشعوب الأخرى.¹

انطلاقا من إجابات المشاركين التسعة يتضح أن كل تصوراتهم واتجاهاتهم نحو دينهم إيجابية، أين ظهر ذلك من خلال استعمالهم للعبارات الآتية: **هو قوميّ وهويتي - هو منهج حياتي - هو عزّي - هو مصدر لتماسك المجتمع...**، فهذه الإجابات وغيرها كلها تدل على حبّهم وافتخارهم بدينهم، وعلى المكانة الخاصة التي يحظى بها الدين الإسلامي في حياتهم بصفة خاصة وفي حياة المجتمع العربي الإسلامي عامة، بالرغم من التقصير المتفاوت بين الأفراد في اتباع شرائعه والعمل بأوامره والكفّ عن نواهيه.

يتضح لنا من خلال إجابات المشاركين وكغيرهم من أغلب أفراد المجتمع العربي المسلم -إن صحّ التعميم الجزئي هنا انطلاقا من وقائع معينة- أن الدين عندهم أسمى عناصر ثقافتهم، وأن له قدسية خاصة في حياتهم، وله أثر ملموس في كل مجالات الحياة، ولا أدل على ذلك من الهبة الجماعية التي

¹ - سليم بركات، مرجع سابق، ص 72، 73.

يسلكها المجتمع العربي في سبيل الدفاع عنه وعن مقدساته* لذا يصعب نظرياً زعزعة مكانته هنا، أو الميل بمساره من الإسلام إلى ديانات أخرى.

ب- اللغة: إن اللغة شأنها شأن الدين تستطيع أن تثير استجابات عاطفية قوية، فاللغة هي الرحم أو القالب الذي تتشكل فيه ذكرياتنا المبكرة وتعاليمنا ومعتقداتنا وثقافتنا، وقد نجد في بعض الشعوب أن ما يهدد اللغة يعدّ من الخطورة بحيث يهدد وجود الفرد ذاته.¹

من جهة أخرى يعتقد "هربرت ميد" أن اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي، ونذكر ذاتنا ونحس بفرديتنا، كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون، فالعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز، أي الإشارة التي تمثل معنى أو شيئاً آخر، والكلمات التي نستعملها للإشارة إلى أمور محددة هي -في واقع الأمر- رموز تمثل المعاني التي نقصدها، كما أن الرموز تشمل الإيماءات غير الشفوية وأشكال التواصل الأخرى.²

اتفق جميع منظري القومية العربية على أن اللغة العربية تشكل العنصر الرئيسي الأهم في تحديد الهوية، واعتبر عبد العزيز الدوري أن اللغة هي التي شكلت تاريخياً القاسم المشترك الأول الذي أدى إلى بدايات الوعي العربي، وذلك حتى قبل ظهور الإسلام. من هنا تم اعتبار الهوية العربية شأناً حضارياً ثقافياً لا شأناً عنصرياً أو إقليمياً أو دينياً.³

عبّرت إجابات المشاركين جميعاً عن اعتزازهم أيضاً بلغتهم العربية، من خلال توظيفهم لأسلوب المدح باستخدام العبارات الآتية: **هي لغتي الأم ولغة قرآني - هي تعبيرتي - هي مفخرة لهويتي**

* - ومن أمثلة ذلك ما قامت به الكثير من المجتمعات العربية من انتفاضات ومقاطعات في سبيل الدفاع عن قدسية رسول

الله صلى الله عليه وسلم في عدة مرات تجرأ فيها الغرب على المساس بها.

¹ - السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 50، 51.

² - أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص 76.

³ - سليم بركات، مرجع سابق، ص 65.

الإسلامية- هي لسان اعتزازي- ثرية وواحدة من مقومات الأمة الإسلامية....، وكلها إجابات تشيد بقيمة اللغة العربية عندهم، والصورة الحسنة التي لديهم حولها.

لا يختلف الأمر في ذلك بين من يقيمون في الجزائر أو خارجها، إذ أن اتجاه هذه الفئة الأخيرة يثبت لنا أن الاغتراب عن بلدانهم لم يجعلهم ينسلخون عن ثقافتهم في بعدها اللغوي، بل بالعكس جعلهم أكثر تشبثاً بها، خاصة وأن مستواهم العلمي من جهة والعمري من جهة أخرى يسمح لهم بهذا القدر من الإدراك والوعي بهذه اللغة.

إن اللغة العربية هي الوسيلة الأبرز لترجمة واقع الأمة العربية التي أريد لها أن تكون مجزأة، فهي التي تجمع هذا التفرق، وتشعر العربي بالوحدة رغم الحدود المصطنعة،¹ لأنها ليست فقط مجرد وسيلة تخاطب ونقل للثقافة من جيل إلى جيل، وليست مجرد وعاء يحتزن الرؤية والأفكار والمشاعر والمعتقدات أو التراث. إنها أيضاً تجسيد في ذاتها للحضارة والثقافة، وليس في الوعي العربي من فصل بين اللغة ومضمونها، فهي مهمة في رسالتها ولفظها ومحتواها وشكلها، بل من الممكن أن يقال إن التعامل مع اللغة يكون على أنها جزء لا يتجزأ مما يستنبط في العالم الداخلي، وبالتالي في شخصية الفرد، فيستمد من هذا التعامل متعة أو نشوة روحية لا توصف أو تحدد بالسهولة المرجوة، من هنا وصف المجتمع العربي بأنه مجتمع تعبيرى.²

ج-القيم: إن القيم هي ما تعارف به البشر من أمور يتفقون حولها فتغدو مثلاً علياً، يصنعونها ويسيرونها عليها، فتكون بذلك مرجعاً بالسلوك في جميع النشاطات والأقوال، كما تكون مصبوغة ببعض الأصباغ المحلية وما اتفق عليه من الأفعال والأقوال الإنسانية التي تجعل فائدة الإنسان هدف لها.³

¹-أحمد بريسول وعبد الرزاق تورابي، اللغة والتواصل، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2007، ص 267.

²- سليم بركات، مرجع سابق، ص 68.

³- سالم المعوش، القيم والاتصال -السيكولوجيا والمنهج -، مؤسسه الرحاب الحديثة بيروت، لبنان، 2017، ص ص

للقيم مصادر عديدة تستمد منها، وأهم مصادر القيم في المجتمع العربي الإسلامي القرآن والسنة، مما يجعل مكانتها وأهميتها لدى عينة المقابلة من مكانة وأهمية الدين الإسلامي ومبادئه عندهم، وقد اتفقوا جميعاً على الصورة الذهنية الحسنة لقيمهم، أين تمحورت إجاباتهم حول دورها الهام في توجيه سلوكياتهم وتهدئتها، والتي تمثلت في التصريحات الآتية: هي مبادئ، هي ضوابطي لتجنب الانحراف، هي مرجعيتي، من الأساسيات التي توضح لي الخطأ من الصواب...، وقد لاحظنا من خلال الإجابات أن من يعيشون في وطن أجنبي هم من ركزوا على دور القيم وفعاليتها في عصمتهم من الخطأ، وحمايتهم من الانحراف،* نظراً لصعوبة تمثيلها هناك والثبات عليها أمام تحديات الواقع المعيش في بلد غير مسلم.

إن هذا الاعتقاد المثالي بأهمية وفاعلية القيم المستمدة من الدين الإسلامي في تسيير شؤون حياتهم، ما هو إلا انعكاس لأهمية هذا الدين الذي يشمل جميع جوانب الحياة، والذي من شأنه أن يضبط السلوكيات بما جاء به من قيم لها أبعادها الروحية والنفسية والاجتماعية بل وحتى الإنسانية العالمية.

كما يمكن أن نشير إلى أن تمسك الفرد بالدين والعرف والقيم التي تميز شخصيته عن غيره لا يعدّ تمسكاً شخصانياً، بل يعدّ فعلاً ذاتياً وليس خاصاً، ولذلك عندما تتمسك الذات بقيمها وتمارسها بوعي فإن سلوكها هذا يعدّ سلوكاً عاماً، تقابله ردود أفعال اجتماعية راضية، وهذه ردود الأفعال الراضية محفزة لمشاعر الاعتراف والتقدير التي تحقق الاعتبار الاجتماعي للذات، سواء كانت ذات فرد أو جماعة أو مجتمع بأسره.¹

د-العادات والتقاليد: تعتبر العادات والتقاليد في المجتمعات الإنسانيّة عامة ميكانيزمات كبرى تنظم التفاعل الإنساني و التأثيرات المتبادلة التي يمارسها الناس كل على الآخر في سبيل الحفاظ على المجتمع والثقافة، وكان عالم الاجتماع سمنر (Sumner) في مقدمة العلماء الذين اهتموا بدراسة

* وهم: طبيب الأطفال وطبيب الجلد اللذان يعيشان في ألمانيا، والعامله بدار رعاية المسنين التي تعيش في فرنسا، إضافة إلى الصحفي الذي يعيش في ذات المكان..

¹ - عقيل أحمد عقيل، مرجع سابق، ص 97.

الطرائق الشعبية، باعتبارها أفعالا اجتماعية متكررة يمارسها أعضاء المجتمع و الجماعة، أو باعتبارها معتقدات نموذجية أو مضادة أو اتجاهات وصور للتصرفات التي نلاحظها داخل هذا المجتمع و الجماعة، وتمتاز بأنها تمثل ميكانيزمات للتوافق، و تصبح منظمة في أنساق متساندة من العادات، وقد تختلف بين العمومية والخصوصية. وتمثل الطرائق الشعبية في النهاية الطرق المميزة والمشاركة للفعل في المجتمع و الجماعة والتي تنتقل من جيل إلى جيل.¹

يؤكد المشاركون أثناء المقابلات التي أجريت معهم، ومن خلال إجاباتهم التي تدور في فلك الأفكار الآتية: هي هويتي الإسلامية - هي موروثي الثقافي الذي يتوافق مع المجتمع ويحافظ على الدين - هي جزء أساسي من حياتي وشخصيتي...، على احترامهم واعتزازهم بعاداتهم وتقاليدهم، فهي إجابات تعكس من جهة الصورة الذهنية الحسنة للعادات والتقاليد العربية لديهم، ومن جهة أخرى تعبر عن الوعي والتفطن بأهمية هذا العنصر الثقافي في تكوين شخصية الفرد وهويته في حدود المجتمع الذي يعيش فيه، والتشبع بعاداته وتقاليده وتراثه الذي تتناقله الأجيال عبر العصور.

رغم أن للعادات والتقاليد مساحة أوسع وفسحة أكثر في تمثّلها والحفاظ عليها، إلا أنها لا يجب أن تخرج في عمومها عن تعاليم الدين الإسلامي وضوابطه الشرعية، أو تخالف مقصدا من مقاصده، وإذا ما حدث هذا التعارض فليس هناك مجال للاختيار إلا الإذعان والخضوع لهذا الدين الذي يملك سلطة الضبط لأغلب مكونات الثقافة العربية الإسلامية، أما إذا حدث الانسجام فالفرد هنا مطالب بالتحلي بها قدر الإمكان والافتخار بأصلها وعراقتها، على أن لا يمنع ذلك من الانفتاح على عادات وتقاليد أخرى تمكنه من الاندماج مع جماعات غير جماعته الأصلية، مراعيًا في ذلك كما قلنا عدم مخالفته لانتمائه الديني.

هـ- التاريخ: يعد التاريخ جزء لا يتجزأ من هوية الفرد وثقافته، إذ يساعده على تفسير الأسس التي يستخدمها المجتمع لاتخاذ القرارات، وفهم تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

¹ - علي عبد الرازق جلي، مرجع سابق، ص 93.

انطلاقاً من ينابيعها الأصلية، وبالتالي فهم مختلف التغيرات الآنية التي تحدث على المستوى الواقعي، والتي ليست أكثر من إفرازات للتاريخ دور كبير في إحداثها وتوجيه مسارها.

عبر المشاركون أثناء المقابلة عن المكانة والأهمية التي يحظى بها التاريخ في حياتهم وماذا يمثل بالنسبة لهم، واتفقت إجاباتهم أيضاً حول كونه "مصدر فخرهم وأصلهم وذاكرتهم" التي لا يمكن التخلي عنها. وقد فصل الصحفي في الحديث عن مجالين من مجالات التاريخ، أولهما التاريخ الإسلامي الذي يعرفه بالحضارة الإسلامية ومختلف الأحداث التاريخية التي تتعلق بالغزوات والفتوحات، وأيضاً يعرفه بمختلف الشخصيات التاريخية، وهو ما زاده فخراً وعزاً على حد قوله، وألهمه نماذج مثالية يمكن الاقتداء بها، وعبراً يمكن الاستفادة من نتائجها بتوسيع أفقه وبصيرته في هذا السياق.

أما الجزء الثاني في إجابة الصحفي فتعلق "بالتاريخ الوطني الجزائري" الذي يعتبره مصدر إلهامه في كتاباته وأبحاثه ذات الصلة بوطنه، فهو يدرك الصلة الوثيقة بين أحداث الحاضر وتموقعاتها على الخارطة التاريخية، وما يمكن أن يوفر له من خلفيات تساعده في فهم الواقع.

إن التاريخ هو أرشيف الأمة الذي لا يمكن أن تستغني عنه، فهو الذي يمنحها العزة والمفخرة من جهة، والعبرة والموعظة من جهة أخرى، وهو الذي يعبد لها منهجاً رصيناً في التعامل مع أحداث الحاضر، التي هي ليست أكثر من امتداد للماضي الذي يعيد نفسه في كثير من المرات.

باعتبار أن المشاركين جزائريين فلا بد أن التاريخ المقصود من حديثهم والذي فصل فيه الصحفي هو التاريخ الجزائري الذي يحمل عنوان البطولة والتضحيات -على حدّ قوله- تحت شعار بلد المليون ونصف المليون شهيد، بل إن الجزائريين اشتهروا عند سائر البلدان العربية بهويتهم التاريخية أكثر من أي جانب آخر، وهذا التاريخ مستمر لحد اليوم في البحث عن حقوقه من الاستعمار الفرنسي إذ ينادي باسترجاع جماجم الشهداء الذي عاشوا من أجل ثبات الجزائر على هويتها العربية الإسلامية وماتوا على ذلك، وهم اليوم جزء لا يتجزأ من الثقافة الجزائرية في بعدها التاريخي. من هنا يظل التاريخ بصفة عامة والتاريخ الجزائري بصفة خاصة من المقومات الأساسية لبناء هوية المشاركين وثقافتهم.

إن إجابات المشاركين حول صورهم الذهنية لعناصر ثقافتهم العربية الإسلامية السالفة الذكر والتي لم تكن كل العناصر المكونة للثقافة ولكنها الأهم والأبرز -من وجهة نظرنا-، تعكس لنا توجهها إيجابيا مشرفا لرسم تلك الصور التي تعكس فخرهم واعتزازهم بثقافتهم، ومكانة خاصة تحظى بها في حياتهم، والسؤال المطروح هنا: هل يملكون فعلا المعارف الكافية حول تلك العناصر أم أنهم يعرفون الأساسيات منها فقط؟.

➤ تمركز الوعي المعرفي بالثقافة العربية الإسلامية في بعدها الديني

مما لا شك فيه أن تحديات الحياة اليومية بمختلف مجالاتها تحتاج لتسلح الإنسان بالعلم والمعرفة بصفة عامة، وفي مجالات محددة بصفة خاصة، والتي من أهمها ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، أين يجب على كل فرد في المجتمع أن يعرف جيدا معالم ثقافته التي هي جزء لا يتجزأ من هويته ومن ذاته. أقر المشاركون التسعة أثناء مقابلتهم بأنهم لا يملكون المعرفة الكافية عن ثقافتهم، ويحتاجون لتوسيعها أكثر خاصة في مجال الدين الذي هو ركيزتهم الأساسية في حياتهم، وعلى ضوئه يواجهون تقلبات الحياة. وقد ظهر هذا الإقرار بصفة أعمق عند الذين يعيشون في بلاد الغرب -الخمسة منهم- ويواجهون صعوبات كبيرة تتعلق بممارسة شعائرهم الدينية من جهة، والتعريف بديانتهم من جهة ثانية، مما جعلهم أحوج من غيرهم للاستزادة في توسيع مداركهم نحوه، بل إن هذا الواقع هو الذي ساهم في كشف ذلك الضعف المعرفي اتجاه الإسلام وشرائعه وعقائده.

كما أضاف الصحفي في هذا السياق ضرورة اكتساب المعرفة الكافية بالتاريخ الإسلامي الذي يطاله الكثير من الجهل، وتشوبه الكثير من الشبهات من طرف غير المسلمين، في مقابل عجز المسلمين عن دحضها وتكذيبها بالأدلة العلمية المقنعة. فتخصص هذا المشارك في العلاقات الدولية فتح عينه على هذا الضعف، وجعله يدرك حتميته المعرفية.

أما بالنسبة لضعف مكتسباتهم المعرفية حول بقية العناصر الثقافية من قيم ولغة وتاريخ وعادات... فالمشاركون بصفة عامة ذكروا بأنه أقل حدة من الدين الذي هو محور حياتهم وسلوكاتهم، إذ أن الضعف على المستويات الأخرى ورغم أهميتها في تكوين ثقافتهم، لن تكون له النتائج الوخيمة

ما يسببها هذا المجال، لذا فقد صرحوا بأنهم يتطلعون لتوسيع مداركهم حوله بصفة خاصة وحول جميع عناصر ثقافتهم بصفة عامة، خاصة في ظل سرعة الوصول إلى المعلومة بفضل شبكة الأنترنت. يعود ذلك القصور المعرفي الذي يعاني منه المشاركون على مستوى ثقافتها العربية الإسلامية بأبعادها الأساسية - كما صرحوا- إلى تسارع الحياة اليومية وكثرة انشغالات الفرد وتشتت ذهنه بسبب التكنولوجيا الحديثة، التي رغم ما لها من إيجابيات في حياة الفرد إلا أنها ساهمت أيضا في غياب المعلومة الدقيقة في كثير من المجالات.

إن عينة المقابلة وكغيرها من أفراد المجتمع العربي تحتاج إلى التشبع بالوعي حول ثقافتها العربية الإسلامية، هذا الوعي الذي يكسبها ثقة في النفس، وقوة لمجابهة الآخرين، وتحصننا من الذين يسعون إلى زعزعة مكانة هذه الثقافة في سلوكياتهم وتفكيرهم ووعيهم.

لا بد أن نميز بين نوعين من الوعي الثقافي: وعي ماضوي تقليدي، ووعي مستقبلي استشرافي:¹

- فالوعي الأول هو وعي نقلي يحاول أن يشد حياتنا إلى الوراء، وذلك على نحو يغدو معه سؤال المستقبل سؤالا غائبا في حياتنا وليس عنصرا تكوينيا من عناصرها الحيوية.
- أما الوعي الثاني فهو نقيض الوعي الأول، لأنه وعي يفتح أفق التجريب والمغامرة، وقيس على الحاضر في حركته إلى المستقبل، ولا ينشغل بالماضي إلا بوصفه عنصرا من عناصر الحاضر الذي يقبل التحول والتطور والمساءلة. ولذلك فهو وعي حداثي بالضرورة، وتجريبيته هي الوجه الآخر من نسبية اجتهاده، فهو وعي لا يعرف الحلول الجاهزة، أو الإجابات المسبقة ولا يؤمن بالمطلقات الإنسانية التي تشل الحركة أو الدوائر المغلقة للفكر. وسؤال المستقبل عنصرا تكوينيا في هذا الوعي وعلامة عليه، سواء في حرصه على الارتقاء بالإنسان من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية، أو الانتقال بالمجتمع من وهاد التأخر إلى ذرى التقدم.

¹ - عبد المالك منصور، مرجع سابق، ص ص 43، 44.

من هنا تستنتج أن المشاركين هنا مطالبون لتحقيق الوعي المعرفي بثقافتهم في صورتها الكلية، والعمل على إحداث التوازن بين الوعي الماضي التقليدي، الذي يمنح الثقافة بعدها الأصلي التأسيلي، وبين الوعي المستقبلي الاستشراقي الذي يمنحها التقدم والتطور.

مما لا شك فيه أن هذا الضعف المعرفي يحتاج تحركا سريعا من طرف المشاركين لاستدراك الوضع ومحاولة ترقيع ما أمكن على مستوى معارفهم الثقافية التي سيجدون آثارها في حياتهم الاجتماعية. وتختلف هذه الآثار باختلاف موضوعها (على مستوى القيم أو الدين أو العادات...)، ثم باختلاف المجالات، وأخيرا بتنوع المواقف التي يتعرضون لها. ومن بين المواقف الحياتية لدى المشاركين تواصلهم مع الآخرين الغربيين المختلفين عنهم ثقافيا، فما هي تصوراتهم حول مقومات ثقافتهم العربية الإسلامية بمختلف عناصرها والتي تمكنهم من التواصل مع هؤلاء الغربيين؟.

➤ التاريخ والإسلام مقومان فاعلان في سبيل تحقيق التواصل بين الثقافتين العربية

الإسلامية والغربية

تعتبر الثقافة الغربية من أبرز الثقافات المتباينة عن الثقافة العربية الإسلامية، والتي اجتمعت بها في كثير من المواقف الدولية ومازالت، بل تعدت تلك العلاقات إلى المستويات الفردية، حيث أنها ما ذكرت في الأوساط العربية الإسلامية إلا وأثارت جدلا واسعا حول تماثلها، أهدافها، وأخيرا كيفية التواصل الفعال معها، ومدى قدرة الثقافة العربية الإسلامية على ذلك.

من خلال المقابلات التي بحثت في هذا الجانب نلاحظ أنه ليس هناك تباين كبير في وجهات نظر المشاركين وصورهم الذهنية نحو مقومات ثقافتهم التي تمكنهم من التواصل مع الآخرين، حيث أكد 7 مشاركين¹ منهم كأغلبية على أهمية الدين الإسلامي كمقوم رصين يمكنهم من تحقيق تواصل فعال مع الآخر، بما يملكه من قيم ومبادئ كثيرة دعت لذلك.

فالدين عموما يمكن الفرد من خلق معادلة موضوعية بين النفس والمادة، وكذا المحافظة على التوازن النفسي وعلى التفاعل مع الآخر، والذي يتطور على فترات زمنية إلى التواصل بين الثقافات،

¹- كلهم ما عدا: أستاذة التعليم العالي في الأدب، والصحفي

أي بين منظومة من القيم والعلاقات السلوكية بمنظومة أخرى تخضع لظروف ثقافية أخرى،¹ وهو ذات الأمر بالنسبة للدين الإسلامي الذي يعمل على ضبط حدود العلاقات مع الآخر الغربي المختلف دينيا عن طريق مختلف المصادر التشريعية والتي على رأسها القرآن والسنة، في مقابل الكثير أيضا من نماذج السيرة النبوية في التاريخ الإسلامي التي قدمت الأساليب المناسبة للتعامل مع هذا الغربي.

اختلفت استشهادات عينة الدراسة على ذلك، فقال طبيب الجلد: "الإسلام هو الذي يمكننا من التواصل، والقرءان الكريم مليء بالآيات التي تدعو للتواصل والتعارف، منه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾². وأضافت العاملة بدار المسنين: "الإسلام علمني كيف أتعامل مع الآخرين، وقال لنا في القرآن: ﴿وَجَادِثُهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾³. أما الدكتورة في الإعلام والاتصال فقالت: "الإسلام تضمن كل القيم التي ترشد اتصالنا مع الآخرين سواء الغرب أو غيرهم، كالانفتاح على الآخر، والتسامح، والحوار الإيجابي وغيرها من القيم الإيجابية".

إن هذه التصورات التي يحملها المشاركون عن الإسلام، تدل على أهمية السياق الديني الإسلامي في توجيهها للتداول مع الآخر الغربي، إذ ترى بأنه يمنحها الكثير من المساحات التحوارية التبادلية بفضل ما يشمله من قيم تدعو إلى الانفتاح على الآخر، ومعاملته بالحسنى في حدود المشروط من العلاقة بينهما، والتي لا تتعدى إلى الأذى والقتال.

تحدث بقية المشاركين في ذات السياق عن جانب السنة والسيرة في تقديم نماذج من تواصل النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار بأحسن الأساليب وأرقاها -على حد قولهم-، فمثلا ذكر المهندس قائلا: "النبي صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا في التعامل مع الآخرين، وكيف استطاع بحسن

1- جميلة ملوكي، الغالي بن لباد، مرجع سابق، ص44.

2- سورة الحجرات: الآية [13]

3- سورة النحل: الآية [125]

أخلاقه أن يجب الكثيرين في هذا الدين"، وأضافت طالبة الدكتوراه قائلة: "السيرة النبوية تحكي لنا الكثير من المواقف الحسنة التي عبرت عن حسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لغير المسلمين، وهنا يحضرنى مثال رسول الله في التعامل مع جاره اليهودي".

إن هذه الأمثلة التي تعبر عن قدرة الدين في منح المشاركين كل المقومات اللازمة للتعامل مع الآخر، نقلت أيضا أحداثا واقعية تصور لنا التجسيد الفعلي لتلك المعاملة الحسنة، من خلال التاريخ الإسلامي الذي قدم نماذج تواصلية صورت أسلوب الإسلام في التعامل مع الآخر، وهو ما أكد عليه الصحفي الذي قال: "لا يمكن التغافل هنا عن الأهمية البالغة للتاريخ الإسلامي في تقديم نماذج وأمثلة عن حسن معاملة رسول الله وأصحابه لغير المسلمين، بل وحتى الخلفاء من بعدهم". وهنا يجيلنا الحديث عن السيرة النبوية وعن التاريخ الإسلامي بصفة عامة إلى أهم الأساليب التعليمية الإرشادية لمعاملة الآخر وهي أسلوب القدوة التي هي أبلغ من ألف كلمة في التأثير، والتي تقدم أحسن الصور والنماذج الاتصالية مع الغير.

كما أضاف الصحفي نقطة هامة وهي التاريخ الحضاري للثقافة العربية الإسلامية، والذي يمكن أن يكون ورقة رابحة في كفتها وإثبات جدارتها وفضلها في يوم من الأيام على الحضارة الغربية، والكتب التاريخية أجادت في هذا الموضوع.

أكدت أيضا أستاذة التعليم العالي على هذا المقوم الذي لطالما غاصت في ربوعه بحثا وتقصيّا، وقد لخصت لنا هذه الأهمية بقولها: "يجب أن نعيد قراءة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية نحن وهم، نحن لتعلم ونأخذ العبرة، وهم ليعلموا قيمة هذه الحضارة وما قدمت لهم في يوم من الأيام، ليتأكدوا من براءة الإسلام من الجهل والتخلف". ولا بد أن إعادة هذه القراءة بوعي ستمكّن الطرفين من مراجعة سلوكهما أثناء التواصل، ولذلك يكون هذا التواصل مبنيا على المعرفة لا على الجهل الذي يطمس رؤية الحقائق.

يتضح لنا من خلال إجابات المشاركين أن الثقافة العربية الإسلامية تمتلك مقومات أساسية يمكن من حسن التواصل مع الآخر إذا ما أحكم تفعيلها واقعيًا، والانتقال من مبادئها النظرية إلى أحكامها التطبيقية، وهما الدين أولاً ثم التاريخ. ويتنوع هذا الآخر الغربي باختلاف المجال الجغرافي الذي ينتمي إليه والذي يحدد بقوة معالمه الثقافية، كما وتنوع فضاءات التواصل بين الثقافتين والتي تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من أبرزها في الوقت الحاضر، فأي من تلك الثقافات الغربية تتواصل عينة الدراسة معها أكثر من غيرها عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟.

➤ الآخر الفرنسي أبرز أصدقاء المشاركين في الفضاء الشبكي الافتراضي

إن الثقافة العربية الإسلامية كغيرها من الثقافات واليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة للتلاقح والتواصل مع الثقافات بصفة عامة والثقافات الغربية بصفة خاصة، ولن يتوفر لها ذلك بالسهولة المرجوة إلا باستغلال الفضاء الافتراضي الذي تمثله شبكات التواصل الاجتماعي كتقنية تواصلية متميزة في الوقت الحالي.

على تعدد الثقافات الغربية صرح 6 من المشاركين* أنهم يتواصلون بصفة أكبر مع ذوو الثقافة الفرنسية¹ أكثر من غيرهم، ويوظفون في ذلك اللغة الفرنسية التي يفهمها كلاهما، وقد كان هناك أسس معينة دفعتهم لاختيار هذا الصديق دون غيره، وحفزتهم للتواصل معه.

من بين ما ذكر المشاركون عن أسس اختيارهم في ذلك قالت العاملة بدار المسنين: "أنا أعيش بفرنسا، ويجب أن أتعايش مع الفرنسيين، فانتقلت علاقتي بهم من العالم الواقعي إلى العالم الافتراضي"، وهو ذات السبب الذي ذكره المهندس والذي أضاف عليه: "العمل فرض علينا استغلال شبكات التواصل الاجتماعي لأمر مهنية معهم، ولكنها تحولت إلى صداقات فيما

*- كلهم باستثناء الصحفي وطبيب الجلد وأستاذة الإنجليزية.

¹- وهو ما يتوافق مع آراء عينة الاستبيان من أن الفرنسي هو أكثر من يتواصلون معه، انظر في تحليل نتائج الاستبيان،

بعد"، بينما قال طبيب الأطفال الذي يعيش بألمانيا: "لدي الكثير من الأصدقاء الفرنسيين تعرفت عليهم قبل مجيئي لألمانيا وبقوا هم المفضلين بالنسبة لي، ومن أجد معهم راحتي في التواصل".

أما بالنسبة للبقية الذين يقيمون في الجزائر فقد صرّحت مثلا الدكتورة في الإعلام والاتصال قائلة: "أنا أجد اللغة الفرنسية بشكل جيد، ويدفعني البحث العلمي للتواصل مع الفرنسيين لأنهم من يوافقوني في اللغة من جهة وفي الاهتمامات من جهة أخرى، كما أن الجامعة التي أشتغل بها تتيح لنا بصفة أكبر التربص في فرنسا أكثر من غيرها من الدول الغربية"، وهو نفس السبب الذي ذكرته الأستاذتين الأخرتين، ولكن أستاذة التعليم العالي أضافت قائلة: "رغم ضعف الفرنسية اليوم مقارنة بالإنجليزية إلا أننا نحن الجزائريين مازلنا متمسكين بها بسبب عوامل عديدة وهو ما جعلنا نتواصل مع الفرنسيين بصفة أكبر. فأبي مثلا خالط الفرنسيين كثيرا وعرفنا على ثقافتهم وتفكيرهم، فاستطعت أن أبنى علاقات علمية معهم بنجاح كبير، خاصة وأني وجدت فيهم الكثير الذي يخدمني في تخصصي الأدبي ويثريه مقارنة باللغات الأخرى".

تعددت أسس كل واحد في اختيار التواصل مع الفرنسي، والتي يمكن أن تستنتج منه في الأخير أن تاريخ العلاقة بين البلدين مازال له إفرزاته في الوقت الحالي، فمثلا من بين العوامل التي ساعدت فرنسا على ربط علاقات متميزة مع حلف الدول المغاربية ومع الجزائر بالتحديد، هو عامل اللغة. فالشائع أن الجزائريون يستعملون اللغة الفرنسية في حياتهم اليومية والمهنية وفي مراسلاتهم الإدارية، وفي المؤسسات التعليمية والفنية والإعلامية، وبالرغم من أنها ليست لغة رسمية ولا وطنية، إلا أن تعليمها المبكر في المدارس الابتدائية، وفي بيوت العائلات الجزائرية المغربية، جعل استعمالها بين الجزائريين شائعا. وقد مكّن هذا العامل فرنسا من أن تصبح الشريك المميّز والمفضّل للجزائر، وسهل العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين الشعبين الجزائري والفرنسي، فأصبحت بذلك اللغتان العربية والفرنسية تعيشان جنبا إلى جنب في المجتمع الجزائري.¹

¹-جيلالي بشلاغم، مرجع سابق، ص 199.

كما ساهم عامل الهجرة إلى هذا البلد في توطيد العلاقة بين المجتمعين فلا تكاد ترى شخصا جزائريا إلا وله قريب أو صديق يعيش في فرنسا، حتى إن مارسيليا من كثرة الجزائريين فيها كانوا يقولون عليها سابقا ولاية الجزائر رقم 49. ومما يدعم هذه العلاقة أيضا على مستوى المشاركين هنا أن ثلاثة من خمسة من يقيمون خارج بلادهم الجزائريين يعيشون في فرنسا، بل إن منهم من يملك جنسية مزدوجة.

أما بقية المبحوثين الثلاثة فقد صرّح اثنان منهم بأنهم يتواصلون بصفة أكبر مع الأمريكيين، وواحد مع الألمانين، ولكل أساسه في الاختيار، فمثلا أستاذة الإنجليزية كان أساسها لغوي بالدرجة الأولى قائلة: "وددت أن أتقن اللغة الإنجليزية بشكل أفضل، فاخترت أصدقاء يساعدوني في ذلك، فالممارسة خير سبيل للتعلم"، أما الصحفي فكان له توجه آخر أين صرح قائلاً: "تخصصي علاقات دولية وأحتاج إلى التواصل مع الصحفيين الأجانب من كل بقاع الأرض، وبالتالي فاللغة الإنجليزية هي التي توفر لي هذه الإمكانية، والأمريكيين هم من يقدمون لنا مساحة أوسع في الانفتاح والتسامح"، ويمكن أن نشير هنا إلى النشأة الثقافية التي يتمتع بها الأمريكي، فمثلا يفصل بين الدين والدولة، بين أوقات العمل والراحة، بين الصداقة وما يتطلبه العمل منه، ينهي عمله بنهاية دوامه ولا يخلط الأوراق، يكون في غايه الجد أثناء أيام الأسبوع، وفي غاية الانبساط والبعد عن الدراسة في أيام نهاية الأسبوع، في حين أن العربي يؤخر الكثير من أعماله لينهيها نهاية الأسبوع، وبعضهم يعملها في وقت إجازته الرسمية.¹ من هنا يكون التفاضل بين الأشخاص الذين نتواصل معهم، بين أشخاص يأخذون بأيدينا إلى النجاح والنشاط، وآخرين إلى الفشل والخمول.

اختلفت الأسس التي جعلت المشاركين يختارون جنسية دون أخرى، وهو ما تختلف على إثره الفوائد التي سيجنيها كل مشارك من عينة المقابلة نتيجة ذلك التواصل، وتتنوع حسب مجالات متعددة، والتي يعتبر المجال الثقافي من أهمها في هذه العلاقة، وخاصة على مستوى الذات، فما

¹ - عبد اللطيف بن ديبان العوفي، المهارات الأساسية في الاتصال والتواصل، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود،

المملكة العربية السعودية، 2011، ص 305.

الفائدة التي ستجنيها عينة المقابلة على مستوى ذاتها الثقافية؟، وهل يمكن لهذا التواصل أن يساعدهم ويدفعهم للتعرف على ذاتهم وإعادة قراءتها في ضوء مخرجات ذلك التواصل؟.

➤ التواصل مع الآخر الغربي طريق للتعرف على الذات العربية الإسلامية وكشف مواطن القوة والضعف:

تؤكد نظرية التفاعلية الرمزية ومختلف المتخصصون في البحث في الذات أنها تبدو أكثر وضوحا لدى الشخص بعينه إذا ما تلاقى مع الآخرين،¹ وهو بدوره ما أكدته كل المشاركين أيضا، حيث ذكروا أنهم تعرفوا على ذاتهم أكثر من خلال ذلك الاتصال الذي كان مع الآخر الغربي، حيث ساعدهم ذلك في ظهور قيم ومبادئ يمتلكونها ولكنهم لم ينتبهوا إليها إلا بفضل اتصالهم به، كالجدال مع الآخر بالحسنى أو الانفتاح عليه أو اكتشاف بعض الحقائق التاريخية عن نفسه، والتي دفعه التواصل مع الآخر إلى البحث فيها...، وكل ذلك ساهم في جعل الذات العربية الإسلامية لديهم تتعرف على نفسها.

من ذلك مثلا قول المهندس: "كنت أعتقد أنني لن أتمكن من التواصل مع الفرنسيين، ولكني بعد التجربة الافتراضية معهم استطعت أن أكتشف أن لدي تسامح كبير وصبر على تصرفات الآخر"، وفي ذات السياق صرحت الدكتورة في الإعلام والاتصال قائلة: "كان لدي يقين بأن ديننا وضع في طريقنا كل القيم المسهلة لعملية التواصل، ولكني تأكدت عمليا عند ممارسة التواصل الفعلي معهم، وظهرت في تصرفاتي قيم لم أنتبه لها من قبل، فالحمد لله على نعمة الإسلام".

إن هذه التصريحات وغيرها تثبت لنا أن الاتصال في المجال العام عموما كثيرا ما يخلق الحاجة إلى تحقيق الذات وتوكيدها، إذ كيف يمكن لنا أن نحقق ذاتنا وأن نشعر بقيمة إنجازاتنا في العزلة؟، فالتقدير الذاتي الذي نحس به حين نقوم بأدوارنا المنوطة بنا في المجتمع، والمكانة العالية التي نطمح في الوصول إليها، لن يكون لهما معنى إلا بالانخراط في الجماعة الإنسانية، أي بالاتصال بالآخرين.

¹ - جميل حمداوي، مرجع سابق، ص ص 43، 44.

فالجماعة بمثابة مختبر نكتشف فيه ذواتنا، كما يكتشف عالما الكيمياء والفيزياء كثيرا من خصائص المواد في مختبرهما.¹

صرحت طالبة الدكتوراه أن أكثر جانب تعرفت عليه من خلال ذلك التواصل هو دينها الإسلامي، معبرة عن ذلك بقولها: "التواصل في الشبكات الاجتماعية يمنحنا ثقة أكبر في أنفسنا نحن المسلمين، يبين لنا أن الإسلام جاء لنا دائما بالأفضل"، وهذا إقرار منها من خلال المقارنة أنها اكتشفت عظمة دينها أكثر، بل إن ذلك الاختلاف كثيرا ما يكون دافعا لمزيد من البحث والتقصي في هذا الجانب تحسبا لأي نقاش أو لشبهات قد يثيرها الآخر نحوه، وهو ما أكدته قول أستاذة التعليم العالي: "الحمد لله أعرف الكثير عن الإسلام، ولكني أحيانا وفي مواقف معينة مع الفرنسي أجد نفسي مضطرة للبحث في بعض القضايا التي لا أملك عنها الكثير لأجيبه بها، خاصة في أسئلته الاستفزازية".

من هنا يمكن القول أن عامل المقارنة بين الثقافة العربية الإسلامية وبين ثقافة الآخر الغربي - كما صرح المشاركون- أثناء تواصلهم جعلهم يكتشفون خصائص مميزة تزخر بها ثقافتهم لم يكونوا ليتنبهوا لها لولا هذا التواصل، وهو ما يجعلهم أكثر فخرا وعزّا بثقافتهم، خاصة على مستوى دينهم وقيمهم المستمدة منه، ولولا تلك الممارسة الاتصالية لبقى الكثير من تلك القيم مخفيا في دائرة النظري المجرد.

إن المقارنة هنا تحلينا للانتباه إلى أوجه الاختلاف والتشابه في العلاقة الاتصالية بين المشاركين والآخر الغربي، وقدرتها على الإمداد بالمعرفة حول الأنا والآخر معا، ومنه استكشاف الذات بصورة أوضح.

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 29.

أشار هنا الصحفي وهو الذي يركز دائما على زاوية التاريخ في الثقافة العربية الإسلامية، إلى أن هناك عدة مواقف مع الآخر دفعته للبحث في هذا الجانب، مما ساعده في اكتشاف كثير من الحقائق كان يجهلها سابقا، حيث قال في ذلك: "مهنة الإعلام والصحافة تستدعي اطلاعا واسعا في عدة مجالات، والتاريخ يبقى من تلك المجالات المهمة التي لا يمكن تجاوزها، وبفضله استطعت أن أعرف الكثير والكثير عن تاريخي ومازلت أبحث". أي أن التاريخ كعنصر هام من عناصر الثقافة لا يمكن تجاهل البحث فيه، أين يظهر لنا هنا كيف أن التواصل مع الآخر ساهم في توسيع المدارك حوله، خاصة في سياق بعض المواقف التي لا تعالج إلا على ضوءه كما قال الصحفي.

من هنا فالعلاقة التواصلية التي يقيمها المشاركون مع الآخر الغربي أعطتهم فرصة كبيرة في إعادة الوعي بالذات الثقافية والتعرف عليها أكثر، إذ أن بعض المواضيع تعمل على استثارة وتحفيز هذا الوعي والروح الاستكشافية اتجاهه، فهل هناك في المقابل وعي بضرورة تعريف هذا الآخر الغربي بعناصر الثقافة العربية الإسلامية وخصائصها كجزء لا يتجزأ من الذات؟، وهل هناك مبادرات فعلية من طرف المشاركين في المقابلة؟.

➤ التعريف بالدين الإسلام للآخر الغربي كأهم عناصر الذات الثقافية العربية الإسلامية:

إن الاتصال مع الثقافة الغربية يسمح بالكثير من التبادلات المعلوماتية في كافة المجالات تحقيقا لمبدأ التعاون والتعارف وإشباعا لرغبات واحتياجات كلا الطرفين. ومن بين أهم تلك المعلومات التي يسمح هذا النوع من الاتصالات بتبادلها هو التعريف بالثقافة للطرف الثاني.

صرّح المشاركون بالأغلبية (7 من 9) بأن أهم ما عرفوا به للآخر هو دينهم الإسلامي، باعتباره - من وجهة نظرهم - العنصر المحوري في ثقافتهم العربية، ومن أمثلة أقوالهم ما جاء على لسان طبيب الجلد: "مادام الله وضعني بينهم وسهل لي الاحتكاك بهم فأنا أسعى دائما أن أجد مدخلا مناسباً لتعريفهم بالإسلام، سواء الذين أشتغل معهم، أو الذين أتواصل معهم بالفيس بوك"، أما أستاذة الإنجليزية فقالت: "لم يكن هدفي الأول تعريفهم بالإسلام، ولكن أحيانا تأتيني فرصة لأتحدث

عنه". وأشار المهندس في هذا الموضوع قائلًا: "أنا أحاول دائما أن أعرفهم بالإسلام وقيمه بطريقة غير مباشرة، لأنني أعتقد أنها الأفضل في التأثير".

كانت بقية الآراء أيضا في ذات سياق التعبير، مما يدل وعيهم الكبير بأهمية التعريف بدينهم كجزء هام من ثقافتهم، ورغم أن ذلك لم يكن الهدف الأول من التواصل، وطبيعة المواقف هي التي فرضه في بعض الحالات، إلا أنهم -كما صرحوا- عملوا على التنوع في الأفكار باستخدام الأساليب المناسبة للتعريف به، سواء ضمنا أو بطريقة مباشرة، مما يساعد على توضيح صورته الحقيقية للآخر الغربي.

عمد بعضهم على الاستشهاد بالشواهد التاريخية، كونها الشاهد الأول الذي لا يمكن إنكاره، وهو من الأدلة العقلية الأكثر إقناعا للفرد خاصة إذا ما علمنا أن حدث اليوم ما هو إلا إفراز من الماضي وتنبؤ للمستقبل. وللتاريخ في الثقافة العربية الإسلامية مكانة خاصة، فهو الصورة الواقعية التي صوّرت تطور الحضارة الإسلامية علميا وثقافيا وأخلاقيا، وقدمت النماذج المثالية عن سماحة الإسلام والمسلمين وانفتاحهم وتعاملهم السلمي مع الآخر، ليكون بذلك أم القصص ومنبع العبر.

أما البقية فاعتمدوا في تأكيد آرائهم حول الإسلام والدفاع عنها على الحقائق العلمية وأقوال العلماء خاصة علماء الغرب وأقوالهم الموضوعية عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الإعجاز العلمي الذي ثبت في القرآن منذ قرون وأكدته العلم اليوم، وهذه الفئة هي فئة الأساتذة الجامعيين الذين يعتبرون العلم الوسيلة الأولى لمواجهة الآخر وإقناعه، فبسبب الضعف العلمي في المجتمعات العربية الإسلامية تراجعت مكانتهم وهيتهم السابقة لدى الآخر، ولا سبيل لاسترجاع تلك المكانة وفرض الاحترام من طرف الآخر إلا بالنهوض بالعلم والعلوم في الوطن العربي الإسلامي.

بالنسبة للطبيبان والمهندس فقد اعتمدوا على أسلوب آخر في التعريف بثقافتهم الإسلامية وهو أسلوب القدوة الذي ينوب عن ألف كلمة، وذلك بالمعاملة الحسنة للآخر والالتزام بسنة النبي صلى

الله عليه وسلم في الاتصال بالآخرين من حيث الابتسامة والتحيّة واللين والاحترام ...، وهذا هو أسمى أساليب التعريف بالثقافة عادة وأكثرها تأثيراً على الطرف الثاني، أين يشهد الواقع أن الكثير من الغربيين قد تغيرت صورتهم واتجاهاتهم عن الإسلام ليس بسبب الكلمة، وإنما بسبب القدوة الحسنة، وتمثّل تعاليم الإسلام لدى الشخص.*

أما العاملة بدار المسنين فلجأت إلى التعريف بالإسلام عن طريق التمثيل والاستشهاد بحقائق الواقع الذي يعيشه كلا الطرفين، أو بالاعتماد على إحصاءات رقمية تثبت حقائق انتشار الإسلام في الغرب، مما يعني قدرته على توفير الحياة التي لم يستطيعوا إيجادها في الأديان الأخرى.

أقرّ المشاركون الآخرون بتعريفهم بخصائصهم الثقافية الأخرى، منهم العاملة بدار المسنين التي ذكرت قائلة: "أجد فرصة كبيرة في التعريف بالعادات والتقاليد الجزائرية في عملي، وأعمل على نقلها حتى بالفيس بوك عندما أتواصل معهم، أنا أعتبرها جد ضرورية بالنسبة لي هنا، وتتركي دائما مرتبطة ببلدي الذي أحبه كثيراً"، وهنا يتضح لنا أن العادات والتقاليد بالنسبة لها أكثر من مجرد تراث توارثته وتريد الحفاظ عليه، إنما هو همزة وصل بينها وبين بلدها، فالمهاجر في أغلبه شديد الحنين لبلده، وكثيراً ما يبحث عما يذكره به، ولكن وعي هذه المرأة جعلها تتجاوز ذلك التمسك وذلك الحنين إلى هدف أسمى وهو التعريف بذاتها واقعيًا - كما صرحت - سواء على المستوى الواقعي أو الافتراضي.

أما الصحفي وكعادته في الحديث عن الموضوع فهو يركز دائماً على الجانب التاريخي في عرض مختلف آرائه، وما ذلك إلا لما رأى منه من فائدة كبيرة في هذا التواصل، وقد قال في سياق الحديث

*- لعل من أشهر تلك الأمثلة وأحدثها حالياً الصورة الذهنية الحسنة التي لافاها تصرف الإمام "وليد مهساس" مع القطة وهو يصلي، حين عاملها بلطف ولم ينهرها وهي فوق كتفيه حتى نزلت ثم رجع متمماً صلاته، وقد انتشر هذا الفيديو عالمياً، وأهالت التعليقات الإيجابية على هذا السلوك بصفة خاصة، وعلى الإسلام وسماحته بصفة عامة، حتى من طرف الكثير من الغربيين، حيث قال أحدهم: «... That was adorable. Their hernanjm7va .prayers sound peaceful, too»، وقال آخر: « I have no idea what he is saying but it's beautiful»، أما آخر فقال: « Christian but I admire Islam so _much »

عن تعريفه بثقافته: "أعرف أن أهم شيء هو أن نعرف بديننا، ولكنني أظن أن التاريخ الإسلامي أو الوطني هو الطريق الأول لذلك، أنا شخصيا لا يخلو تواصلني من الإشارة للتاريخ"، ونحن نؤيده هذا الرأي، ونرى أن المجتمعات العربية بصفة عامة تهمش تاريخها في الكثير من النقاشات التي يجب أن يكون هو على رأسها بل وفاقحتها، وهذا التهميش ربما جهلا ربما تقصيرا وربما خوفا من مواجهة الطرف الآخر به. فالسياق التاريخي له دور خاص في توجيه العملية الاتصالية، وفي توسيع آفاق الفكر حول مختلف القضايا.

تحدثت أستاذة التعليم العالي إضافة إلى تعريفها بدينها تعريفها أيضا بالأدب العربي وقفا للتخصص الذي تنتمي إليه، وقد عبرت عن ذلك بقولها: "كثيرا ما نتحدث عن أهمية اللغة العربية وجمالها التركيبي ولكن لا نستطيع أن نعرف بها للآخر، لأن مكانتها في الفترة الحالية لا تسمح لنا بذلك، لذا أردت أن أستغل معارفي في هذا المجال وأن أعرف ليس باللغة العربية، وإنما بالأدب العربي الذي مازالت مكانته نوعا ما محفوظة عند الفرنسي، وأنا أجد منهم تقبلا كبيرا في المعلومات التي أقدمها في هذا المجال". وفي قولها هنا إشارة هامة إلى أن الثقافة العربية الإسلامية لا تقتصر فقط على ما ذكرناه سابقا، بل هناك عناصر أخرى لها مكانتها التعبيرية الخاصة والتي من بينها الأدب الذي يعتبر أحد الأبعاد الأنثروبولوجية التي لا تقل أهمية عن الأبعاد الأخرى للثقافة، ويجب الاهتمام بها مثلها مثل الفن والفكر، والعمل على التعريف بها للآخر الغربي.

مما لا شك أن هذا التواصل مع الآخر يلاقي الكثير من المعوقات التي تحول دون تعريف عينة الدراسة بثقافتها للآخر الغربي، أو التعرف على ذاتها الثقافية من خلاله، أو تعرقل أهدافا أخرى يريد تحقيقها عبر ذلك التواصل، مما يؤثر على فعاليته ونجاعته، فما هي تلك الصعوبات التي تعترض المشاركين في اتصالمهم بالآخر الغربي في الفضاء الافتراضي على مستوى ثقافتهم العربية الإسلامية؟.

➤ إشكالات الثقافة العربية الإسلامية المتعددة على المستوى الممارساتي في التواصل مع

الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

لا يمكن أن يكون هناك اتصال بين طرفين مهما كان نوعه، دون أن تعترضه معوقات تحدّ من فعاليته، فكذلك هو الأمر بالنسبة لعينة المقابلة التي ولا بد ستجد منها الكثير خاصة في ظل الاختلاف الثقافي الكبير بينها وبين هذا الآخر الغربي، وفي ظل تذبذب هذه العلاقة بين الثقافتين عبر التاريخ، وهذه العوائق هناك الداخلية منها وهي النابعة من ذاتها، أو الخارجية منها والتي تخضع لمتغيرات العصر وسياقاته المختلفة.

ذكر المشاركون عوائق متعددة حاولنا تنظيمها في فئات جزئية تسهّلا لعرضها وفهمها كالآتي:

(أ) - العوائق الداخلية: وقد انقسمت بدورها إلى ما يلي:

• ضعف الوعي بالذات:

صرّح كل من المهندس وطالبة الدكتوراه أن هذا التواصل لم يكشف لهما ضعفا على مستوى ثقافتهم العربية الإسلامية، وإنما كشف لهما ضعفهما في معرفتهم بذاتهم الثقافية، إذ تبين لهما من خلال الاتصال مع الآخر الغربي في الفضاء الافتراضي ومقارنة نفسيهما به، أن هذا الأخير يتبع منهجا معرفيا واسعا وعميقا للإحاطة بثقافته بكل عناصرها، عكس الكم المعرفي الهزيل الذي يملكه هما نحو ثقافتهم، وفي ذلك يصرح مثلا المهندس: "لم أكن أعلم أي جاهل بهذا القدر بثقافتني إلا بعد أن تواصلت معه ومن خلال النقاش كل مرة أتنبه أنه علي إعادة تثقيف نفسي، وإلا سيشعري بأني من العرب الجاهلين الذين كثيرا ما يتحدثون عنهم بسوء"، وهنا دعوة ضمنية لأن يعرف الشخص نفسه قبل أن يعرف غيره، بل كيف للذي يجهل عن نفسه الكثير أن يعرف بها للآخرين؟، خاصة في ظل الاهتمام الكبير من الطرف الثاني في معرفة أي شيء عن كل شيء.

كما أن هذه المعرفة لا يجب أن تكون عابرة سطحية، بل يجب أن تكون واعية متبصرة يتبعها نقد بناء يسعى لسد الثغرات فيها، فالاعتزاز والافتخار بالثقافة لا يعني خلّوها من النقائص، وإنما يعني أنّها تملك مقومات إيجابية قابلة للمراجعة إن استدعى الأمر ذلك.

هنا يجب اعتماد النقد والنقد الذاتي بالنسبة إلى المنتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية، الذين ترشّحهم الأوضاع والتوجهات الحالية في العالم المعاصر ليكونوا الطرف الرئيس المعني بقضية الحوار. يحسن بنا لفت النظر في البداية إلى أننا نعتبر ممارسة النقد والنقد الذاتي في مجال الحوار بين الثقافات شرطاً أخلاقياً واجباً، والإيفاء به كاملاً يستوجب في رأينا القيام بالعمليتين معاً، فالإكتفاء بالنقد وحده قد يقود في نهاية المطاف إلى تحميل الطرف الآخر مسؤولية تردي العلاقات وتفاقم المشكلات القائمة واستعصاء حلّها، وبالتالي إلى السقوط في شبك ما درج على أسميه عقدة المؤامرة. كما أن الاقتصار على النقد الذاتي وحده قد يفضي بدوره إلى مازوشية فكرية إن صح هذا التعبير، يكون من أعراضها تضخيم الشعور بالذنب، والالتذاد بتأنيب الذات والتقبّل السلبي لجميع ما يصدره الآخرون من أحكام ويكيلون من اتهامات.¹

مما قد يعيق الاتصال هنا كما ذكرت دكتورة الإعلام والاتصال الإحساس بالنقص أحياناً عند التواصل مع هذا الآخر، حيث جاء على لسانها: "أحياناً ينتابني شعور الإحساس بالنقص اتجاهه، لأنك تراه يعرف كل شيء ويفهم في كل شيء، وأنا ثقافتني التي تمثل هويتي لا أعرف عنها الكثير".

أي أن التهديد الثقافي لا يأتي فقط من الخارج، بل يمكن أن تسببه الصعوبات الذاتية في معالجة تقاليد جديدة، وهكذا يصبح تهديداً من الداخل. فأن يقى الإنسان نفسه هذا النوع من التحديات، أصعب بكثير من أن يقى نفسه من التهديدات الخارجية الملموسة.²

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 111.

² - الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 551.

• تراجع التحلي بقيم الاتصال:

لاحظ بعض المشاركين أن هناك خلافا كبيرا في التحلي بقيم الاتصال في الفضاء الافتراضي، وهو -حسب رأينا- ما يحتمل هذه الثقافة وهذا الدين الكثير من الاتهامات، حيث أدى ضعف تفعيلها في المجتمع واقعيًا، إلى انعكاس ذلك على تمثّلها افتراضيا، وهنا مثلا عبّر المهندس عن رأيه قائلا: "لطالما كنت واثقا من قيمنا الدينية التي تساعدنا وتوجهنا في الاتصال بالفرنسيين، ولكنني صدمت عندما رأيت أننا كعرب وكجزائريين في شبكات التواصل الاجتماعي لا تظهر فينا تلك القيم". وهنا يظهر هذا الرأي عجز المسلمين عن تفعيل قيمهم المستمدة من دينهم واستثمارها فيما يساعد في خدمة المجتمع، وبالتالي غياب فاعلية وضبط السياق الديني الإسلامي لهذه العلاقة.

يمكن القول أن غياب القيم في المجتمع العربي الإسلامي هو غياب على مستوى العملي، ومعاناتها هي نتيجة ممارسات فردية، لأن الإسلام يتضمن الكثير من الأدلة الشرعية من القرآن والسنة تدعو إلى تبني قيم خاصة في التواصل مع الآخر الغربي، إلا أن العرب المسلمين كثيرا ما لم يلتزموا بها في مقابل التزام الغرب بها مما جعلها تنسب إليهم، وتزيدهم قوة وتطورا وتقدما.

خصّ طبيب الجلد بالحديث قيمة هامة واعتبر غيابها في العلاقة التواصلية مع الآخر أهم عائق، وهي قيمة التسامح والتعايش مع الآخرين، وفي ذلك يقول: "يبدو لي من خلال تجربتي في التواصل في الشبكات الاجتماعية أن المسلمين أيضا يعلقون أحيانا عن آرائهم بتعصب كبير لإسلامهم، ويشتمون الآخرين الذين يخالفونهم في الرأي وهذا مخالف للإسلام". لهذا يجب التحلي بهذه القيمة، إذ يتطلب التعايش تذليل الخلافات التي تظهر بين الأفراد وداخل الجماعة أو فيما بين الجماعات، حتى لا تتسبب في تصدع العلاقات الاجتماعية وتفكك الجماعة ونشوء صراعات ممتدة إلى جماعات أخرى¹.

¹ - دحمان خلاص، أهمية الاتصال الشخصي والتعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري، المجلة الجزائرية للاتصال، ع 25،

جامعة الجزائر 3، 2016، ص ص 179، 180.

من هنا يمكن القول أنه حتى يتمكن الفرد من العيش في مجتمعه بحالة من الانسجام عليه أن يتبنى القيم السائدة فيه، ويشارك في معظم قيم جماعته، ثم عن طريق هذه المشاركة التي تسمح له بالاتصال معه، يمكنه أن يبشر بقيم خاصة به، يمكن أن تكون قيم جديدة غير تقليدية لها دورها في عمليات التغيير الاجتماعي، تلك العمليات التي تحتاج إلى هؤلاء الأفراد الذين يسعون إلى تغيير القيم التي لم تعد تتلاءم والمرحلة التي يشهدها أو ينشدها المجتمع، وهذا التغيير الذي يحدث في نظام القيم قد يتم بتغيير أهمية القيم فيه أو باستعادة بعضها أو تبني قيم لم تكن شائعة من قبل.¹ بشرط أن يكون هذا التغيير الذي له فاعليته ومكانته تحت مسؤولية المؤسسات المجتمعية وإشرافها، يترجمه وعي وسلامة فكر الجهات المعنية، وليس على أساس اجتهادات شخصية تخضع للذاتية والأهواء أكثر من المنطق والعقل.

في المقابل فإن التقيد القيمي للمجتمع وجعله متجاهلا للحاضر والمستقبل يجعل الأبواب مغلقة على الذات الاجتماعية فلا تعترف إلا بالأصول الثابتة، وبذلك يفقد أفراد المجتمع التفاعل الضروري مع الثقافات العالمية الأخرى، هذا التفاعل الذي يعد مصدرا أساسيا من مصادر تطوير الثقافة القومية وتقدمها، فرفض ثقافة ما من الاستفادة من منجزات وقيم الأمم الأخرى، وتوقعها حول ذاتها يعني سعيها لتدمير نفسها، وإن كان هذا غير ممكن في وقتنا الراهن في ظل الثورة العلمية والتكنولوجية والتقدم الهائل في وسائل الاتصال جراء اجتياح العولمة للعالم بأكمله، مما يحتم عليها أن تقدم اسهاماتها الخاصة في التراث الثقافي للبشرية، وتأخذ ما تحتاجه منها.² وهذا الأخذ يجب أن يرتبط بشروط ومحددات تضمن سلامته وفاعليته في المجتمع.

من هنا يجب تمثّل القيم القديمة بشكل نقدي خلاق واكتساب القيم العصرية الراهنة، وإجراء عملية التقارب بينها بشكل إبداعي وحضاري وشمولي، مما يساهم في بناء حضارة إنسانية تجمع

¹ عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص ص 373، 374.

² المرجع نفسه، ص ص 414، 415.

ثقافات العصر الراهن وتستوعبها بكل متغيراتها، استيعابا نقديا يساهم في خلق مناخ عالمي مبني على الإبداع والتفاهم والتبادل.¹

• تزعزع مكانة اللغة العربية في الفضاء الافتراضي:

وضّح بعض المشاركين -3منهم- في هذا الجانب أن هناك مشكلا عويصا لا يمكن حله بسهولة أو على مستواهم، وهو مشكل اللغة العربية التي لا تزال تعاني الضعف والترهل في تحقيق تواصل مع الثقافات الأخرى، فالفرد العربي المسلم الذي يتواصل مع الثقافات الأخرى انطلاقا من مبادئ دينه وقيمه واعتزازا بتاريخه وعاداته وتقاليده لا يمكن أن يستعمل اللغة العربية في توصيل أفكاره ومعلوماته ورسائله للطرف الثاني، لأن هذه اللغة لم تستطع لحد اليوم أن تحقق لها مكانة في القاموس التواصلية الافتراضي، أو أن تفرض وجودها بين مختلف اللغات، حيث انعكس ضعف أمتها في المجالات الأخرى علي بسط سيطرتها كما كانت سابقا.

رغم التاريخ العريق الذي حظيت به اللغة العربية ودورها الحضاري أين استطاعت أن تستوعب الثقافات والعلوم حين تجاوب أبنائها مع معطيات الزمن ومتطلباته ومتغيراته، جاء على على هذه الأمة زمن تراجعت فيه صورتها، وتدنى مستوى ثقافتها ومخزونها المعرفي، فتوقفت لغتها عن النمو والتطور وغزتها اللغات الأجنبية.²

اختصرت الحديث في ذلك أستاذة التعليم العالي المتخصصة في الأدب، وهي أهل لذلك، حين قالت: "أظن أن الحديث عن اللغة العربية مسألة أعمق من أن نعالجها على مستوانا كأفراد، لأن لها تداعيات كبرى جعلتنا نكون في ذيل قائمة الثقافات، وضعفها في الحقيقة لا يعود لخلل بنيوي أو ضعف تعبيرية، وإنما يعود إلى سياق سياسي واجتماعي عجز عن دمجها في هذا الفضاء الافتراضي"، أي أن الأمة العربية ومع تراجع دورها الحضاري تراجعت أيضا فاعلية لغتها، فلم

¹- عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص400.

²- علي عبد الناصر بوعلي، مرجع سابق، ص37.

تستطع دمجها في عالم العلم والمعلوماتية والتقدم، لتكون بذلك قد حرمتها أيضا أن تكون لغة للتواصل والتحاور مع الثقافات الأخرى، وبالتالي أخرجتها تماما من دائرة التقدم معرفيا وتواصليا.

تعاني المجتمعات العربية اليوم فجوة لغوية، مردّها إلى أن اللغة العربية تواجه -إزاء النقلة النوعية الحادة لمجتمع المعرفة -تحديا مزدوجا، فهي تواجه معظم التحديات اللسانية والسوسيولسانية التي تواجهها لغات العالم الأخرى. وفي الوقت ذاته تعاني أزمة حادة على مستوى التنظير والبحث المعجمي والتعليم والوظيفية والرقمنة، وقد أظهرت الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي سواء على صعيد البحث أو البث مدى حدة هذه الأزمة، التي تفرض القيام بالإصلاح اللغوي المطلوب بأقصى سرعة ممكنة، حتى لا تتسع أكثر الفجوة اللغوية التي تفصل بين العربية ولغات العالم المتقدم، خصوصا الإنجليزية التي أصبحت تهيمن على الخريطة الجيولسانية العالمية، مما زاد من القلق على اللغة العربية من خطر الاستقطاب اللغوي، حيث تستخدم قوى الجذب اللغوي لاستقطاب لغات شعوب العالم الثالث نحو قطب لغوي وحيد يعمل على تهميش اللغات والثقافات المحلية، وهو ما يفضي إلى تآكل التنوع والتعدد اللغوي لصالح لغة أجنبية واحدة مهيمنة تمهيدا لنوع من الاستئصال الثقافي والهوياتي.¹

خلاصة القول أنّ وجود لغة عربية متطورة يمكن أن يشكل جسرا للتواصل وتوحيد المفاهيم بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، كما يمكن أن يكون جسرا لنقل التكنولوجيا والثقافة المعلوماتية وتوطينها في التربة العربية، فهناك قاعدة تقول أن كل من يقوم بتسويق لغته بفعالية أكبر لن يواجه صعوبة في تسويق منتجاته وثقافته. أما إذا بقيت اللغة العربية عاجزة عن التطور عاجزة عن الانخراط في منظومة تكنولوجيا المعلومات والتواصل، فإنها ستكون هي ذاتها عائقا أمام اللحاق بركب المعرفة الإنسانية، وأمام تنمية الحوار الثقافي والحضاري العالمي، وحاجزا اجتماعيا للتواصل بين الأفراد والجماعات.²

1- حسن مالك، مرجع سابق، ص 31.

2- المرجع نفسه، ص 34.

(ب) - العوامل الخارجية: وتتمركز حسب ما أشار إليه المشاركون في النقاط الآتية:

● إظهار الانتماء السياسي في التواصل: أكد جميع المشاركين في المقابلة على أن الانتماء السياسي وعرضه أثناء التواصل مع الآخر والمناقشة فيه يسبب شرخا كبيرا للعلاقات التواصلية بينها وبين الآخر الغربي، وهو ما لاحظوه - وما لاحظناه - من خلال التعليقات على مختلف شبكات التواصل الاجتماعي التي تخوض في هذا المجال، لذا فإنهم يراعون في تواصلهم مع الآخر الغربي عدم إظهاره أو الخوض فيه قدر الإمكان، وقد لخصت لنا طالبة الدكتوراه الحديث عن هذا السياق بقولها: "يمكن أن يكون عامل إقصاء". كما وقد عبّر الصحفي عن وجهة نظره في هذه النقطة مشيرا إلى ما يعترضه من صعوبات في ذلك قائلا: "طبيعة عملي تجعلني في الغالب أتناقش في هذا الموضوع معهم، لكن للأسف إذا لم اتفق معهم يكون النقاش في النهاية عقيما، وكل واحد يصرّ على رأيه"، وعليه فالحوار مع الآخر في حضور السياق السياسي وتوجيهه لن يساعد في نجاح العلاقة أو تطورها، بقدر ما يخلق التعصب في الآراء والهمجية في الطرح والاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة.

● استحضار العلاقات التاريخية بين الثقافتين: من الصعب التواصل مع الآخر الغربي وخاصة منه الفرنسي دون خلفية تاريخية جزائرية تؤطر ذلك التواصل، وهو ذات الأمر الذي أكدّه بعض المشاركين هنا (3منهم) إذ لم يستطيعوا تجاهل أو إلغاء هذا البعد الذي على قدر ما جمع بينهما لغويا، يمكن أن يفرق بينهما فكريا، وقد أشارت الدكتورة في الإعلام والاتصال بأنها تحاول قدر الإمكان تجنبها فصرت قائلة: "أنا أتواصل مع الفرنسي بهدف علمي وإذا ما أدخلت التاريخ في ذلك أو أخذته في الاعتبار لن أستطيع تحقيق هدي وستفسد العلاقة" وهو ذات الأمر الذي ذهب إليه طبيب الأطفال الذي يعيش بألمانيا قائلا: "لدي مدة طويلة وأنا أتواصل مع أصدقاء فرنسيين عبر الفاييس بوك، وأعمل دائما على عدم ذكر التاريخ الأسود بيننا وبين فرنسا حتى لا أحدث الحساسيات معهم وهو ما لا أرغب فيه، كما أنني أرى بأنه لا ذنب لهم فلماذا أحملهم مسؤولية أجدادهم"، إن هذا القول يدل على حكمة هذه الطبيب رغم صغر سنّه الذي لم يتجاوز الثلاثين

سنة¹، فنحن ندعمه الرأي هنا أن لا نحمل جيل اليوم أخطاء أسلافهم، خاصة مع ما نلاحظه من انفتاح كبير لشباب اليوم² على جميع الثقافات متجاوزين كل العراقيل التي صنعها أجدادهم. وعلى خلاف رأينا كان للعامة بدار المسنين توجه آخر عبرت عنه بقولها: " أعرف حساسية التاريخ بين البلدين، وحاولت أن أتجاوزه في تواصلتي معه ولكني لم أستطع، ويزداد هذا الشعور عندما أشاهد أفلام الثورة الجزائرية".

من الصعب فعلا - كما ذكرت هذه المشاركة- التجرد من الخلفية التاريخية في التواصل مع الفرنسي خاصة، ولكن من مقتضيات التقارب بين الثقافتين - كما أشار طبيب الأطفال- أن لا نحمل هذا الجيل المسؤولية عما حدث سابقا، ولكن هذا لا يعني أن يلغوا تاريخ الثورة الجزائرية أو أن يتجاهلوه وكأن شيئا لم يكن، وإنما تقتضي الحكمة هنا استحضاره حسب طبيعة المواقف والمواضيع المطروحة للنقاش بين الطرفين، والتي يفضل تجنبها قدر الإمكان لأن إعادة الخوض فيها لن يلغي واقعها، أو يحل مشاكلها، بقدر ما سيضيف مشاكل أخرى كلا الطرفين في غنى عنها.

● تجاهل القواسم المشتركة وتعزيز نقاط الاختلاف: مهما بلغت الثقافتين العربية الإسلامية والغربية وخاصة الفرنسية من تباين واختلافات على مستويات عدة، لا بد وأن هناك نقاطا مشتركة تجمعهما، وهذه النقاط التشاركية سواء خلفتها العلاقات التاريخية أو خصائص الثقافة الأنثروبولوجية تعدّ عاملا هاما في التقريب بين الثقافتين، وقد صرّح أغلب المشاركون (7 من 9 أشخاص)* بأنهم يسعون إلى البحث في نقاط التشابه بين الثقافتين، سعيا منهم للحفاظ على هذه العلاقات ومن ذلك قول الصحفي: "المقارنة مفيدة جدا لاستكشاف خصائص الأشياء وكذلك الأمر بالنسبة للثقافات، فأنا أقارن ثقافتي كثيرا مع الأمريكي خاصة، ولكني أركز على أوجه التشابه، لأني أريد أن أقول له كما أن لي ثقافتي الخاصة فإني أتشابه معك في بعض الأشياء"، ثم أضاف فيما بعد قائلا: "أدركت أن الثقافات لها نقاط كثيرة متشابهة، وهذا يعني قدرتها على تجميعنا عكس

¹ - انظر خصائص عينة المقابلة، ص 210 .

² - وهو ما ظهر لاحقا من خلال تحليل المضمون، من انفتاح كبير للشباب مقابل الشيوخ.

* - كلهم ما عدا المهندس وأستاذة الإنجليزية.

السياسة". وفي هذا القول كثير من الحكمة، فنحن نعيش في عالم تتجاذبه الكثير من الصراعات على مستويات عدة، وهي مستويات لا سبيل لنا في ترشيدها لأنها تتعلق بقوى أكبر منا، في المقابل تعطي الثقافة الضوء الأخضر للكثير من دعاة التوافق والتقريب والحوار، وذلك نظرا لطبيعتها المرنة في تجاوز الكثير من العقبات التي تضعها السياقات الأخرى، وفي بناء أرضية مشتركة تجمع الثقافات في بوتقة الحوار والتبادل النفعي.

أما كل من أستاذة الإنجليزية والمهندس فأشارا إلى صعوبة ذلك في ظل الاختلاف الكبير بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وفي ذلك تقول الأستاذة: "أرغب كثيرا في إيجاد نقاط مشتركة بيننا، لكن كل ما يصادفني في التواصل معه هو أوجه اختلاف لا أكثر". وهنا يمكن أن أجيها بأن ذلك يحتاج لوعي معرفي كبير سواء على مستوى الذات أو على مستوى الآخر، وعادة ما تكون أوجه الاختلاف بين الثقافات أبرز في الظهور من التشابه، لأن كل واحد يسعى لتثبيت خصوصيته الثقافية في العلاقة الاتصالية بينهما.

● التفرقة بين المستويات الثقافية على أساس المكانتين الاقتصادية والاجتماعية: تعمل المكانة الاقتصادية لكلا الثقافتين على خلق فجوة كبيرة في الاتصال، ولا يمكن تجاهل ذلك في عالم يعتبر الاقتصاد من أهم مؤشرات النجاح والتقدم فيه، وبالتالي من لا يملك مكانة مرموقة فيه لا يملك صوتا في العالم الواقعي، والذي انتقلت عدواه إلى العالم الافتراضي، وأصبح الأفراد يقيم بعضهم البعض على هذا الأساس، فباتت هناك مفارقات بين عالم متقدم غربي وعالم متخلف عربي. كل هذه الحقائق أكد عليها الصحفي قائلا: "من الصعب جدا أن نقتنع الآخر أن لا ينظر إلى مكانتنا الاقتصادية، وأن يتواصل معنا بالنظر فقط لما نملكه"، وأكد هنا بدوره المهندس قائلا: "للأسف كثيرا ما أشعر بالحجل من مكانتنا الاقتصادية والتي لم يستطع الغرب تجاؤها"، نعم، كيف به أن يتجاوزها وهي المعيار الأول في تفوقه على العرب المسلمين، بل إنها الأساس الذي جعل الكفة ترجع في طرفه، ليسوق بذلك ثقافته أيضا، إذ أصبحت ثقافته الأفضل ليس لأنها الأفضل، وإنما لأنها في يد الأقوى اقتصاديا وعلميا لا أكثر.

يصرّح في المقابل بعض المشاركين بأن الأمر أقل حدة فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية دون أن يغيب تماما، فتقول مثلا أستاذة الإنجليزية: "من بين الأسئلة الأولى التي تطرح لي في التواصل مع الأجانب عموما ما هو مستواك الدراسي وما هو عملك"، ثم أضافت قائلة: "أحس أن أسلوب تواصلهم يختلف بعد معرفتهم أي أستاذة"، إن هذا الرأي مع آراء المشاركين الآخرين ينبعنا بأن المكانة الاجتماعية أيضا يمكن أن تكون عائقا في التواصل، لكنه أقل أثرا من سابقه، فهذا الآخر الذي عرف بحب العلم والمعرفة والبحث لن يتواصل مع أصحاب الثقافة العربية الإسلامية، التي يحمل عليها عادة كثيرا من الصور المشوهة ما لم يجد على الأقل الدافع العلمي الذي يدفعه لذلك، وخاصة أن هناك الكثير من العرب المسلمين قد حازوا مكانة اجتماعية مرموقة في دول الغرب، مما جعلهم يساهمون -ولو قليلا- في عدم ربط صورة العربي دائما بالضعف المعرفي والعجز عن الإبداع.

نفت في هذا السياق أستاذة التعليم العالي نفايا تاما لاعتبار الآخر للمكانة الاجتماعية، حيث صرحت بأنها لم تكن يوما عائقا في تواصلها مع هذا الآخر والذي يمثله الفرنسي بالنسبة لها، وقد قالت في هذا السياق: "نحن العرب نضع اعتبارات كثيرة للمكانة الاجتماعية وللألقاب، والتي قد لا تعكس حقيقة المستوى فعلا، والذي في وقتنا الحالي يكون أقل منها، في المقابل فإن الآخر لا يهتم أصلا بإبراز مكانته الاجتماعية رغم قيمتها وعلو قدرها، وتوافقها مع مستواه الذي قد يفوق حتى الألقاب"، إن هذا القول يفتح أعيننا على حقيقة ضرورة تجاوز الشكليات، في سبيل التركيز على المضمون والمغزى من التواصل، خاصة في ظل فضاء افتراضي تعددت فيه الهويات الافتراضية، فلم يعد بالإمكان التعرف على الحقيقي من المزيف، وبات كل واحد يصف نفسه بما يتمنى أن يكون عليه، أو بما يريد أن يوهم الناس به، وأصبح لا يعرف الذكر من الأنثى، والأستاذ من البطل، والصغير من الكبير، فبتنا نتواصل والحيطه تطبع رسائلنا والتوجس يصبغ أفكارنا.

نستنتج مما سبق عموما أن عينة الدراسة تحمل صورة إيجابية عن ذاتها وعن ثقافتها العربية الإسلامية، والتي ظهرت من خلال اعتزازها بدينها وقيمها وتاريخها...، كما تمنحها هذه الثقافة المقومات الأساسية والمتمثلة في الدين والتاريخ، والتي تمكّنها من التواصل مع مختلف الثقافات التي

كانت الثقافة الغربية الفرنسية في مقدمتها. إلا أن الممارسة الفعلية تعترضها الكثير من المعوقات على المستوى التواصلية مع الآخر، خاصة مع إقرار العينة بأنها لا تعرف الكثير عن ذاتها الثقافية، مع عجزها عن تمثل بعض القيم في التواصل من جهة، واستحضار عوامل أخرى من جهة ثانية، كل هذا من شأنه زعزعة العلاقة التواصلية بينهم وبين الآخر الغربي، ولكنه لم يحل دون استمراريتها، في مقابل سعي المشاركين هنا لتذليلها في سبيل ذلك.

2- فئة الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى المشاركين من خلال العلاقة الاتصالية بينهما عبر الشبكات الاجتماعية

إن عملية تحديد الآخر تتم بشكل آلي وعلى نحو لاشعوري، فإدراك الآخر كما يرى "ستوزل" يعني تصنيفه في فئات ثقافية دالة تحدد مركزه الاجتماعي ودوره، لكن إذا ما كانت العلاقة شخصية فذلك يعني تصنيف الآخر انطلاقاً من الصبغة السيكولوجية الكامنة في داخلنا.¹ وعليه فالتواصل بين الأشخاص يجعل كل طرف يشكل صورة ذهنية حول الطرف الآخر، كذلك هو الأمر بالنسبة للمشاركين في المقابلة ذوو الثقافة العربية الإسلامية الذين يمتلكون ولا بد صورة عن الآخر الغربي، تحددتها مجموعة مواقف وسلوكيات نتيجة التواصل بينهما. وهناك مجموعة أبعاد يمكن أن نحدد من خلالها الصورة التي يشكلها العربي عن الآخر الغربي، والتي نعرضها من خلال الفئات الآتية:

¹ - إيكس مكشلي، الهوية، تر: علي وطفة، ط1، دار الوسيم، دمشق، 1993، ص ص 53، 54.

➤ الاستعلاء القيمي واللغوي هو الطابع الغالب لنظرة الآخر لثقافته الغربية في ظل تواصله مع عينة المقابلة:

كل منا له نظرتة الخاصة لثقافته التي يستمدّها من المجتمع الذي يعيش فيه، وهو ما يجعله إما متمسكا بها أو مهتمّسا لها، إما مفتخرا بها أو منفصلا عنها، والإنسان الغربي بدوره متقلب بين هذه الحالات، مما يكسبه اتجاهات متباينة نحو ثقافته.

صرّح المشاركون بالاتفاق على أن الآخر الذي تتواصل معه يحترم قيمه كثيرا ويتمسك بها في مختلف موافقه معهم، حيث يراها مصدرا لتقدمه وتطوره، وفي ذلك يقول المهندس: "نحن نفتخر بقيمتنا لأنها نابعة من ديننا، أما هو فيفتخر بها لأنها من نقلته لعالم التطور والازدهار"، وفي هذا الرأي تأكيد على الصورة الذهنية التي يحملها الغربي عن ثقافته بصفة عامة، والتي يعتقد بأفضليتها لأنه فقط الأفضل في كل المجالات الأخرى، وهو ما جعله يشعر دائما باستعلاء ثقافته على ما سواها من الثقافات.

مما يدعم هذه النظرة الاستعلائية الفكرة التي انطلق منها فيبر في أطروحته من أن مقارنة الحضارة الغربية بغيرها من الحضارات البشرية الأخرى تبرز لديه بما لا يدع مجالا كبيرا للشك، أن الحضارة الغربية تتميز بخصائص استثنائية وفريدة في نوعها، اعتبارا لكون المسار الذي قطعه خلال مراحل تطورها الحديث لا يوجد له نظير إطلاقا. فهو يرى هذه الحضارة تنفرد بإنتاج قيم ثقافية لا توجد إلا فيها وحدها، ولا ثقافة من الثقافات غير الغربية السائدة في العالم، تحمل قيما يمكن أن تكون مبدعة للعقلانية التي كانت وراء ظهور العلم الحديث ونشأته، ونظام الاقتصاد الرأسمالي، والديمقراطية، فالثقافات غير الغربية جميعها ليست مهيأة بنيويا لإبداع عقلانية اقتصادية ورأسمالية على غرار النمط الغربي.¹

من الأطروحات الهامة التي سلكت نفس المنحى أطروحة "نهاية التاريخ" للمفكر الأميركي "فوكوياما" Francis Fukuyama، ومعروف أن كتابات هذا الأخير تنتظم بصفة عامة حول فكرة

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 57، 58.

محورية يبدو أنها تستلهم كثيرا من العالم الألماني ماكس فيبر. ففي نظره أن الثقافة الغربية بمكوناتها الرئيسية من عقلانية وليبرالية وديمقراطية ومنظومة حقوق الإنسان ليست فريدة في نوعها ولا متفوقة على سائر الثقافات البشرية الأخرى فحسب، بل إنها تعتبر كذلك غاية التاريخ البشري ونهايته.¹

إن تقدم الغرب حقيقة لا مناص منها، وامتلاكه لقيم الحضارة أيضا واقع لا يمكن تجاوزه، إلا أن الشعور الاستعلائي الذي يتمتع به الغربي، وإذا ما تمثله أثناء العلاقة الاتصالية مع المجتمع العربي، سيذهب عليه روح التسامح والانفتاح واحترام الآخرين، كقيم كثيرا ما ينادي بها في شعاراته.

من جهة أخرى يرى كل المشاركون أن هذا الآخر شديد الاعتزاز بلغته التي فرض عليهم التحدث بها معه، سواء اللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية التي تعتبر لغة العلم والمعرفة والتقدم والتكنولوجيا، مما جعله يصل لدرجة الاستعلاء في خطابه مع العينة، وفي هذا السياق تقول أستاذة الإنجليزية: "لأنه يعرف أنني أستاذة في مادة الإنجليزية دائما ما يقول لي: رأيت كم هي جميلة- أنظري إلى التناغم فيها- من حسن حظك أنك أستاذة إنجليزية وليس فرنسية"، ففي كل ما ذكرته الأستاذة هنا تدليل على ما قلناه سابقا من التفاخر والاعتزاز بلغتهم، وهو ذات الأمر أيضا عند الفرنسيين، حيث ذكرت أستاذة التعليم العالي قائلة: "رغم علمنا بتراجع اللغة الفرنسية كلغة للعلم أيضا إلا أن الفرنسي مازال متمسكا بها، حتى أنه لا يجب التحدث باللغة الإنجليزية رغم أنه يجيد الحديث بها"، أي أنه متمسك بها بالرغم من اختلاف الأدوار في هذا الزمان، واختلال موازين القوى لتحل مكان بعضها البعض، ليظل هذا الفرنسي ثابتا على قيمه ولغته.

أما عن اتجاه الآخر نحو عاداته وتقاليده فلا يملك المشاركون جميعا تصورا واضحا حوله، حيث لم يصادفهم أي موقف يظهر هذا الاتجاه. في المقابل يتفق 3 مشاركين على أن هذا الآخر يعزز بتاريخه خاصة في ثورته الفرنسية التي يرى فيها رمزا للحرية والعدالة والمساواة، إلا أنه يتجنب الخوض في تاريخه الاستعماري، تجنبنا لإحداث تشققات بين الطرفين، وفي ذلك يؤكد المهندس قائلا: "يفتخر

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 60.

الفرنسي بثورته الفرنسية إلا أنه لا يجد ما يبرر به بشاعة تاريخه الاستعماري خاصة في شمال إفريقيا، ويضيف الصحفي عن ذلك قائلاً: "ليس لدي أصدقاء فرنسيين كثير، ولكنني أعتقد أنهم يملكون معرفة تاريخية مضللة عن استعمارهم لكثير من الدول العربية"، أي أنه على قدر ما يبدي فخره بثورته الفرنسية يحاول أن يداري سواد تاريخه الاستعماري، ولا شك أنه حضور هذا السياق في الحديث مع الجزائري بصفة خاصة سوف يرخي على هذه العلاقة ستار الانقطاع لا محالة.

أما فيما يخص الدين كجزء أساسي من أي ثقافة فأكد 4 من المشاركين أنهم يعتقدون في تصوّرهم أن الآخر الذي يتواصلون معه ينظر إلى دينه نظرة استصغار،¹ إذ أنه لا يوليه الأهمية والمكانة الخاصة التي يجب أن يحظى بها الدين في حياة الانسان عامة، لما له من فوائد روحية ونفسية واجتماعية...، وقد صرّحت طالبة الدكتوراه بقولها: "إنه ذو دين متلون"، بمعنى أنه يكتيفه على أساس رغباته واحتياجاته في مختلف المواقف التي يمرّ بها، بل قالت العاملة بدار المسنين: "لا يجب أصلاً أن يتحدث عن دينه أو يخوض ويجادل حوله"، وهو ما يحيلنا إلى العلمانية التي تدعوه إلى فصل الدين عن الدولة، ليجعله بذلك مسألة شخصية لا تستدعي النقاش حولها، ولا يحق لأحد التدخل فيها.²

عموماً يمكن القول فيما يخص تصور الغربي لثقافته، أنه يجب استبعاد احتمال وجود أي علاقة ضرورية ومباشرة بين ازدهار الثقافات البشرية وتقدمها، وبين ما يزعم أنه تفوّق وامتياز عرقي لشعب من الشعوب. وهنا ظهرت فئة مستنيرة من علماء الغرب ومفكره كانت لها نظرة مختلفة للأمور، دافعت عن فكرة أن الازدهار الثقافي في تاريخ المجتمعات البشرية لم يتحقق إلا حينما توافرت ظروف ملائمة يَسّر عملية انفتاح الثقافات بعضها على بعض وتلاقحها، وأن التواصل والتعاون بين

¹ - انظر ص 257 من الاستبيان.

² - وهو ما ظهر فعلاً من خلال تحليل مضمون بعض التعليقات التي تستغرب السؤال عن الحجاب باعتباره مسألة

شخصية.

الثقافات البشرية يعدّان مصدرا للإثراء المتبادل، وأن الانكماش والعزلة يفضيان حتما إلى العقم والجمود الثقافي.¹

كانت القوة المهيمنة على الصعيد التقني والاقتصادي بالأمس مهيمنة أيضا على الصعيد الثقافي، أما اليوم فلم يعد بإمكان أي قوة ادعاء الهيمنة الثقافية، فالولايات المتحدة مثلا هي القوة الاقتصادية والعسكرية الأولى في العالم، ولكنها ليست القوة الثقافية الأولى، إذ ليس هناك بعد الآن قوة ثقافية أولى.²

إن النظرة الاستعلائية التي يتمتع بها الآخر اتجاه قيمه ولغته خاصة، ثم اتجاه تاريخه، والصورة الذهنية التي يكوّنها عن ذاته وثقافته كما يراها المشاركون، قد تمنعه صفاء الرؤيا وتحجبه عن الحقائق الموضوعية في الحكم على العربي المسلم وثقافته، ولكنها ليس مانعا له من الاتصال مع الثقافة العربية الإسلامية وتكوين اتجاه نحوها، فما هي معالم صورته الذهنية عن الثقافة العربية الإسلامية كما يعتقدونها هؤلاء المشاركون؟

➤ الطابع السلبي الغالب على صورة الثقافة العربية الإسلامية لدى الآخر الغربي في

علاقتها التواصلية عبر الشبكات الاجتماعية

كما هو معروف أن للغرب الإمكانيات الأوفر حظا لمعرفة الشرق، فيما يد الشرق ليست بالطولى في هذه المعرفة، فجلّ ما بوسع الشرق تحيّل هو الصورة التي لدى الغرب عنه، فكم من الدراسات حول صورة العرب لديهم، وما تبقى من موضوعات للعلم لا يكاد فيها الشرق يتطرق إلى نفسه، وهو وإن كان جديا، يقوم بذلك بالاستناد إلى المصادر الغربية. فهل بوسع أحد الادعاء بأن هناك علم "استغراب" (Occidentalisme) يوازي الاستشراق قدما أو قدرة أو عراقة؟. يقول إدوارد سعيد بأن المؤلفات التي تبحث في الشرق الأوسط وحده والصادرة بين الأعوام 1800 و 1950 تقدر بحوالي 60 ألف مؤلف، هذه السعة في معرفة الشرق لم تكن لتحصل لولا القناعة السائدة والمبرزة لديه

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 108.

² - دومينيك وولتون، العولمة - البعد الآخر، تر: جورج شرف، الدار اللبنانية، دم ن، دس ن، ص 69.

بأن ثقافة الغرب هي الأعظم، وأنه بوسعه بالتالي اختراق سرّ الشرق الكبير وتجميع المعلومات حوله بل حتى صياغته.¹

في سياق التعرف على الصورة الذهنية التي يعتقد المشاركون أن الآخر المتلقي يمتلكها عنهم، وتطبيقا للنموذج العملي الخاص بالتل الجليدي، أكد لنا المشاركون جميعا أن الآخر الغربي ينظر إلى ثقافتهم في عمومها نظرة سلبية تختلف حدّتها حسب طبيعة العناصر الثقافية المكونة لها.

صرّح كل المشاركين أن تلك الصورة السلبية تمحورت أساسا حول الإسلام بمختلف متغيراته، فهم يرونه دين إرهاب وعنصرية، دين ظلم وانتهاك لحقوق المرأة، دين حروب ودماء... إلى غيرها من الموصفات التجريحية التي جعلتهم يجندون الكتابات والقوانين التي تهاجم الإسلام، وينشئون في سبيل ذلك حركات مدعمة لذلك، والتي كان من أشهرها "الإسلام فوبيا"، ويمكن أن نستدل على ذلك واقعيًا من خلال أقوال الذين يعيشون خارج وطنهم، لأنهم الأكثر معاشة لهذا الواقع، الذي سينعكس بالضرورة على العالم الافتراضي، والتواصل بين الثقافتين فيه، وقد تحدث الصحفي هنا في هذه المسألة انطلاقًا من خبرته كإعلامي قائلا: "الكثير من الأشياء تغيرت في الغرب مع التطور التكنولوجي إلى الأحسن إلا صور العرب والمسلمين لازالت على حالها، بل أحيانا تزداد سوءًا"، وهو تعبير واقعي لا مناص منه.

كذلك تكوّنت هذه الصورة السلبية انطلاقًا من القيم التي يمثّلها المجتمع العربي الإسلامي في بلاد الغرب كمهاجرين، وذلك انطلاقًا من التجارب الشخصية التي عاشوها معهم، وهنا يقول طبيب الجلد: "كثير من المرضى لا يثقون فيّ ولا في قدراتي فقط لأني عربي ومسلم"، ويعود ذلك أساسًا إلى أن قيم الإهمال وعدم الاتقان والكسل كلها صفات سلبية ارتبطت بالمسلمين،² وانتقلت العدوى أيضًا إلى العالم الافتراضي، وبذلك يتعرفون على الإسلام ويحكمون عليه من خلال الممارسات العملية للمنتمين إليه، ليعمموا الحكم بذلك على جميع العرب المسلمين.

1- الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص104

2- وهو ذات الموضوع الذي قمنا بتحليل تعليقاته من خلال فيديو "صورة العرب في فرنسا".

لم تتوقف هذه الصور السلبية عند حدود قيم المسلمين التي يتحلّون بها، وإنما أيضا طالت شرائع الإسلام وأحكامه وعباداته، وهنا يظهر فاعل جديد في بناء هذه الصورة خلافا للتجربة الشخصية وهو فاعل الإعلام، الذي حفّز السلطات على سن القوانين التي كانت كثيرة الإجحاف في حق المهاجرين في بلاد الغرب.

لقد ساهم الإعلام الغربي بقوة في ترسيخ هذه الصورة عن طريق نشر الحقائق المزيفة عن شرائع الإسلام وعباداته، فتعلت الأصوات الإعلامية تحذر من خطورة الحجاب والتعدد وبناء المساجد في بلادهم... وغيرها من الشرائع التي ألبسوها تهمة التعدي على قوانينهم وحقوقهم واستقرار بلادهم. بل لم يتوقف الحد عند الإعلام لتؤلف أيضا الكتب في سبيل ذلك، مما يعطيهم شرعية أكثر لسلوكاتهم اتجاه المسلمين والصور التي يشكّلونها عنهم.

إن أحسن من يمكن أن يصف لنا هذا الواقع هم المشاركون الذين يعيشون في بلاد الغرب، حيث أكد طبيب الأطفال قائلا: "لقد بلغت بهم درجة الحقد والكراهية أن رسخوا هذه الصور حتى في الأطفال"، وأضافت العاملة بدار المسنين: "في كثير من الأحيان أحس أن هؤلاء يخافون مني لأني مسلمة وأرتدي الحجاب"، ثم أكملت قولها: "أنا أجاهد في عملي من أجل الحفاظ على حجابي في هذا البلد المتعصب". إن هذه الشهادات وغيرها الكثير تثبت ما خطته الأقلام ووثّقه التاريخ حول تشوّه صور المسلمين من جهة، ومعاناتهم في بلاد الغرب من جهة أخرى، بل حتى وهم في بلادهم يتناول عليهم ذلك الإعلام، ولا أدل على ذلك من التناول المتكرر على قدسية النبي صلى الله عليه وسلم.

شملت هذه الصور الذهنية أيضا التاريخ الإسلامي واعتباره نوعا من أنواع الاستعمار، فخاضوا فيه ما خاضوا، مثلما أكد لنا الصحفي قائلا: "أحب جدا القراءة في التاريخ الإسلامي والتوسع في فهمه، خاصة من أجل الدفاع عنه أمام الغربيين الذين أفسدوا صورة تاريخنا العظيم"، من هنا

يتبين لنا أن تشويه الإسلام - كما يراه الصحفي - لم يكن بصورة عشوائية، وإنما كان بصورة منهجة متكاملة، ساهمت في رسمها الكثير من المتغيرات التي لها مكانتها في الدولة والمجتمع الغربي.

لا شك في أنه من البسيط جدا أن نقول إن الحكم المسبق يبني أولا على الجهل، فقد كان الجهل أو الانعدام المطلق للمعرفة ألصق بالعلاقات بين المجتمعات التقليدية أي المجتمعات التي كانت فيها المعرفة والإعلام يرتكزان على التجربة الشخصية والاتصالات الشخصية، وفي هذه الظروف فقد كان يمكن أن يؤدي الجهل إلى اللامبالاة، كما كان يمكن أن يؤدي إلى المعادة الفعلية. وأما في الظروف الحديثة التي أنشأتها وسائل الإعلام الحديثة فإنه يندر أن يعتبر المتعلمون جهلة، فالمحدثون يعتبرون أن لهم معرفة ما حول كل شيء تقريبا، ولكن ما يميز هذه المعرفة هو أنها لا تركز على التجربة الشخصية، بل هي تركز على ما تقدمه وسائل الإعلام من أخبار ومن تأويل لتلك الأخبار. ويعني هذا أننا لا نستطيع بصفة شخصية أن نراقب كل ما يقدم لنا، ما عدا المعلومة التي تتضارب مع مجال تجربتنا الخاصة، فنحن مجبرون على تقبل ما تنتقي لنا وسائل الإعلام وقنوات الأنباء من الأخبار ومجبرون على أن نبنى تصوراتنا للعالم على عدة "علب سوداء" لا يعلم محتواها إلا الخبراء.¹ لذلك يجب إعادة النظر ثم الوعي بالمصادر التي تبني على أساسها صورنا الذهنية، حتى تكون أكثر تعبيراً عن الواقع الحقيقي واقترباً منه.

إن هذه الصورة الواقعية المشوهة كما ذكرنا، انتقلت عدواها أيضا إلى العالم الافتراضي، مما يعني استمراريتها على نفس وتيرتها، إذ لا توجد هناك مبادرات لتعديل تلك الصور، إن لم نقل قد ساهم في ترسيخها هذا الفضاء، نظرا لغياب قيود الرقابة في مقابل مساحة الحرية الواسعة التي جعلت العرب أكثر تفلنا من قيمهم الإسلامية التي يجب أن يسيروا عليها، وفي ذلك تقول أستاذة الإنجليزية: "أحزن جدا لأننا لا نحاول تعديل صورنا وتحسينها واستغلال مواقع التواصل الاجتماعي في ذلك بل بالعكس كثير من تصرفاتنا تقول لهم أنتم على حق". وهو ما عبرت عنه بقولها طالبة الدكتوراه: "كثيرا ما يأخذني الفضول لقراءة التعليقات الأجنبية حول مواضيع تخص المسلمين، لأتأكد فعلا

¹ - الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 548

أن الغرب مازال كما هو اتجاه المسلمين"، أو ما ذكره المهندس قائلاً: "هم يسبون ويشتمون المسلمين وكأنهم ملائكة لا يخطئون"، في حين عبّر طبيب الجلد عن رأيه قائلاً: "عندما أرى الغربيين يدخلون للإسلام أقول لقد نقص العداء للإسلام، ولكن عندما أقرأ التعليقات أصاب بالإحباط أنه لا أمل لتخفيف تلك الكراهية". فكل آراء المشاركين عبرت لنا عن الصورة الذهنية السيئة التي يحملها الغربيون عن المسلمين في شبكات التواصل الاجتماعي كشكل من أشكال الاتصال الجمعي. أما عن اتصالم الشخصي بهم فكان لهم رأي آخر، والحقيقة المؤكدة هنا هي أن معظم استخدامات شبكة الإنترنت إنما هي استخدامات شخصية، ويشمل الاستخدام الشخصي للإنترنت مناقشة الأمور الشخصية، وتبادل الخبرات الذاتية.¹

أكدت لنا عينة المقابلة أن الأمر يختلف كثيرا عن هذا الواقع عند اتصالم الشخصي مع الآخر، أين تغيب هذه الصور في كثير من الأحيان، وتخفى وتستتر في حالات أخرى، فلا هناك تعصب ولا شتم ولا تشويه، وإنما هناك انفتاح ورغبة في التعرف، ومن ذلك تقول أستاذة التعليم العالي: "يحترمني كثيرا ويحترم ديني ولغتي"، ويقول المهندس: "في كثير من الأحيان أجد معه راحتي وقيمتي أكثر من أصدقائي المسلمين"، أما العاملة بدار المسنين فقالت: "أحيانا لا أشعر بأني أتحدث مع غربي بل أحسه وكأنه من ديني وثقافتي".

جاءت كل آراء المشاركين هنا تؤكد لنا تمايز هذا الآخر في اتصالمه الشخصي عن الجمعي، إلا أن هناك من أشار أنه يحس بوجودها كخلفية في تواصله معه لكنه لا يظهرها علنا، وإنما تظهر من خلال بعض ألفاظه أو أساليبه، فمثلا ذكر المهندس قائلاً: "أحيانا عندما يجد توافقا مع أفكاري يقول لي أنت إذا اختلفت عن العرب"، وتشير طالبة الدكتوراه قائلة: "أحيانا يناقشني في موضوع ثم يقول لي كنت أعتقد أنك تفكرين كذا وكذا"، هذه فقط من بين الأمثلة التي ساقها أيضا المشاركون الآخرون، وهو ما يعكس أمرين: الأول أن هذا الآخر مهما حاول أن يكون موضوعيا سوف يظهر موقفه الخفي من خلال أحد ألفاظه أو مفرداته، أو أنه ذكي بالقدر الذي يستطيع أن يخفي أحكامه

¹ - يوحينيا سيابيرا، مرجع سابق، ص 318.

نهایتاً، أو أنه حقيقة لا يملك أحكاماً مسبقة كما يرى بعض المشاركين هنا، أما الأمر الثاني فيخبرنا أنه مهما كان هذا الآخر من أحد الأصناف السابقة فإنه أفضل بكثير في حالة الاتصال الشخصي معه، والذي يسمح بتجاوز الكثير من الصور السيئة عن العرب المسلمين، خاصة إذا أحسن الطرف العربي تمثيل قيمه، مما يعني أن المعرفة الشخصية والتواصل عن قرب يمكن أن يكون له دور كبير في تحسين تلك الصورة التي يحملونها عن المسلمين، وهي المعرفة التي تتيح أكثر التعرف على شخصية العربي المسلم وقيمه ودينه بطريقة موضوعية مجردة بعيدة عن كل تأثير، ليعيد تشكيل صور جديدة مبنية على العلم والتبصر.

الصورة السلبية في التي تعتقد المشاركون أن الغرب يملكونها حولنا، والتي تظهر بصورة أبرز في صورتها الجمعية لا الشخصية، وهنا يطرح السؤال نفسه في المقابل: ما هي الصورة الذهنية والأحكام المسبقة التي يشكلها المشاركون عن هذا الآخر العربي عبر الشبكات الاجتماعية؟.

➤ تأرجح الأحكام المسبقة لدى المشاركين بين الإيجاب والسلب عن الآخر العربي:

الحكم المسبق هو رأي جاهز ومتكون مسبقاً حول الشخص أو الوضعية أو الوسط، وقد يكون الحكم المسبق نتيجة المقولبات، ولكنه أقل حدة، فهو موقف منحاز قبل مناقشة الموضوع، والأمر مقضي مسبقاً بالنسبة لصاحبه، والحاجز الذي يمثله الحكم المسبق يتمثل في رفض الإصغاء إلى الآخر، مهما كانت آراؤه وأفكاره على صواب.¹

يملك الانسان أحكاماً مسبقة عن كثير من الأشياء في حياته وخاصة الأشخاص الذين حوله، وقد تتغير تلك الأحكام أو تتأكد بعد الاحتكاك والاتصال بهم، وكذلك هو الأمر بالنسبة لعينة المقابلة التي حاولنا من خلال استجوابها معرفة أحكامها المسبقة عن هذا الآخر العربي الذي تتصل به، والتي ستساهم في تشكيل صورته بعد ذلك، وإعطائه الرمز الذي على أساسه ستتحدد نوع العلاقة معه.

¹ - السعيد بومعيرة، مرجع سابق، ص 193.

يمكن أن نقرر هنا أنه عندما يعي الفرد هويته التي تشتمل على وحدته وانتماءاته وتبايناته وقيمه، فإنه يكون قد كون تصوّراً عن هوية أخرى سلبية، بناء على سمات ومواصفات نوعية يرفضها ويتجنبها.¹ وهو المتوقع هنا من عينة المقابلة.

في حدود التأكد والتعرف على الصورة الذهنية التي يحملها المشاركون عن الآخر المتلقي، وتماشياً مع النموذج العملي للتل الجليدي في إحدى عناصره، أسفرت لنا الإجابات عن تباين الآراء حول هذه النقطة، حيث أكد مشاركان بأنهما تجرداً من الأحكام المسبقة اتجاه هذا الآخر الغربي، مما يعني أن التواصل معه تمّ بكل شفافية وموضوعية وبدون أدنى تأثيرات جانبية، وفي ذلك قالت مثلاً الدكتورة في الإعلام والاتصال: " أعرف جيداً تأثير الأحكام المسبقة لأني أدرسها في أحد المقاييس وبالتالي أحرص على التجرد منها في تواصلني مع الآخر"، ويمكن أن نشبه هذا التجرد من الأحكام المسبقة بالرسم على ورقة بيضاء لم يكتب عليها سابقاً، وبالتالي ما يكتب عليها هو الذي يصف محتواها لا ما كتب سابقاً. فالطبيعة البشرية تختلف بيولوجياً وسيكولوجياً وسوسولوجياً وبالتالي لا يمكن أن نجمع الجميع تحت حكم واحد، لأنه سيكون حكماً خالياً من الموضوعية يحتكم فقط للأهواء.

أما المجموعة الثانية منهم (وهم 3 أشخاص) فذكروا بأنهم يحملون أفكاراً إيجابية عن الآخر الذي يتواصلون معه، وتتمثل تلك الأفكار التي صرحوا بها في كونه: شخص متفتح، مجتهد، يجب عمله، واسع المعرفة، موضوعي في طرحه...، وقد أكدوا بأن هذه الصورة أو الحكم قد ترسخ في ذهن بعد التواصل معه، أين وجدوا فعلاً تمثلاً من طرف هذا الغربي للقيم السابقة الذكر، وقد تكوّنت هذه الصورة من خلال مخالطتهم على أرض الواقع، والعيش معهم في نفس المكان، ثم بالنظر إلى الإنجازات التي حققها الرجل الغربي والتي عجز عن مجاراتها العربي، وأخيراً ترسخت لديهم من خلال التواصل الشخصي معهم عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

¹ - إيكس مكشلي، مرجع سابق، ص 83.

أما بقية المشاركين (وهم 4) فيقرّون بأنهم كانوا يحملون أفكارا مسبقة سلبية حول هذا الآخر، صيغت من خلال المصطلحات الآتية: عدائي، مستعلي، منحرف أخلاقيا، يكره المسلمين كثيرا، استغلالي...، وقد ساهم في تشكيل هذه الصورة أو هذا الانطباع - كما ذكر المشاركون - كل من: الإعلام بمختلف وسائله، المجتمع الذي يعيشون فيه، القراءة والبحث في الموضوع...، وهناك منهم من تغيّرت صورته السلبية بعد الاتصال بهذا الآخر والتعرف عليه عن قرب، أين وجدوا أنه ليس هو نفس الشخص الذي قرأوا عليه في الكثير من الكتب أو عرضته الإعلام، ليس هو ذات الشخص الذي كان مجتمعه يصوّره له. وفي هذا السياق يقول طبيب الجلد: "جئت حديثا إلى ألمانيا وأنا محمّل بالكثير من التصورات نحوهم، لكنني لما تقربت منهم وخاصة بالفايس بوك وجدتهم أشخاصا آخرين، فلا هم عدائيين، ولا هم استغلاليين بل بالعكس في كثير من المواقف يقدمون يد العون للجميع". وهذا القول يثبت لنا بطلان الأحكام المسبقة في كثير من المواقف التي قد تثبت العكس تماما، كما تؤكد لنا آراء المشاركين هنا أن التجربة هي خير برهان، وحتى إن أثبتت لنا صدق نتائجها في موقف، لا يسوغ لنا ذلك أن نعتم على الجميع.

صرح في المقابل بقية المشاركين بأن هناك تغيّر في تلك الصورة السلبية ولكن هذا التغير محدود ونسبيّ، توجّهه المواقف أكثر من أي عامل آخر، فقد وجد البعض منهم التطابق بين ذلك الحكم السلبي السابق، وبين حقيقة هذا الشخص في الواقع، وفي ذلك تقول أستاذة التعليم العالي: "حدثني أبي كثيرا عن النفاق الفرنسي، وفعلا وجدته كذلك لما تواصلت معه". إن قيمة ومكانة هذا المصدر الذي اتخذته المشاركة في بناء الحكم هنا، يجعل من الصعوبة بمكان تغيير هذه الصورة بعد التواصل، خاصة وأنها وجدت لها سنداً واقعياً تمثل في التجربة الاجتماعية معه.

حول الصورة السلبية اتجاه الغرب يؤكد الطاهر ليبب تشاكل طرق الرؤى والتصورات على مستوى الشرق، وإن بدت للوهلة الأولى صورة الآخر الشرقي لدى الغرب أشد تعقيدا وأكثر سيرا للأغوار. فالصورة هي نفسها لدى الإسلاميين: أمريكا هي الشيطان المطلق، والغرب هو الصليبيون المشركون الكافرون الوثنيون، ودارهم هي دار حرب حلت محاربتة حتى آخر الأزمان، هذا في الهوية. أما في

الحكم السياسي: فهذه المجتمعات وضعية لا مستقر فيها للروحانية لأنها لا تطبق الأحكام الإلهية ولا تطبق الشريعة، فتحكم بغير ما أنزل الله، بل بما صنعه البشر من قوانين خاضعة للأهواء والتقلبات، وعليه فالغرب ثقافيا هو الانحلال الخلقى والتقلت والنواميس غير المضبوطة بضابط. لذلك، فعندما يدور النقاش العربي حول مواجهة الآخر الغربي، تطرح تحديدا هذه النوعية من المعرفة إما مع الغرب أو مع التراث، إما مع الوضعية أو مع الشريعة، إما مع الاستبداد أو مع الديمقراطية... إلخ.¹

إن من تمام مصداقية ذلك الحكم المسبق الذي يتبناه العربي عن الآخر الغربي ومن حسن موضوعيته أن يكون خاضعا للمعرفة مبنيا على أساسها، إذ أنه من الخطئ بناء حكم مسبق دونما البحث والتقصي عن حقيقة الطرف الثاني، فهل المشاركون يمتلكون المعرفة الكافية عن ثقافة الآخر الغربي في هذه الفضاء؟.

➤ المعرفة النسبية لثقافة الآخر الغربي وانحصارها أساسا في اللغات الأجنبية:

إن معرفة ثقافة الآخر لا تقل أهمية عن معرفة الذات لإنجاح العلاقة التواصلية إن لم نقل تفوقها أهمية، فأن تعرف الآخر معناه أن تعرف كيف يفكر، وما هي الأساليب المناسبة للتعامل معه، مما يخلق مساحة كبيرة للتوافق بينهما.

كل الإشكال في هذا المجال مطروح على مستوى هوية المستقبل، على مستوى التفاعل والتبادل، فالآخر ومعرفته ومعرفة هويته هو الأصعب والأكثر تعقيدا في حدود كل اتصال، وهو ما يؤكد دوميك وولتون بأنه يبقى "الآخر" هو الأصعب والأكثر تعقيدا في الاتصال، فمع سهولة الدخول في لقاء معه من نقطة ما من العالم إلى نقطة أخرى وفي أي وقت، فمع هذه السهولة تظهر لنا وبشكل سريع حدود الفهم، فسهولة الالتقاء لا تكفي لتحسين محتوى ومضمون التبادل.²

¹- الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 105

²- رضوان بوجمة، مرجع سابق، ص 17

يؤكد أغلب المشاركون هنا (5 من 9 أشخاص) أنهم لا يعرفون الكثير عن ثقافة الآخر، وأنهم اطلعوا عليها فقط نتيجة الاتصال به، حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم وإشباع رغباتهم من خلال هذا التواصل، كما أن معرفتهم بما كانت عامة حول الأمور الأساسية التي تعطيهم صورة عامة عن هذا الآخر، وقد أكدوا أن أكثر شيء يعرفونه عن ثقافة الآخر هو اللغة التي يتواصل بها معهم، لذا فهم إما يتواصلون معهم بلغتهم وهي في الغالب اللغة الفرنسية توافقا مع انتماء هذا الآخر، أو يستعملون اللغة الإنجليزية كلغة عالمية،¹ وقد كان من نتائج تلك الممارسة أنهم أصبحوا يجيدون جيدا التواصل بها. وفي ذلك تقول أستاذة الإنجليزية: "تواصلت مع الأمريكي لأتعرّف على لغته أكثر وأمارسها بشكل أفضل... ومع الوقت أصبحت أعرف عنها الكثير"، وفي ذات السياق اللغوي صرحت طالبة الدكتوراه قائلة: "أتكلم اللغة الفرنسية جيدا لأنني أبحث بها لأحضر أطروحتي في الدكتوراه، وهذا أقصى ما أعرفه عن الآخر". إن معرفة لغة الآخر أمر ضروري هنا، إذ لا يتم التواصل إلا بها، في ظل الغياب الكلي للغة العربية عن هذه الساحة.

من جهة أخرى صرحت العاملة بدار المسنين أن لديها معرفة ببعض عاداتهم وتقاليدهم قائلة: "المكان الذي أعمل فيه أكسبني ثقافة كبيرة عن عاداتهم وتقاليدهم فصرت أعرف الكثير عنها، وبالأخص أني أعمل مع الكبار الذين يحافظون عليها جيدا، فلم أجد صعوبة في التواصل معهم في مواقع التواصل الاجتماعي"، وهنا تحيلنا هذه المشاركة -وكذلك الذين من قبلها- إلى العلاقة الوطيدة بين العالمين الواقعي والافتراضي الذين لا يمكن الفصل بينهما، بل إن هذا الافتراضي ليس أكثر من انعكاس وامتداد للواقع في الكثير من صوره، وأغلب المعارف التي نحتاجها للتأقلم في العالم الافتراضي، مصدرها الأول هو الحياة الحقيقية التي نعيشها.

كما أشار طبيب الأطفال بأنه مطلع على قيم هذا الغربي نظرا لطول العلاقة بينهما، إذ تشكلت هذه المعرفة عن طريق التعامل والتواصل معه واقعا أولا، ثم رسخها أكثر عن طريق البحث في بعض جوانبها. وفي ذلك يصرح: "قيمهم هي أكثر ما أعرفه عنهم بعد لغتهم، ولأنني معجب

¹ - وهو ما يتوافق مع نتائج الاستبيان، انظر ص 291.

بكثير منها صرت أبحث فيها لأعرفها أكثر"، فلا عجب أن الغرب بدرجة التطور التي وصل إليها يحفزنا فعلا على البحث في قيمه التي جعلت منه هذه القوة العالمية، والتي انتقلت به إلى عالم من الإبداعات ليس له مثيل على مرّ العصور.

أما الصحفي فركز على التاريخ الذي يعتبره دائما السر وراء كل حدث حاضر، وسواء تعلق الأمر بتاريخه أو تاريخ غيره يصرّ في كل مرة على جعله الحلقة المفصلية في الموقف، وقد جاء في سياق حديثه عن مدى معرفته بثقافة الغربي الذي يتواصل معه قائلا: "لا أعرف الكثير عن هذا الآخر، ولكنني حريص أن أعرف تاريخه بشكل أفضل، فأنا أعني جيدا العلاقة الوطيدة بين سلوكيات الحاضر وخلفيات الماضي"، وعلى حد قوله هنا يعتبر التاريخ أهم عنصر في ثقافة الآخر لذلك يسعى دائما لتوسيع مداركه حوله.

كما أكد أغلب المشاركين أنه لا يهمهم أن يعرفوا ديانة الآخر التي هي في الغالب المسيحية، لأنهم يدركون أنها محرّفة فلماذا يسعون لمعرفة الباطل؟ كما قالت الدكتورة في الإعلام والاتصال، كما أن الكثير منهم كما يصرح المهندس لا دين لهم. ولكن في المقابل كان لطبيب الجلد رأي آخر بقوله: "أحاول دائما التعرف على المسيحية والبحث فيها، لأقارنها مع الإسلام ولأثبت لهم زيفها"، وهذا القول يثبت لنا أن المعارف السابقة للمشاركين كانت معرفة تثري مداركهم وتطلعاتهم من خلال ذلك التواصل، أما معرفة دينهم فليست أكثر من مجرد مرحلة ضرورية في سياق التعريف بالدين الإسلامي ونشره وإقناع الآخر به.

عموما تبين لنا إجابات المشاركين أنه ليس هناك محاولة جادة للتعرف على ثقافة الآخر بدقة وبعمق، وإنما هي معرفة سطحية وعامة في مجملها مرتبطة في الغالب بسياقات معينة فرضتها، تقتصر بصفة أكبر على اللغة الأجنبية التي لا يقوم التواصل إلا على بها. ولا غرابة في ضعف هذه المعرفة ومحدوديتها، فإن كان الانسان لا يعرف ثقافته جيدا، فكيف له إذن بثقافة الآخر، وهذا الضعف المعرفي ولا بد سيعرقل العلاقة الاتصالية بينهما، فما هي إذن العوائق الأخرى التي تتعلق بثقافة الآخر الغربي والتي تعيق تواصلها مع المشاركين عينة المقابلة؟.

➤ عوائق متعددة بسيئات متنوعة تتوفر عليها ثقافة الآخر الغربي أثناء التواصل مع

المشاركين

إن الاتصال مع الآخر وبناء علاقات معه لا يعني أن هذه العلاقة كاملة ولا يشوبها أي نقص أو خلل أو عائق، وإنما تلك الاستمرارية تعني أن هناك تجاوزا وتغاض عن بعض الأمور التي تحتاج إلى تصحيح ومراجعة أكثر من التفكير في قطع العلاقات.

نظرا لتعدد تلك العوائق التي ذكرها المشاركون وتشابكها أحيانا، ارتأينا تقسيمها إلى فئات جزئية تسهيلا لعرضها كآلاتي:

• **الصورة الذهنية السيئة عن المسلمين:** من أبرز العوائق التي تعيق التواصل مع الآخر تشبع هذا الآخر وثقافته بالأحكام المسبقة عن الإسلام والمسلمين والتي يصعب تعديلها أو تغييرها بكلمة أو دليل، إذ يحتاج ذلك إلى وقت طويل وجهد متظافر من المجتمع العربي، وأدلة فعلية عملية حتى يخلصه من تلك الصورة السيئة عنه. فهذه الأحكام المسبقة كثيرا ما تجعله - كما صرح أغلب المشاركين - يزيغ عن الفهم الصحيح الموضوعي، وتؤدي به إلى التعصب في الآراء والتكبر في التعامل مع العربي والاعتقاد الدائم بالأفضلية.

لا يكون الفرد الواحد هذه الصورة الرمزية إزاء الفرد الآخر فقط، بل يكون صورة رمزية عن الأفراد الذين يتفاعل معهم أو لا يتفاعل، بمجرد أن يشاهدهم أو يقرأ عنهم، أو يسمع قصصا وأخبارا من الآخرين عنهم¹. وهو الحاصل بين الثقافتين والذي يسبب تشويشا واضحا على العلاقة التواصلية بينهما، وعوائق متعددة تحول دون التبادل الثقافي الإيجابي.

رغم ما صرح به المشاركون من أنها أقل حدة من الاتصال الجمعي معهم، إلا أنها تبقى عقبة في سبيل الوصول إلى منافع أكبر ومساحات تقارب أوسع. وفي ذلك تقول دكتورة الإعلام والاتصال: "أحيانا أحس أنه يبخل علي بالمعلومة فقط لأني عربية".

¹ - إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المعاصرة - دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة - مرجع

سابق، ص 87.

• الجهل بالثقافة العربية الإسلامية: وهو جهل يشمل دينها وقيمها وعاداتها وتاريخها، وهذا الجهل من أهم العوائق التي تصعب كذلك من ذلك التواصل، وتجعل العلاقات أكثر هشاشة وأكثر عرضة للانكسار والانقطاع، وهذا الجهل كان عائقا حتى من جهة المشاركين الذين لا يملكون المعرفة اللازمة بثقافة الآخر. ومما يدعم وجود هذا العائق من بين الأقوال المتعددة للعينة في هذا السياق قول أستاذة التعليم العالي: "للأسف يقدر العلم ويحترمه في أي مجال، ولكنه لا يحاول بذل جهد في سبيل التعرف على حقيقة الثقافة الإسلامية."

إن مجال العلاقات القيمية الثقافية مجال تتطلع فيه الشخصية إلى معرفة ما يجب عندما يسودها الوعي المعرفي، وتنسحب وتتراجع عندما لا يسودها، تسعى لأن تكون قدوة حسنة حتى وإن لم تتمكن من ذلك. الثقافة ليست مجرد لغة وكلام، بل إنها الوسيلة الناقلة للمنطق المفيد في الحوار، ولذا فإن اللغة وحدها لا تحقق التفاعل والتفاهم والاتصال المستمر بين المتحاورين، فالذي يحقق ذلك بنجاح هو المنطق نتيجة علاقته بأساليب التفكير، فينبغي أن يتمكن المتحاورون من فهم الكيفية التي يفكر بها الطرف الآخر، وكذلك فهم القيم التي تستمد من إطاره المرجعي، ثم إحساسه بتقدير معطياته وملكانه الفكرية والمعرفية وما يشكل له إطارا مرجعيا يستوجب الاعتراف والتقدير. وإذا لم تعتمد الأطراف المتحاوره منطلقا للحوار، لا يمكن أن تصل إلى نقاط التقارب والتفاهم المشتركة، وهذا حال الصراع الذي يدور بين العرب والإسرائيليين، أو بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، الكل يعتمد على اللغة في الحوار ولا يولي اهتماما بمنطقه، الكل فهم اللغة، وفي ذات الوقت الكل لم يفهم بعد منطق الحوار الذي تكمن فيه مبررات التفاهم والاستيعاب فالعرب تفكر في المجتمع الغربي بمنطقها الذي يخضع لرؤاها الفكرية والثقافية، والغرب يفكرون في مشاكلهم مع العرب بمنطقهم الذي يخضع لرؤاهم الفكرية وثقافتهم. إنهم لم يفهموا بعد كيف يفكر العرب، والعرب كذلك لم يفهموا بعد كيف يفكر الغرب، ولذلك كل طرف يعتبر نفسه على حق والآخر على باطل،¹ إذا أردنا التفاهم والتعاون والتقارب علينا أن نعرف الآتي:²

¹ - عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص 187.

² - المرجع نفسه، ص ص 187، 188.

- التعرف على بعضنا بموضوعية حتى يتمكن كل منا من تقدير الطرف الآخر.
- الاعتراف بأن لكل طرف إطارا مرجعيا ذا أثر لا ينبغي غض النظر عنه أو تجاوزه.
- التعرف على أساليب التفكير، فلكل طرف في الحوار مبرراته المنطقية التي جعلته في حالة انحياز مسبق.

- اعتماد مبدأ التقبل الذي يقر بتقبل كل طرف كما هو، لا كما يجب أن يكون عليه.
- تقدير الذات بمستوياتها الثقافية التي هي عليها، ولا تغيير إلا بإرادة، فلغة الإكراه لا يقابلها إلا منطق الرفض.

من هنا يمكن أن نقرر عموما أن موقف التفاعل الثقافي يطالب بمبدأ منهجي، مبدأ النقد المزدوج، نقد الأنا ونقد الآخر في هذيانهما وانحرافهما. يتوجب نقد الأنا عندما ننغمس في التقليدانية ونندمج في الفكر والممارسة المغلوطين تاريخيا، وكما يلزم في الآن نفسه نقد الآخر عندما يتباهى بالهيمنة التقنية، ويفرض معايير جماليته. على هذا الأساس، فإن النقد المزدوج مساءلة غير منتهية للأفكار القبلية المطلقة سواء للغرب أو للشرق، للأنا أو للآخر، إنه أيضا اقتراح لفكر آخر يجعل اللامساواة واللاتجانس تتحاور انطلاقا من الاستماع الإيجابي في أفق إدماج تفكير التفاعل الثقافي في وعي المواطنين.¹

● **الاستعلاء القيمي:** رغم ما تملكه الثقافة الغربية من قيم إيجابية، صرح بعض المشاركين (4منهم) أن أكثر العوائق التي اعترضتهم في التواصل مع الآخر هو تحليه بما سميناه الاستعلاء القيمي، والذي ينطلق من مبدأ أفضلية قيمه على قيم الثقافات الأخرى، إذ يعتقد أنها وحدها سببا في تقدمه، ونستدل هنا مثلا بقول المهندس: "في بعض الحالات يظن أنه الأفضل دائما في اقتراحاته، رغم أنني أيضا أملك الكثير من الخبرات في مجال عملي"، إن هذا العائق قد يؤدي لمشكل آخر أكثر عمقا وخطورة هو الشعور بالنقص بالنسبة للمشاركين، مما يؤثر سلبا على نفعية هذه العلاقة غير المتكافئة، والتي ترجح كفتها للأقوى سلطة وأكثر نفوذا.

¹- أحمد بوكوس، الهيمنة والاختلاف في تدبير التنوع الثقافي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016، ص 163.

يساهم هذا الاستعلاء بدوره في ظهور عدة سلوكيات سلبية من الطرف الآخر مثل: النفاق، التسلط، التعصب... وهي أخلاق سلبية لا توفر الجو المناسب للتواصل، وترسخ الصورة السلبية التي يحملها بعض المشاركين عن هذا الآخر الغربي.

عموما يشعر العرب بشيء يشبه المنافسة الغامضة مع الغرب، فأمريكا وأوروبا تعتبران في الوقت نفسه منطقة من مناطق العالم التي هي في طليعة التقدم فينبغي البقاء على صلة به تأمينا للسيادة، أو هما تعتبران منطقة من العالم يمكن أن تهدد الحضارة العربية، والتهديد في هذا السياق هو تحدّد عميق للثقافة التقليدية في المنطقة العربية، أكثر مما هو تهديد مباشر للسلطة السياسية أو الاقتصادية.¹

● **التجرد من الدين:** لا يمكن تجاوز أهمية الدين في الحياة، وفي ضبط أمور البشر وعلاقاتهم بين بعضهم البعض، ونظرا لأن فئة من هذا الآخر لا دين لهم - كما صرح المشاركون - فهم يعانون معهم من تفسخ كبير في الدين مما يجعل كل شيء مباح ومقبول عنده، حتى وإن لم تقبله الفطرة البشرية، كما أن ذلك كثيرا ما يؤدي بهم إلى التناول على الديانات الأخرى بصفة عامة والدين الإسلامي بصفة خاصة، وهو ما يرفضه المجتمع العربي الإسلامي مهما كان ضعف ارتباط بدينه والالتزام بأوامره، لأن الدين عندهم مقدس أكثر من أي شيء آخر.

مع ذلك فهذه المعاناة أقل حدة بالنسبة للتعامل مع المسيحيين، فبالرغم من أن هذه الديانة محرّفة إلا أنها قد تهذب بعض السلوكيات لديه، أحسن من تجرده الكلي من الدين، وفي ذلك تقول مثلا أستاذة الإنجليزية: "نعلم أننا أيضا مقصرون مع الله ولكننا لا نرضى أبدا بأن نتواصل مع الذي يمس ديننا بأي كلمة أو يعاملنا بأخلاق تخالف الإسلام"، ثم تضيف قائلة: "المسيحيون أحسن بكثير من غيرهم"، وفي هذا تأكيد على مكانة الدين في الذات العربية الإسلامية، وعدم التسامح نهائيا مع من يتناول عليها من جهة، وأن المسيحيون أحسن من غيرهم في التواصل.

¹ - الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 551

خلاصة

من خلال ما سبق يتضح لنا أن صورة الآخر الغربي لدى عينة الدراسة تراوحت بين الإيجابية والسلبية مع سيرها للتعديل، هذا الآخر الذي لا تعرف عنه إلا القليل بشأن لغته وقيمه في مقابل أنه يحمل صورة ذهنية سلبية عنه، يشوبها الكثير من التشويه والجهل، ولكنها أقل حدة وأقرب إلى التهذيب في حالة الاتصال الشخصي بينهما. ورغم ذلك فلا يمكن أن يخلو الاتصال بينهم من وجود معيقات على مستوى ثقافة الآخر الغربي تعكسها أساسا النظرة الاستعلائية القيمة التي ينظر من خلالها للذات العربية، ثم الأحكام المسبقة التي تشربوا بها من وسائل الإعلام، وساهم في تغذيتها التجارب الشخصية لهم، وأخيرا تجردهم من الدين الذي قد يسبب الكثير من المشاكل على مستوى العلاقة مع عينة المقابلة. إن هذه الصورة التي نقلتها لنا عينة الدراسة تؤكد حقيقة أن العلاقة مع الآخر لن تتبرأ أو تتجرد من ذاتيتها، ولن تتحل عن مصالحتها مما يعني أنها معرضة للانقطاع في أية لحظة.

(3) - فئة توجّهات المشاركين نحو شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق الاتصال مع

الأخر العربي

لقد طوّر ماركولوهان "Marshall McLuhan" أفكار "إينيس" حول دور وسائل الاتصال في المجتمعات القديمة وحاول تطبيقها على المجتمعات الصناعية الحديثة، حيث شدّد على أهمية الوسيلة الإعلامية في المجتمع، ورأى فيها أهم مقوّم من مقومات العملية الاتصالية، فقد ذهب إلى اعتبارها أهم من المضمون الإعلامي. يقول "ماركولوهان" في هذا المجال: "إن الوسيلة هي الرسالة" (The media is the message)، أي أن الوسيلة الإعلامية المستخدمة في مجتمع ما تؤثر في بنية المجتمع أكثر مما يتركه المضمون أو المحتوى أو الرسالة التي تنقلها تلك الوسيلة.¹

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من أهم وأحدث التقنيات التي تسهل عملية التواصل بين الأفراد، وقد تعددت هذه الشبكات واستأثرت بجمهور واسع من المتلقين، وقد لعبت الأحداث السياسية وتحديدا أحداث الربيع العربي دورا مهما في بروز هذه الشبكات على الواجهة التواصلية والتفاعلية لدى الفرد العربي، حيث كان لها الفضل في إيصال الأخبار السريعة والرسائل النصية ومقاطع الفيديو عن تلك الأحداث، الأمر الذي ساهم في شهرة وانتشار هذه الشبكات وخصوصا الفيس بوك وتويتر واليوتوب..، وأصبحت جزءا من حياة الفرد والمجتمع العربي، على مختلف المستويات الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية واللغوية والثقافية، وانقسمت الآراء حولها وتعددت بين معارض لها بحجة تأثيراتها السلبية على النسق القيمي والأخلاقي والاجتماعي وكذا اللغوي والهويّاتي للفرد العربي، وبين مرحب بها بحكم أنها أصبحت ضرورية وأساسية لمواكبة تطورات العصر وما تفرضه العولمة من مستجدات على جميع المستويات وفي شتى المجالات.²

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 79.

² - حسن مالك، مرجع سابق، ص 30.

يشارك كل المشاركين في تواصلهم مع الآخر الغربي عن طريق هذه الشبكات بمختلف مواقعها المتاحة، والتي توفر للمستخدم إمكانيات هائلة في التواصل لم تكن متاحة من قبل، وخيارات متعددة توجهها خصائص وخصوصيات طرقي العلاقة التواصلية.

تعتبر الشبكات الاجتماعية اليوم الأداة الأنجع لتطبيق سلوكيات إعلامية تحترم جميع الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لحقوق الإنسان، وكذا مراعاة ارتباطها الدائم بمكافحة عدم التسامح والظلامية وبث الكراهية والعنصرية والتعصب والتمييز ومعاداة الأجنبي.¹

حاولنا من خلال هذا العنصر أن نتعرف على نظرة المشاركين لشبكات التواصل الاجتماعي فيما يتعلق بمدى قدرتها على تحقيق تواصل فعال مع الآخر الغربي، وذلك من خلال المؤشرات الآتية:

➤ الفاييس بوك الموقع الاجتماعي الأكثر استعمالاً لدى المشاركين في التواصل مع الآخر الغربي

تعدد مواقع التواصل الاجتماعي في الفضاء الافتراضي حيث تختلف خصائصها أحياناً وتتماثل أحياناً أخرى، إلا أنّها تسعى جميعاً لتحقيق الاتصال مع الآخرين، وتتيح للجميع فرصة الاختيار المجاني بينها بما يحقق أهدافهم وتطلعاتهم، ولكن الإحصائيات تثبت أن هناك مواقع أكثر استعمالاً من غيرها.

صرّح أغلب المشاركين (5 من 9 أشخاص) بأن موقع الفاييس بوك هو الأكثر استعمالاً² بالنسبة لهم في التواصل مع الآخر الغربي، في حين صرّح اثنان من البقية بأنهم يستخدمون الواتساب في الاتصال، أما الآخرين فيستعملان موقع الأنستغرام بدرجة أكبر من غيره من المواقع الأخرى، أما الأمر المتفق بينهم هو استعمالهم لهذه المواقع في التواصل مع الآخر الغربي بصفة شخصية أكثر منها جماعية.

1- طارق السعدي، مرجع سابق، ص 18.

2- وهو ما يتشابه مع تحليل الاستبيان، انظر ص 218.

تعددت الأسباب التي ذكرتها الفئة الأولى في تفضيلها التواصل عن طريق الفاييس بوك مع الآخر الغربي، إذ قالت مثلا الدكتورة في الإعلام والاتصال: "مهما تعددت المواقع في وقتنا الحالي يظل الفاييس بوك أقربهم بالنسبة لي في التواصل خاصة مع تقنية المسنجر التي توفر الرسائل الصوتية والكتابية"، وفي ذات الموضوع ذكر طبيب الأطفال قائلا: "الفايس بوك هو الموقع الأول الذي تعرفت من خلاله على أصدقائي الأجانب ولا أفكر في التخلي عنه، كما أنه ما زال يحظى بشعبية رغم ظهور مواقع جديدة وأحدث منه". على ما يبدو من الإجابات أن خاصية التعمد من أهم الأسباب التي جعلتهم يتمسكون باستخدام هذا الموقع، وليس لتوفره على خصائص تخلو منها المواقع الأخرى. فهم يعتمدون أيضا -كما صرحوا- على التعليقات المتبادلة بينهم والتي تتيح لهم النقاش والتعبير عن الرأي، وتبادل وجهات النظر حول المنشورات الخاصة بهم أو بغيرهم. كما ساهمت تقنية المسنجر في الفاييس بوك والتي تتيح التواصل الشخصي الكتابي أو الصوتي في إرساء قواعده في قائمة المواقع الأكثر استعمالا لديهم، فهي تقنية تحافظ على سرية المعلومات وخصوصيتها، أكثر من التعليقات التي لا تضع حدودا خاصة في التواصل لكونها متاحة للرؤية أمام الجميع.

توجه انتباهنا في هذا السياق نظرية التفاعلية الرمزية إلى تفضيلات التفاعلات الشخصية، والطريقة التي تتم بها هذه الترتيبات لإعطاء المعنى لما يقوله ويفعله الآخرون. وينوه منظرو هذه المدرسة بالدور الذي تؤديه هذه التفاعلات في خلق المجتمع ومؤسساته.¹ وهو يشبه إلى حد كبير ما يحققه هنا الاتصال عبر تقنية المسنجر في الفاييس بوك، والتي تمكن المشاركين -كما أقرؤا- من التواصل في جو شخصي عن طريق الكتابة أولا كأهم وسيط في التواصل، ثم صوتيا عن طريق الفيديو الذي يتيح الحديث مع الآخر ورؤية صورته، مما يساعد في ملاحظة الاتصال غير اللفظي الذي يعتبر من أهم أنواع الاتصال التي تتيح التعرف على ملامح الآخر وتعايير وجهه مما يزيد الرسالة وضوحا وفهما.

¹ - أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص ص 76، 77.

أما عن الصحفي الذي يستخدم موقع الواتس آب أكثر من غيره أنه مادام يوفر له الوسائط اللازمة لنقل المعلومات وتوضيحها والتي تسهل عملية التواصل مع الآخر فلا داعي للبحث عن البديل، وهو ما يمكن أن نرجعه أيضا لعامل العمر الذي يفوق الخمسين، أين يصبح الشخص أكثر ميلا للثبات على تصرفاته والحفاظ على ممتلكاته، والسير على وتيرة واحدة في حياته، وهو ما ظهر مثلا عند هذا المستخدم من عدم رغبته في التغيير.

كما أضاف ذات الشخص بأنه يستخدم بدرجة ثانية موقع اليوتيوب، كونه يتيح مقاطع فيديو متنوعة المضامين، مما يثير النقاش بينه وبين هذا الآخر الغربي ولكن بشكل جمعي، يتوافق مع مهنته الصحفية، إضافة أيضا إلى التويتر الذي يتيح له بدرجة أساسية نقل الأخبار السياسية، والحوار مع الآخر في حدوده.

من هنا يمكن القول أن الشبكات السريعة للمعلومات أزلت الحدود التقليدية، وكثفت الزمنية، وساعدت على بروز ثقافة عالمية وتنوع ثقافي يعكسان نزعة العولمة الاقتصادية وغيرها. وليس هناك مبدئيا ومن زاوية نظرية بريئة أية خوف من الاعتماد على هذه الوسائل وتنمية التفاعل الثقافي والتقريب بين الشعوب، إلا أن التوازن بين القيم التقليدية والقيم الحديثة المستحدثة في المجتمعات النامية سوف يتغير بقدر ما تفتح الشبكات السريعة للإعلام والمعلومات من آفاق جديدة. ويستدعي هذا الواقع الجديد قدرا كبيرا من الاهتمام العلمي بالثقافة ودورها المؤثر، مع عدم إغفال المضاعفات والخلفيات السلبية للمسألة، خاصة وأن مظاهرها كثيرة ومتنوعة تتصل بالعقيدة والدين واللغة والهوية والتاريخ والتراث...¹

مهما اختلفت المواقع وتنوعت الخصائص والامتيازات التي تقدمها شبكات التواصل الاجتماعي، إلا أنها تتفق في توفيرها الوقت والجهد والسرعة في التواصل، بأحدث الوسائط وأبسطها في نقل المعلومات بين شخصين قد يبعدان عن بعضهما أميالا وأميال، إضافة إلى امتلاكها القدرة

1- جوهر الجموسي، مرجع سابق، ص 47.

على تحقيق مختلف الأهداف الاتصالية بين الأشخاص في تواصلهما بنوعيه الشخصي أو الجمعي. ولعل من أهم الأهداف التي يمكن أن تحققها هذه الشبكات لذات الفرد أولا هي أن تتيح له المعلومات التي تعرفه بثقافته، فهل استطاعت أن توفر للمشاركين المعلومات الكافية حول ثقافتهم العربية الإسلامية؟

➤ مواقع التواصل الاجتماعي وتحقيقها للمعرفة الدينية الإسلامية للمشاركين

تنشر مواقع التواصل الاجتماعي الوقائع والأحداث المتنوعة والآنية بمختلف مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية...، سواء من طرف المؤسسات الاعلامية المتخصصة، أو من طرف المواطن الصحفي الذي أصبح له دور فعال في نقل الأحداث وقت وقوعها من قلب الحدث. ولا تتوفر هذه الشبكات على الأحداث والأخبار فقط، وإنما تحوي أيضا معلومات عامة ومتنوعة تساعد في توعية الفرد وتوسع مداركه في شتى المجالات أيضا، ولعل من أهم تلك المجالات التي يحتاج مستخدمو الشبكات لإثراء معارفهم فيها هي المجال الثقافي بصفة عامة، وفيما يتعلق بثقافتهم بصفة خاصة.

تحدث المشاركون عن دور هذه الشبكات ومساهمتها في تعريفهم بثقافتهم العربية الإسلامية، وذكروا أنهم تعلموا منها أشياء كثيرة كانوا يجهلونها من قبل. ومن أكثر العناصر الثقافية التي عرفتهم بها هذه المواقع هو الدين الإسلامي بفضل مختلف الفيديوهات والمحاضرات الصوتية والمكتوبة المتاحة عبر مواقعها، والتي تتحدث في مختلف جوانبه من عقيدة وشريعة وأخلاق، مما جعل المعلومة الإسلامية متوفرة في كل موقع وفي كل وقت وبأساليب وأشكال متنوعة، بل إن المعلومات قد تظهر صدفة للمستخدم بغير قصد، أو حتى من خلال إرسالها بطريقة مفاجئة من طرف شخص آخر. وفي ذلك تقول الدكتورة في الإعلام والاتصال: "الكثير من مواقف السيرة مثلا تعلمتها من الفيديوهات الموجودة في الفايس بوك"، وتقول العاملة بدار المسنين: "كثيرا ما تصلني فيديوهات جديدة أو أحاديث أو آيات قرآنية من أصدقائي في الواتساب"، ولا يفوتنا هنا الحديث عن عملية مشاركة النصوص والصور والروابط التي تزداد انتشارا عبر هذه المواقع، والتي تتيح خاصية تعميم

الفائدة على الجميع، بل إنها من الدوافع الأساسية التي تحفز استخدام الوسائل التواصلية، حسب ما توصلت إليه دراسة Winda Monika¹ and other¹.

كما أكد أغلب المشاركين في المقابلة بأنهم ينتمون إلى مجموعات خاصة بقضايا الدين الإسلامي، وأنهم مشتركين في صفحات الكثير من الدعاة منهم: عمرو خالد، طارق رمضان، ذاكر نايك، محمد العريفي... وغيرهم من الدعاة المعروفين، وكل ذلك ساهم في توسيع مداركهم حول الإسلام ومختلف القضايا المتعلقة به، كما أتاحت لهم هذه المواقع المتنوعة سهولة الاستفتاء حول المسائل الدينية التي تعترضهم في حياتهم اليومية.

أما أستاذة التعليم العالي فكان لها اتجاه آخر حين قالت: "صحيح أن هذه المواقع تعطينا معلومات دينية، ولكنها لا تقدم لنا المعارف، فوحده الكتاب من يستطيع أن يقدمها"، نحن نتفق معها جزئياً في هذا الرأي من أن المعرفة العلمية الدقيقة الموثوق فيها لا يقدمها إلا الكتاب، ولكن تختلف معها من حيث مستلزمات العصر الحالي الذي يتميز بالسرعة والاختصار المعلوماتي، مما يجعل هذه المواقع أهلاً لذلك، خاصة بالنظر لطبيعة المعلومات التي في أغلبها مواعظ دينية أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية مما يتيح تلقيها بشكل سريع ومختصر، وحتى من أراد المعرفة العلمية الدقيقة والموثوقة فهذه الشبكات قد أتاحت له ذلك من خلال مواقع خاصة بتحميل الكتب الدينية، والمماثلة تماماً في محتوياتها للنسخ الورقية، مما جعلها ملاذ الكثير توفيراً للمال وجهد البحث في المكاتب.

من جهة أخرى نشهد اليوم تغيراً اجتماعياً ملحوظاً على مستوى مستخدمي هذه المواقع، أين باتوا يبحثون دائماً على المعلومات في شكلها السريع والمختصر، وهنا أثبتت الشبكات الاجتماعية قدرتها الفائقة في هذا المجال وفي كل المجالات والتي تجاوزت حتى عقول البشر.

بالنسبة للعناصر الثقافية الأخرى مثل: القيم، التاريخ، اللغة، العادات والتقاليد... فقد اعتبرها 3 من المشاركين أقل أهمية من حيث تخصيص وقت محدد للبحث فيها، إلا ما ظهر منها عابراً أثناء

¹- ارجع ص 61 من عرض الدراسات السابقة

تصّح هذه المواقع، وفي ذلك مثلا قال طبيب الجلد: "أستفيد من هذه المواقع كثيرا في الدين، أما التاريخ أو العادات وغيرها لا أهتم للبحث فيها". وهو ذات رأي طبيب الأطفال والمهندس، فقد ذكروا لنا أن البحث فيها خاص بمجال عملهم بالدرجة الأولى.

بينما الصحفي كان له رأي آخر حول التاريخ الذي يرتبط كثيرا بتخصصه ومجال عمله حيث قال: "أي موضوع تاريخي أبحث توفره لي شبكات التواصل، مختصرا أو مطولا، وقد ساعدني في ذلك تمكني من اللغة الإنجليزية"، وهذا القول يثير انتباهنا إلى نقطة هامة وهي استعمال اللغة الإنجليزية في البحث كلغة للعلم، تتوفر بها أكثر المعلومات في الأنترنت عموما، وبالتالي تشكل لنا معرفة واسعة حتى في مجال الثقافة، فقط يحتاج المتصفح هنا إلى فكر نقدي انتقائي لا يقبل بكل معلومة تصله.

أما أستاذة التعليم العالي فقد ساهمت هذه الشبكات في توسيع معارفها أدبيا ليس عن طريق المعلومات التي تقدمها، وإنما عن طريق المجموعات العلمية التي تنتمي إليها، ومما جاء في حديثها هنا: "أنا أفضل دائما الكتاب الورقي للبحث في تخصصي، لكن هذه المواقع وفرت لي تجمعات علمية كبيرة تتوفر على متخصصين عالميين في الأدب".

تمكنت شبكات التواصل الاجتماعي اليوم من توفير المعلومات حول الثقافة العربية الإسلامية بمختلف أشكالها ولغاتها، يكفي فقط أن تتوفر الرغبة والاهتمام والميول الشخصي والفضول العلمي، حتى يجد فيها المستخدم كل ما يروي ضمأه البحثي والاستكشافي في أي مجال يريد، إذ أسفرت لنا النتائج عن أن الدين فقط من يهتمون في البحث فيه بالنسبة لثقافتهم، أما ما سواه فقد يظهر لهم عرضيا، أو بفضل مشاركة من صديق آخر.

كما أن هذه الشبكات قد وفرت حيزا معرفيا كبيرا في مجال الثقافة العربية الإسلامية فهي تملك أيضا الإمكانيات اللازمة لتوصيل هذه المعلومات للأصدقاء الغربيين، فكيف استثمار المشاركون هذه الإمكانيات التقنية في تعريف الآخر الغربي بثقافتهم العربية الإسلامية؟.

➤ التعريف بالإسلام وتاريخه للآخر الغربي بفضل شبكات التواصل الاجتماعي

إن التعريف بالثقافة العربية الإسلامية للطرف الآخر الغربي يحتاج من المجتمع العربي أولاً أن يفهم ويعي جيداً ثقافته العربية، ثم أن يبحث عن الأساليب والمضامين والأوقات المناسبة لذلك، ومن المعلوم أن شبكات التواصل الاجتماعي تتوفر على كل هذه الميزات، فقط يكفي أن تجد من يحسن توظيفها، ويبحث عن المحتويات المناسبة فيها.

صرّح كل المشاركين ولكن بدرجات متفاوتة أنهم يستعملون فعلاً هذه المواقع في التعريف بأنفسهم، وتغيير صورتهم الذهنية لدى الآخر الغربي ولكن في حدود ضيقة، أين انحصر ذلك الاستعمال في بعض الفيديوهات والصور باللغة التي يفهمها الآخر، لتوضح له بعض الحقائق حول الثقافة العربية الإسلامية خاصة فيما يتعلق بالدين أو التاريخ، هذين العنصرين اللذين يثيران الكثير من الجدل ويشوبهما الكثير من الغموض والتساؤلات. ومن ذلك قول العاملة بدار المسنين: "أحاول كلما سمحت لي الفرصة وكان الموقف مناسباً أن أرسل له فيديو قصير يشرح الإسلام في نقطة محددة"، وأشار الصحفي في نفس السياق قائلاً: لدي علاقات كثيرة من جميع أنحاء العالم، وأتقن اللغة الإنجليزية جيداً، وأريد من خلال كتاباتي على هذه المواقع أن أعرف بالإسلام وتاريخه، دون أن أنسى تاريخ بلدي الحبيب".

كما عمد هؤلاء أيضاً على نقل بعض النصوص المكتوبة التي توضح للآخر الغربي بعض الحقائق التي يستفسر عنها، كالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وشهادة علمائهم بأخلاق محمد صلى الله عليه وسلم، وقضايا مختلفة حول التاريخ الإسلامي... وأشاروا إلى أن هذا الاستعمال يشمل شكلين من أشكال الاتصال: الاتصال الذي يتم بينهم عن طريق التعليقات في مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، أو الذي يتم بينهم شخصياً باستخدام مسنجر فيسبوك.

إن المجال العام الافتراضي بصفة عامة سواء كان على المستوى الشخصي أو الجمعي، يثير الكثير من القضايا التي تتعلق بالمشاركين كعرب مسلمين، والتي تتطلب منهم توضيح وجهة نظرهم

حول تلك المواضيع، وقد صرحت فئة منهم (4مشاركين) بأنهم كثيرا ما يكتفون فقط بعرض توجهاتهم الخاصة بأسلوب الكتابة والنصوص القصيرة فقط، مستلهمين أفكارهم من الواقع أولا والتاريخ ثانيا لتعريف الآخر بثقافتهم. ومن ذلك قول طالبة الدكتوراه: "كثيرا ما أكتفي فقط بإبداء رأيي دونما تدعيم علمي، وهذا يتعلق عادة بطبيعة المواضيع".

إن ما ذكرناه حول إمكانية هذه الشبكات في تعريف عينة المقابلة بثقافتها العربية الإسلامية، هو ذات الاتجاه في تمكينها لهم من التعريف بثقافتهم للآخر، بفضل ما تتوفر عليه من مميزات لم يوجد لها مثل عبر التاريخ، يكفي فقط - كما ذكرنا سابقا- توفر الرغبة والاجتهاد في البحث والتنقيب عن الحقائق، والاستغلال الأمثل لتلك الوسائط بما يتوافق مع طبيعة الموضوع وشخص الآخر، والوقت الأنسب حتى يتحقق الهدف المنشود، ولكن السؤال المطروح هنا: هل أتاحت أيضا هذه الشبكات توفير المعلومات الخاصة بثقافة الآخر الغربي؟ وهل ساعدت المشاركين في توسيع آفاقهم في هذا المجال؟

➤ التعرف على ثقافة الآخر الغربي في حدود إمكانيات تقنية كبيرة واهتمام محتشم من المشاركين:

من مميزات شبكات التواصل الاجتماعي أنها تقدم المعلومات بمختلف اللغات، ويكفي فقط أن يحسن الشخص البحث فيها ليجد المعلومة التي يحتاجها، والتي تستطيع أن توفرها له في أقصر وقت وبأقل جهد ممكن.

انقسمت آراء المشاركين في ذلك، فأربعة منهم صرحوا بأنه حاولوا التعرف من خلال الشبكات الاجتماعية على ثقافة الآخر الغربي، وقد شملت هذه المعرفة كل من أبعاد اللغة الأجنبية، القيم، التاريخ، وذلك من خلال مشاهدة بعض الفيديوهات التي تتحدث في هذه المجالات، كذلك من خلال الاطلاع على ما يرسله له الآخر من روابط تعرفه ببعض خصائص ثقافته الغربية، وذلك في سياق معين يفرض تواجدها، فمثلا قالت أستاذة الإنجليزية: "هذه الشبكات ساعدتني كثيرا في

إتقان الإنجليزية من خلال مختلف الفيديوهات والدورات"، وقال الصحفي عن التاريخ: "أحب أن أقرأ عن تاريخه لأتناقش معه عن بيئة، لا أكتفي بما يرسله لي لأنه بالتأكيد يوافق آراءه بل أبحث عن الحقيقة بنفسه، والمواقع لا تعد ولا تحصى".

كما كان ذلك التعرف أيضا عن طريق الانضمام إلى مجموعات تثير بعض القضايا الخاصة بالمجالات السالفة الذكر، فقالت العاملة بدار المسنين مثلا: "انضمامي للمجموعات عرفني كثيرا بعاداته وتقاليده"، ويبدو أن طبيعة عملها كانت محفزا لها للبحث في هذا المجال حتى تجيد التعامل مع هذه الفئة الخاصة في فرنسا، لتتعدى تلك المنفعة إلى علاقتها الاتصالية بالآخر الغربي.

بينما أستاذة التعليم العالي وكما صرحت سابقا فهي تنتمي إلى مجموعات عالمية تختص بالأدب الفرنسي، وهو ما وسع كثيرا من مداركها في هذا المجال، إضافة إلى حديثها عن التبادلات العلمية بينها وبين الفرنسي في هذا المجال. مع تأكيدها دائما على ضرورة الرجوع للكتب، وهو ما يجعلها تتواصل مع الآخر بخلفية المثقف الواعي وليس المستخدم الهاوي.

أما بقية المشاركين فكان تعرفهم على ثقافة هذا الآخر عابرا، فرضته فقط بعض سياقات الحديث، دون أن تكون هناك نية صادقة في البحث والتنقيب عن حقائق تتعلق بهذا الآخر وثقافته، فالبحث عندهم فقط مقتصر على ثقافتهم عندما تثار حولها الشكوك.

عموما أكد المشاركون أن أهم ميزة توفرها الشبكات في التواصل الاجتماعي هي ميزة ترجمة النصوص آليا، سواء كانت المكتوبة أو السمعية البصرية، فرغم أنهم يجيدون لغة الآخر فذلك لا يمنع تدعيمها أيضا بالترجمة، تأكيدا وترسيخا للمعلومة أكثر. كما أن هذه الشبكات أيضا سمحت لهم بالوصول إلى هذه المعلومات في شكلها المختصر الذي يركز على النقاط الأساسية، وهو ما يبحثون عنه، إذ لا يريدون التعمق في الموضوع، لأن هدفهم فقط أن يتعرفوا على أهم العناصر التي تعبر عن شخص هذا الآخر الغربي حتى يسهل عليهم التواصل معه، وهو ما صرفهم عن البحث على هذا النوع من المعلومات في الكتب.

بالرغم من المزايا المعلوماتية والتقنية الكثيرة التي تتوفر عليها شبكات التواصل الاجتماعي، لا يمكن أن تخلو من العوائق التي تحول دون تحقيق تواصل فعال مع الآخر الغربي، أو تعرقل سيورة العلاقة بينهما، وعليه فيم تتمثل هذه الصعوبات التي تتسبب في تشويش العملية الاتصالية بين المشاركين والآخر الغربي؟.

➤ عرقلة التواصل مع الآخر الغربي في ظل تعدد معيقات شبكات التواصل الاجتماعي

على قدر الإيجابيات الكثيرة التي توفرها شبكات التواصل الاجتماعي في العمليات الاتصالية بين الأفراد، لا يمكن أن تتجاهل المعوقات التي تضعها في طريقها، مما يسبب الكثير من المشاكل على هذا المستوى.

لقد بينَ المبحوثون وجهة نظرهم في هذه الجزئية بالإشارة إلى مجموعة معيقات تحول دون تحقيق أهدافهم الاتصالية مع الآخر الغربي، وانطلاقاً من إجاباتهم قمنا بتقسيمها إلى فئات إحداها تتعلق بمعيقات على المستوى الشخصي وأخرى على المستوى التقني وثالثة على المستوى المعرفي، كالتالي:

(أ) - معيقات شخصية: وتتمثل فيما يلي:

- **استنزاف الوقت الشخصي:** ذكر 3 من المشاركين أن شبكات التواصل الاجتماعي تسرق منهم الكثير من الوقت في التواصل بلا وعي، إذ لا يحس الفرد بنفسه ليجد الساعة والساعتين قد مرت، فهي وإن كانت تختصر الوقت في توفير المعلومات حول موضوعات مختلفة بمختلف الوسائط المتعددة، إلا أنّها تستنزفه من جهة أخرى في النقاشات وتبادل الآراء المثيرة للجدل، خاصة وأن التواصل عادة يتم بعد تفرغ كل الطرفين من مشاغل الحياة، والذي يكون أغلبه في الفترة المسائية، وفي هذا السياق مثلاً قال طبيب الأطفال: "أقضي الكثير من الوقت دون أن أشعر حتى أي مرة تحدثت 3 ساعات، وقد كان وقتها النقاش حول الإرهاب وعلاقته بالإسلام".

- **الخوف من مدى مصداقية الهوية:** تمثل الهوية سلسلة ديناميكية تتغير وتتبدل بمرور الزمن وباختلاف المكان على العموم، وتدعم المشاركة في الإنترنت -بل وتعزز أيضاً- هذا النوع من

استكشاف الهوية فيمكن للناس القيام بإجراء التجارب على الهوية خلال المساحات الشبكية ويجربون الهويات الأخرى، كما يستطيعون التعبير عن الهويات الممنوعة والمحرمة، مثل هويات الجنس والنوع، لكن أحيانا ما تضع المواقع المجتمعية على عاتقها مسئولية تحديد ومراقبة حدود المجتمع بهدف فهم وقبول هويات معينة، ومن ناحية أخرى تهميش وإقصاء هويات أخرى.¹

تسبب الشبكات الاجتماعية في عمومها الكثير من المتاعب على مستوى الهوية، وفي ذلك يقول الدكتور رضوان بوجمعة: "... فالإنجازات التقنية لا تكفي للتقريب بين الناس، ولكن تعيد بشكل خاص مختلف وجهات النظر أكثر مرئية، كما تعيد ما يفرقها أكثر مرئية كذلك. فالتطور الاتصالي على مستوى الوسيلة أنتج المفارقة التي مفادها أن الاتصال الذي كان من المفروض أن يقرب بين الناس يصبح في الواقع الكاشف عما يبعدهم".²

يكون الاتصال عادة سببا في التفرقة إذا ثبت غياب الصدق في المعلومات الشخصية التي يقدمها الآخر الغربي عن نفسه في سياق هويته الافتراضية، خاصة مع انتشار الأسماء والألقاب المستعارة، ومعلومات شخصية لا تعبر عن حقيقة الشخص، وفي هذا السياق صرحت أستاذة الإنجليزية قائلة: "اكتشفت مرة أني أتواصل مع انجليزي بمستوى ثانوي وهو متخفي وراء مستوى جامعي"، وهذا فقط نموذج من النماذج الكثيرة التي تشهدنا شبكات التواصل الاجتماعي في مختلف العلاقات، بسبب إمكانية إخفاء الهوية الحقيقية والتواصل بأسماء وألقاب لا علاقة لها بحقيقة الواقع.

إن عدم الإفصاح عن الهوية الحقيقية خاصة على مستوى التواصل الشخصي الانفرادي يبقي الآخر الغربي دائما في دائرة الشك - كما صرّحت أستاذة التعليم العالي-، مما يلبس العلاقة الاتصالية ثوب الخوف من الآخر الغربي وعدم الثقة فيه، خاصة مع تباين الثقافات بينهما، وغياب التواصل في أغلب الأوقات عن طريق الفيديو أو الصوت، مما يستدعي فعلا أخذ الحيطة والحذر وتوقع أي شيء في هذه العلاقة، وهو ما يعيق تحقيق الأهداف الاتصالية الفعالة.

¹ - يوحينيا سيابيرا، مرجع سابق، ص 315.

² - رضوان بوجمعة، مرجع سابق، ص 17.

هذه الحيلة الواجب الأخذ بها مرهونة بالاتصال الشخصي لا الجمعي الذي لا يمكن التحكم في سيرورته، والذي يوفر مجالا واسعا للتعصب والتهجم - كما صرح المشاركون - على عكس اتصالمهم الشخصي الذي يسوده الاحترام المتبادل الذي فرضته المعرفة الشخصية بينهما، كأكبر عامل يضبط هذا النوع من العلاقات.

(ب) - معيقات معرفية: أما بالنسبة للمشكلات التي تتعلق بالجانب المعرفي فكان على رأسها - حسب قول المشاركين - احتمال الوقوع في سوء الفهم لأفكار الطرف الثاني، خاصة في ظل افتقار هذا التواصل الافتراضي كثيرا للغة الجسد التي تساعد في توصيل الكثير من المعاني، إذ من خلال الملامح يمكن أن يظهر اتجاه الحديث ومغزاه، ورغم إمكانية التواصل صوتا وصورة إلا أن أغلب مفردات عينة المقابلة لا يفضلونه مع الغرباء.

ضف إلى ذلك أن بعض المشاركين كطالبة الدكتوراه أو الدكتورة في الإعلام والاتصال يجيدان الحديث صوتيا بالغة الأجنبية أكثر من الكتابة بها، مما قد يوقعهما في أخطاء لغوية يمكن أن تنحرف بالمعنى الصحيح، أو تقدم صورة سيئة عن المستخدم العربي في هذا الجانب.

(ج) - معيقات تقنية: ونختصرها انطلاقا من إجابات المشاركين فيما يلي:

• **ضعف شبكة الانترنت:** وهي معاناة عامة في الدول العربية وفي الجزائر خاصة، مما قد يوقف العلاقات لفترة بسبب انقطاعها، أو يسبب في تشويه بعض رسائلها في حالة تذبذب الشبكة، إذ يرسل بعض الكلام فقط دون كله. وهنا تحدثت مثلا أستاذة الإنجليزية عن عمل كان عليها أن ترسله للآخر، إلا أنها تأخرت لفترة من الزمن بسبب هذا الانقطاع، وهو ما يمكن أن يضع المشارك هنا تحت تهمة الإهمال أو عدم احترام المواعيد.

• **سهولة قطع العلاقة:** كذلك تحدث اثنان من المشاركين على إمكانية قطع الاتصال نهائيا من أحد الطرفين بأسرع وأسهل الطرق، دون محاولة إعطاء الفرصة للطرف الثاني لشرح سلوك معين سلكه نحوه، وهو ما يجعل العلاقات في أكثرها مؤقتة، سريعة البتر إن لم يجد كلا الطرفين الفائدة

المرجوة من التواصل، وهذا ما يختلف عادة عن العلاقات الواقعية التي تأخذ الكثير من الاعتبارات قبل قطعها. وهنا قدم الصحفي مثالا عن تجربة مرّ بها في ذات السياق قائلا: "اتفقت مرة مع صديق من إنجلترا على أن أرسل له ملفا خاصا عبر الفايبر بوك، فجأة جاءتني مكالمة من مكان عملي تستدعيني على الفور لتغطية حدث خاص في تلك الفترة، وأنتم تعرفون طبيعة العمل الصحفي، عندما تفرغت وجدت أنه حجبي من صفحته بكل بساطة، للأسف لم يحاول حتى البحث عن السبب". إن هذا الموقف يحيلنا بطريقة غير مباشرة إلى الصورة الذهنية التي يحملها الآخر عن المجتمع العربي الإسلامي، وسلوكه هذا ليس أكثر من انعكاس لتلك الصورة. مما يجعل هذه العلاقات أيضا عرضة للقطع في أي لحظة أن كثيرا منها هو حبيس الفضاء الافتراضي، خاصة بالنسبة للذين يعيشون في وطنهم - كما صرّحت الدكتوراة في الإعلام والاتصال -، مما يجعل التجراً على فض تلك العلاقة أو استبدالها ممكن في أية لحظة.

خلاصة

خلاصة لما سبق يمكن القول أن اتجاهات عينة المقابلة نحو شبكات التواصل الاجتماعي ومدى إتاحتها للتواصل مع الآخر إيجابية إلى حد كبير، سواء فيما تعلق بتعرّفها على ثقافتها أو التعريف بها للآخر الغربي، أو حتى التعرف على ثقافة هذا الآخر من خلالها، ولكنها لم تستغلها بالقدر الكافي فيما يتعلق بهذه الجوانب. ورغم من تلك الإيجابيات والتسهيلات التي تقدمها هذه الشبكات في سبيل الحفاظ على سلامة العلاقة بين الطرفين إلا أنها تضع في طريقهم أيضا الكثير من العقبات التي تنوعت بين الشخصية والمعرفية والتقنية، والتي يمكن تجاوزها فقط إن توفرت نية الحفاظ على العلاقات واستمراريتها.

4- فئة توجّهات المشاركين نحو الرسالة في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي عبر الشبكات

الاجتماعية

تعتبر الرسالة لب العملية الاتصالية وجوهرها، لأنها تحتوي على المعاني أو الأفكار أو المشاعر أو الاتجاهات أو المعارف التي يريد المرسل نقلها وإيصالها إلى المتلقي. ويأخذ التعبير عن هذه المعاني أو الأفكار أشكالاً عديدة، فقد يكون لفظياً أو كتابياً أو جسدياً.¹

كل تعبير من هذه التعبيرات يتطلب بالطبع قدرة عالية، ومهارة محددة من المرسل حتى يستطيع إيصال رسالته إلى المتلقي، ونظراً لأهمية الرسالة في العملية الاتصالية فقد عدّها "مارشال ماكلوهان" (MacLhon) الاتصال أو الإعلام نفسه (The media is the message) بخاصة في مجال الاتصال الجماهيري.²

وجدنا صعوبة في الفصل بين توجّهات المشاركين نحو الوسيلة ونحو الرسالة التي هي جزء لا يتجزأ منها، بل إنّها هي التي تحدد قيمة الوسيلة وفعاليتها من عدمه، وعموماً فقد حاولنا معالجة هذه الجزئية بالاستعانة بالمؤشرات الآتية:

➤ المواضيع العلمية والبحثية محور الرسائل المتبادلة بين المشاركين والآخر الغربي في الفضاء الإلكتروني:

تنوعت المواضيع التي طرحت للنقاش بين المشاركين في المقابلة والآخر الغربي بين مواضيع عرضت على المستوى الشخصي بينهما، وبين أخرى كانت علنية عن طريق التعليقات على مختلف المنشورات أو الفيديوهات، إلا أن محور الاهتمام هنا سيكون حول المواضيع ذات البعد الشخصي في العلاقة.

¹- حلمي ساري، مرجع سابق، ص 37.

²- المرجع نفسه.

صرّح 8 مشاركين (عدا العاملة بدار المسنين) بأن المواضيع العلمية ومجالات البحث العلمي من أبرز مواضيع المحادثة مع الآخر الغربي، وهو ما يتوافق مع مستواهم العلمي الجامعي من جهة، وطبيعة المهنة التي يشغلونها من جهة ثانية، مما يحقق تبادل الخبرات والمعارف¹ في المجال العلمي حسب تخصصات واهتمامات المشاركين، ولا نشك هنا في أن التواصل مع الآخر الغربي في هذا المجال قادر على إشباع رغبات عينة المقابلة وتحقيق أهدافها ومصالحها، فحبّه للعلم والمعرفة وتقدمه في هذا المجال من أهم السمات التي تميزه عن غيره من الثقافات الأخرى. ومن أمثلة تلك التصريحات قول طبيب الجلد: "أتواصل عبر الفايبر بوك مع أصدقائي في العمل هنا في ألمانيا، وقد ساعدني هذا الأمر في مجال عملي، حيث نتناقش ونتبادل البحوث"، وهو ما يعني أن هذه العلاقات مبنية على المنفعة العملية أكثر من أي شيء آخر.

تنوعت المواضيع العلمية بدورها حسب تخصصات المشاركين ومهنتهم التي يشغلونها، فمثلا ذكرت أستاذة التعليم العالي أمثلة منها قائلة: "دار حديثنا عن مختلف التظاهرات العلمية التي يشهدها بلدنا، وأيضا وضع الأستاذ الجامعي واهتماماته ومشاكله... وموضوعات أخرى تتعلق بالأدب"، وهكذا كل حسب تخصصه واهتماماته المهنية، يتبادل مع الآخر الخبرات والمعارف والمستحدثات في مجاله، بل يساعده ذلك حتى في اكتساب مهارات التعامل مع الجديد في مجاله مثلما صرح المهندس.

أما العاملة بدار المسنين فصرحت بأن أكثر المواضيع التي تناقشها مع هذا الغربي (امرأة وليس رجل) هي المواضيع الاجتماعية التي تتعلق بحياتهم هناك في فرنسا، خاصة فيما يتعلق الأمر بمسؤولياتهم الاجتماعية مع أبنائهم بمختلف زواياها سواء التربوية أو المدرسية أو النفسية.

لقد كان هذا النوع من المواضيع هو ثاني اهتمامات المشاركين السابقين، أين صرحوا بأنهم تحدثوا مثلا عن غلاء المعيشة والظروف الصعبة التي يمرّ بها المواطنون خاصة في البلد العربي، وذكر

¹ - وهو ما يتماشى مع نتائج الاستبيان، انظر ص 229.

الصحفي في هذا السياق قائلاً: " تحدثنا كذلك عن الانحطاط الأخلاقي الذي يشهده العالم الغربي اليوم"، ومعنى إثارة هذا الموضوع مع الآخر الغربي أنه يتمتع بقدر كبير من التسامح واحترام الرأي الآخر، وإلا لم يكن يسمح بإثارة مثل هذا الموضوع.

ظهر في مرتبة مواءمة وبالنسبة لجميع المشاركين في المقابلة المواضيع الدينية، نظرا لمكانتها عند عامة المشاركين، ثم إنها تزداد أهمية وخصوصية عند التواصل مع الآخر الغربي، تحقيقا لهدف نشر الإسلام والتعريف بيه عند غير المسلمين، كما أن هذه المواضيع هي الأكثر حساسية بين الطرفين، وقد تحدث المشاركون عن قضايا متنوعة في هذا المجال، فمثلا ذكر بعضها طبيب الجلد قائلاً: "أهتم كثيرا بمعرفة الفروقات بين الديانتين وأوجه الاختلاف والتشابه بينهما، مع عدم الإساءة لبعضنا"، ثم أضاف قائلاً: "تحدثت مع صديقي الألماني تحديدا عن التعدد في الإسلام وحرمة الزنا والخمر"، وتحدث الصحفي عن هذه المواضيع قائلاً: "تناقشت أيضا مع بعض الفرنسيين عن التطرف وخطية الإعلام والخطاب السياسي الحاد والحاقد ضد الإسلام والمسلمين خاصة من فرنسا".* أما العاملة بدار المسنين فصرحت بقولها: "تحدثنا عن تماسك الأسرة عندنا والاحترام الخاص الذي يحظى به الوالدين في الإسلام، وأيضا الشعائر الدينية في الإسلام وإحيائها".

رغم تعدد هذه المواضيع الدينية التي تطرق لها المشاركون في الحوار مع الآخر الغربي، إلا أنها تصبّ بنسبة أكبر في المجال الإسلامي دون ديانة الآخر، ما يوحي بتقبل هذا الطرح من طرف الآخر من جهة، ويوحي من جهة أخرى بعدم اهتمامه بالحديث عن ديانته، فمثلا قالت العاملة بدار المسنين عن الآخر ودينه: "يعتبر الدين لديهم مسألة شخصية لا داعي للخوض فيها"، بمعنى يمكن أن يكون علمانيا يستصغر أهمية الدين في الممارسة الحياتية، أو لاقتناعه بتمسك المسلمين بدينهم رغم التقصير الذي تشهده ممارستهم له. وعموما فالمواضيع الدينية وخاصة منها الإسلامية تثير الكثير من الجدل حول قضاياها عند الآخر الغربي، والنقاش حولها يتطلب سعة الاطلاع وقوة الحجج، وإلا

* - وهو ما يتوافق مع نتائج تحليل المضمون التي تحدثت عن العنصرية التي كثيرا ما تمارسها فرنسا على المسلمين.

سيكون عقيما لا محالة، حتى أنه قد يؤدي إلى زعزعة بعض المعتقدات والشعائر للمسلم، مما يمنح في المقابل مساحة للآخر لإثارة الشبهات حول الإسلام.

أما بقية المواضيع بالنسبة للمشاركين ككل فكانت عرضية بحسب المواقف والسياقات التي فرضتها، في إطار الموضوع الرئيسي في الحديث، فذكرت طالبة الدكتوراه أنها تحدثت مع الآخر عن العادات والتقاليد في المجتمع الجزائري بصفة خاصة، وهي عادة من المواضيع التي تلاقي استحسانا في الحوار ورغبة في التعرف عليها من كلا الطرفين.

بالنسبة للجانب السياسي كان الحديث فيه حكرا على الصحفي حيث قال: "السياسة أهم مجالات اهتمامي، ودائما أثير النقاش مع الغربيين في مواضيع مختلفة، منها سوء الحوكمة والعزوف الديمقراطي والنظام الشمولي وظاهرة الفساد والخطاب السياسي المتطرف اتجاه المسلمين، وهي موضوعات تتعلق بطبيعة مهنتي". ونظرا لحساسية هذا المجال الذي يثير الكثير من الآراء والتناقضات والجدال العقيم، يسعى المشاركون دائما لتجنب الخوض فيه حتى لا يؤثر سلبا على العلاقة التواصلية بينهم وبين الآخر الغربي.

لم يقتصر الحديث حول قضايا الطرف العربي في الدين الإسلامي فقط، بل شمل أيضا المجالات الأخرى التي تتعلق به أكثر من الآخر الغربي - كما هو واضح من إجابات المشاركين -، وهو ما يعبر ربما عن وجود اهتمام من الطرف الآخر بمعرفة ثقافة المجتمع العربي الإسلامي وكيفية سيرورة حياته أكثر من اهتمامه بعرض ثقافته وظروف بلده، مما يعكس انتباهه إلى أهمية معرفة ثقافة وتفكير من يتواصل معه، لما لهذا الأمر من أهمية في إنجاح العلاقة التواصلية، ومن ثم الحفاظ على بقائها.

إن اختلاف المواضيع وتعددتها في الرسائل التواصلية بين الطرفين، يتبعه بالضرورة تنوع في الأهداف التي يريد كلا الطرفين أن يحققها، وسواء تماثلت الأهداف أو تباينت، أضمهرها المستخدمون أو أعلنوا عنها، لا بد أن تتحقق في صورتها الكاملة أو الجزئية، في اتجاهها الإيجابي أو السلبي، وعليه فيم تتمثل الأهداف التي يسعى كلا الطرفين لبلوغها في من خلال رسائلهم التواصلية؟.

➤ التواصل الافتراضي مع الآخر الغربي مجال رحب لتحقيق الأهداف لكلا الطرفين:

لا يمكن أن تصاغ رسالة اتصالية دون أن يكون هناك هدف من ورائها، لأن تحقيق الأهداف هو المحفز الأول للتواصل مع الآخرين، وإذا غابت الأهداف فلن يكون لذلك الاتصال أي مغزى. ونظرا لتعدد هذه الأهداف التي بعضها مشترك، والبعض الآخر خاص بطرف واحد، قمنا بتقسيمها في فئات تسهلا لعرضها، وتمثل فيما يلي:

• تبادل الخبرات والمعارف والمهارات: وضح لنا 8 مشاركين (عدا العاملة بدار المسنين) أن هدفهم الأول من التواصل مع الآخرين عبر الشبكات الاجتماعية هو هدف يتعلق بمهنتهم بالدرجة الأولى، أي بغرض اكتساب معلومات جديدة منهم أو تعلم مهارات يستفيدون منها في عملهم، بما يمكن أن يحقق لهم زادا معرفيا كبيرا. ويؤكد المشاركون هنا أن المنفعة كانت متبادلة، إذ استطاعوا بدورهم أن يقدموا للآخر ما يمكن أن يستفيد منه أيضا، وقد كان ذلك أساسا من خلال التواصل على المستوى الشخصي، أو من خلال المجموعات المتخصصة المنخرطين فيها، والتي تتعلق باهتماماتهم. وقد قال مثلا طبيب الأطفال في ذلك: "أفادني جدا انتمائي للمجموعات المتخصصة في طب الأطفال، الكل لديه معلومات هامة حتى العرب وليس الأجانب فقط".

كما استفاد هؤلاء المشاركون كثيرا من مهارات التواصل التي يتقنها الآخر أكثر منهم على حدّ قولهم، مثل: حسن الاستماع، اللباقة في الحديث، الليونة في الحوار، حسن الاستدلال واستعمال الحجج...، ومن ذلك مثلا قول الدكتورة في الإعلام والاتصال: "يتقن التواصل بمهارات عالية، مثلما قرأتها في الكتب الأجنبية".

نؤكد هنا أن ملاقة العرب التاريخية مع الغرب في جبهات متعدّدة، رغم ما سببته من صدمات ونكبات وإهانات، قد فتحت أعينهم وجعلتهم يكتشفون أن للغرب أيضا ثقافة جديدة تحمل قيما إنسانية مشتركة جديدة بالتقدير، وآدابا وفنونا وعلوما نافعة وتكنولوجيا، وأن بعض مكونات تلك الثقافة يسّرت سبل إدخال إصلاحات مهمة في أنظمة الحكم والإدارة والتعليم والصحة عند العرب،

كما أتاحت إمكانات للتعرف على العلوم الحديثة ومناهجها، وامتلاك مناهج علمية خصبة وناجعة لدراسة التاريخ والتراث، وغير ذلك مما يدخل في مجال التحديث الثقافي والمجتمعي.¹

● **إتقان اللغات الأجنبية:** صرّح بعض المشاركين (4 منهم) بأن الهدف من وراء هذه العلاقة هو إتقان اللغات الأجنبية وممارستها فعليا مع أهلها، فالتعلم المجرد النظري من شأنه الاندثار بسرعة، وهنا كانت المنفعة في اتجاه واحد. والضعف في اللغات الأجنبية من بين أكبر المشاكل الثقافية التي يعاني منها الكثير من أفراد المجتمع العربي الإسلامي والتي تؤثر كثيرا على طبيعة معارفه وقيمتها العلمية، لذا فإن التواصل مع الآخر يمكن أن يكون أحد الحلول والعوامل التي تذلل صعوبات تعلم اللغات الأجنبية عموما والإنجليزية خصوصا. ومن ذلك مثلا قول أستاذة الإنجليزية: "وددت أن أتقن اللغة الإنجليزية بشكل أفضل، فاخترت أصدقاء يساعدوني في ذلك، فالممارسة خير سبيل للتعلم"، فإذا كانت هذه المشاركة متخصصة في اللغات وتقرّر بذلك، فما بالك بالأفراد الآخرين، خاصة الذين يعيشون في بلدهم هنا. وقد تحدثت طالبة الدكتوراه عن اللغة الفرنسية قائلة: "زاد إتقاني للفرنسية بعد صداقتنا".

إن الانفتاح على الحضارة الحديثة يمر عبر إتقان اللغة الأجنبية، الفرنسية أو الإنجليزية. وبالنسبة إلى الكاتب عبد الكريم الخطيبي، فإن المرور عبر الفرنكوفونية ضروري لأسباب تاريخية بديهية. ورغم ذلك، فإن الفرنكوفونية لا تعني المجاملة حيال لغة - ثقافة خالية من كل تحقّظ، ولا تعني قبولا غير مشروط لنموذج إمبريالي.²

● **تعزيز العلاقات الواقعية:** أقرّ المشاركون الخمسة الذين يعيشون بالخارج بأن هذا التواصل مع الغربي عبر الفضاء الافتراضي قد سمح لهم بتعزيز علاقاتهم الواقعية بصفة أكبر، لأنّ بينه وبين هذا الآخر إما علاقة زمالة عمل، أو جيرة في الواقع، أو أي شكل آخر من العلاقات الاجتماعية، لذا عمدوا على توطيدها أكثر من خلال توسيعها إلى العالم الافتراضي. وهو ما أثبتته دراسة Raja Zainal Hassan and other. من أن الطلاب الأجانب يستمتعون بالتواصل مع أقرانهم المحليين من

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 112.

² - أحمد بوكوس، مرجع سابق، ص 163.

ثقافات مختلفة عن طريق الفاييس بوك،¹ وتعبيرا عن هذا الاتجاه نشير إلى قول العاملة بدار المسنين: "أحتاج أن أتواصل مع والدتي زميل ابني في الدراسة والشبكات سهلت ذلك كثيرا"، والذي يتوافق أيضا مع دراسة "Ming Xie1 & Chin-Chung Chao" التي توصلت إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي عوضت فقدان الدعم الاجتماعي ورأس المال الاجتماعي غير المتصل بالإنترنت من بلادهم الأصلية.²

• تعريف الآخر بالثقافة العربية الإسلامية والتعرف على ثقافته: وكان من بين الأهداف المشتركة التي صرح بها المشاركون أيضا- وإن كانت بدرجة أقل- الأهداف الثقافية المتمثلة في التعرف على ثقافة الآخر وتعريفه بالثقافة العربية الإسلامية، وهما هدفين متخفيين وراء ستار الصداقة وتبادل المنافع. ومن ذلك مثلا ما قاله سابقا طبيب الجلد: "أهتم كثيرا بمعرفة الفروقات بين الديانتين وأوجه الاختلاف والتشابه بينهما، مع عدم الإساءة لبعضنا"، وهذا الأسلوب من أهم أساليب التعلم والتعرف بالشيء. وقد لاحظنا أنه لم يكن هناك من عينة الدراسة من تتواصل مع الآخر بهدف تضييع الوقت، مما يعكس درجة وعي هذه الطبقة المثقفة، وفي ذلك تقول أستاذة التعليم العالي: "الوقت عندي أتمن من أن أضيعه في أي علاقة".

• اكتساب قيم عملية وتواصلية من الآخر: وصرح أيضا بعض المشاركين (3منهم) بأنه من بين أهم الفوائد التي حصدها من ذلك التواصل هو اكتسابهم لقيم عملية وتواصلية يحسن الآخر تمثلها، والتي كانت من أهمها: احترام الوقت، حب العلم والمعرفة، إتقان العمل، التواصل العلمي، أدب الحوار...، والتواصل هنا مع الآخر يمكن أن يحقق الاستفادة من هذه القيم التي على ضوءها قامت حضارته وذاع صيته عالميا في مختلف المجالات والتي على رأسها المجال التكنولوجي. وهذه القيم في مجملها قيم يعاني من غيابها أو تغييبها الكثير من المجتمعات العربية. وفي ذلك يقول المهندس: "لدينا قيما إيجابية ولكنها غير مفعلة، في المقابل الغربيين يقدسون هذه القيم التي هي ملكنا وإرثنا، ويجب علينا أن نتعلم منهم كيفية ممارستها واقعا"، وفي هذا الرأي توافق كبير مع ما

¹- انظر ص56 من الدراسات السابقة.

²- انظر ص63 عرض الدراسات السابقة.

توصلت إليه دراسة " Murat Seyfi. Deniz Güven " من إتاحة هذا الشبكات لاكتشاف وتكييف القيم الثقافية الإيجابية بشكل أكثر ملاءمة، مع استحضار مفهوم الحوار الثقافي المستدام.¹ من هنا نشير إلى أن التقدم الاجتماعي لا بد له من أن يرتبط بالعقل والقيم، وهذا المبدأ يدفعنا إلى تقرير وجود معادلة دقيقة وعميقة بين تنمية المجتمع من ناحية وبين السلم القيمي لذلك المجتمع من ناحية ثانية، مع ضرورة اختيار قيم جديدة في ضوء التطورات والتغيرات التي تشهدها المجتمعات المعاصرة.²

إن من باب مكاشفة النفس، يتحتم علينا الإقرار بأن كثيرا من عناصر الثقافة الغربية الحديثة أضحى تشكّل واحدا من المصادر الأساسية لوعينا الحديث ولثقافتنا العربية الإسلامية العاملة العلمية والأدبية والفنية والفلسفية والسياسية والحقوقية. وسواء شئنا أو أبينا، سيظل بعض من تلك العناصر حاضرا في ثقافتنا المعاصرة وفي مشاريعنا الثقافية المستقبلية، باعتبارها نماذج نحن ملزمون بالاستعانة بها في المرحلة الراهنة للتطور الحضاري البشري. وإذا بدا أن ثمة إشكالا ما قد يطرح في هذا الصدد، فينبغي ألا يطرح في صيغة الخيار بين قبول بديل الاستفادة من المثاقفة أو رفضه، بل بالأحرى يجب أن يتجدد ضمنا في الصيغة التالية: ما هي القيم الإنسانية العالمية التي ترفدها الثقافة الغربية الحديثة، وليس في إمكاننا الاستغناء عنها بتانا من أجل تحديث ثقافتنا، وما هي تلك التي يعتبر اتباعها والامتثال لها ضربا من التبعية الثقافية؟³

● تحسين الصور الذهنية لكلا الطرفين: أشار مشاركان إلى نقطة هامة جدا وهي محاولة تحسين الصور الذهنية لكلا الطرفين من خلال هذا التواصل كهدف مشترك بينهم، فالمشاركين من جهتهما يريدان أن يثبتا للآخر زيف الحقائق التي يقدمها الإعلام عنهم، أو ما ينشر في حقهم من كتابات حول الإسلام، وبالتالي يسعون لمحاولة تمثّل قيم الإسلام في أحسن صوره منها: التسامح، الحوار بالحسنى، احترام الرأي الآخر، التحكم في النفس عند الغضب... وغيرها من الأخلاق التي دعا

¹ - انظر ص 57 من الدراسات السابقة.

² - عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص 112.

³ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 40.

لها القراءان وتجسدت فعليا في السيرة النبوية، فقالت أستاذة التعليم العالي في الأدب هنا: "كلانا ليس بتلك الدرجة من السوء التي ينقلها الإعلام، والحل هو أن نتحاور ونتعاون لكشف الحقائق بكل موضوعية"، وهو ذات الأمر الذي يؤكد الصحفي الذي يعيش فعلا هذه التجربة الإعلامية ويعرف حقيقتها.

عموما فالحوار مع الآخر يوفّر مكاسب كبيرة، فهو يجنب العرب تصادما محكوما بالخسارة، نتيجة اختلال المعادلات الاقتصادية والعسكرية والسياسية بين الطرفين العربي الإسلامي والغرب، ويشكل صمام أمان لمجتمعاتنا، حيث يجنبها اندفاع العولمة إليها بشكل غير منضبط، كما يوفّر أجواء مناسبة للاحتفاظ بالذات وتقاليدها وشخصيتها المستقلة المفتوحة.¹

كل الأهداف السابقة عمل المشاركون على تحقيقها على المستوى التواصلى الشخصي، أما على المستوى الجمعي فذكر المشاركون أنهم يتواصلون من أجل إبداء الرأي حول مختلف القضايا التي تتعلق بهم، والتي تعرض أساسا من خلال اليوتيوب، وكذلك هو الحال بالنسبة للآخر الذي يناقش أيضا من خلال هذا الموقع -حسب رأي العينة-. ويكون التواصل في هذه الحالة عن طريق التعليق على المنشورات والفيديوهات، والذي يكون عادة بين أشخاص لا يعرفون بعضهم البعض، مما يجعل النقاش متعلقا بالأفكار فقط دون النظر إلى الأشخاص، ولكنه في ذات الوقت يجزّده من المسؤولية اتجاه الآخر، لأن الطرفين لا يعرفان بعضهما البعض، مما يمكن أن يوقعهما في تجاوزات وتعد على قيم التواصل الحواري. ومن ذلك قول طيب الأظفال: "أحب دائما أن أعلق على المواضيع التي نخصنا وتعرض بلغات أجنبية، أريد أن أردّ عليهم وأعبر عن رأبي الذي يعبر عن صورتنا كمسلمين".

في الأخير يمكن أن نشير إلى أن هناك فارقا بين التأثير بالثقافة والانتفاع بها. فالتأثر بالثقافة يعنى دراستها وأخذ محتويات أفكارها وإضافتها إلى الثقافة الأصلية، إما لوجود أوجه تشابه بينهما وإما لاستحسانها، ويؤدى التأثير بالثقافة إلى الاعتقاد في أفكارها وإلى اختلاط الأفكار مع بعضها وضياع

¹ - عبد المالك منصور، مرجع سابق، ص44.

الأفكار الأصلية منها. أما الانتفاع بالثقافة فيبدأ بدراسة الثقافة دراسة عميقة ومعرفة الفروق بينها وبين الثقافة الأصلية، واستعارة المعاني والتشبيهات دون أن يتطرق التناقض للثقافة الأم، ودون أخذ أو تبني أفكار الثقافة الأخرى عن الحياة والتشريع، بحيث لا تؤثر مطلقاً على وجهة النظر في الحياة.1
رغم تنوع الأهداف إلا أنها تتفق جميعاً على خدمة الطرفين بدرجات متفاوتة، وتحتاج لتحقيقها إلى توفر مجموعة من الخصائص التي تحقق وصول الرسالة في أحسن صورها، فماهي تلك الخصائص التي ظهرت في الرسائل التواصلية بين المشاركين في المقابلة والآخر الغربي؟.

➤ خصوصية رسائل الآخر وتكاملها البنائي في العلاقة الاتصالية مع المشاركين

من شروط نجاح الرسالة الاتصالية بين طرفي الاتصال وتحقيقها لأهدافها، أيضاً أن تتوفر على مجموعة خصائص تضمن لها بلوغ المراد منها، لذا يجب الحرص على توفير الحد الأدنى على الأقل منها، وقد استنتجنا من خلال إجابات المشاركين مجموعة من الخصائص قد تتوفر في كلا الرسالتين، وقد تتوفر عند أحدهما فقط، نعرضها من خلال الفئات الجزئية الآتية:

- **وضوح الأفكار وبساطتها:** أقرّ 8 من المشاركين بأن رسائل الآخر في مجملها واضحة من حيث المعلومات والأفكار التي تتضمنها، لا يتخللها في العموم أي لبس أو غموض، بسيطة وخالية تماماً من التعقيد، فهو يستعمل مفردات مفهومة تحمل معنى واحداً، وحتى المتخصصة منها تتوافق مع مستواها العلمي ومهنتها المشتركة عادة، ومما يعكس هذا الاتجاه قول المهندس: "فعالاً يحبون البساطة في كل شيء، في اللباس في المسكن وكذلك في تقديم الأفكار"، ما عدا طبيب الأطفال الذي لاحظ غياب هذه الخاصية في أحد الجوانب قائلاً: "حتى أفكارهم في الطب يعرضونها ببساطة، ما عدا الدين"، وهنا يمكن أن يكون ذلك نتيجة لتعدد أفكار الديانة في حد ذاتها، والتي لا يعرف عنها المشاركون الكثير.

1- أحمد إبراهيم خضر، انفتاح الإسلام على ثقافة الآخر دعوة لتبني الإسلام وإزالة أصالته، موقع الألوكة 2023/07/12

في المقابل أقر ذات المشاركين بوضوح أفكارهم أيضا، وإن كانت أقل درجة نوعا ما من أفكار الآخر، وقد اختصرت لنا دكتورة الإعلام والاتصال السبب في قولها: "أكيد هو يتكلم بلغته الأصلية يعني سيختار المفردات الأبسط والأوضح".

● سلامة اللغة: أشاد كل المشاركين (عدا العاملة بدار المسنين) بسلامة اللغة التي يوظفها الآخر في رسالاته عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ولا غرابة في ذلك لأنها أولا لغته الأم، وثانيا لأنه يحظى بمستوى علمي جامعي فما فوق (كما يتضح من إجابات المشاركين حول تبادل الخبرات)، مما يؤهله لأن تكون لغته سليمة،* ومما يدعم ذلك قول أستاذة التعليم العالي: "الأخطاء اللغوية بالنسبة لي جريمة لا تغتفر، وأنا أحترم الفرنسي الذي أتواصل معه لأنه يحترم لغته ولا يشوهها عكس الكثيرين منا"، أما العاملة بدار المسنين ولأنها في الأغلب تتواصل مع جيرانها وأمهات زملاء أولادها فقد لاحظت وبمستواها البسيط - كما تقول - أن هناك بعض الأخطاء اللغوية في كتاباتهم ولكنها طفيفة. وهذا ما يسمح لنا بتأكيد ما قلناه عن المستوى التعليمي، إذ من المحتمل أن تكون هذه الفئة متوسطة التعليم، والذي سينعكس على لغتها كتابة لا حديثا.

هذا بالنسبة للآخر، أما بالنسبة للمشاركين في المقابلة فقد أكدوا أيضا على سلامة لغتهم كتابة ونطقا، ما عدا اثنان منهم وهما الدكتورة في الإعلام والاتصال وطالبة الدكتوراه، اللتان أقرتا بأنهما مازالتا في مرحلة التعلم، مما يعني أن لغتهما لم تصل إلى مستوى إتقان لغة الآخر.

● الإيجاز: أشاد كل المشاركين (عدا العاملة بدار المسنين) بما تتمتع به رسالة الآخر من إيجاز محكم في عرض الأفكار بأسلوب مباشر، بعيدا عن الإنشاء والحشو والتكرار الذي كثيرا ما يشعر القارئ بالملل، وقد وضح المهندس مثلا رأيه في ذلك قائلا: "نحن الجزائريين خاصة نحب أن نتكلم كثيرا أما الفرنسيين يعطيك المفيد فقط"، وهذا الرأي الذي يدعم من جهة ما قلناه سابقا، أعطانا الإجابة عن الشق الثاني وهو مدى توفر هذه الخاصية في رسائل المشاركين، حيث صرح البعض

* - وعلى العكس اكتشفنا عند تحليلنا لمضمون التعليقات أن هناك بعض الأخطاء اللغوية، ونحن نتوقع أن للمستوى

التعليمي المتعدد في هذا الفضاء الافتراضي أثر على ذلك.

بضعف وجودها عندهم، ربما لذات السبب الذي ذكره المهندس، أو بسبب عدم التحكم الجيد في اللغة.

● **الانسجام:** أي التوافق والتناغم بين ما يقوله المشارك وبين ما ينتظره المتلقي، أي أن الحديث يسير في سياق واحد من جهة، وغير متناقض للأفكار من جهة ثانية، وهو ما أكدته كل المشاركين مع التأكيد على ارتباط هذه الخاصية بطبيعة المواضيع المعروضة للنقاش، فالمواضيع العلمية تحمل قدرا عاليا من الدقة والانسجام، أما المواضيع الأخرى وخاصة الدينية منها والتي لا تتوافق مع اتجاهاته وتقدح في مصداقية مؤسساته الاجتماعية، فتراه يجادل بأفكار تحمل الكثير من التناقض والتضارب -حسب رأي العينة- وفي ذلك يقول الصحفي: "بحكم مهنتي أدقق كثيرا في عدم التناقض في عرض أفكارى، ولكني أُنْتَبِه إلى أن الغربي بصفة عامة يرتبك إذا عرض موضوع يفضح سياسية دولته، وهذا ما يجعله يخلط الأفكار لعله يجد الصحيحة"، وهنا لخص لنا هذا الرأي حقيقة هذا الآخر الذي مهما علت مكانته العلمية يظل غير قادر على التحلي بالموضوعية.

أما المشاركون فأكدوا على حرصهم على وجود هذه الخاصية في رسائلهم، حتى لا تهتز صورتهم التعبيرية الفكرية أمام هذا الآخر، وهو الذي يتصيد مثل هذه الأخطاء ليؤكد أحكامه المسبقة.

● **انتقاء الألفاظ:** يؤكد المشاركون هنا حرصهم الشديد على انتقاء الألفاظ المناسبة التي تعبر عن أفكارهم من جهة، وتحسن صورتهم إن كانت مشوهة من جهة ثانية، وبالتالي تجنب كل الألفاظ التي تعكس التعصب أو الانحياز أو الحكم المسبق، وفي ذلك يقول طبيب الجلد مثلا: "مهما كانت مواضيع النقاش بيننا يلزمنا أن نكون دقيقين في اختيار ألفاظنا التي تثبت أننا أناس جيدون".

أما بالنسبة للآخر فيرى أغلبهم (6 مشاركين) أن الآخر الغربي أيضا ينتقي الألفاظ المحترمة اللبقة التي تدل على رقي تواصله، إلا أنه في بعضها تلمس أن هناك خلفية ذهنية تحكمها، من ذلك مثلا قول الدكتورة في الإعلام والاتصال: "يزعجني جدا أي يقول لي مفردة "أنتم العرب" لأن

ظاهراً بريء لكنها تخفي معاني كثيرة"، وأنا أوافق الدكتورة هنا في أن هذه العبارة وراءها صور ذهنية كثيرة، مما يجعله لا ينظر إلى المتحدثة وأفكارها إلا في سياق أفكاره عن العرب عموماً.

• **صدق المعلومات:** يؤكد المشاركون هنا أيضاً على مراعاتهم الصدق في المعلومات التي ينقلونها من خلال رسائلهم، احتراماً لشروط التواصل والعلاقة بينهما أولاً، وحرصاً على الحفاظ على مصداقيتهم ثانياً، وفي ذلك تقول أستاذة التعليم العالي: "أتواصل مع الفرنسيين عادة بالكتابة أكثر ولا أكتب أي معلومة يمكن أن أشك فيها إلا بعد أن أتأكد من صدقها".

أما عن الآخر فصرح المشاركون أيضاً - كما في خاصية الانسجام- أن وجود هذه الصفة يرتبط أساساً بالموضوع، فإن كان الموضوع علمياً فهو أهل الصدق والتحري عن الحقيقة، وإن كان الموضوع ما سواه فكثيراً ما يظهر اتجاهات أخرى ووجهات نظر ذاتية تنحرف به عن الواقع، وقد عبر عن ذلك الصحفي بقوله: "أعرف الكثير من الحقائق في مجالات كثيرة، وأستطيع أن أميز متى يكذب ومتى يقول الصدق" ثم واصل حديثه قائلاً: "الإسلام والتاريخ هما عقدة الآخر وهما من يجعلانه يكذب"، وهنا لخص لنا الصحفي انطلاقاً من خبرته نقطتنا ضعف هذا الآخر في قول الصدق، وهما الإسلام والتاريخ.

أن تكون هناك رسالة تتوفر على أهداف مختلفة متنوعة بخصائص إيجابية لا يعني أنها تخلو من السلبيات، ولا يعني أنها لا تتوفر على معيقات قد تعرقل العملية التواصلية بين الطرفين وتحوّل دون استمراريتها، وعليه ما هي العوائق التي تحويها الرسائل المتبادلة بين المشاركين والآخر الغربي والتي قد تسبب اضطراباً في عملية التواصل بينهما؟.

➤ **عرقلة التواصل مع الآخر الغربي في ظل تعدد معيقات الرسائل الاتصالية للمشاركين والآخر**

الغربي

تتعدد معيقات العملية الاتصالية وتتنوع حسب عناصرها المختلفة، وللرسالة أيضاً عوائق تحول دون تحقيق فاعلية التواصل بين طرفي العلاقة التي يمثلها المشاركون في المقابلة والآخر الغربي، وقد

تتواجد هذه المعينات في رسائل كل منهما أو في إحداها، وقد تم تقسيمها بناء على إجابات المشاركين في فئات كالتالي:

• **التذبذب في المستوى اللغوي:** لا يتمتع المشاركون بنفس المستوى اللغوي في التواصل مع الآخر، فمنهم من يتقن جيدا اللغة الإنجليزية وهم طبيب الجلد والصحفي وأستاذة الإنجليزية، ومنهم من يتقن جيدا اللغة الفرنسية وهم أستاذة التعليم العالي والمهندس وطبيب الأطفال، أما البقية فهم يعانون نوعا ما - كما صرحوا - من عدم التمكن الكلي من اللغات وخاصة الفرنسية التي يتواصلون بها مع الآخر، لأنهم حديثي عهد بتعلمها، مما يؤدي بهم إلى ارتكاب بعض الأخطاء التركيبية في الرسائل، والتي قد تؤدي بهم إلى تحريف المعنى، مما يعني عدم وصول الرسالة بالمعنى المطلوب، أو قد يتسبب في تشويه صورته أمام الآخر، وتأكيد تلك الصورة التي يحملها الكثير من الغربيين عن العرب، بل إن هذا الأمر يغيظ هذا الآخر الغربي عندما يرى لغته ومصدر عزه وفخره تهان بنائيا وتركيبيا. وعن مستواها اللغوي عبرت طالبة الدكتوراه قائلة: "أحيانا أضطر إلى ترجمة بعض الكلمات لأستعملها في رسائلي ولكنها للأسف أحيانا هي في حد ذاتها توقعني في الخطأ". إن كلامها هذا يميلنا إلى مشكل الترجمة، والتي بالرغم من تعدد البرامج الإلكترونية المختصة فيها، إلا أنها لا تمنحنا في كثير من الحالات المعنى الذي نقصده، وهنا تظهر الحاجة إلى تعلم اللغة بطريقة احترافية عملية بإشراف متخصصين، أما تلك البرامج فلا تعدو أن تكون تدعيمية في حالات خاصة جدا.

يمكن أن نشير هنا إلى أن ضرورة الإحسان إلى اللغة وعدم الإساءة لها بالنسبة للمشاركين لا يتعلق باللغات الأجنبية فقط، بل إن الأمر يتعداه إلى لغتهم الأم التي هي مصدر افتخارهم وعزهم - كما ذكروا في التعريف بهويتهم -، فالواقع الافتراضي اليوم يشهد انتهاكا كبيرا لهذه اللغة من قبل أهلها، بل حتى من مثقفيها ومتعلميها، إذ أننا كثيرا ما تقع أعيننا في شبكات التواصل الاجتماعي على منشورات متنوعة المجالات تسيء إلى العربية إساءة كبيرة في تركيباتها البنائية أو معانيها وأساليب صياغة أفكارها، مما يوجب التفاتة قوية وصارمة، ودعوات وصيحات مرتفعة للحفاظ على اللغة

العربية الأم من إساءة أبنائها لها أولاً قبل الآخرين، فالضاد تكتب ظاء والعكس، والألف المقصورة تكتب ممدودة، بل وحتى التاء المفتوحة تكتب مربوطة في غير موضعها، وغيرها الكثير من الأخطاء التي تمثل تدعيماً قويا للصورة السيئة للعرب في هذا الجانب.

أما الآخر الغربي فعلى عمومهم يتقن اللغة التي يتواصل بها مع المشاركين - كما صرحوا - حديثاً وكتابة، وهو أمر متوقع من جهة لأنها لغته الأم، ومن جهة ثانية لأن الإتقان والحرص عادة من شيمه في القيام بمهامه. إضافة إلى ذلك قد يكون افتخاره بلغته من أكثر الدوافع للحفاظ عليها وصيانتها من هكذا تشوّهات.

● **خلل المنطق الفكري في الرسالة صياغة أو قراءة:** من المعوقات شديدة التأثير والتي تتعلق بتحرير الرسالة أو قراءتها وفك رموزها سواء من طرف المشاركين أو الآخر الغربي الذي يتواصلون معه، هو التعامل معها وفق خلفيات فكرية سابقة، مما يؤدي إلى حجب الرؤية الحقيقية والموضوعية. وقد أقرّ بعض المشاركين (4 منهم) بأنهم لم يستطيعوا التجرد الكلي من الأحكام المسبقة التي يحملونها عن هذا الآخر، لا في كتابة رسائلهم إليه ولا في استقبالها منهم، فمثلاً صرحت أستاذة التعليم العالي في هذا السياق قائلة: "من بين ما أحمله من صور عن الفرنسي وما تأكدت منه، أنه منافق، وبالتالي عندما أكتب رسائل لي له أو أستقبلها منه لا يغيب هذا التصور عن بالي للأسف". إن ختم حديث هذه المشاركة بالتأسف دليل على وعيها الداخلي بخطئ هذا المنطق التواصلية، والذي من شأنه أن يمنع الفهم الجيد للرسالة.

الأمر سيان عند الآخر الغربي إن لم يكن أكثر حدة، ويكفي أن نعيد ما قالته سابقا الدكتورة في الإعلام والاتصال: "يزعجني جدا أي يقول لي مفردة "أنتم العرب" لأن ظاهرها بريء لكنها تخفي معاني كثيرة"، وهذا دليل كاف على تلبس تلك الأحكام في خطابه، بالرغم من أن بعض المشاركين ذكروا سابقا بأنه يتواصل معهم بموضوعية، في حين شككت فئة أخرى في ذلك، وأرجعته إلى مهارته في عدم إظهارها أثناء التواصل.

يمكن أن نقول عموماً أنه لا يوجد معنى دقيق في أية رسالة، فما يعنيه المرسل قد لا يكون نفس المعنى الذي يفهمه المتلقي، لأننا ننشئ المعاني وفق تجاربنا الشخصية وفهمنا الخاص، ففي الكثير من الأحيان المرسل يريد أن يقول شيئاً لفظياً أو غير لفظي أو كتابة والمتلقي يفهم شيئاً آخر، وهذا لا يعني أن الرسالة خاطئة أو تجانب الصواب، وإنما الحاصل هو أن المتلقي لم يفهمها أو أساء فهمها، أو أولها في الاتجاه الذي لم يقصده المرسل. في كل هذه الحالات يفشل الاتصال، ولهذا يقال أن الرسالة متعددة المعاني، و تعددية معاني الرسالة يعتبر من الحواجز الهامة التي تقف في سبيل فهم الرسالة، وبالتالي فشل الاتصال.¹

• توجيه الرسائل من منطلق استعلائي غير متكافئ: تتجرد عينة المقابلة تماماً من وجود هذا العيب التواصلي في رسائلها، في حين تثبته ففة منها بالنسبة للآخر الغربي، إذ ترى بأن هذا الآخر وخاصة في المواضيع العلمية أو ما يتعلق بقيمه يجب أن يبين أنه الأفضل في هذا المجال، وأن المعرفة حكر عليه، بالرغم من إقرار بعض المشاركين بأن كثير من العرب الذين يعيشون بالخارج خاصة لهم باع كبير في ذلك، وفي ذلك مثلاً يقول طبيب الأطفال: "للأسف، كثيراً ما يعتقدون بأن الطب ينتهي عندهم، وذلك نتيجة سفر الكثير من العرب للعلاج بالخارج"، إن هذا الواقع يعكس حقيقة مستوى الطب في الدول العربية، مما أعطاهم الشرعية والضوء الأخضر لذلك الاعتقاد، ونحن وإن كنا لا ننكر هذه الحقيقة، لكن ننكر أن التغني بها هو نوع من أنواع الانكفاء على الذات وعدم الانفتاح على الآخر، مما يجعل التواصل معه مجرد مضيعة للوقت لا نتيجة ترجى منه.

إن تجسيد الانفتاح على الآخر يكون من خلال تحمل ثقافة معينة ثقافة أخرى مختلفة عنها، وتقبل التعامل معها، بالرغم مما قد يبدو لها فيها من عيوب وانحرافات، يجب أن يكون هناك مجهود يتوجب على كل ثقافة أن تبذله، من أجل الانفتاح على الثقافات الأخرى، وإقرار من طرف كل ثقافة بوجود أمور يمكن تعلمها من الثقافات المختلفة عنها، وبوجود حقائق وقيم ومظاهر ثقافية مختلفة عما ألفته وتبناه وتعتنقه.²

¹ - السعيد بومعيزة، مرجع سابق، ص 191.

² - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 103.

• التفاوت الزمني: من المشكلات التي ذكرها بعض المشاركين هنا والتي تتعلق بكلا طرفي العلاقة الاتصالية هو عامل الزمن في إرسال الرسائل واستقبالها آنيا، بسبب البعد الجغرافي بين الطرفين، والذي أحدث فارقا في الزمن، وفجوة كبيرة بين زمن الإرسال والاستقبال، وخاصة في الحالات التي يكون نهارا في بلد المشاركين، في مقابل الليل في بلد الآخر الغربي والعكس، ولكنه أقل حدة إذا كان الفارق ساعتين وما قاربها، ومع ذلك فاختيار الوقت المناسب لإرسال الرسائل هو من أهم شروط نجاحها. وقد عبرت عن ذلك أستاذة الإنجليزية قائلة: "أحيانا أكون بحاجة لمعلومة في وقت خاص، ولكني أنتبه فيما بعد أنه ليس الوقت المناسب للتواصل بسبب اختلاف الوقت بيننا، فإذا وصل الوقت المناسب ذهبت قيمة المعلومة".

واختيار الوقت المناسب للتواصل مع الآخر يشمل المستويين مع الزماني والعاطفي، ليس في ما يخص المرسل فقط، بل الآخر الذي يتواصل معه أيضا، إذ كثيرا ما يفشل تواصلنا مع الآخرين بسبب سوء اختيارنا للوقت الذي نتصل فيه معهم. ومن أجل أن نكون موفقين في التواصل علينا أن نختار الوقت الذي يناسبنا ويناسبهم معا.¹

ويتعلق المستوى العاطفي باختيار الوقت المناسب لك وللآخر من حيث الأوضاع النفسية المريحة التي تسمح للطرفين بالتواصل، وبالتالي تجنب التواصل في حالة غضب أو قلق أو حزن أحد الطرفين، لأن هذه الأوضاع غير المريحة لا تسمح بالتعبير بالنسبة للمرسل، ولا بالاستماع بالنسبة للمتلقي.²

خلاصة

عموما يمكن القول أن المشاركين يمتلكون في مجملهم اتجاهات إيجابية نحو الرسائل المتبادلة مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، حيث تشهد تلك الرسائل تنوعا في المواضيع التي كانت العلمية من أبرزها، وأيضا تنوعا في الأهداف التي تركزت أساسا في تبادل الخبرات والمعارف

¹- حلمي ساري، مرجع سابق، ص 40

²- المرجع نفسه، ص 40

والمهارات، وقد تميزت هذه الرسائل بخصائص كثيرة منها الإيجاز والوضوح وصدق المعلومات، وفي المقابل كان هناك مجموعة معيقات أهمها التذبذب اللغوي للمشاركين، واستعلاء الآخر في عرض الرسائل، ثم الصورة الذهنية السيئة لكل منهما عن الآخر.

كيفية ظهور الاتصال بين مستخدمي الشركات الاجتماعية
على مستويين المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم
في موقع الـيوتيوب

أولاً: فئات المضمون التي تجيب عن السؤال ماذا قيل؟

ثانياً: فئات الشكل التي تجيب عن السؤال كيف قيل؟

ثالثا: كيفية ظهور الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستوى المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب

يرى هابرماس Jurgен Habermas أن المجال العام في شكله المثالي يظهر إلى الوجود من خلال الحوارات والمناقشات التي يشارك فيها الأفراد الخصوصيون لتكوين هيئة عامة تساعد في وضع وتحديد حاجات المجتمع مع الدولة. وهو من هذه الزاوية يشكل شبكة لتوصيل المعلومات والتواصل بين الآراء ووجهات النظر المختلفة التي تعبر عن اتجاهات ايجابية أو سلبية إزاء أمر ما، أي فضاء متميزا عن الدولة، بحيث يمكن للأفراد أن يتواصلوا عبره فيما بينهم كمواطنين مستقلين من أجل التداول والتفاهم حول الصالح العام ومناقشة القضايا السياسية والأخلاقية والاجتماعية كافة.¹

أي أن موقع اليوتيوب الذي يجمع المستخدمين من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية يمثل مجالا عاما افتراضيا - كما سماه باحثون آخرون- من خلال الفعل التواصلي فيما بينهم، والذي يظهر من خلال تعليقاتهم على مختلف المواضيع. من هنا وتدعيما لنتائج الأدوات السابقة استخدمنا أداة تحليل مضمون تعليقات لأجانب وعرب حول مواضيع مختلفة اخترناها قصديا لأنها - حسب رأينا- من بين المواضيع التي تثير الجدل بين الطرفين، وقد حاولنا من خلال التحليل هنا التركيز على بعض الفئات التي توضح لنا أهم أبعاد العلاقة التواصلية بين مختلف المستخدمين على موقع اليوتيوب، والذين يقومون بالتعليق على الموضوعات انطلاقا من قيمهم ودينهم وعاداتهم...، تعبيرا منهم عن اتجاهاتهم وتصوراتهم حول المواضيع المطروحة. ولأن "تحليل المحتوى السائل" له ميزة خاصة تتمثل في أنه يرتبط أساسا بالمحتوى الدلالي أكثر من الأبعاد الشكلية والكمية،² حاولنا قدر الإمكان التعمق في التحليل الكيفي والمعاني الخفية وراء تعليقات المستخدمين، وهو ما سيظهره التحليل في بعده الشكلي والمضموني.

¹ - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 81.

² - فضيل دليو، اختيار العينات عبر الانترنت في البحوث الاجتماعية، مرجع سابق، ص 14.

أولاً: فئات المضمون التي تجيب عن التساؤل: ماذا قيل؟

من بين الفئات الكثيرة التي عرضها الباحثون في هذا السياق اخترنا أهم الفئات التي تحقق لنا هدف الدراسة في التعرف على أهم خصائص العلاقة التواصلية القائمة بين المستخدمين، وقد استخدمنا "وحدة التعليق" كوحدة للعد والقياس، لكونها الأنسب لطبيعة المادة التحليلية. وتمثلت الفئات المختارة الخاصة بالمضمون فيما يلي:

1) فئة قيم الاتصال:

تعبر القيم هنا عن المبادئ التواصلية كونها من أهم شروط الحوار - كما دعى لها هابرماس - في الفعل التواصلية على مستوى المجال العام الافتراضي، وقد تظهر القيم في تعليقات المستخدمين بأسلوب مباشر وصريح أو بأسلوب ضمني، فهي التي توجه عادة العلاقة التواصلية بين المستخدمين وتدفعهم لتبني سلوكيات معينة أو التصريح بأقوال محددة. ونظراً لكثرة القيم واختلاف تقسيماتها باختلاف وجهات نظر الباحثين، حاولنا التركيز على أكثر القيم التي تظهر في الاتصال بين المستخدمين مختلفي الثقافات، والذين من بينهم العرب المسلمين والغرب.*

إن من أهم ما يميز مفهوم القيمة امتلاكها لصفة أو خاصية الضدية، فلكل قيمة ضدها مما يجعل لها قطبين، قطبا إيجابيا وقطبا سالبا، والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة في حين يمثل القطب السالب ما يمكن أن نسميه ضد القيمة أو عكس القيمة.¹ ونظراً لأن الكثير من التعليقات اتجاهاً سلبية من ناحية تبنيها للقيم، قمنا بتقسيم كل قيمة إلى فئتين تحلي وعدم تحلي، لنبحث في مدى ظهور القيم في تعليق المستخدم أو غيابها، وهو ما يوضحه الجدول الموالي:

*- لا يمكن في هذا الفضاء تحديد الانتماء الثقافي بدقة، نظراً لطغيان الهويات الافتراضية وضعف آليات الكشف عن حقيقتها.

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين أبو التمن، مرجع سابق، ص 113.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

جدول رقم (29): يوضح فئة قيم الاتصال من حيث التحلي وعدم التحلي

المجموع		الحجاب		صورة العرب لدى الغرب		تعدد الزوجات		مكانة اللغة العربية		الديانة الابراهيمية		التكرارات والنسب	المواضيع
عدم تحلي	تحلي	عدم تحلي	تحلي	عدم تحلي	تحلي	عدم تحلي	تحلي	عدم تحلي	تحلي	عدم تحلي	تحلي		القيم
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	ك	قيم التواصل
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	%	
13	13	5	1	-	3	-	1	8	6		2	ك	احترام الرأي الآخر
11.11	13.68	19.23	3.7	-	-	-	7.14	36.36	37.5		14.28	%	
40	26	5	9	13	4	5	4	10	4	7	5	ك	الانفتاح على الآخر
34.18	27.36	19.23	33.33	54.16	16.66	19.23	28.57	45.45	25	36.84	35.71	%	
9	16	5	2	-	5	4	2	-	4		3	ك	تقدير الذات
7.69	16.84	19.23	7.4	-	20.83	15.38	14.28	-	25		21.42	%	
7	6	4	4	-	-	3	2	-	-	-	-	ك	احترام الحرية الشخصية
5.98	6.31	15.38	14.81	-	-	11.53	14.28	-	-	-	-	%	
48	20	7	7	11	5	14	4	4	2	12	2	ك	التسامح مع الآخر
41.02	21.05	26.92	25.92	45.83	20.83	53.84	28.57	18.18	12.5	63.15	14.28	%	
-	11	-	3	-	5	-	1	-	-	-	2	ك	تقديم النصح للآخر
-	11.57	-	11.11	-	20.83	-	7.14	-	-	-	14.28	%	
-	3	-	1	-	2	-	-	-	-	-	-	ك	أخرى تذكر
-	3.15	-	3.7	-	8.33	-	-	-	-	-	-	%	
117	95	26	27	24	24	26	14	22	16	19	14	المجموع	

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه أن فئة "التحلي بالقيم" بلغت ما يعادل 95 تكراراً، وهي

أقل عدداً من فئة "عدم التحلي بالقيم" والتي بلغت 117 تكراراً في التعليقات عينة الدراسة، وهو ما

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

يعبر عن النقص النسبي في التحلي بقيم التواصل لدى المستخدمين في تعليقاتهم وعدم تمثّلها على موقع اليوتيوب، مما يعكس اللا توافق مع النتائج الخاصة بالاستبيان،¹ والتي عبرت في أغلبها في محور السياق القيمي عن تحلي كلا الطرفين العربي والأجنبي بنسب معتبرة بأهم القيم الاتصالية التي تعبر في مجملها تقريبا عن ذات القيم المعروضة هنا، والتي تتمحور حول تقبل الآخر والتسامح معه. ويمكن أن نبرر هذا التعارض بين نتائج الأدوات بطبيعة العلاقة بين الطرفين، ففي الاستبيان الإلكتروني كانت النتائج تعبر في مجملها عن علاقة بين الطرفين ذات بعد شخصي إلكتروني أكثر منه جمعي، مما يعني أن هناك قدرا معتبرا من التوافق والانسجام بينهما فكريا وقيميا، أما العلاقة الاتصالية التي نبحت فيها باستخدام أداة تحليل المضمون هي علاقة لا شخصية ذات بعد جمعي، حيث وكما يبدو من خلال التفاعلات أنهم لا يعرفون بعضهم البعض، إضافة إلى أن التعليقات كانت بالدرجة الأولى حول الأفكار التي تعرضها الشخصيات الموجودة في الفيديوهات، وهو ما يبرر التناقض الذي يبدو قائما بين نتائج الأدوات.

✓ بالنسبة لفئة عدم التحلي بالقيم نالت قيمة "التسامح مع الآخر" أكبر نسبة والتي بلغت 41.02% من مجموع فئة عدم التحلي، وعدم التسامح عموما يعني أنه "ينبغي لكل واحد من الأمتين المختلفتين أن تحترم أفكار الأخرى، فلا تقتحم عليها مفاهيمها ولا أحكامها ولا قيمها، وهو ما يعني ترك الازدراء لأفكار الغير"،² وقد برز عدم التحلي بها في عينة تعليقات المستخدمين من خلال إظهار العداء للآخر والرفض العنيف لأفكاره أو سلوكاته، والتهجم والنقد الشديد الذي يصل لدرجة الشتم. وظهر ذلك في تعليقات كل المواضيع التي تناولناها بالدراسة بدرجات متفاوتة، ولكنه كان بصورة أكبر وأبرز في الفيديو الخاص بـ "تعدد الزوجات" أين بلغ تكرارها 14 من المجموع الكلي البالغ 48 تكرارا، فظهر هنا تهجم عنيف وغليظ في تعليقات المستخدمين للنظام الفرنسي في تعامله

¹ - انظر تحليل الاستبيان في محور السياق القيمي، ص 269.

² - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 146.

الفصل الرابع: محرض وتطليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

مع قضية تعدد الزوجات ولا مساواته في تطبيق القانون فيها بين الفرنسيين والمهاجرين، ومن بين أبرز التعليقات التي ظهر فيها ذلك قول (Tahar) :

« As salam alaykoum l'hypocrisie et leur meilleur arme. ils savent très bien tous cela mais joue sur les mots.. »

وهنا يتهمهم هذا المستخدم بالنفاق والتلاعب بالمفردات من أجل مصالحهم.

ويصرح في ذات الموضوع المستخدم (Peng S.Printer):

«Toute ces lois agressées sont pintées sur une seule communauté »

وهنا يصف القوانين بالعدوانية وأن أحفاد المستعمرين هم بدون قلب.

إن هذه التعليقات المتهجمة على الدولة الفرنسية بمختلف الأوصاف السلبية تتفق مع رأي الدكتورة المتخصصة في الأدب أثناء إجراء المقابلة معها،¹ والتي أكدت بدورها على أحد هذه الصفات السلبية في الفرنسي الذي تتواصل معه وهي صفة النفاق والتلاعب بالألفاظ. إن عدم التسامح الذي عبر عنه التعليق السابق ليس أكثر من إفراز حتمي لسياق تاريخي سياسي دفع بصاحب هذا التعليق إلى مثل هكذا موقف، ومما يدعم هذا التوجه قول هالي براون "إن القيم الفرنسية التي تم الإعلان عنها خلال الثورة الفرنسية تم التلاعب بها، واستخدامها في السيطرة على الشعوب ولتبرير الاستعمار، وأن هذه القيم لم تطبقها فرنسا على كل البشر، حيث تم حرمان الشعوب التي فرضت عليها فرنسا سيطرتها من تطبيق هذه القيم عليها، وتم التعامل معها بعنصرية، فتم استثناء شعوب الجزائر وأفريقيا من حقوق الإنسان، ويضيف هالي براون أن إعلان حقوق الإنسان الذي أعلنته الثورة الفرنسية تم تطبيقه بشكل انتقائي، فهو امتياز لجماعة عرقية هي البيض،

1- انظر ص 352 من تحليل المقابلة.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

وكتبرير لسيطرة البيض الذين يتميزون بالمعرفة على الشعوب غير المتحضرة.. وهذا يعني أن ذلك الإعلان تحوّل إلى وسيلة للدعاية الأيديولوجية".¹

بدرجة ثانية ظهر عدم التحلي بهذه القيمة في فيديو "الديانة الابراهيمية" و"صورة العرب لدى الغرب" بتكراري متقاربين بلغا 12 و 11 تكرارا على التوالي، أين عبّر المستخدمون عن رأيهم أيضا بأسلوب غليظ ينتقد بشدة الأفكار التي تعرضها الفيديوهات، فقال (n frt):

«Caiménisme diabolique»

أي: المسكونية الشيطانية،

كما جاء على لسان (Azeddine) حول البيت الابراهيمي:

«Ce projet est finalement la confirmation de la grande ignorance de ces bédouins»

فهو يتهم هنا المشروع بأنه علامة جهل على هؤلاء البدو وهم الإماراتيين.

إن اللا تسامح هنا لم تعكسه العلاقة بين العربي والغربي، وإنما بين العربي والآخر الذي هو من ذات ثقافته العربية الإسلامية، هذا العربي الذي يرفض بشدة المشروع الذي جاءت به الإمارات لتوحيد الأديان، أي أن هذا الرأي قد جاء على إثر سياقات مختلفة جعلته يقول ذلك.

أول تلك السياقات هو السياق التاريخي الذي برز عند معايرتهم بأنهم بدو لا حضارة لهم، وذلك على اعتبار أن دولة الامارات حديثة عهد مقارنة مع دول أخرى من حيث التأسيس والوجود ككيان منظم قائم على أساس الدولة الوطنية الحديثة، حيث كانت عبارة عن مجموعة قبائل تحولت إلى إمارات واتحدت لتقدم للعالم دولة الإمارات.

¹ - سليمان صالح، معايير مزدوجة وتزييف للتاريخ.. كيف سيطرت فرنسا على حرية الرأي والتعبير؟ موقع الجزيرة الإخبارية،

<https://www.aljazeera.net/opinions/2021/4/11> تاريخ الدخول 2023/07/12 على الساعة: 21:14

الفصل الرابع: معرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أما السياق الثاني فهو السياق الديني الإسلامي الذي تقر فيه كل المجمع الفقهي أن هذا المشروع يعارض المفاهيم الأساسية للإسلام، باعتباره يدعو للتوحيد تحت راية واحدة وهي راية الإسلام، وليس بتعدد الديانات هكذا.

يجب هنا على الفئة من العرب المسلمين أن تعارض هذا المشروع جملة وتفصيلا ولكن بحكمة تجبر الطرف الآخر على الاعتراف بحقيقة هذا الأمر وواقعيته، لذا يجب أن تستلهم من الإسلام القدوة في التحلي بقيمة التسامح من خلال تتبع السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي الذي لامس هذا التجسيد لهذا المفهوم، فقد احتوت الحضارة الإسلامية جميع الملل والنحل بمختلف أعراقهم وأجناسهم دون التمييز بينهم، وما دخول سكان جنوب شرق آسيا للإسلام إلا دلالة على حسن تواصل المسلمين معهم، ليكون ذلك سببا في إسلامهم.

يجدر الإشارة هنا إلى أن التسامح لا يعني الانصياع لأفكار الآخر الغربي وآرائه، والتي في أغلبها في هذا السياق الديني أفكار منحرفة لا توافق الدين الإسلامي، والإمارات هنا بهذه الفكرة جسدت لنا أفكار الآخر الغربي أكثر من العربي المسلم المقتنع بصدق ديانته وأحقيتها بالاتباع.

أما فيما عدا الجانب الديني فيمكن القول أن الاختلاف في الأفكار واقع حتمي مع الآخر، ويجب التسليم بأن الآخر مهما كانت ثقافته فهو مختلف عن الذات، لذلك يجب احترامه، ومنحه حقه في الكلام وفي الرأي والاختلاف، والتسليم بأن الحقيقة الفكرية نسبية وليست مطلقة، لذا يجب تجاوز الحساسيات الدفينة والانطلاق من الأهداف المشتركة والمشاريع الجماعية إذا ما كانت تخدم الطرفين ولا تمس بالأصول والثوابت التي لا تقبل النقاش، ثم تدير الاختلاف بقصد الوصول إلى توافقات وضوابط للعلاقات الاجتماعية، وأخيرا نبذ الحوار العنيف الذي يتهج أسلوب التهجم والمواجهات الشخصية ويستهدف الخصام والتصادم. وعموما فإن التواصل يتطلب تحقيق مصالحة مع

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الذات ومع الآخر، فضلا عن التحلي بروح المسؤولية¹ وهي ذات الشروط التي دعا لها هابرماس لتجسيد مشروع أخلاقيات التواصل في الفعل التواصلية.

أما فيما يخص فيديو "صورة العرب لدى الغرب" فقد صرّح (Morderoc):

«Après y'a aussi les clichés qui se vérifient. On a tous enten du le fameux, C'est du travail d'arabe, en voyant un bâtiment mal foutu, une route pas droite...»

يحمل هذا التعليق عداً كبيراً للعرب المهاجرين جراء سلوكاتهم في فرنسا، وعدم إتقانهم لما يوكل لهم من الأعمال وبأنهم دائماً الأسوأ على الإطلاق.

كما جاء على لسان آخر قوله:

«et cet islem à la con qui n'est en rien une religion de paix, juste une contrefaçon du christianisme façon désert et politique suprémaciste guerrière».

هذا الغربي يرجع ذلك إلى دينهم الإسلام وليس لأنهم عرب، بقوله: أن إسلامهم غيبي وهو مجرد مسيحية مزيفة وسياسة متعصبة.

إن هذا التعليق يؤكد ميل صورة العربي إلى الثبات، لدى الغرب عموماً ولدى الفرنسي خصوصاً، إنه "ميل مستمر حيث يجعل منها مثلاً - في الكتب المدرسية الفرنسية - صورة مزمنة تمتد روافدها إلى ماضي الفتح الإسلامي والحروب الصليبية مروراً بالاستعمار وبحرب الجزائر، وهي صورة تقوم على ضمنية المجاهدة التاريخية وعلى ثنائية التعارض بين ثقافتين، ذلك ما رسمته مارلين نصر وفصلته تعمقاً وتحليلاً في كتابها "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية" الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية سنة 1995،² وهو ما يبدو أنه مازال سائراً في واقع اليوم، وما ظهر لنا من خلال التعليقات الكثيرة التي عبرت عن هذا التصور في هذا الفيديو.

¹ - عبد الحليم، آيت أمجوض، مرجع سابق، ص 63

² - الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 28.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

ثم إن ربط السلوكات السيئة بالإسلام هو نتيجة تكوين صورة سيئة عن المسلمين، ساهمت في بنائها عوامل متعددة ومتداخلة بين التجارب الشخصية والإعلام والكتابات المختلفة في هذا المجال، ولكن في المقابل كثيرا ما يساهم السياق الاجتماعي الواقعي في الدول الأوروبية في تفنيد الكثير من الادعاءات، والذي يظهر على إثره انتشار هذا الدين في أوروبا.

كشفت مثلا دراسة أجرتها مؤسسة "أي إف أو بي" كبرى المؤسسات البحثية التابعة للحكومة الفرنسية وشملت معظم دول الاتحاد الأوروبي بعنوان: "كيف يرى الأوروبيون الإسلام" عن زيادة كبيرة في أعداد الأوروبيين الذين يعتنقون الإسلام خلال الأعوام العشرة الماضية. وأشارت الدراسة إلى أن شريحة كبيرة من المواطنين في فرنسا وهولندا وألمانيا والمملكة المتحدة يرون أن الوجود الإسلامي يشكل خطرا على الهوية القومية للبلاد ومتخوفون من أسلمة أوروبا خلال العشرين عاما القادمة، لاسيما وأن قطاعا كبيرا من الشباب أقل من 35 عاما في فرنسا وبريطانيا يرون أن الوجود الإسلامي يثري الحياة الثقافية ويساهم في نقل أوروبا إلى حياة جديدة لم يعهدها من قبل. وكان المؤتمر العالمي للهيئة البلجيكية "سي إنترناشيونال" - كبرى الهيئات المتخصصة في عمل إحصائيات دولية وخاصة في أوروبا- قد كشف في وقت سابق عن ارتفاع الأسلمة في أوروبا خلال عامي 2010 و 2011 بنسبة 17% ، لتعدّ أكبر زيادة يسجلها الدين الإسلامي في أوروبا. وأشادت الهيئة البلجيكية بالأعمال الإيجابية التي تقوم بها المساجد في أوروبا مثل فتح أبوابها من أجل استقبال المشردين وإقامة مدارس ونشر الثقافة الإسلامية وعمل صحف وقنوات بكل اللغات لوصول الدين الإسلامي إلى الجميع ونشرها بصورة يشيد بها الأوروبيون.¹

✓ ثم جاءت في مرتبة موالية في فئة عدم التحلي قيمة "الانفتاح على الآخر" نسبة 34.18% من مجموع النسب الخاصة بهذه الفئة، وقد ظهر ذلك بدرجة أبرز من خلال تمرکز المستخدم حول ذاته والاعتقاد بأفضلية ثقافته على ثقافة الآخر الذي يتحدث عنه، وهو ما يكون سببا في عرقلة

1- وكالات، الإسلام يغزو أوروبا .. والأوروبيون قلقون، 2012، الموقع: النهار

online، <https://nhar.tv/7nUjf>، تاريخ الدخول: 2023/07/12، على الساعة 17:35

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الانفتاح على الآخر وقبول رأيه أو مشاريعه، وتجسد ذلك الاعتقاد في الجانب الديني والشخصي والوطني، وبرز بصفة أكبر وبـ13 تكرارا في موضوع "صورة العرب لدى الغرب" ويمثله مثلا قول أحدهم عن ثقافتهم الفرنسية وهو (Chris vendéen):

« nous les francais sommes les plus tolérants au monde »

حيث يعتقد بأفضليتهم لكونهم الأكثر تسامحا.

أما الشكل الثاني لغياب هذه القيمة في هذا الموضوع فظهر في بعده الوطني، وتمثل في قول أحدهم عن فرنسا مثلا:

« c'est grace à des gens comme toi que je me dis qu'elle est belle la France ca fait chaud au cœur, c'est le meilleure »

ويقر صاحب التعليق أنه بسبب صاحب الفيديو يرى كم فرنسا جميلة وأنها الأفضل لأنها تدفع قلبه.

إن الاعتقاد هنا بالأفضلية والتسامح ينافي الكثير من السياقات التاريخية والسياسية التي نقلت صورا مختلفة عن العنصرية التي تمارسها فرنسا مع المهاجرين، وهو ما يعكس بدوره عدم وعي هذا المستخدم بثقافته الفرنسية في بعدها التاريخي الذي لا يمكن تجاهله هنا في إطلاق مثل هذه الأحكام.

عموما، يجب الوقوف هنا على حقيقة الطابع النسبي لجميع الكيانات الثقافية الموجودة في عالم اليوم، رغم ما قد يكون لبعضها من تاريخ تليد، وعطاءات إنسانية جليلة. أما الاعتقاد بأن ثقافة معينة بالذات تملك وحدها الحقيقة دون غيرها، وتضم وحدها القيم الأخلاقية السامية دون سواها، فمن شأنه أن يفضي إلى التعصب الأعمى والاستبداد على الصعيد العالمي، وفي نهاية المطاف إلى رفض الفكر الآخر جملة وتفصيلا. وهذه مناسبة للتذكير بأن المنتمين إلى تلك الثقافة، إذا كان من حقهم الاعتقاد بأن منظومتهم هي من أعرق المنظومات الثقافية وأغناها، ألا يكون ذلك مبررا للانسياق مع العالم في الادعاء بأن الثقافات البشرية الأخرى أقل شأنًا، أو مجرد نسخ من ثقافتهم.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

كما يتوجب ألا ينتظروا من الآخرين اعتناق قيمهم الثقافية الخاصة واتباعها. من المفروض أن يكون واضحا لجميع الأطراف أن الحوار العقلاني السليم والإيجابي بين الثقافات كما نتصوره، هو غير الدعوة وغير التبشير.¹

أيضا ظهر هذا الاعتقاد بدرجة ثانية في موضوع "مكانة اللغة العربية" بـ 10 تكرارات، حيث تجسد في بعده الثقافي بصفة عامة، ومن أمثلة التعليقات التي عبرت عن هذا الاعتقاد الذي يعطل التحلي بالانفتاح قول (Sophia Sam) حول تأثير العربية على الفرنسية:

« rien ne vaut la langue arabe soutenue, elle renfermé sens, images histoires imaginations et musique »

وهنا تؤكد أن لا شيء يتفوق على اللغة العربية لما تحتويه من معاني وصور وقصص

وقول آخر مؤكدا لذلك وهو (Justio1):

«cette langue redeviendra la langue la plus parlée au monde »

يعتقد بأنها ستصبح الأفضل والأكثر استخداما في العالم مرة أخرى.

إن هذا الاعتقاد بدوره يتنافى مع واقع ثقافي اجتماعي يقول بأن الأفضلية كثيرا ما ترتبط بالأقوى سياسيا واقتصاديا، فكيف يمكن التنبؤ بأن هذه اللغة ستصبح الأكثر استخداما في ظل معطيات الواقع التي تؤكد تراجعها على المستوى العلمي والتواصل، وتراجع المجتمعات العربية في المقابل في مجالات عدة.

إن إصدار مثل هذه الأحكام التي تساهم في غلق باب الانفتاح على الآخر، هو إطلاق مبني على الأهواء والمشاعر، وليس على الحقائق والوقائع التي تعطي مساحة كبيرة لمصادقية ذلك الحكم من عدمه.

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 105.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

لا يمكن أن ننكر أن اللغة العربية جزء أساسي من ثقافة المجتمع العربي، بل إنها سميت بالثقافة العربية تعبيراً عن مكانتها في تكوينها، لذا يجب الافتخار والاعتزاز بها وتقديرها كجزء من الذات¹، إلا أن هذا الاعتقاد بأفضلية هذه اللغة على غيرها والتصريح به علنا قد يسبب انغلاقاً على الذات في هذا الجانب، وبالتالي الاكتفاء بتعلم هذه اللغة دون غيرها، وهو ما سيغيّب الكثير من الفوائد التي سيحققها من يفتح على اللغات الأخرى، والتي بالتأكيد سيجد فيها ما لم يجده في لغته، إذ أن خصوصية هذا العصر الذي نعيشه عصر التطور والتكنولوجيا الرقمية، يحدد لنا أن أفضل لغة هي التي تستطيع المساهمة في بناء هذا الواقع والسعي إلى تطويره، وهو ما لم تتمكن اللغة العربية لحد اليوم من تحقيقه.

ظهر غياب هذه القيمة أيضاً بدرجة ثلاثة في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" والتي بلغت فيه 7 تكرارات، وقد تجسد ذلك أساساً من خلال الاعتقاد بأفضلية الانتماء الديني، ومن أمثلة ذلك قول أحد المستخدمين عن المسيحية وهو (heureux celui qui pleure):

« jesus est l'unique chemin et le meilleur, cou ceci n'est que belles paroles enrobent un memsonge »

حيث يقرر أن يسوع هو الأفضل وهو الطريق الوحيد وباقي الكلام في الفيديو ملفوف حول كذبة.

وفي المقابل هناك من يقرر أفضلية الدين الإسلامي وأن الآخرين هراء مثل قول (Aek adib):

« l'islam est la vraie et unique religion, et l'appelation maison d'abraham n'est pas conforme ou message islamique »

وهنا يؤكد بأن الإسلام هو الدين الصحيح والوحيد وتسمية البيت الإبراهيمي لا يتوافق مع الديانة الإسلامية.

إن هذين النموذجين كمثالين عن نماذج مشابهاة في تعليقات هذا الفيديو يعبران عن صعوبة تحقيق الانفتاح بين الأديان في ظل تمسك كل منهما باعتقاد دينه على من سواه.

¹- وهو ما يتوافق مع ما ذهب إليه المشاركون في المقابلة من اعتزازهم وافتخارهم باللغة العربية كجزء من هويتهم الثقافية، ص

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

لن يسمح التواصل بهذا الأسلوب وبهذه الروح الاستعلائية لكلا الطرفين بأن تكون هناك قابلية للانفتاح والتعارف بين الأديان، تعارفا لا يلغي الخصوصيات، ولا يدعو إلى اتباع ديانة واحدة، وإنما محاولة البحث في النقاط المشتركة التي تقرب الأفكار وتنير الوعي، لتصل به إلى مرحلة تقبل بعضهم البعض، ويبقى القبول بالأفكار هنا مرهون بمدى اقتناع الشخص بالفكرة، بل بمدى قدرة الطرف الآخر على إقناعه، ولكن دائما تحت شعار الاحترام والحوار، مع العمل دائما على الحفاظ على خصوصية الدين ومبادئه وعدم الذوبان في الآخر، وخاصة أصحاب الدين الإسلامي الذي لا يشوبه ريب ولا تعلق به شائبة في عقائده وتشريعاته، عكس الديانات الأخرى التي لم تستطع الحفاظ على مقوماتها.

أيضا غابت قيمة الانفتاح بدرجة أقل وبـ 5 تكرارات لكل من تعليقات موضوعي "الحجاب" و"تعدد الزوجات"، وقد ظهر في هذا الفيديو الأخير وبشكل بارز غياب قيمة الانفتاح في الاعتقاد بأفضلية الانتماء الديني مثل قول (majnoun):

« pour libertinage plutôt que pour la polygamie au vie de ses ouvrages, seul l'islam respecte les femmes »

يتحدث هنا عن أحد المتدخلات في الفيديو بأنها تؤيد الفجور والعشيقات بدلا من التعدد، ليؤكد صاحب التعليق بأن الإسلام فقط هو ما يحترم المرأة.

إن هذا التعليق الذي يقرر أفضلية الدين الإسلامي والتي تتجسد في احترام المرأة والحفاظ على كرامتها، هو نتاج لسياق ديني تاريخي يثبت ذلك على أرض الواقع، ويعطي نماذج حية عن ذلك، وهو رأي ينم عن وعي هذا المستخدم بقضية التعامل مع المرأة في مختلف سياقاتها الاجتماعية والتاريخية والدينية.

رغم ما لهذا القول من دعائم توثقه، إلا أنه يلغي بأسلوب آخر الديانات الأخرى - كما ذكرنا سابقا-، مما يجعله منغلقا على ذاته، فلا يقبل بالتعرف على الآخر ودينه، كانطلاقة حتمية في بناء علاقات معه، علاقات مبنية على المعرفة لا على الجهل.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

إن رفع شعارات الأفضلية الإسلامية في هذا المجال العام الافتراضي بطريقة صريحة ومباشرة، من شأنه أن يعرقل عملية الاتصال بالآخر الغربي، الذي هناك أيضا منه من يعتقد بأفضلية دينه المسيحي، بل إن أكثرهم يعتقدون أن الأفضلية حكرا عليهم في كل شيء، وكل هذا سيفوت على كل طرف الاستفادة من الطرف الثاني في حدود الفعل التواصلي الذي يجمعهما.

إن المسلمين هنا مطالبين بإثبات ذلك فعليا وليس قوليا، لأن الفعل هو الذي يثبت فعلا الأفضلية، لكونه تعبير غير مباشر لها أكثر واقعية وبالتالي أكثر إقناعا للطرف الثاني.

أما في موضوع "الحجاب" فقد عبر عن غياب هذه القيمة مثلا الاعتقاد بأفضلية الانتماء الوطني فظهر في تعليق (K hamza):

« vive le voile et vive la France le plus beau pays au monde »

يقول يعيش الحجاب وتعيش فرنسا أحسن بلد في العالم.

عبر هذا المستخدم الذي يبدو من اسمه أنه عربي مهاجر عن مشاعره اتجاه أمرين، فجمع بين متناقضين لا يجتمعان إلا ويكون وراءهما جدل واسع، وهذا الفيديو هو أحد أشكاله، متجاهلا بذلك مختلف السياقات التي توجه هذه العلاقة، والتي لا يمكن أن تجمع بينهما في جو من التآلف والتقبل.

✓ أما القيمة الثالثة من فئة عدم تحلي هي قيمة "احترام الرأي الآخر" والتي بلغت نسبتها 11.11%، وتجلي ذلك أساسا من خلال تعليقات تكذب المعلومات التي تقال حول الموضوع أو تشكك فيها، وقد ظهر هذا بصفة أساسية في تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية" بـ8 تكرارات، ومن ذلك قول أحدهم عن درجة ومدى استفادة اللغة الفرنسية من العربية وهو (Omar Algerois):

« 500 mots d'origines arabe dans la langue française vous dites ?? faudra vous rendre a levidance et refaire vos comptes, allez voir le taux des mots arabes dans l'anglais, vous allez constater que le français est concu d'au moins de deux tiers des mots arabes »

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

"500" كلمة من أصول عربية في اللغة الفرنسية تقولون؟ يجب أن تتيحوا للحقيقة أن تظهر وتعيدوا حساباتكم، توجهوا إلى نسبة الكلمات العربية في الإنجليزية، ستجدون أن الفرنسية مبنية على ما لا يقل عن ثلثي كلمات عربية.

يتعجب هنا هذا المستخدم من قول أحد الحاضرين ويخطئ المعلومات التي جاء بها بأسلوب استفزازي، لا يتماشى مع مقتضيات الحوار في المجال العام، والذي من شأنه إثراء المعارف وتبادلها وحتى تصحيحها، إن كانت بالأسلوب الأمثل.

كما برز هذا التوجه أيضا بدرجة ثانية بـ 5 تكرارات من المجموع الكلي في قول أحد المستخدمين مثلا في موضوع "الحجاب" وهو صاحب الاسم (S.H):

« on est dans un pays catholique ... non il doit reviser ses cours par ce qu'en 1905 il y a eu une loi celle de la séparation de l'église et de l'état »

نحن في بلد كاثوليكي... لا، يجب أن يراجع دروسه، لأنه في عام 1905 صدر قانون فصل الكنيسة عن الدولة.

ليس كل ما يقوله الطرف الآخر يجب أن يكون صحيحا، ولكن يجب أن يكون محترما من الغير، حتى ينجح الفعل التواصلي بينهما، فالاحترام وحده من يجعل الآخرين يتقبلون الآراء المخالفة ويقتنعون بها، بل ويصححون أخطاءهم على إثرها، أما غياب هذا الشرط الحوارى فلن يزيدهم إلا تمسكا بأرائهم وتشبثا بمعلوماتهم مهما كانت درجة الأخطاء فيها.

✓ في مرتبة موالية حازت قيمة "تقدير الذات" على نسبة ضعيفة في فئة "عدم تحلي" والتي بلغت 7.69%، وقد انحصرت غيابها في فيديو "الحجاب" و"تعدد الزوجات" بتكرارين متقاربين بلغا 5 و4 تكرارات على التوالي، أين ظهرت بعض التعليقات من عينة الدراسة تنتقد بلدها فرنسا لتلاعبها بالقوانين في موضوع "تعدد الزوجات" ثم لاهتمامها بموضوع الحجاب على حساب مواضيع أهم، وفي هذا الرأي ازدرأ للوطن الذي هو جزء لا يتجزأ من هوية الفرد وذاتيته في بعدها الوطني، ومن أمثلة ما جاء في فيديو "الحجاب" مثلا قول (Oum Anas):

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

« On se concentre sur le voile et pendant ce temps là on s'en fout du chômage,des SDF,des personnes pauvres!!!! La liberté en France est accordée à la tête du client et c'est fort dommage,j'ai honte de mon pays» ،

نحن نركز على الحجاب وفي نفس الوقت لا نهتم بالبطالة والمشردين والفقراء!!!! الحرية في فرنسا ممنوحة لرئيس العميل، من المؤسف أن أشعر بالخجل من بلدي".

إن هذا الشعور الذي يعكس في ظاهره ضعف تقدير الذات الوطنية، هو في حقيقته منطقي وموضوعي لأنه نابع من رحم المعاناة التي يعيشها المجتمع الفرنسي في كثير من الجوانب الحياتية، ومع كل هذه الفوضى الاجتماعية لا تزال فرنسا تجنّد كتابها وسياسيها وقوانينها لمحاربة الحجاب أو غيره مما يتعلق بالمسلمين.

يمكن القول أن السياقين الاجتماعي والاقتصادي يتدخلان بقوة في ضعف تقدير الذات الوطنية، فعلى غرار هذا التعليق الذي يصوّر لنا غياب هذه القيمة عند أفراد غربيين، تعاني أيضا الكثير من الفئات العربية وخاصة الشباب من غياب تقديرها لذاتها في بعدها الوطني والتصريح بذلك علنا، نظرا للمشاكل التي تعاني منها والتي على رأسها البطالة، مما دفع الكثير منهم للهجرة إلى بلد آخر علّهم يجدون ضالتهم. فهذا التدمير وهذا الضعف القيمي ليس حكرا على مجتمعات بعينها، وإنها هو شعور نحو كل بلد لم تستطع حكومته معالجة مشاكل شعبها، وفي المقابل تهتم بقضايا جانبية، بل وتسوّ من أجلها القوانين.

إن المساحة الواسعة التي منحها هذا المجال العمومي في سبيل التعبير عن الآراء بكل حرية، جعلت الجميع ينقل مشاعره حول كل موقف يمرّ به، ليس بحثا عن الحلول التي تحتاج في حقيقتها المبادرات الواقعية لا الافتراضية، وإنما فقط لتفريغ الهموم والبحث عن الموازنة وجبر الخواطر لا أكثر.

✓ غابت أيضا قيمة "احترام الحرية الشخصية" من بعض التعليقات وذلك بنسبة 5.98%، وقد كان ذلك في ذات الفيديوين السابقين "الحجاب" و "تعدد الزوجات" بتكراري 4 و 3 على التوالي، ومن أمثلة ذلك قول (Nella) للمحجبات :

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

« quand on avoie dans un pays qui ne pas le tien je pense qu'on doit s'adapter au rythme et non imposé aux autres même si certains ... donc partout il y aura toujours des gens qui vous soutiendront ou non maintenat faut faire avec »

أي: عندما تصل إلى بلد آخر ليس بلدك يجب عليك التكيف مع الإيقاع وعدم فرضه على الآخرين، حتى ولو أنك البعض ذلك، وبالتالي في كل مكان هناك من يدعمك أو لا، ويجب أن تتعامل مع الوضع دائما.

إن هذا الرأي الذي لم يحترم الحجاب كحرية شخصية (انطلاقا من مبادئهم) وكشريعة وجزء ثابت (انطلاقا من مبادئ الإسلام)، ينظر إلى أن التكيف في بلد الغير هو التخلي عن جزء من ثقافتك في سبيل إرضاء الآخر، وذلك في حدود ما وصفه بيرى Berry (1992) بـ "تسليم الثقافة"، والذي يعني التخلص أو التغاضي عن جوانب الثقافة السابقة التي قد لا تكون مناسبة أو ذات صلة في السياق الثقافي الجديد. ويمكن أن يكون ذلك تحديا، حيث يحتاج الأفراد إلى التعامل مع تضارب المعتقدات والعادات بين ثقافتهم الأصلية والثقافة الجديدة التي يعيشونها.¹

نتفق من جانب مع صاحبة التعليق أو قول "بيرى" أنه أثناء دخول الأفراد لسياق ثقافي جديد يحتاجون غالبا إلى تعلم واعتماد سلوكيات تتوافق مع القواعد والقيم الثقافية للثقافة الجديدة، إضافة إلى اكتساب مهارات ومعرفة جديدة وممارسات اجتماعية تسهم في اندماجهم في المجتمع الجديد، مما يعني التفاوض بين العناصر الثقافية المتعارضة. إلا أننا نختلف معها في طبيعة هذا العنصر ومكانته من الثقافة الأصل، ودوره في الحفاظ على خصوصيتها، فإن اتصف بكل هذه الصفات وحمل كل هذه الأبعاد لا يمكن بل من الواجب الثبات عليه والتمسك به مهما كانت العقبات، وهو ما ينطبق على الشعائر الدينية خاصة، لذا وجب على المسلمين هنا الثبات عليها وعدم الانصياع وراء هذه الأفكار المبطنة.

¹ - Berry, J. W. Acculturation and Adaptation in a New Society. International Migration.1992, p p 71, 72

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

من هنا فإن التكيف الناجح للثقافة يتطلب أن يجد الأفراد توازنا بين هويتهم الثقافية الأصلية والقواعد الثقافية للمجتمع الجديد، مما ينتج عنه هوية ثنائية الثقافة أو متعددة الثقافات تعكس مزيجا من كلا التأثيرين الثقافيين،¹ وهذا المزيج لا يعني التخلي عن الخصوصية الثقافية في ثوابتها وأصولها، وإنما أن تكون هناك مرونة في التعامل مع فروعها فقط.

ازداد هذا الأمر إلحاحا مع التقدم في التكنولوجيا وتوسع الاتصالات العابرة للحدود، أين أصبح الأشخاص يعيشون ويتفاعلون مع ثقافات مختلفة بشكل أكبر، مما يدعو للعمل على التكيف الثقافي الذي هو القدرة على فهم القيم والمعتقدات والتصورات والسلوكيات للثقافة الجديدة، واكتساب المهارات اللازمة للتفاعل والتواصل بفعالية مع أفراد هذه الثقافة.²

➤ أما بالنسبة لفئة التحلي بالقيم فقد برزت بصفة أكبر قيمة "الانفتاح على الآخر" والتي بلغت نسبتها 27.36%، وتدعو هذه القيمة إلى أنه "ينبغي لكل واحدة من الأمتين المختلفتين أن تسند إلى الخصوصية الفكرية للأخرى من القيمة ما تسنده إلى خصوصيتها الفكرية نفسها، اعتبارا لكونها هي كذلك تنطوي على ما يمكن أن يفيد البشرية جمعاء".³ لذا يجب العمل بمبدأ الانفتاح والتعارف الثقافي الذي يقرر بأن الشعوب لم تخلق لإقصاء بعضها، وإنما للتعرف على بعضها البعض، والإقرار بحق الآخر في الوجود والاختلاف، بل وبقدرته على الإفادة والعتاء، فضلا عن الدخول في دائرة التعاون لتحقيق الأمن والسلام العالميين.⁴

ظهرت هذه القيمة وحازت عددا أكبر من التكرارات في تعليقات فيديو "الحجاب" والتي وصلت إلى 9 تكرارات، ومن أمثلة ما عبّر عنها قول (Sabrina):

«bravo à les jeunesse française qui a tou compris . merci d'exister »

¹ - Ipid, p 75.

² -Gudykunst, W. B., & Kim, Y. Y. **Communicating with strangers: An approach to intercultural communication.** McGraw-Hill.3ed. (2003). p p 48,49 .

³ - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 147.

⁴ - المرجع نفسه، ص 93.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أبارك للشباب على فهمهم لكل شيء وشكرتهم على وجودهم.

من الأمثلة التي جاءت بصريح العبارة عن هذه القيمة قول أحدهم:

« L'espoir" conclusion les racistes sont a la télé ! les francais sont ouverts et tolérants ! »

أي أن العنصريون يظهرون على التلفاز أما الفرنسيون فمتفتحون ومتسامحون، وهذه هي الخاتمة لتي استنتجها من خلال هذا الفيديو.

ينقل هذا التعليق حقيقة توظيف الإعلام الجماهيري لخدمة أهداف السلطة، ونقل الصور الذهنية السيئة عن المسلمين لأكبر شريحة من الجمهور الغربي، باستخدام التلفزيون كونه الأنسب في نقل الصور المزيفة عن الواقع، في مقابل أن مجتمعاتها هي مجتمعات متسامحة، تتقبل العربي المهاجر، وتتواصل معه، وتحترم شعائره، وبالتالي يتضح لنا الهوة بين الواقع كما هو، والواقع كما تنقله وسائل الإعلام.

كما جاءت هذه القيمة أيضا بشكل ملحوظ في موضوع "الديانة الإبراهيمية" بـ 5 تكرارات، ومن ذلك قول (Alpha omega):

« le projet a une ame homorable dans le fond »

مشروع جيد وله روح شريفة في أعماقه.

إن الانفتاح على الآخر وتقبّل وجوده واختلافه وتبادل المنافع معه شيء في غاية الأهمية، ولكنه لا يجب أن يجعلنا نقبل أي شيء دونما مراجعة وبحث وتبصّر من جهة، ودونما النظر إلى مجموعة السياقات المتحركة فيه من جهة ثانية، لأن من شأن ذلك أن يصبح ذوبانا وانصهارا في ثقافته وليس انفتاحا عليه، فالوعي والحيلة يظلان مطلوبان في هذا الانفتاح تحقيقا للمنفعة للجميع.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

والاعتراف هنا بأنه مشروع جيد يمثل في نظرنا نوع من الانصياع وراء أي الجديد دونما البحث والتقصي في حقيقة الأمر، مما يجعل الانفتاح هنا ذوبانا لا انفتاحا.

ثم ظهرت هذه القيمة في تعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بمعدل بلغ 4 تكرارات، وقد تمثلت أساسا في انفتاح المستخدمين على آراء صاحب الفيديو وتقبلها بل والإعجاب بها، منها قول (Fouad):

« ca fait du bien découter ces sages paroles, céest conais précis et clair »

وهو يعبر هنا عن شعوره الجيد لسماع هذه الكلمات الحكيمة الموجزة والدقيقة والواضحة

إن الانفتاح على أفكار صاحب هذا الفيديو جاء نتيجة توافقها مع أفكارهم، وتبريرها للصورة المشوهة التي يملكونها عن العرب، فرغم أنه عربي بجنسية فرنسية اعتبره الكثير منهم أنه يمثل الفرنسيين أحسن من الفرنسيين أنفسهم، وهذا ما يبيّن أن موقفهم من العرب في بعض الحالات هو موقف اتجاه تعارض الأفكار والسلوكات وليس تعارض الانتماءات، ولكنه في حالات أخرى يعكس أن موقفهم السليبي اتجاه العرب يستتر وراء اختلافات دينية لا أكثر، ولا أدل على ذلك من انفتاحهم على هذا العربي المرتد عن الإسلام، لكون هذا الدين يمثل أكبر حاجز لديهم في الانفتاح على العرب بصفة عامة.

ثم ظهرت هذه القيمة بنفس عدد التكرارات السابقة، وذلك في تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية"، حيث قال أحدهم باللغة العربية:

ثقل علينا الإعلام الغربي والعربي ظهورنا باللطمات والطمات* الكبرى حتى قلنا أن العالم لن يعود إلى رشده يوما... فإذا بهذا الكتاب يعيد لنا وللعالم بصيص أمل من النور والحقيقة المدفونة. شكرا للبرنامج وللكتائب"

* -حرصنا على نقل التعليقات كما هي دون تعديل فيها، سواء كان باللغة العربية أو الفرنسية.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

إن هذا التعليق يعكس لنا قبول المستخدم بأفكار الآخر التي أيضا تتوافق مع توجهاته وانتمائه العربي على ما يبدو من تصريحه، وهذا الانفتاح من شأنه أن يثري أفكاره أكثر حول الموضوع، ويوسع من معارفه، حتى أنه أشار إلى المعاناة في الحقل الإعلامي من الجانبين العربي والغربي، فلا الإعلام الغربي يعطي الحقائق ولا الإعلام العربي يثري المعارف، وكلاهما يلهثان وراء ما يخدم مصالحهما ليبقى الفرد تائها بين تلك الرسائل الإعلامية، يبحث بين طياتها عما ينير عقله بالحقيقة لا أكثر. وهنا وعلى حد قول هذا المستخدم مثل هذا الفيديو نموذجاً إعلامياً متميزاً يستحق التقدير، ومصدراً لمعرفة قيّمة من شأنها أن تنير العقول بما يسهل التواصل مع الآخرين.

رغم مختلف التجاذبات الفكرية التي تطرحها قيمة الانفتاح على الآخر فهذه المرحلة عموماً لا تسمح ولا ينفذ فيها الانغلاق القيمي الذي تفرضه الضغوطات الاجتماعية التقليدية، لأن ذلك يجعلها غير قادرة على تحقيق نتائج تجسد ميكانيزمات العصرية والحداثة ومنطلقاً القيمي والمعرفية والأيدولوجية وكيفية التعامل معها.¹ فمعارف الإنسان والمجتمعات والحضارات لا تنمو ولا تتطور إلا من خلال انفتاحها على الآخرين، وتواصلها مع الثقافات الأخرى، لأن الانفتاح يعطي قدرة متشكّلة من جانبين لقراءة أفكار الآخرين والاستفادة منها، وقراءة أفكار الذات من خلال ما يفرزه الاحتكاك الإيجابي من انعكاس متبادل على الفكر، إذ بالتفاعل يتحقق الإبداع، ويتحرك التنافس الإيجابي، وتنتفتح آفاق جديدة للفرد لمجتمعاً وحضارة.²

➤ أما القيمة التي جاءت في المرتبة الثانية من التحلي بها في التعليقات عينة الدراسة التحليلية فهي قيمة "التسامح مع الآخر" والتي حصدت 20 تكراراً، بنسبة بلغت 21.05%، ولا يعني التسامح القناعة التامة بالمعتقدات الخاصة بالإنسان الآخر، ولكنه مهارة تتطلب عدم التعصب أو العنصرية، واحترام الاختلاف مع الآخرين، والتركيز على القواسم المشتركة بدلاً من التركيز على

¹ - عقيل حسين عقيل، عز الدين حسين أبو التمن، مرجع سابق، ص 377.

² - مرتضى معاش، الانفتاح والتواصل ومنحنيات الإصلاح والتجديد، مجلة النبأ، ع 56، 1422-2001، من موقع:

<https://annabaa.org/nba56/inftah.htm> ، تاريخ الدخول: 28-09-2021، على الساعة: 00:15.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الاختلاف، بل والدفاع عن الآخرين إذا ما تعرّضوا لمضايقات بسبب اختلافهم، لهذا ينبغي أن يحاول الشخص تفهّم الآخرين بشكل غير انحيازيّ أو تعصبيّ، كما أن معارضتهم يجب ألا تكون مجبولة على الكراهية.¹ والتحلي بهذه القيمة يعني التحلي بأخلاقيات التواصل التي دعى لها هابرماس أثناء الفعل التواصلية بين الأفراد.

ظهرت هذه القيمة بدرجة أولى في تعليقات فيديو "الحجاب" أين بلغ تكرارها 7 تكرارات من 20 تكرارا، وقد برزت في التعليقات التي تدعو إلى التسامح ونبد العنف، مثل قول (theleng DG):

« La colérance est la clés Acceptons nous les uns les autres ! »

أي: التسامح هو الحل دعونا نتقبل بعضنا البعض.

من ذلك أيضا التعبير عن حق الاختلاف الذي جاء في قول (Phoemix black):

« a mon avis etres differnts n'est ni bonne, ni une mauvaise chose, ni une mouvaise chose, ce la signifie simplément que vous êtes suffisamment courageux pour être vous même »

هنا يرى بأن الاختلاف ليس سيئا أو جيدا وإنما يعني أنك شجاع بما يكفي لتكون على طبيعتك.

في هذه التعليقات دعوة للتسامح واحترام حق الاختلاف الذي جعله أحدهم شجاعة، لأنه يجعل الإنسان يحافظ على طبيعته، وهو بذلك يدعو الآخرين للحفاظ على خصوصيتهم التي تميزهم عن غيرهم، والتي تظهرها الاختلافات الثقافية القائمة بين الأشخاص، على شرط أن تستغل في الحفاظ على الخصوصية لا أكثر.

إن اختلاف الثقافات البشرية فيما بينها ظاهرة اجتماعية وتاريخية ملموسة، بيد أن هذا الاختلاف الواقعي والعادي، لا يحول دون أن يكون هناك نوع من التجاذب والتقارب والتعاون بين مجموعات

¹ - سناء الدويكات، ما هو التسامح من موقع: <https://mawdoo3.com> تاريخ الدخول: 2021-09-28، على الساعة 00:30.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

معينة منها. ولكن، عندما تتحوّل ظاهرة الاختلاف الثقافي إلى ذريعة في يد حركات عنصرية، هدفها نشر أفكار الامتياز والتفوق العرقي، والدفاع العلي عن أطروحة انعدام التكافؤ والمساواة بين الثقافات البشرية، عندئذ يكتسي المشكل طابعا آخر، حيث تترتب عنه تداعيات أخلاقية ومواقف سياسية تتبلور بشكل مكشوف في السلوك المحتقر للثقافات المغايرة والمعادي لها.¹

كما ظهرت قيمة التسامح بدرجة معتبرة مقارنة بالمجموع الكلي للتحلي بهذه القيمة، والتي بلغت 5 تكرارات من 20 وذلك في موضوع "صورة العرب لدى الغرب"، حيث يقول مثلا (Chunsoo):

«tes reflexions me font tellement de bien et me rappellent que tous les peuples sont de la même souche et pas ennemis, merci car ton travail ne peut que nous aider à mieux comprendre et accueillir autrui »

وهنا يؤكد صاحب التعليق في تأملاته أن لا أعداء بين الشعوب لأنهم جميعا من نفس الأصول، ثم يشكر صاحب الفيديو لأن هذا العمل ساعده في فهم الآخرين والترحيب بهم وهذا ما يعني الانفتاح عليهم.

يجلنا صاحب هذا التعليق إلى أن مشكلة الاختلاف التي كثيرا ما عولجت سابقا على أنها انحراف عن القاعدة الثقافية، يجب النظر إليها من زاوية "الحق في الاختلاف الثقافي"، وهي التي تعني على المستوى العملي الانتقال من سياسة "الاستيعاب القسري" إلى نهج يهتم أكثر بالتعددية الثقافية والهوية العرقية التي يجب الحفاظ عليها.²

إن الاعتراف بهذا المبدأ علميا، يعني القبول بحقيقة بات من الصعب غض الطرف عنها، وهي أن الاختلاف والتنوع بين الكيانات الثقافية الموجودة في عالم اليوم هو ظاهرة تاريخية واقعية وملموسة،

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص30.

² - NACIRA BOUBNIDER , op-cit, p10

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

والإقرار بذلك يشكل دعامة متينة للنظام الديمقراطي على الصعيد العالمي، ويساهم في تنمية روح التعاون بين الشعوب والحوار المثمر بين الثقافات.¹

برزت بعد ذلك هذه القيمة التي تعكس الإيمان بحق الاختلاف في موضوع "تعدد الزوجات" بمعدل 4 تكرارات، ومن ذلك قول أحدهم بعبارة صريحة:

« mais la polygonie se developpe de plus en plus, et si on n'est pas d'accord avec ca , alors il faut accepte cette différence »

أي: تعدد الزوجات ينتشر أكثر فأكثر وعليه يجب تقبل هذا الاختلاف.

إن هذه الحقيقة التي ذكرها صاحب التعليق والتي تعكس الواقع، تدل على البعد الإيجابي لظاهرة التعدد التي انتشرت عند الكثير من الناس، وبالتالي فرضت نفسها على قائمة الاختلافات التي يجب تقبلها، أي أن السياق الاجتماعي هنا هو الذي ساهم في بناء هذا الرأي وليس الديني.

نؤكد هنا أن هذه الظاهرة لا تعكس الاختلاف بين الديانات، وإنما تمثل أحد أوجه التشابه بينها، لأن التعدد حقيقة هو عقيدة جمعت الديانات السماوية الثلاثة، فالديانة اليهودية مثلا كانت تبيح التعدد بدون حد، وأنبياء التوراة جميعا بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات، وقد جاء في التوراة أن نبي الله سليمان كان له سبعمائة امرأة. أما في المسيحية فلم يرد نص صريح يمنع التعدد، وأما ما ورد فيه فهو على سبيل الموعظة أن الله خلق لكل رجل زوجته، وهذا لا يفيد على أبعد الاحتمالات إلا الترغيب بأن يقتصر الرجل في الأحوال العادية على زوجة واحدة، والإسلام يقول مثل هذا القول، وقد ثبت تاريخيا أن من بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون أكثر من واحدة، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات.² أي أن معرفة كل هذه الحقائق ستساعد في إطلاق أحكام مبنية على العلم، تعمل على تغيير الصورة الذهنية عن المسلمين.

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 106.

² - مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 48.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

» أما القيمة التي جاءت في مرتبة موالية من قيم التحلي هي قيمة "تقدير الذات" والتي ظهرت بنسبة 16.84%، وكان ذلك بدرجة أكبر من غيرها في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" وب 5 تكرارات، حيث عبّر بعض المستخدمين عن حبهم لفرنسا أو افتخارهم بأصولهم، ومن ذلك مثلاً قول (ninou khal):

«né française et fiere de l'etre des origines kabyle »

وهنا يقول بأنه ولد في فرنسا ويفتخر بأنه يكون من أصول قبائلية.

إن الاعتزاز بالنسب والأصل حسن، وهو جزء لا يتجزأ من هوية الفرد وثقافته، وبالتالي من ذاته، وفي ذلك تقدير وافتخار بها، على أن لا يتجاوز ذلك قدراً معيناً، لأن كثرة مفاخرة الفرد بأصوله وأجداده تؤكد عجزه عن تحقيق إنجاز شخصي يفخر به.

ظهرت هذه القيمة بدرجة ثانية في تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية" ب 4 تكرارات، ومن ذلك قول أحد المستخدمين باللغة العربية:

"ما أجمل لغتنا عربية وما أعظم أجدادنا العرب الذين سادوا ونشروا العلم والحضارة في سائر البلدان أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة".

عبّر صاحب هذا التعليق عن اعتزازه بأغلب عناصر ثقافته، حيث صرح بداية عن اعتزازه بلغته العربية، ثم اعتزازه بأجداده، وفي هذا اعتزاز ضمني بالتاريخ الذي يمثل جزءاً لا يتجزأ من ثقافته، ثم اعتزازه الضمني أيضاً بالرسالة الواحدة وهي دينه الإسلامي، ولا نشك في أن الدين من أهم إن لم نقل هو أهم عناصر ذاته وهويته. ونشير هنا إلى أنه لم يكن لهذه القيمة أن تظهر، لو لم يكن هناك تبادل للآراء حول موضوع أثار النقاش واستثار المشاعر اتجاه الذات الثقافية العربية الإسلامية.

بل يمكن القول عموماً أن الواب والتكنولوجيا الاتصالية والاعلامية يستمد قوته ونجاحه من قدرته على منح الأفراد أدوات عصرية لبناء هوياتهم وتأكيد تمايزهم، كما أن الفرد ضمن هذا الحيز التواصلي الافتراضي يتحكم بتقديم ذاته بطريقة أفضل من لو أن التفاعل كان مباشراً ضمن فضاء

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

فيزيائي. كما تتيح لهم تكثيف علاقاتهم وتوسيعها مع أفراد آخرين من فضاءات ثقافية متنوعة، وتبادل الخبرات والتجارب الحياتية، أي أن الأنترنت تتشكل وتجد قوتها في كونها حاملا لهذه الرغبة الجارحة عند الفرد المعاصر في تأكيد ذاته وخصوصيته¹.

كما ظهرت هذه القيمة في تعليقات بقية الفيديوهات بعدد تكرارات ضعيف ومتقارب تراوح بين الإثنين والثلاثة، وقد تمحورت في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" حول تقدير الذات في بعدها الديني من كلا الطرفين المسيحي والعربي، فكل منهما يمدح ديانته ويفتخر بها، وهو تعبير ضمنى عن رفض هذا المشروع الذي يجمع بينهم، وعلى عدم الانفتاح عليه.

كذلك في تعليقات فيديو "تعدد الزوجات" برز ذلك من خلال تقديرهم لذاتهم في بعدها الديني، والذي يظهر من خلال اعتزازهم بدينهم الذي حفظ كرامة المرأة من خلال تشريع تعدد الزوجات بالضوابط التي تضمن حقوق المرأة. ولا يختلف عن سابقه فيديو "الحجاب" الذي سلك فيه المستخدمون نفس المسار في تقديرهم لذاتهم في بعدها الديني كذلك من خلال افتخارهم بالحجاب الذي يستر المرأة ويحافظ على عفتها، مما يعكس توجيه السياق الإسلامي لهذه القيمة وتقديرها لدى الفرد.

على أهمية التحلي بقيمة تقدير الذات بالنسبة للثقافتين على السواء، نشير إلى أن المبالغة فيه يصبح اعتقادا بالأفضلية على الغير إلى أن يصل لدرجة التكبر والاستعلاء وبالتالي الانتقاص من قيمة الطرف الآخر، وعليه يجب ترشيد هذه القيمة حتى لا تتحول عن مسارها المنوط بها.

➤ أما القيمة الموالية من التحلي هي قيمة "احترام الرأي الآخر" والتي بلغت نسبة 13.68%، وقد برزت بصفة أكبر في موضوع "مكانة اللغة العربية" بمعدل 6 تكرارات، كقول (adli al hassy (al-baraqoni

« je pense qu'il existe des preuves linguistique beaucoup plus interessant que ce qui a été dit ici sur le niveau de pédagogie des mots »

¹-الصادق رابح، قراءة في الرهانات الثقافية والاجتماعية للتكنولوجيات الرقمية الحديثة، مجلة الإذاعات العربية، ع1، اتحاد إذاعات الدول العربية، 2006، ص 90.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

هنا يعتقد صاحب التعليق أن الأكثر أهمية مما قاله المتحدثون الحديث فيما يخص مستوى أصول التدريس.

هذا المستخدم وبهذا الأسلوب يعرض وجهة نظره بدون تطرف أو تعصب. فالاختلاف في الرأي بين البشر واقع لا محالة، ولكن السؤال المطروح هنا كيف نتعامل مع هذا الاختلاف بما يحفظ كرامة الآخر؟.

عند التعامل بين الثقافات يجب احترام القاعدة الأخلاقية نفسها التي سنّها الفيلسوف الألماني "كانط" "Immanuel Kant" في منظومة فلسفته الأخلاقية التي يعمل من خلالها على إخضاع العلاقات والتعامل بين البشر لإلزامات وأوامر أخلاقية ذات طابع عقلي كلي وصارم. فإذا قمنا بتحويل صيغة هذه القاعدة المعروفة، واستبدلنا كلمة الإنسان فيها بالثقافة، جاز لنا القول: يجب على كل ثقافة أن تعامل الثقافات المغايرة لها، وكذلك المنتمين إليها، كغاية لا كوسيلة، وبمثل ما تحب أن تعامل به.¹

في ذات السياق جاء هابرماس منادياً بمشروعه "أخلاقيات التواصل" التي تدعو إلى الوصول لاتفاق حول قواعد أخلاقية تضمن التبادل والتعارف بين المشاركين في هذا الفضاء العمومي، مع التأكيد على ضرورة الاحتكام في ذلك للعقل التواصلي، ونبذ الهيمنة والتمركز حول الذات.

كما تجلّى التحلي بهذه القيمة بدرجة ثانية وبـ 3 تكرار من خلال التعليقات التي تضمنها فيديو "صورة العرب لدى الغرب" حيث قال أحدهم لصاحب الفيديو:

«vous avez un courage que j'admire»

هنا يعترف لصاحب الفيديو بتصريح مباشر بشجاعته التي يحترمها والتي تتجسد في أفكاره التي عرضها في الفيديو

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 104.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

ثم ظهر هذا الاحترام في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" وبتكرارين فقط، ومن الأمثلة المعبرة عنه قول أحدهم بأن الفكرة نظريا جيدة ولكن عمليا يصعب التطبيق.

➤ أما القيمة التي جاءت في المرتبة الموالية من فئة التحلي بالقيم هي قيمة "تقديم النصح للآخر" والتي بلغت نسبة 11.57%، وقد ظهرت أولا من خلال فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بـ 5 تكرارات، والتي ظهر فيها نصح العرب بمراجعة سلوكياتهم حتى يمكن العيش معهم، ومنه قول أحدهم:

« et malheureusement, rares sont ceux qui s'en rendent compte. Quand on ne fait qu'exiger le respect, on ne l'acquiert jamais »

أي: لسوء الحظ قلة هم من يدركون ذلك، عندما تطلب الاحترام فقط لا تحصل عليه أبدا. أي يجب أن يكون الاحترام متبادلا.

يعتبر النصح من أبرز القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الناس في معاملاتهم مع بعضهم البعض، وذلك لأن الإنسان مجبول على الخطئ نظرا لطبيعته البشرية، وبالتالي يحتاج لمن يوجه سلوكه وفكره بالنصح الرشيد، وخاصة من طرف من مرّ بذات تجربته.

لقد نصح هذا المستخدم بقاعدة أخلاقية لا تستقر الحياة بدونها وهي معاملة الآخرين كما تحب أن يعاملوك، ليكون ميزان حكمك على تصرفات الآخرين هي نفسك وما تبحث عنه من الآخر.

بعدها وبـ 3 تكرارات ظهرت هذه القيمة في تعليقات موضوع "الحجاب"، أين جاء مثلا على لسان أحدهم:

« la tolérance est la clés acceptons nous les uns les autres »

هذا المستخدم يجد أن الحل في التسامح لذا يدعو الآخرين إلى تقبل بعضهم البعض.

هنا تجتمع قيمة النصح مع قيمة التسامح، وفي ذلك دعوة للجميع للتحلي بهذه القيمة التي لها أثر بالغ في تحقيق التواصل الفعال.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أما في تعليقات المستخدمين حول "الديانة الإبراهيمية" فظهر التحلي بهذه القيمة بتكرارين فقط، حيث قال مثلا (Nikyta Kafrim):

«la fin est proche et les prophesie se mieux vaut commencer a se repentir »

هنا يتوقع هذا المستخدم بأن النهاية قريبة، وينصح ببداية التوبة.

أخيرا ظهر التحلي بهذه القيمة في عينة التعليقات الخاصة بفيديو "تعدد الزوجات" بتكرار واحد فقط، وهو ما جاء على لسان (Saioou sall):

« et pour ceux et celles qui ont du mal à pratiquer leur din, envisagez sérieusement la lijrah dans un autres pays parce que je crois que les choses iront ensemprant »

هنا ينصح الذين يجدون صعوبة في ممارسة دينهم إلى الهجرة لبلد آخر، لأنه يعتقد أن الأمر سيزداد سوءا.

إن هذا النصح نابع من خوف المستخدم على حقوق المواطنين المهاجرين والتي يزداد التعامل معها إجحافا، وهي نتيجة لسياق اجتماعي سياسي دفعه لإبداء النصح هنا. وهو سياق تغيب فيه حقوق المواطنة وحقوق المواطن المهاجر في فرنسا بصفة خاصة.

لقد أغنى هابرماس بمعالجته التواصلية المسلحة بخلفية فلسفية ثرية مفهوم المواطنة وأخرجها من إطارها السياسي والقانوني إلى سياق منفتح تعددي يقبل الاختلاف ويسهم في تديره. وهذا يعني أن المواطنة لم تعد محصورة في واجبات المشاركة السياسية واحترام القانون والمؤسسات، ولكنها تجاوزت كل ذلك إلى تفتحها على التفاعل الناجم عن التنوع الثقافي داخل المجتمع، فلا تكون المواطنة ناضجة في فعلها المجتمعي والسياسي إذا لم تكن على دراية بكل أوجه الاختلافات الثقافية داخل النسيج الاجتماعي.¹

¹ - محمد مصطفى القباح، مرجع سابق، ص 71.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

إن حق المهاجرين في الاختلاف الثقافي واللغوي يشهد تقييدا كبيرا لجنسية السكان من أصل عربي، وزيادة في عدم الثقة بهؤلاء السكان الذين اندماجهم ينظر إليه على أنه تهديد لتماسك الهوية الفرنسية. وفي هذا السياق أصبح المهاجرون وأطفالهم أهدافا للمعركة بين الاتجاهات السياسية المختلفة، ومن هنا تبرز الانقسامات حول تمثيل مستقبل الهجرة والمهاجرين.¹

➤ أما عن القيمة التي برزت في آخر قائمة التحلي بالقيم هي "احترام الحرية الشخصية" وذلك بمعدل 6 تكرارات، وقد تجسدت بصفة أساسية في تعليقات فيديو "الحجاب" التي بلغت التكرارات فيها 4 من مجموعها الكلي، ومن ذلك قول أحدهم:

« c est tellement bizarre que les gens demandent leur avis a d autres sur unes question de liberte personelle »

أي: من الغريب أن يسأل الناس الآخرين عن رأيهم في الحرية الشخصية.

أو قول آخر:

« pourquoi ne pas laisser ler femmes etre libres »

أي: لماذا لا تترك النساء يكن أحرارا.

لا شك لدينا في أن احترام الحرية الشخصية من القيم الإنسانية السامية التي يجب التحلي بها في حدود العلاقات مع الآخرين، ولكنها يجب أن ترتبط بسياقها السياسي أو الاجتماعي، أما السياق الديني والإسلامي بصفة خاصة فلا يرتبط بحرية شخصية وإنما بشرائع وقواعد وأخلاق. من هنا فإن شعار "الحجاب حرية شخصية" لا يتوافق مع حقيقته في الدين الإسلامي، وإنما يتوافق مع منطق فهم الغربيين.

¹ - NACIRA BOUBNIDER , op-cit, p34

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

➤ أما فئة "أخرى تذكر" فظهرت بنسبة 3.15% من قيم التحلي والتي مثلتها أساسا قيمة "تقديم المصلحة العامة" و"العدل بين الناس"، وقد بلغت تكرارين ضعيفين بمعدل 1 و2 لكل من تعليقات فيديو "الحجاب" و"صورة العرب لدى الغرب"، ومن الأمثلة مثلا في هذا الفيديو الأخير قول أحدهم:

« La France doit traiter les différents groupes de la société avec justice et égalité pour contrôler la vie »

أي: تحتاج فرنسا إلى التعامل مع مختلف فئات المجتمع بالعدل والمساواة حتى تضبط الحياة

وتعليق أحدهم على فرنسا في فيديو "الحجاب":

« Il est du devoir de la France de veiller aux intérêts généraux de la société »

أي: من واجب فرنسا أن تهتم بالمصالح العامة للمجتمع.

إن التحلي بمختلف القيم التواصلية في المجال العام الافتراضي كفيصل بأن يحقق تواصلًا فعالًا بين المستخدمين، وأن يساهم في حل الكثير من المشاكل والقضايا المشتركة بينهم، في جو تفاعلي تبادلي يقوم على الديمقراطية التشاورية، ولا يقصي أحدا من هذا التشارك. مع التأكيد دوماً على عدم تعدي تلك القيم لخصوصية الثقافة وخاصة في بعدها الديني وبالأخص الإسلامي الذي لا يقبل التنازل، لأنه حقيقة مطلقة لا تقبل المساومة فيه.

1-2- فئة نوع السياق:

يمثل السياق هنا الإطار المرجعي العام الذي يتحدث على ضوءه المستخدم في تعليقاته، والذي يوجه أفكاره في تواصله مع الآخرين، وبالتالي يحدد نمط وأسلوب تفاعله حول الموضوع، وقد كانت النتائج كما يوضحها الجدول الموالي:

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

جدول رقم (30) يمثل فئة نوع السياق.

المجموع		المواضيع							فئة نوع السياق	
		الحجاب	صورة العرب لدى الغرب	تعدد الزوجات	مكانة اللغة العربية	الديانة الابراهيمية	ك	إسلامي	ديني	
31.6	55	35	7	7	10	3	8	ك	إسلامي	
		63.63	17.5	16.66	22.22	12	36.36	%		
		1	5	—	—	—	6	ك	مسيحي	
		1	12.5	—	—	—	27.27	%		
		2	1	—	—	—	1	ك	يهودي	
		3.63	2.5	—	—	—	4.54	%		
		7	1	—	3	—	3	ك	غير محدد	
		12.72	2.5	—	6.66	—	13.63	%		
51	17	17	16	1	—	ك	اجتماعي			
29.31	42.5	40.47	35.55	4	—	%				
17	1	3	5	6	2	ك	تاريخي			
9.77	2.5	7.14	11.11	24	9.09	%				
10	5	2	3	—	—	ك	سياسي			
5.74	12.5	4.76	6.66	—	—	%				
—	—	—	—	—	—	ك	علمي			
—	—	—	—	—	—	%				
41	3	13	8	15	2	ك	ثقافي			
23.56	7.5	30.95	17.77	60	9.09	%				
—	—	—	—	—	—	ك	أخرى تذكر			
—	—	—	—	—	—	%				
174	40	42	45	25	22	ك	المجموع			
100	100	100	100	100	100	%				

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

يعكس لنا الجدول أعلاه أن تكرارات نوع السياقات التي ظهرت في التعليقات الخاصة بالعينة المختارة من الفيديوهات قد بلغت 174، وهو عدد كبير مقارنة بعدد التعليقات التي قمنا بتحليلها، مما يعني ظهور أكثر من سياق في التعليق الواحد.

✓ حاز السياق الديني* على أكبر نسبة من حيث ظهوره في التعليقات عينة الدراسة، حيث بلغت نسبته من مجموع السياقات 31.6%، وهو يعبر عن مكانته الخاصة في التواصل بين الآخرين، وجوهريته في تحديد وتوجيه آراء المستخدم حول مختلف القضايا.

فالدين يمارس وظيفة ضبط مزدوجة، الأولى منها لتحديد السلوك الصادر من أفراد المجتمع باتجاه المعايير المتعارف عليها في المجتمع، أما الثانية فهي لإرشاد النسبة القليلة باتجاه التقويم الصحيح للسلوك ضد الانحرافات التي تظهر في كل مجتمع.¹

➤ قد قسمنا بتقسيم هذا السياق على أساس الأديان التي ظهرت في العينة، فكانت فئة "السياق الديني الإسلامي" هي الأكبر نسبة بما يعادل 35 تكرارا من المجموع الكلي للسياقات الدينية والتي بلغ 55 تكرارا، حيث ظهر هذا السياق بصور مختلفة بين المدح في تعليقات والذم في تعليقات أخرى، وقد كان بدرجة أكبر في موضوع "تعدد الزوجات" وذلك بـ 10 تكرارات، ومن أمثلة ذلك قول أحدهم عن صاحبة الفيديو:

«subhan allah tu défend trop bien l'islam etc valeurs»

هنا مدح لصاحبة الفيديو التي تدافع عن الإسلام وقيمه جيدا.

إن السياق الإسلامي هنا جاء في إطار الاعجاب بكيفية دفاع صاحبة الفيديو عن الإسلام، وهي وظيفة هامة يستطيع من خلالها المستخدم أن يحسن من صورته الذهنية عند الغربيين، وأن

* - قمنا بإخراج الدين من سياق الثقافة ووضعه في سياق مستقل نظرا لكثرة بروزه في عينة التعليقات المختارة.

¹ - أسعد شريف الإمارة، مرجع سابق، ص 157.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

يستلهم منها الأفكار والأساليب المناسبة لذلك، ليكون بذلك مادة تعرفه بدينه من جهة، وبتصورات الآخر نحو دينه والقوانين التي تسن وراء ذلك.¹

إن هذا السياق هو الأبرز أيضا بالنسبة لعينة الدراسة في الاستبيان، أين ظهر كمحدد أساسي في توجيه العلاقة الاتصالية بين مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وذلك للقيمة التي يحظى بها عند المسلمين، في مقابل تغييب الجانب الديني عند الكثير من الغربيين.

ثم ظهر هذا السياق بدرجة ثانية في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" بـ 8 تكرارات كقول أحدهم تعليقا على هذا المشروع:

« ca n a rien a voir avec l islam ‘imam de al azhar a pris une décision irresponsables de sa part .. »

أي أن هذا المشروع لا علاقة له بالإسلام، وإمام الأزهر اتخذ قرارا غير مسؤول من جانبه.

إن حضور السياق في هذا التعليق يعكس غيرة هذا المستخدم على الإسلام، وهي غيرة على الذات الثقافية وخوف عليها في حدود صور ذهنية مشوهة اتجاه دولة الإمارات نتيجة علاقاتها السياسية مع إسرائيل، والتطبيع معها علنا دون مراعاة اتجاهات شعبها، بل ورأي الإسلام في ذلك أولا.

أما عن بقية الفيديوهات عينة الدراسة فقد تساوى كل من فيديو "صورة العرب لدى الغرب" و"الحجاب" في وجود هذا السياق، ولم يكن هناك فارق كبير بينهما وبين الفيديو السابق في عدد التكرارات الذي بلغ 7 تكرارات، أما من أمثلة حضور السياق الديني الإسلامي في الفيديو الأول فقد كان بدرجة أولى في صورة سلبية، منها قول أحد المستخدمين في تعليقه عن الإسلام:

« il subit effectivement la méfiance de ses collègues à cause de cette très mauvaise reputation des musulmans »

¹- وهو ما يتوافق مع استغلال عينة المقابلة للتعرف على دينهم أو التعريف به من خلال الفيديوهات.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

وهو يتحدث عن فتى محترم لا يثق فيه زملاؤه في العمل بسبب السمعة السيئة للمسلمين.

إن هذا السياق والذي تكرر بكثرة على هذا النحو يعكس الصورة الذهنية السيئة التي يمتلكها المجتمع الغربي عن المسلمين وعن الإسلام بصفة خاصة، فهو لم يصفهم بالعرب وإنما بالمسلمين ليربط السلوكات السيئة التي يراها منهم بالإسلام، لأنهم يتصرفون عادة بتسامح أكبر مع العرب غير المسلمين.

أما فيديو "الحجاب" فيمكن أن نمثل له بقول أحدهم في تعليقه:

« le voile est un respect envers dieu et c'est une soumission a dieu et ce n'est en aucun cas pour leur mari »

أي: الحجاب احترام امتثال لأوامر الله وهو خضوع لله وليس لأزواجهم بأي حال من الأحوال.

إن هذا السياق جاء في إطار هدف التعريف بالثقافة العربية الإسلامية للآخر ودحض الشبهات عنها،¹ في موضوع حقيقة الحجاب في الإسلام، لنفي المغالطات التي جاء بها بعض المتحدثين في الفيديو من أنه خضوع لرغبة أزواجهم في ذلك. وقد استخدم هنا أسلوب الحوار بالحسنى مما يعطيه تقبلاً أكبر لدى الآخر الغربي.

كانت أقل نسبة في ظهور هذا السياق في تعليقات موضوع "مكانة اللغة العربية" بـ 3 تكرارات فقط، أين قال أحدهم في تعليقه الذي جاء باللغة العربية:

"الضيوف يفتخرون ويتناقشون فيما بينهم عن هذه اللغة العظيمة بكل طلاقة وكل افتخار لأنها لغة العز والفخر ولغة القرآن الكريم الذي هو كلام الله".

تجسد السياق الإسلامي هنا في تقدير الذات من خلال الافتخار باللغة العربية وبربطها بالقرآن الكريم ليزيد من قيمتها عنده، ومما يعكس هذا الاعتزاز من جانب آخر تعليقه باللغة العربية.

¹ - انظر ص 328 من تحليل المقابلة، وص 229 من تحليل الاستبيان.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

➤ جاء في مرتبة ثانية من السياق الديني "السياق المسيحي" الذي لم يظهر إلا في موضوعي "الديانة الإبراهيمية" ثم "الحجاب" على التوالي وذلك بعدد تكرارات متقاربة جدا بلغ على التوالي 6 و5 تكرارات، ومن أمثلة ما جاء في التعليقات الخاصة بالموضوع الأول قول أحد المستخدمين:

« jesus est l'unique chemin et le meilleur, cou ceci n'est que belles paroles enrobont un memsonge »

أي: اليسوع هو الأفضل وهو الطريق الوحيد وباقي الكلام في الفيديو ملفوف حول كذبة.

إن حديث هذا التعليق الإقصائي للطرف الثاني وعدم الانفتاح أو التسامح معه هو -على ما يبدو- نتيجة معلومات مستوحاة من مسيحيته المنحرفة جعلته يكون صورة ذهنية سيئة عن الأديان الأخرى، بما لا يترك مساحة للأخذ والرد معه.

أما في فيديو "الحجاب" فقد تجسد هذا السياق مثلا من خلال أحد التعليقات الآتية:

« on est dans un pays laique au racine catholique mais.. »

أي: نحن في بلد علماني بجذور كاثوليكية ولكن... ..

كما ظهر السياق الديني بصفة عامة دون تحديد نوع الدين بالضبط، مثل قول أحدهم في موضوع "الديانة الإبراهيمية" التي حصدت تعليقاتها 3 تكرارات من هذا السياق:

« pour les religions que estupidez »

أي: بالنسبة للأديان يا له من شيء غبي.

إن السياق هنا يعكس وجهة النظر التي ترى عدم ملاءمة هذا المشروع الإبراهيمي لجميع الديانات وليس لديانة بعينها، مما يعبر عن رأي يحترم خصوصيات الأديان وحتمية اختلافها عن بعضها البعض، وبالتالي استحالة الجمع بينها في بيت واحد. إلا أنه عبر من جهة أخرى على اللا تسامح مع فكرة المشروع بالوصف الذي نعتها به، وهو الذي من شأنه أن يجعل صاحب المشروع متعصبا لرأيه لا يقبل النقاش في رأيه، ولا يدفعه للبحث عن الحقيقة.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أيضا ظهر هذا السياق ولكن بدرجة أقل وبمعدل تكرار واحد فقط في تعليقات موضوع "الحجاب" بقول أحدهم:

« la laïcité ce n'est pas interdire les religions c'est uniquement la séparation de l'états des religions point »

أي: العلمانية لا تحضر الأديان إنما فقط فصل الدولة عن الأديان.

يظهر على خلفية السياق الديني هنا سياقاً أهم في الموضوع وهو السياق السياسي، ولكنه لم يبين الحقائق التي سجلها التاريخ ليخبرنا عن حجم محاربة العلمانية للدين المسيحي الذي تسلط من خلاله الباباوات والبطارقة على أعناق وذمم العامة، متحدين في ذلك مع الأنظمة الحاكمة التي استفادت هي الأخرى من هذه الوحدة.

➤ أما عن السياق الديني اليهودي فقد ظهر كإشارة عابرة فقط ومن خلال تعليقين فقط من العينة، أحدهما كان في فيديو "الديانة الإبراهيمية" ومن أمثلة ذلك قول أحدهم باللغة العربية: "هل هناك طقوس مختلفة في اليهودية"، وهو هنا يتساءل عن هذه الطقوس وكيفية تجسيدها من خلال هذا البيت، ولكنه لا يعبر عن انتمائه لذا الدين.

أما الفيديو الآخر فهو الذي يتعلق بموضوع "الحجاب"، وقد ظهر هذا السياق في التعليق الوحيد من العينة بالصيغة الآتية:

« pourquoi ne pavez pas la question etres vous d'accord pour le voile judaique ? »

أي: لماذا لا تسألون السؤال هل تتفقون مع الحجاب اليهودي.

إن هذا التعليق على ما يبدو جاء من طرف مسلم اعترض على سؤالهم في الحصة على الحجاب وإثارة الجدل حوله، في حين لا يسألون عن لباس اليهود في بلادهم، وهنا يتجسد أيضا السياق السياسي الذي يعكس التمييز في المعاملة بين الأديان، ليكون الإسلام هو الأكثر خطرا بالنسبة لهم، وعلى خلفيته تثار كل الإشكالات التي تعبر عن خوفهم من هذا الدين ضمينا.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

كما يؤكد هذه العنصرية في التعامل مع الإسلام على المستوى الحكومي أيضا التقرير الصادر من "التجمع ضدّ الإسلاموفوبيا" في فرنسا، الذي يثبت ارتفاعا بنسبة 77 بالمئة في الاعتداءات على خلفية كراهية دينية على مسلمين بين عامي 2017 و2019، ورصد التجمّع سنة 2019 نحو 789 فعلا يندرج تحت مظلة كراهية المسلمين، يقول إنّ 59 بالمئة منها صدر عن مؤسسات حكومية.¹

✓ بعد ذلك ظهر "السياق الاجتماعي" في تعليقات المستخدمين حول مختلف الموضوعات في مرتبة ثانية بنسبة 26.31%، ويعتبر السياق الاجتماعي من أهم السياقات المؤثرة في حياة الأفراد، ولها دور بارز بعد البعد الديني في توجيه مسارات السلوك الإنساني، من خلال الانضباط بالآداب العامة أو ما يسمى بالضبط الاجتماعي للسلوك، حتى لا يكون منحرفا عن المعايير التي تحكم. عندما يتفاعل الإنسان مع الآخرين يلعب السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه الأفعال دورا رئيسيا في السلوك، وبالتالي في المشاكل الاجتماعية، وهذا يعني أن فهم المرء للأشياء والكلمات والعواطف والإشارات الاجتماعية قد يختلف اعتمادا على المكان الذي يتم مواجهتهم فيه، وهنا يوضح علماء الاجتماع كيف يؤثر السياق الاجتماعي على المشاكل الاجتماعية والعمليات العقلية اليومية، بدءا من كيفية رؤية الأشخاص للأشياء إلى كيفية تصرفهم مع الآخرين، وبعد ذلك يتم تقديم نموذج شبكة السياق الاجتماعي للمشكلات الاجتماعية.²

تجلى السياق الاجتماعي بداية بـ17 تكرارا على التساوي في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" و"الحجاب" اللذين ركزا في عرض هاتين القضيتين على البعد الاجتماعي. فكان هذا السياق بارزا بقوة في أغلب التعليقات في موضوع "صورة العرب لدى الغرب"، منها قول أحدهم:

« rares sont les arabes qui sont aussi conscient que si on ne les aime pas c'est a cause l'expérience qu'on a eue d'eux »

¹ - سناء الخوري، المسلمون في فرنسا: كراهية منهجة أم سوء فهم؟ من موقع: بي بي سي عربي، 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020 <https://www.bbc.com/arabic/world-55102301> ، تاريخ الدخول 2023/07/12 ، على الساعة: 20:23

² - شريهان حوامدة، السياق الاجتماعي للمشاكل الاجتماعية، من موقع: <https://e3arabi.com/sociology> ، تاريخ الدخول: 2023/07/13 على الساعة: 13:23 .

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

هنا يقول أن العرب لا يدركون أن عدم محبتهم لهم بسبب التجربة التي مررنا بها معهم.

يوجد الكثير من التعليقات هنا عرضت في نفس السياق وبذات المعنى، وهي عرض تجاربهم مع العرب، والتي كانت في أغلبها سيئة، تعبر عن تدمرهم منهم وسخطهم عليهم، بما يساهم في رسم صورة مشوهة عن جميع العرب. فالتجربة الاجتماعية من أهم مصادر بناء الصور الذهنية لدى الفرد عن الأشياء أو الأشخاص، وعلى ضوءها تصدر الأحكام وتشكل الأفعال، إلا أن إصدار التعميمات على الجميع هو الشيء المرفوض.

بنفس عدد التكرارات السابقة برز هذا السياق في تعليقات موضوع "الحجاب" والذي كان مكثفا فيه أيضا، ويمكن أن نمثل له من خلال قول أحدهم:

« j'ai visite le vation avec mon voile et j ai été tres bien respectéé , a bon entendeur »

هذه المستخدمة تتحدث عن زيارتها للفاتيكان بحجابها والاحترام والعلاقات الطيبة التي حظيت بها.

أكد لنا هذا التعليق بأسلوب غير مباشر أن اضطهاد المحجبات وعدم بناء علاقات جيدة معهم منتشر أساسا في المجتمع الفرنسي، وهذا ما يؤكد العلاقة بين المجال الجغرافي كنسق من الأنساق والتي تمثله هنا فرنسا، وبين سياق إسلامي يشكله الحجاب هنا، وكيف أن القضية مازالت حية لحد الآن. ومن الأمثلة الكثيرة التي تحكي معاناة المسلمين مع قضية الحجاب في فرنسا، مثال مارغو بومليت التي اختارت اعتناق الإسلام، ولاحقا ارتداء الحجاب، ولم تكن تدرك أنها ستنتقل إلى واقع مواز يختلف عن كل ما اعتادت عليه في حياتها كما تقول لبي بي سي. حيث قالت: "أشعر الآن أنني محظورة، مع أنني ما زلت الشخص نفسه، وأتمتع بالمهارات ذاتها، قبل الحجاب وبعده. لم أكن أتوقع أنني سأوضع فورا في خانة النساء المقموعات، كفنانة كنت طيلة حياتي أتمتع بحرية التصرف بجسدي وتحديد شكل ملابسي وتسريحتي، والآن أشعر كأن هناك من يحاول محوي". لاقت مارغو عدّة أشكال تمييز، فبسبب حجابها لم تعد قادرة على الذهاب إلى النوادي، وحين كانت تعمل في مدرسة حكومية، ترى

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أن بعض المعلمين كانوا يعبرون بوضوح عن خوفهم من أي فتاة ترتدي الحجاب خارج المدرسة، ويتشددون في معاملة التلاميذ من أصول مسلمة وعربية.¹

أيضا ظهر هذا السياق الاجتماعي في مجال انتقاد الدولة الفرنسية في اهتمامها بهذه القضية على حساب العديد من المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها كالبطالة والفقير.

يشير الباحثون في هذا المجال عموما أنه "لطالما اتخذت أوروبا الغربية التدابير السياسية نحو أزمتها الاقتصادية بصيغ تكون مجتمعات المهاجرين هي أولى الضحايا، وهنا يتفاقم هذا الوضع من الظروف الاقتصادية غير المتكافئة بسبب تطور مواقف العداة والرفض من قبل البيئة المضيفة، التي تأخذها على أنها حمأة وتضعها على أنها مسؤولة عن الركود الاقتصادي، وهو ما يدفعهم لتأكيد أنفسهم على هذا النحو مع الآخرين، مع العمل على قمع للاختلافات الثقافية الذي ينتهي بالظهور في شكل عنيف في فرنسا.²

بعدها جاءت تعليقات موضوع "تعدد الزوجات" لتعبر عن هذا السياق، والتي تقترب كثيرا من التكرارات السابقة حيث بلغت 16 تكرارا، وقد ظهر مثلا من خلال قول أحدهم:

« je suis mariée et j ai 3 anfant mon maril il c'est remarie en France »

تحكي هنا عن حياتها الاجتماعية مع زوجها الذي أعاد الزواج مرة أخرى.

¹-سنة الخوري وألمى حسون، الحجاب: نقاش لا ينتهي في فرنسا، بي بي سي نيوز عربي، 12 مايو/ أيار 2021، <https://www.bbc.com/arabic/world-56836097> ، تاريخ الدخول 2023/07/12 على

الساعة 18:51

² - NACIRA BOUBNIDER , op-cit, p9.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

إن عرض التجارب الاجتماعية الواقعية هو أحسن ما يمكن أن يعبر على هذا السياق الذي لا تقوم الحياة إلا على ضوء أحداثه، وهنا تحكي صاحبة التعليق عن انعكاسات تعدد الزوجة على حياتها والتي كانت إيجابية - حسب قراءتنا للتعليق كاملا-، مما يكذب بدوره جزءا من الشبهات المثارة التي عرضتها وناقشتها صاحبة الفيديو.

أما بالنسبة لبقية المواضيع، فقد انعدم هذا السياق في التعليقات عينة الدراسة حول "الديانة الإبراهيمية"، وكاد أن يكون ذلك في موضوع "مكانة اللغة العربية" حيث قال أحدهم باللغة العربية:

"الطاهر بن جلول لن يعجبه النقاش لأنه يجهل لغته الأم كجميع الفرنكفونيين الذين يعتبرون العربية لغة الفقراء والطبقات الدنيا أو كما يقولون لغة الخادما"، وهنا يبرز الجانب الاجتماعي لاستعمال اللغة العربية من منظور الفرنكفونيين.

إن الفكرة التي جاءت في هذا السياق تعكس حقيقة واقع مرير وصل إليه المهاجرون في فرنسا، حيث تراه وهو الذي يملك شهادة جامعية في الأغلب يشتغل في أي منصب هناك، في تنظيف السيارات، في غسل الأواني... اعتقادا منه أنه السبيل الأمثل لجلب المال، أحسن من بلده الذي يعيش فيه، بل إن الكثير من النساء العربيات وكما جاء في سياق التعليق يشتغلن كخادما في بيوت المجتمع الفرنسي، وهو ما جعل فئة كبيرة من هذا المجتمع تبيع لنفسها إطلاق هذا الحكم. من هنا فإن الوضع الاجتماعي الحالي يفرض على المهاجرين العرب إعادة حساباتهم حول واقعهم المعيشي في هذا البلد، في مقابل حياة أصحاب البلد المضيف.

من هنا يجب الوعي بإرث عرقي محدد يسمح للمهاجر بتجنب أمراض إزالة الثقافة، من خلال دمج وإعادة تفسير سمات الثقافة المضيفة من السياق الثقافي للأصل، مع التأكيد بشكل خاص على أهمية هذا الوعي بين الشباب من أصول مهاجرة.¹

¹ - NACIRA BOUBNIDER , op-cit., p12

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

✓ ثم جاء في مرتبة الثالثة "السياق الثقافي" بنسبة 23.56%، وهو ما يعكس أساسا أن المجتمع أساسا "يرتكز على الثقافة باعتبار قدرتها على الإمداد بآليات لمواجهة التشاكل الاجتماعي، ومن ثم إيجاد علاقات تحدث توازنا يوفر مناخا للتكامل المعرفي والتبادل الاقتصادي والتعاون الإنساني".¹ ظهر هذا السياق بصفة أكبر في تعليقات موضوع "مكانة اللغة العربية" بـ 15 تكرارا، فاللغة جزء من الثقافة وعنصر أساسي من عناصرها لذا فإن أغلب التعليقات هنا قد تضمنت هذا السياق، ومنها قول أحدهم:

« plus de 500 mots qui sont d'origine arabe se trouve dans le dictionnaire française »

هنا يقول بأنه أكثر من 500 كلمة من أصل عربي في القاموس الفرنسي.

لسنا هنا للحكم على صحة أو بطلان المعلومة، إلا أن أسبقية اللغة العربية التي تمتد إلى آلاف القرون، على عكس الفرنسية التي تعد حديثة عهد من حيث الوجود، والتي تكونت بعد استقائها للكثير من المفردات من لغات أخرى ومن بينها العربية.

بعدها تجلّى هذا السياق بدرجة ثانية في موضوع "صورة العرب لدى الغرب" بـ 13 تكرارا، حيث قال أحدهم عن صاحب الفيديو:

«Majid je trouve votre notion de culturelisme particulièrement interessante »

هنا يقول له بأن مفهومه للثقافة مثير للاهتمام ثم يكمل ليشرح له وجهة نظره في هذه النقطة.

كما ظهر هذا السياق في هذا الفيديو وبشكل أبرز في الحديث عن القيم الأخلاقية التي غابت عن العرب مما جعلهم يكرهونهم، ومن ذلك قول أحدهم:

¹- سعيد الصقلاوي، مرجع سابق، ص 75.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

«Après y'a aussi les clichés qui se vérifient. On a tous enten du le fameux, C'est du travail d'arabe, en voyant un bâtiment mal foutu, une route pas droite...».

لا ننكر أن القيم في المجتمع العربي بدأت في التفسخ أكثر فأكثر، خاصة بالنسبة للمهاجرين نتيجة الاحتكاك المباشر بالمجتمع الغربي الذي يعاني من نفس المشاكل أولاً، وثانياً نتيجة ابتعادهم عن مجتمعهم الأصلي مما جعلهم أكثر تحمراً في هذا الجانب، وأجراً على التخلص من القيود الأخلاقية التي يفرضها المجتمع العربي، والمستمدة أساساً من الدين الإسلامي.

جاء في المرتبة الثالثة و8 تكرارات فيديو "تعدد الزوجات" وما يحمله من تعليقات تعبر عن هذا السياق، ومن أمثلة ذلك ما جاء في أحد التعليقات:

« la polygamie hupocrite est a la base de la societ  francaise, amants, maitresses 5 a 7 etc ... sont des caract ristiques qui d finissent tr s bien une culture »

هنا يقول تعدد الزوجات المنافق وهو أساس المجتمع الفرنسي فالعشاق والعشيقات من خمسة إلى سبعة ... وهذه خصائص تحدد ثقافتهم جيداً.

تحدث هذا التعليق عن نقطة هامة جداً في السياق الثقافي وهي البعد القيمي والذي عرض من خلال هذا الفيديو، حيث أشار إلى أحد أشكال تفسخ القيم في هذا المجتمع في التعامل مع قضية تعدد الزوجات وهو اتخاذ عدد كبير من العشيقات كبديل عنه، مما يسبب الكثير من المشاكل التي من أبرزها خلط الأجناس.

بعد ذلك ظهر هذا السياق بتكرارات ضعيفة جداً ومقارنة لكل من موضوعي "الحجاب" و"الديانة الإبراهيمية"، أما بالنسبة لتعليقات الموضوع الأول التي حصلت 3 تكرارات، عبر أحدهم في هذا السياق عن رأيه حول الموضوع قائلاً:

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

« la France veut perdre ses valeurs et ses principes »

هنا يقر بأن فرنسا تفقد قيمها ومبادئها.

يشير هذا التعليق خاصة إلى المبادئ التي قامت عليها الثورة الفرنسية، والتي أصبحت رمزا لها "الحرية والمساواة والأخوة" "Liberté, égalité et fraternité".

في ذات الفيديو ظهر هذا السياق في مجموع التعليقات التي تمدح الشباب الفرنسي الذي ظهر في الفيديو، والذي تحلى بكثير من قيم الانفتاح والتسامح مع المجتمع العربي الإسلامي في هذه القضية، بل والدعوة إلى عدم التدخل فيها واعتبارها مسألة شخصية لا تحمل أي مضرّة للدولة أو مؤسساتها أو حتى أفرادها.

أما بالنسبة لموضوع "الديانة الإبراهيمية" فقد برز السياق الثقافي في تعليقاته بمعدل تكرارين فقط، بقول أحدهم وهو يصف هذا البيت الإبراهيمي:

« architecturalement parlont c tres beau »

هنا يتحدث عن جماله المعماري الذي يمثل البعد الثقافي لهذا البيت.

لا يغيب هنا عن ناظر الجميع ما تتمتع به دولة الإمارات من تطور عمراني كبير بلغ حدّ الخيال، وهو ما جعلها تسرف الأموال في مشاريع لا تمت للإسلام بأساس، بل يمكن أن يكون مشروعها هو الوجه الآخر لتطبيعها مع إسرائيل.

✓ أما السياق الذي جاء في المرتبة التالية في التعليقات عينة الدراسة ونسبة 9.77% فهو السياق التاريخي، والذي يعتبر من المراجع الأساسية التي ينتقي منها معلوماته وأفكاره بل وحتى اتجاهاته، وقد ظهر بصفة أكبر في تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية" بمعدل 6 تكرارات، وذلك من خلال قول أحدهم مثلا:

« dans les vieux dictionnaire l'origine des mots arabe etaient bien spécifiques et il y avait beaucoup des 500 mots évoqué dans cette émission »

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

هنا ذكر أنه في القواميس القديمة كان أصل الكلمات العربية محمدا جدا، وكان هناك العديد من الكلمات الخمسمائة المذكورة في هذا البرنامج.

إن ظهور هذا السياق في هذه الفكرة يؤكد أهمية الرجوع للتاريخ وشواهد الماضي من أجل التأكد من صدق المعلومات المعروضة في الفيديو وتوثيقها بالدليل.

بعدها ظهر هذا السياق بدرجة ثانية في موضوع "تعدد الزوجات" أين علّق أحدهم قائلاً:

« cou ce qu'il pronent est même contre la morale je ne crois pas que meme dans l'histoire des Français il y avait ce laisser aller »

أي: كل ما يدافعون عنه هو ضد الأخلاق، ولا أعتقد أنه على طول التاريخ الفرنسي كان هناك مثل هذا الإهمال.

يبدو من تعليق هذا المستخدم تحسره على الواقع اللا أخلاقي على مستوى الكثير من السلوكيات التي يعيشها المجتمع الفرنسي، خاصة هنا فيما يتعلق بتعدد الزوجات، حتى أنه اعتبره الأكثر إهمالا على مرّ التاريخ، خاصة في ظل عرض المتحدثين لأفكار في التعامل مع هذه القضية لا يقبلها منطق ولا عقل.

بعدها ظهر هذا السياق بدرجة أقل في موضوع "صورة العرب لدى الغرب" بـ 3 تعليقات فقط في هذا البعد، ومن صوره قول أحدهم:

« je suis professeur depuis plusieurs années , et j ai doit dire que j ai vu et entendu pas mal de phenomenes »

يذكر هنا أنه درّس لعدة سنوات وسمع ورأى الكثير من الظواهر. وهنا يؤكد من خلال تعليقه أن صوره عن العرب لا يعكسها الواقع الآني فقط.

إن تعليق هذا المستخدم وغيره في هذا السياق يؤكد لنا أن حضور المهاجر العربي لا يزيل مشهد الخوف من الخطر الذي يلي حاجة الثقافات كل الثقافات إلى عدو، هذه الحاجة انطلق منها روبر

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

شارفان أستاذ القانون الفرنسي، في تناول الأساطير الأوروبية حول الآخر العدو. وقد بين كيف أن الثقافة الفرنسية - وبخاصة منها خطابها السياسي - بحثت دائما عن العدو المناسب، ولقد وجد الفرنسيون في العربي "العدو الأمثل"، بعد أن أحدث غياب الشيوعية خطرا على الإجماع الذي كان قائما إزاءها. ومما هياأ العربي للعداوة أنه ذو سمات بارزة علنية، وأيسر تمييزا من غيره، وهو أيضا يجمع بين مواصفات كبش الفداء. إنه يلي حاجة الفرنسيين إلى العثور على الذات وإلى فهم مساوئ الأزمة دون عناء. هناك أزمة مجتمع في فرنسا تحتاج إلى تحميل المهاجر العربي بعض أسبابها، كما تحتاج إلى طمأنة مهمشيها، حيث يكتشف المهمش شخصا آخر يكون مهمشا أكثر منه، وهكذا يساعد نبذ العربي المهمش الفرنسيين على الاندماج داخل الجماعة القومية نسبيا، وهكذا يؤدي العربي دورا في دعم الهوية الارتكازية التي يقوم عليها الترميم الإيديولوجي والسياسي في فرنسا.¹

أيضا ظهر هذا السياق في "الديانة الإبراهيمية" بمعدل ضعيف بلغ تكرارين فقط من عينة الدراسة، حيث دافع أحدهم على الصحراويين من قبيلة صنهاجة بقوله باللغة العربية: "أصلهم من منطقتي شرق الجزائر وجزء من عرب ليبيا واستقروا في هذه المنطقة لنشر دين محمد صلى الله عليه وسلم ولن يخضعوا للإمارات الشيطانية".

أما عن حضور هذا السياق في موضوع "الحجاب" والذي كان بمعدل تكرار واحد فقط، فقد تمثل في قول أحدهم تعليقا على هذا الفيديو:

« on 1905 il y a eu une loi celle dit la séparation de l'église »

أي: في سنة 1905 كان هناك قانون يفصل الكنيسة عن الدولة.

ينتقد هنا المستخدم الوضع الحالي بمقارنته بالوضع السابق، والتاريخ خير دليل على الحاضر، فبين أن القانون سابقا كان يفصل الكنيسة عن الدولة، وبالتالي لا يحق لأي كان أن يتدخل في الشعائر الدينية الخاصة بالمسيحية بأي شكل من أشكالها.

¹ - الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص32

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

✓ ثم جاء في الأخير "السياق السياسي" بنسبة 5.74%، وهو سياق كثيرا ما يؤثر على العلاقات بين الثقافات التي كثيرا ما تتواصل على إثر هذه الخلفيات، وقد ظهر بدرجة أكبر في الفيديو الخاص بـ"الحجاب" بـ5 تكرارات، وهو ما يبرز حساسية الموضوع من الجانب السياسي في فرنسا أين سعت لمنعه في الأماكن العامة، و قامت بسن قوانين تمنع ذلك، ومن أمثلة ما جاء من تعليقات في هذا السياق قول أحدهم:

« il faut drait savoir soit on est dans un pays libre soit on est dans un dictature »

وهنا من باب التهكم يقول بأنه يجب أن نعرف هل نحن في بلد حر أو أننا في دكتاتورية وذلك لأنهم يريدون إجبار الآخرين على ارتداء ما لا يريدون وهو على حسب تنمة رأيه سخيف حقا.

بعدها ظهر هذا السياق بدرجة مقاربة بلغت 3 تكرارات في تعليقات موضوع "تعدد الزوجات"، فكان من أحد التعليقات قول أحدهم:

« les acteurs politiques veulent renforcer l'interdiction sur la polygamie mais donnent le feu vert aux relations entre plusieurs partenaires »

أي: السياسيون يرغبون في تعزيز الحظر المفروض على تعدد الزوجات ولكنهم يعطون الضوء الأخضر للعلاقات الأخرى.

من أكثر السياقات التي تثير الجدل وتثير التناقضات في القضايا وفي الآراء هو السياق السياسي، وهو ما جعل المشاركين في المقابلة يحاولون استبعاده قدر الإمكان عن خلفياتهم التواصلية بل وحتى عن المواضيع المثارة للنقاش.¹

في الأخير ظهر هذا السياق بدرجة ضعيفة بلغت تكرارين فقط في تعليقات موضوع "صورة العرب لدى الغرب"، حيث يتحدثون في مجملهم على أن فرنسا ليست عنصرية مع المسلمين، ومن ذلك قول أحدهم:

¹ - انظر ص 337 من تحليل المقابلة.

« enfin quelqu'un qui le dit publiquement oui, la France n'est pas un pays raciste ! »

أي: أخيرا وجد من يقول أن فرنسا ليست دولة عنصرية.

جاء هذا التعليق من مستخدم يحاول أن يدافع عن فرنسا ويبرئها من العنصرية متجاهلا بذلك كل السياقات السياسية والتاريخية التي تؤكد ذلك، وهو ما يعكس قصر النظر لدى المستخدم هنا في إطلاق حكم دونما الرجوع للمصادر الموثوقة فيه، بل إنه اتخذ من المعلومات المقدمة في هذا الفيديو سياقاً ووجه من خلاله حكمه في هذه القضية.

إن السياق التاريخي والسياسي الواقعي هنا يجبرنا بأن فرنسا بنت صورتها الذهنية على أساس أنها دولة حرية الرأي والصحافة، وأنها الدولة التي تكفل لكل مواطن الحق في الحصول على المعلومات وتبادلها، وحق التعبير عن الرأي، وأثارت تلك الصورة الإعجاب في نفوس كل الأحرار في العالم، فالدولة التي تكفل حرية الصحافة تستحق الإعجاب والتمجيد، فهذه الحرية هي أساس التقدم، والمجتمع الذي يتمتع بها يتمكن من التوصل إلى حلول مبدعة لمشاكله، وإنتاج أفكار جديدة يقوم عليها اقتصاد المعرفة. لكن دراسة التاريخ توضح لنا أن تلك الصورة الذهنية كانت نتيجة للمبالغة والتضليل والدعاية، وأنه تم التعامل مع هذه الحرية بعنصرية ومعايير مزدوجة، وأن فرنسا حرمت الشعوب التي احتلتها من هذه الحرية حتى لا تستخدمها الحركات الوطنية في توعية شعوبها لمقاومة الاحتلال وكشف الحقائق عن الجرائم التي ارتكبتها الاحتلال الفرنسي.¹

هنا يمكن أن نتوصل إلى نتيجة مهمة هي أن الصحافة الأوروبية كلها قد شاركت في إخفاء الحقائق والتعتيم على الجرائم الأوروبية في الجزائر وفي كل الدول المحتلة، وقد بررت الصحافة الفرنسية احتلال الجزائر مثلا بأن فرنسا يجب أن تنشر حضارتها التنويرية في البلاد الأقل تنويرا، وأنها يجب أن تنشر الفرنسية على كل المستويات في اللغة والثقافة. وبذلك كانت الصحافة الفرنسية تبرر الجرائم التي

¹ - سليمان صالح، معايير مزدوجة وتزييف للتاريخ.. كيف سيطرت فرنسا على حرية الرأي والتعبير؟ موقع الجزيرة الإخبارية،

<https://www.aljazeera.net/opinions/2021/4/11> تاريخ الدخول 2023/07/12 ، 21:14

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

ارتكبتها الجيش الفرنسي.. فهل التنوير الفرنسي يقوم على استخدام القوة الغاشمة في إبادة البشر وحرق القرى والمدن وقطع رؤوس أبطال المقاومة الجزائرية؟¹.

على الرغم من أن صاحب الفيديو يؤكد على ضرورة عدم تعميم الحكم، إلا أنه أعطى الشرعية لاتجاهات الفرنسيين نحو العرب وصورهم الذهنية إزاءهم، إذ يبرر لهم ذلك انطلاقاً من التجارب التي مروا بها مع العرب.

• أما بالنظر إلى نتائج الجدول عمودياً فيتضح لنا من المجامع الكلية للسياقات الخاصة بكل فيديو من فيديوهات عينة الدراسة أن الفيديو الخاص بـ "تعدد الزوجات" هو الأكثر مجموعاً من حيث السياقات، والتي تركزت بدرجة أساسية في "السياق الاجتماعي" الذي ظهر أكثر في تعليقات المستخدمين بتكرار 16 من 45، مما يعني أنهم ركزوا على الإفرازات الاجتماعية لهذه القضية في فرنسا كما مثلنا لذلك سابقاً، وخاصة على المهاجرين الذين يملكون أكثر من زوجة.

أما السياق الثاني الذي كان حاضراً بدرجة معتبرة هو "السياق الديني" بـ 13 تكراراً، والذي اقتصر على "السياق الإسلامي" أو عدم تحديد الديانة والحديث عموماً، فلم تذكر التعليقات هنا رأي الدين في هذه القضية وما شابه ذلك، وإنما ذكروا معاناتهم كمسلمين مهاجرين من هذه القضية. ثم ظهر هذا السياق بشكل غير محدد في الحديث عن الأديان بصفة عامة وفصلها عن قضايا الدولة كما يعتقدون. وقد غاب تماماً السياق الديني المسيحي من التعليقات عينة الدراسة التي لم يذكر أصحابهم رأي دينهم في هذه القضية أو معاناتهم من هذا الجانب، مما يعني أنهم يوافقون -طبعاً ليس الجميع- على هذه التصرفات التي ظهرت في الفيديو ويؤكدون على مشروعيتها.

¹ - سليمان صالح، مرجع سابق.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أما "السياق الثقافي" فظهر بمعدل 8 تكرارات، وكان ذلك أساسا من خلال نقد الثقافة الفرنسية في تعاملها مع هذا الموضوع، والتي ظهرت من خلال الفيديو أين يفضلون العشيقات على الزوجات، وهو ما سبب مشاكل فيما يعد على مستوى الحقوق والأنساب.

السياق الثالث كان السياق التاريخي الذي لم يظهر مرتبطا بالموضوع بصفة مباشرة، فهو لم يذكر التاريخ الفرنسي في التعامل مع هذه القضية كما ظهر في الفيديو مثلا، وإنما ظهر فقط من خلال التجارب الشخصية الماضية التي حدثت مع البعض في هذا الموضوع.

جاء أخيرا "السياق السياسي" في تعليقات هذا الفيديو بـ 3 تكرارات، والذي برز عموما في الحديث عن قوانين الدولة الفرنسية العنصرية نحو هذه القضية أين تسمح بها للفرنسيين وتمنعها على المهاجرين، أو أنها تسمح بالعلاقات غير الزوجية وتمنع التعدد لتكون كما قال أحدهم: الزوجة أولى فهي السيدة والثانية لعة.

● في المرتبة الموالية من حيث إجمالي عدد التكرارات جاء فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بمعدل 42 تكرارا للتعليقات عينة الدراسة، وقد تصدر أيضا القائمة "السياق الاجتماعي" بـ 17 تكرارا، والذي ظهر بقوة في تعليقات المستخدمين الذين حكوا عن مواقفهم الاجتماعية مع بعض العرب، انطلاقا من واقع معاشي عندهم.

أما في درجة أقل فبرز السياق الثقافي ذو التكرار 13، أين أرجع المستخدمون مشاكلهم مع العرب إلى الجانب الثقافي وبالتحديد في عنصره القيمي، أين لاحظوا من خلال تواصلهم معهم والعيش بقربهم غياب الكثير من القيم، والذي تجسد في اللامبالاة، الكسل، الإهمال، سوء الخلق التواصل، الإزعاج ... وغيرها من السلوكيات التي رسمت تلك الصورة الذهنية السيئة للعرب لدى الغرب.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

ظهر في درجة موائية في تعليقات هذا الفيديو السياق الديني والذي انحصر فقط في الإسلامي ب7 تكرارات، ولكن في جانبه السلبي، حيث أرجع الكثير مشاكلهم مع العرب إلى دينهم الإسلامي الذي يجرّضهم كما يرون على هذه السلوكات وخاصة السوك الإرهابي.

أما السياق التاريخي ظهر بطريقة غير مباشرة أين يحكي المستخدمون أحداثا ماضية مرت بهم مع أناس عرب، وكيف أثرت على اتجاهاتهم نحو هذه الفئة. وهي في مجملها ذات طابع سلبي.

أخيرا ظهر السياق السياسي بدرجة ضعيفة جدا، وهنا دافع تعليقيين عن فرنسا، وأنها ليست بلدا عنصريا كما كان يعتقد الكثيرون، إنما هي إفرازات لسلوكات أغلب العرب الذين يهاجرون إليها ويعيشون فيها، ولكنهم لا يحترمون ثقافتها ولا يراقبون أفعالهم.

● بالنسبة للفيديو الخاص بـ"الحجاب" الذي نال مرتبة ثالثة في تكرار ظهور السياقات في تعليقاته والذي بلغ 40 تكرارا، حاز أيضا السياق الاجتماعي فيه على أكثر درجة وهو 17 من 40، إذ أن آراء المستخدمين كانت أغلبها إن لم نقل كلها مستمدة من واقع معين وتعبّر عنه، والتعبير عن هذا السياق عموما لا يحتاج إلى سعة في الاطلاع، وإنما يعتمد بدرجة أولى على عرض واقع محدد كما يعايشونه. وقد ظهر في التعليقات من خلال إبداء آرائهم نحو أفراد المجتمع الذين أدلوا بأرائهم حول هذه القضية في الفيديو خاصة الشباب منهم، والتي أسفرت عن اعترافهم بوعي الشباب في هذا الموضوع وموضوعيتهم في عرض وجهة نظرهم. كما برز هذا السياق في انتقاد الدولة الفرنسية التي تهتم بهذا الموضوع على حساب عن الكثير من المشاكل الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الفرنسي من بطالة وفقر وديون...

جاء في مرتبة موائية من هذا الموضوع السياق الديني بـ14 تكرارا، وبدرجة أكبر في بعده الإسلامي بتكرار 7 من 13، وهو ما يتوافق مع طبيعة الموضوع وخصوصيته، وتجدد في الحديث عن غاية الحجاب وهو الستر واتباع أوامر الله عز و جل في هذه الشعيرة الإسلامية، التي لا تمثل مجرد لباس وحرية شخصية.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

بعدها برز السياق الديني المسيحي وأقل منه اليهودي أين تحدثوا عن المسيحيات اللواتي يلبسن ما يردن دون أن يتعرضن لمضايقات، كما أبدى بعضهم الاحترام لهذه الفئة وفئة المحجبات لأنهن يمتلكن الشجاعة للتعبير عن إرادتهن. أما في سياق الديانة اليهودية فاستفسر أحدهم بأسلوب متذمر عن الاهتمام باللباس الإسلامي على حساب إمكانية توجيه الاهتمام إلى اللباس اليهودي.

أما السياق السياسي الذي حاز على 5 تكرارات مثله أساسا تعليقات تنتقد هذا البلد وقوانينه التي تشيد بالحرية ولكن لا تطبقها، وإنما تمارس مع هذه الفئة الدكتاتورية والقمع واللامساواة في الحقوق.

في الأخير بـ 3 تكرارات ظهر السياق الثقافي بنسبة ضعيفة ظهرت تمثلت أساسا في الإشادة بالقيم التي تحلى بها الشباب خاصة في إبداء آراءهم نحو هذه القضية، والمتمثلة في الانفتاح عن الآخر والتسامح معه واحترام حق الاختلاف، والحرية الشخصية في بعدها القيمي. وهو ما جعل أحد المستخدمين يصرح في تعليقه أن الدكتاتورية والعنصرية التي يظهرونها في وسائل الإعلام وبخاصة في التلفزيون، يكذبها هنا الواقع الذي عبّر عن مجتمع منفتح ومتسامح مع الآخر العربي وثقافته. أما السياق التاريخي فظهر عارضا في أحد التعليقات التي وضحت بعض القوانين السابقة وكيف تتعامل مع الوضع.

● أما الفيديو ما قبل الأخير في عدد السياقات والتي بلغت 25 تكرارا هو الذي تناول موضوع "مكانة اللغة العربية"، حيث ظهر في تعليقات المستخدمين التركيز على السياق الثقافي بـ 15 تكرارا، وهو ما يتوافق بدوره مع طبيعة الموضوع، حيث برز هذا السياق من خلال الحديث عن مكونات اللغة العربية أو خصائصها أو علاقتها باللغات الأخرى تأثيرا وتأثيرا، وذلك انطلاقا من النقاط التي تناولها الفيديو وما عرضه من أفكار، وعموما فإن أغلب التعليقات قد أشادوا بثناء اللغة العربية وما قدمته للغات الأخرى، وأيضا جمالها الذي يظهر من خلال أصواتها ونغماتها وقصائدها، ومع ذلك ظهرت قلة من التعليقات تنفي ذلك وتخطئ بعض أفكار الفيديو، وتنسب للغة الفرنسية الأسبقية والفضل على اللغات الأخرى.

أما السياق الثاني الذي كان له حضور ملحوظ في هذا الموضوع هو السياق التاريخي بـ 6 تكرارات أين ظهرت بعض التعليقات التي تعبر عن سعة إطلاع أفرادها تاريخيا، والذين أعطوا معلوماتهم عن أصول بعض الكلمات والقواميس التي تناولت ذلك، مما يجعل تعليقاتهم أكثر من رأي شخصي وذاتي، ويحولها إلى معلومات علمية جديدة بالاستفادة منها إذا ما تأكد القارئ من صدقها.

بعدها ظهر السياق الديني وبالضبط الإسلامي في قلة من التعليقات بمعدل ثلاثة تكرارات، والتي ذكرت بأن هذه اللغة هي لغة القرءان وهي حديث أهل الجنة في الآخرة، وهو ما يعطي لهذه اللغة قيمة أكبر ويزيدها جمالا وثراء وحفظا على مر العصور.

• في المرتبة الأخيرة من مجموع السياقات جاء موضوع "الديانة الإبراهيمية" بـ 22 تكرارا فقط، وقد برز فيه بقوة السياق الديني بـ 18 تكرارا، واحتلال هذا السياق للصدارة يتوافق مع طبيعة الموضوع ذو الصبغة الدينية بدياناتها السماوية الثلاثة: الإسلام و المسيحية و اليهودية، وقد برز بصفة أكبر السياق الإسلامي منه والذي بلغ 8 تكرارات، أين تجسد من خلال التعليقات التي عبرت عن رفض الإسلام لهذا المشروع المشكوك في نواياه، وأن الإسلام وحده هو دين الحق. يليه في المقابل رأي فئة أخرى ظهر في تعليقاتها السياق الديني المسيحي من خلال اعتبار أن المسيح وحده هو الطريق الصحيح. كما ظهر هناك الحديث عن الأديان بصفة عامة وأنها جميعا ترفض هذا المشروع وهذا الدين الجديد وأن له نوايا خبيثة ومبطنة. أما عن ظهور السياق الديني حول الديانة اليهودية فكان بدرجة ضعيفة جدا بلغت تكرارا واحدا، تجسد في سياق الحديث عن الديانات الأخرى أين تساءل المستخدم عن شعائر اليهودية وكيف لهذا البيت أن يوفق بين مختلف الطقوس عمليا.

يليه السياق الثقافي الذي حاضرا في تعليقين فقط، والذي تمثل أساسا في الحديث عن جمال هذا البيت معماريا، وهو فعلا ما لاحظناه من خلال الفيديو حيث كان هذا البيت فخم البناء جذاب الزخارف، وليس هذا بغريب عن دولة الإمارات التي تتميز بجمالها المعماري الذي تماثلها فيه دول الخليج بصفة عامة.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

لم يظهر السياق السياسي في أي تعليق في هذا الفيديو وهو ما يعكس بعده نوعاً ما عن موضوع الفيديو، مما يؤكد دائماً أن التعليقات تركز على السياقات الأقرب فالأقرب للموضوع.

1-3- فئة نوع الاتجاه:

نقصد بها موقف المستخدم نحو القضية المطروحة في الفيديو أو موقفه نحو كيفية عرضها من طرف الشخصيات الموجودة فيه، وقد كانت النتائج موزعة كما يوضحه الجدول الموالي:

جدول رقم (31) يوضح فئة الاتجاه نحو القضايا:

المواضيع فئة الاتجاه	التكرارات والنسبة	الديانة الابراهيمية	مكانة اللغة العربية	تعدد الزوجات	صورة العرب لدى الغرب	الحجاب	المجموع
إيجابي	ك	2	13	9	5	12	41
	%	11.76	68.42	45	29.41	66.66	45.05
محايد	ك	2	1	-	-	1	4
	%	11.76	5.26	-	-	5.55	4.39
سلبي	ك	13	5	11	12	5	46
	%	76.47	26.31	55	70.58	27.77	50.54
المجموع	ك	17	19	20	17	18	91

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه أن الاتجاه الغالب لدى عينة الدراسة هو الاتجاه السلبي الذي بلغ نسبة 50.54%، ويظهر هذا الاتجاه من خلال عدم الموافقة على موضوع الفيديو،

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أو على طريقة التعامل مع القضية موضوع النقاش، ثم يليه الاتجاه الايجابي الذي بلغت نسبته 45.05%، أما أخيرا فكان "الاتجاه المحايد" وبنسبة محتشمة بلغت 4.39%.

✓ ظهر الاتجاه السلبي بصفه أكبر في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" بـ 13 تكرارا، ومن الأمثلة التي عبرت عن هذا الاتجاه قول أحدهم:

«C'est grave et sérieusement cet union »

أي: هذا الاتجاه جاد وخطير.

إن هذا الاتجاه السلبي يمثل رأي الكثير حول خطورة هذا المشروع، وبالتالي عدم تقبله، وغياب الرغبة في التعرف عليه والبحث فيه جيدا، وإن كان هذا الرأي صائبا فإن الموضوعية وقوة الحجة الإقناعية بهذا الرأي تقتضي تعزيز هذا الموقف بسند علمي يدحض كل الآراء المؤيدة لهذا المشروع، وهو ما يجده بصفة خاصة المستخدم المسلم في شريعته الإسلامية التي فصلت الأمر في هذه القضية وعدم جوازها، مما يجعل آراءه أكثر من مجرد مشاعر خوف وريبة وشك، وهنا تظهر أهمية معرفة الفرد المسلم لثقافته وخاصة في بعدها الديني الإسلامي.

بعدها ظهر هذا الاتجاه بقوه أيضا في موضوع "صورة العرب لدى الغرب" بـ 12 تكرارا، ومن أمثلة ذلك قول أحدهم في تعليقه عن العرب بطريقه مباشرة:

“...on a peur des arbes surtout a cause des attentats et de leur fanatisme”

هنا يعطي الحق لصاحب الفيديو ويقول نحن نخاف من العرب بسبب الهجمات وبسبب تعصبهم.

إن هذا الاتجاه السلبي الذي ساهمت في تكوينه الصورة الذهنية السيئة عن بعض الأفراد العرب، والتي عمّت على كل المجتمع العربي، كان وليد تجارب شخصية واقعية مرّ بها أصحابها، مما جعلهم يطلقون هذا الحكم. ومما رسّخ هذا الاتجاه وسائل الإعلام بما تعرضه في كثير من الحالات من حقائق غير موثوقة تقرّر في أغلبها مصدرية العرب للإرهاب.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

لاحظنا أن تبني الأحكام المسبقة نحو الآخر العربي الذي هو محور الحديث في الفيديو، لم ينحصر فقط على الغربي، وإنما أيضا انتقلت العدوى إلى العربي في حد ذاته، حيث قال (Said Rahmi) وهو مغربي:

« je suis d'origine maghrébiane, je suis toujours les endroits ou il y a bcp d'arabes »

أي أنه يهرب من الأماكن التي فيها العرب.

إن هذا التعليق يدعم ما ذكره الغربيون عن العرب، إذ يعكس عدم الرغبة في التواصل معهم، ربما بسبب ما يسببه الكثير منهم من مشاكل هناك يجعله ينجل منهم، أو يغرق في مشاكلهم، أي أن السياق الاجتماعي هنا هو الذي ساهم في بناء هذا الاتجاه.

بعدها ظهر في المرتبة الثالثة هذا الاتجاه بـ 11 تكرارا في تعليقات فيديو "تعدد الزوجات" والذي يمكن أن نمثل له من خلال قول (ASMA) عن التعدد:

«le polygamie se développe de plus en plus qui est du n'importe quoi ! »

أي: تعدد الزوجات يتطور أكثر فأكثر وهذا هراء.

هنا يظهر عدم موافقة صاحب التعليق على هذه الشريعة الإسلامية، وهي ذات اسم عربي مما يعكس أحد الرأيين، إما أنها عربية مسيحية لا تقر بهذه الشعيرة التي شرعتها أصلا المسيحية سابقا، أو أنها عربية مسلمة لكنها وكالكثيرين مثلها لا يقبلن بالتعدد لاعتبارات اجتماعية ونفسية، وفي ذلك مخالفة صريحة لحكم إلهي. وسواء كانت من هذه الفئة أو من تلك ففي تعليقها يغيب مبدأ احترام الأديان وشرائعها مهما كانت، لأن الدين هنا لم يكرهها على هذا السلوك، وبالتالي في قولها تعدد على قدسية أحكامه.

هناك فسحة كبيرة لحرية إبداء الرأي في هذا المجال، ولكن هناك تقييد من جهة أخرى وهو أن لا تتعدى على حقوق الآخرين بصفة عامة وديانتهم بصفة خاصة، وبالتالي فإن إطلاق الأحكام بشأن

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الدين بصفة أساسية يجب أن يكون عن علم وبحث وتبصر حول الموضوع، فالإسلام الذي جاء بهذه الشريعة لم يجعلها مطلقة وإنما حدد لها شروط وعلى رأسها ثقة الرجل في نفسه بالعدل، وإلا حرم عليه الزواج بالمرأة الأخرى، لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾¹.

كما ظهر هذا الاتجاه بصفة أكبر وأبرز نحو شخصيات الفيديو الذين يناقشون هذه القضية، حيث قال أحدهم:

«As Salam aleykoum. L'hypocrisie est leur meilleure arme. Ils savent très bien tout cela mais joue sur les mots»

أي: السلام عليكم، النفاق هو أفضل أسلحتهم، إنهم يعرفون جيدا كيف يتلاعبون بالكلمات.

إن هذا الاتجاه السلبي هو نتيجة حتمية لسياقات سياسية وتاريخية تثبت النفاق الذي تحدث عنه المستخدم، والذي سيحول دون التسامح معهم أو الانفتاح عليهم.

يمكن أن نستحضر هنا السياق التاريخي في شرح هذا الرأي، إذ أن هذا التوجه يوضحه مشروع التنوير الفرنسي الذي تميز بالنفاق والتفرقة العنصرية، كما أن الصحافة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر ساهمت في زيادة الغرور العنصري الفرنسي عن طريق التركيز على ما أطلقت عليه المجد الفرنسي.. فهل كانت الصحافة الفرنسية مشاركا في الجرائم التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر أم أنها كانت ضحية لعملية تقييد ورقابة وتلاعب، وأن السلطة منعت المعلومات عنها ولم تمكنها من تغطية الأحداث؟. إن التاريخ عموما يكشف أن الصحافة الفرنسية قامت بتجهيل الشعوب وعدم نشر هذه التعليمات أو الإشارة إلى الجانب الديني المسيحي في تعبئة الجنود الفرنسيين والأوروبيين، وكيف

¹ - سورة النساء: الآية [3].

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أن ذلك يشكل نفاقا فرنسيا، وتناقضا حادا بين الشعارات التي رفعتها فرنسا لتصور بها نفسها، وبين الجرائم التي ارتكبتها ضد الإنسانية في الجزائر.¹

أما أخيرا فقد ظهر هذا الاتجاه بالتساوي في موضوعي "مكانة اللغة العربية" و"الحجاب" بـ 5 تكرارات فقط لكل منهما، ومن أمثلة ذلك في الفيديو الأول ما جاء في أحد التعليقات:

«La these de cet auteur est réelment absurbe ... l' arabe n' a en rien influencé ; la structure du francais »

هنا يصف صاحب التعليق أطروحة هذا المؤلف بأنها سخيصة جدا، وأن دوافعه أيديولوجية أكثر منها علمية، ثم يقدم رأيه في نقاط منها: بأن اللغة العربية لم تؤثر على بنية اللغة الفرنسية...، وهذا الاتجاه يعبر على اللا موضوعية في إبداء الرأي، أو تقبل الرأي المخالف، وهو ما يؤدي إلى حجب الرؤية الواضحة.

إن التاريخ يقرّر أن مفردات اللغة العربية بقيت حاضرة للغاية في اللغة الفرنسية، إذ هي ثالث لغة تقترض منها الفرنسية مفرداتها بعد الإنجليزية والإيطالية، فقد ظلت اللغة العربية تثري اللغة الفرنسية منذ القرن التاسع الميلادي حتى يومنا هذا، وفقا لعالم معاجم فرنسي مرموق. وحسب ما جاء بصحيفة ليبراسيون فإن هذا العالم جان بروفوست، البروفسور الفخري في جامعة سرجي بونتواز، أكد خلال مقابلة مع إذاعة فرنسا الدولية أن هناك ما لا يقل عن 500 كلمة عربية في اللغة الفرنسية، وربما أكثر من ذلك بكثير إذا ما أخذت في الحسبان المفردات العلمية المتخصصة، وفقا لعالم اللسانيات لويس جان كالفي. وإذا ما قورن كم المفردات العربية في اللغة الفرنسية مع كم مفردات اللغة الغالية Le Gaulois التي ينسب إليها الفرنسيون بوصفها لغة أجدادهم، فإن كالفي يقول إن "هناك خمسة إلى ثمانية أضعاف من المفردات العربية في الفرنسية مقارنة باللغة الغالية". وهو ما جعل بروفوست يستنتج أن "الفرنسيين يتكلمون العربية أكثر مما يتكلمون اللغة الغالية"، ويضرب

¹ - سليمان صالح، مرجع سابق.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الخبير كمثال على ذلك جملة فرنسية لا تكاد توجد فيها كلمة إلا وأصلها عربي "إذا ذهبت إلى مخزن magazine لشراء جبة jupe من القطن coton وجلية gilet وقفطان caban، فأنت تتكلم اللغة العربية"¹.

أما الفيديو الخاص بموضوع "الحجاب" فظهرت أشكال الاتجاه السلبي فيه مختلفة، فهناك من ينتقد الحجاب مثل قول إحدى المستخدمات عن البرقع وتغطيه الجسم بالكامل بأنه ما يخيفها في الحجاب:

«Moi c'est la burqa et le voile intégral qui me font peur » .

في ذات الفيديو ظهر هناك من ينتقد الدولة الفرنسية في التعامل مع هذه القضية كقول أحدهم:

«Tous les ans ya une polemique sur le voile, c'est fou comment on perd notre temps avec ça alors que ya tellement de véritables problèmes en France ».

بمعنى : كل عام يدور جدل حول الحجاب، من الجنون كيف نضيع وقتنا في ذلك وهناك الكثير من المشاكل الحقيقية في فرنسا.

لخص هذا التعليق عن طريق اتجاهه السلبي حقيقة العلاقة بين فرنسا والحجاب التي هي علاقة مستمرة لم تنقطع لحد اليوم، وأعطى هنا وصف الجنون لفرنسا، لأن العاقل لا يترك مشاغله وقضاياهم ليهتم بأمور جانبية تشغله عن مشاكله الحقيقية. وفي ذلك تشكيل لصورة ذهنية سيئة أيضا عن فرنسا وقوانينها.

✓ أما الاتجاه الايجابي الذي يعني موافقه المستخدم على الموضوع فظهر أساسا في موضوع "مكانة اللغة العربية" بمعدل 13 تكرارا، ومن أبرز ما قيل في تمثيل هذا الاتجاه:

«Une très belle langue très riche, aux sonorities harmonieuses, a apprendre absolument comme langue internationale»

¹- ليراسيون، الفرنسيون يتكلمون العربية أكثر من لغة أجدادهم، موقع الجزيرة الثقافية

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أي: لغة جميلة وغنية للغاية مع أصوات متناغمة، يجب تعلمها تماما كلغة دولية.

كما ظهر هذا الاتجاه في شكر صاحب الكتاب الذي يعطي مكانة خاصة للغة العربية في إثراء اللغة الفرنسية، كقول أحدهم:

«Merci pour ce livre magnifique, j'en ai appris tellement de choses incroyables! »

أي: شكرا لك على هذا الكتاب الرائع، قد تعلمت الكثير من الأشياء المدهشة.

إن المستخدم هنا يقر بأن هذا الكتاب هو مصدر هام بما يحتويه من معلومات ثرية، وهو اتجاه يعكس بصفة أساسية أهمية الكتب كمصدر لا يمكن التخلي عنه في التعلم، خاصة في ظل الانتشار الواسع للتكنولوجيا الحديثة التي سهلت الوصول إلى المعلومات بمختلف أشكالها التفصيلية أو المختصرة وفي أقرب وقت.

أما الموضوع الثاني الذي برز فيه بقوة هذا الاتجاه، هو موضوع "الحجاب"، وذلك بمعدل 12 تكرارا، ومن أمثلة ذلك ما ظهر في التعليق على انفتاح الفكر لدى الشباب خاصة كقول أحدهم:

«Rassurant de voir que là je jeunesse est ouverte d'esprit contrairement à certains adultes. Les femmes voilées aspirent à ur à Paix ».

أي: من المطمئن أن أرى شبابي منفتح الذهن، بعض البالغين النساء المحجبات يتقن إلى السلام.

ظهر هذا الاتجاه أيضا في بعض التعليقات التي ترى أن من حق الجميع فعل ما يريد، مثل قول أحدهم مؤكدا ذلك:

«Perso cela ne me derange absolument pas tout le monde a droit de se vetir comme il le souhaite ont est dans un pays libre ».

بمعنى: شخصيا هذا لا يزعجني إطلاقا، لكل شخص الحق في ارتداء ما يحلو له في بلد حر.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

تعكس الإيجابية هنا أيضا وعي المستخدمين بوجود احترام الحرية الشخصية كقيمة إنسانية في التعامل مع الآخر المختلف، مادامت هذه الحرية لا تمس بالصالح العام كما هو الحال في هذه الحالة -حسب تصورهم-.

بقية الفيديوهات أيضا ظهر فيها هذا الاتجاه ولكن بمعدل تكرارات ضعيف مقارنة بالاتجاهات السلبية فيهم، حيث كان أكبرها في تعليقات موضوع "تعدد الزوجات" ثم "صورة العرب لدى الغرب" وأخيرا وأقلهم نسبة في فيديو "الديانة الابراهيمية". ومن أمثلة ذلك على التوالي، قول أحدهم حول تعدد الزوجات:

«La bénédiction du mariage polygame des textes sacrés doit se répandre sur la France »

أي: يجب أن تنتشر نعمة الزواج المتعدد الزوجات في النصوص المقدسة في فرنسا.

إن هذا الزواج المتعدد بالأساس كانت موجودا بها ولكنها لأغراض شخصية وسياسية حرفت ديانتها بما يخدم قوانينها.

كما ظهر هذا الاتجاه أيضا من خلال الاتفاق مع صاحبه الفيديو التي تنتقد آراء الشخصيات التي تناقش الموضوع بسلبية، وهو ما يعكس موافقتهم بأسلوب آخر على قضية التعدد وحقوق المرأة المصونة فيه، من ذلك قول أحدهم:

«merci pour cette vidéo.je suis entièrement d'accord avec toi »

أي: شكرا على هذا الفيديو، أتفق معك تماما.

أما عن موضوع "صورة العرب لدى الغرب" فظهر هذا الاتجاه في بعض تعليقاته بنسبة قليلة جدا اتجاه العرب الذين هم محور الحديث كقول أحدهم:

«Ma fille est en couple avec un Français d'origine Algérienne, c'est un garçon respectueux que j'apprécie beaucoup».

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

بمعنى: ابنتي على علاقة بفرنسي من أصل جزائري، إنه فتى محترم وأنا أقدره كثيرا.

هذه الإيجابية تعبر عن أشخاص موضوعيين في الحكم على الآخرين، يرفضون النمطية التي تضع الجميع في بوتقة واحدة، فكل يمثل نفسه وتمثله قيمه وسلوكاته، والأحكام المطلقة لن تزيد الثقافات المختلفة إلا تباعدا وكراهية. وفي هذا دعوة ضمنية للانفتاح والتسامح مع الآخر.

كما ظهر الاتجاه الإيجابي هنا أيضا نحو فرنسا التي يعيشون بها، حيث قال أحدهم:

«J aime la France ;pour sa culture, son histoire et aussi pour son riche terroir ».

أي: أحب فرنسا لأجل ثقافتها وتاريخها وتربتها الغني.

أما من أمثلة التعليقات الإيجابية التي توفر عليها فيديو "الديانة الابراهيمية" قول أحدهم مادحا لهذه الفكرة فجاء قوله كالاتي:

«Je ne trouves pas que cela soit une mauvaise idée, plutôt bonne même »

هنا يقول هذا المستخدم بأنه لا يعتقد أن هذه فكرة سيئة بل هي فكره جيدة.

إن هذا الاتجاه الإيجابي ظهر من خلال تبني أسلوب الحوار في طرح وجهة النظر التي توافق على هذه الفكرة، ومهما كانت ديانة صاحب هذا التعليق فهو ينقل صورة عن شخص يود الانفتاح والتقارب بين الأديان، ويرى في هذا مشروع مثالي يمكن أن يحقق هذا الهدف الذي لطالما كتب فيه المتخصصون، ودعى له الإصلاحيون، ولكنه لا يدرك أن هذا انحلال وتفسخ ديني أكثر من تعارف وتثاقف.

✓ أما "الاتجاه المحايد" فظهر بنسبة متواضعة اقتصر على 4 تعليقات فقط، وقد كان

بتكرارات متقاربة بين الفيديوهات الآتية: أولا في فيديو "الديانة الإبراهيمية" بقول أحدهم:

«A ma connaissance les bouddhistes ont leurs temples au émirat ».

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أي: على حد علمي لدى البوذيين معابدهم في الإمارات.

هنا لم يحدد موقفه مع المشروع أو ضده، لكنه ذكر معلومة عامة في سياق الحديث عن علاقة الإمارات بالبوذية.

أما في موضوع "مكانة اللغة العربية" فيمثله قول أحد المستخدمين مثلاً:

«Toutes les langues ne sont qu'un véhicule, même si certaines sont plus riches ou plus belles que. d'autres Ce qui importe le plus c'est la culture»

أي: كل اللغات مجرد وسيلة حتى لو كان بعضها أكثر جمالا من غيرها. أكثر ما يهم هو الثقافة.

بنفس عدد التكرارات برز هذا النوع من التعليقات في قول أحدهم في فيديو "الحجاب" في تعليق أحدهم:

«Qui peut prétendre dire ce qui est bon et ce qui mal » .

أي: من يستطيع أن يدعي أن يقول ما هو جيد وما هو سيء.

تجسدت الحيادية هنا في عدم إبداء رأي محدد، لأن المستخدم ربما يعتقد كما اعتقد في هذا السياق مستخدم آخر أن هذا موضوع شخصي لا يجب أن يسأل عليه أصلاً. أما في بقية الفيديوهات وهي "صورة العرب لدى الغرب" و "تعدد الزوجات" فلم يظهر في تعليقاتهم ما يدل على هذا الاتجاه.

(2) - فئات الشكل: التي تجيب على السؤال: كيف قيل؟

هي التي تعبر عن بعض العناصر التي ترتبط بالنواحي الشكلية للتعليقات، وعلى تعدد فئات الشكل اخترنا منها أيضا التي تحدد لنا بصفة أوضح الخصائص الشكلية للعلاقة التواصلية في تعليقات المستخدمين مختلفي الثقافات، وقد تمثلت هذه الفئات فيما يلي: فئة الأساليب اللغوية للاتصال، فئة نوع اسم المستخدم، فئة أشكال التفاعل.

2-1 - فئة الأسلوب اللغوي للاتصال

حاولنا من خلال هذه الفئة التعرف على الأساليب اللغوية التي وظفها المستخدمون في تعليقاتهم لإبداء رأيهم وتحقيقا للفعل التواصلية مع الطرف الثاني، والجدول الموالي يعرض لنا نتائج هذه الفئة:

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

جدول رقم (32) يوضح فئة الأسلوب اللغوي للاتصال

المجموع	الحجاب	صورة العرب لدى الغرب	تعدد الزوجات	مكانة اللغة العربية	الديانة الابراهيمية	التكرارات والنسبة	المواضيع
25	7	8	5	3	2	ك	أسلوب المدح والتقدير
20.66	33.33	25	26.31	10.71	52.9	%	
43	5	8	10	6	14	ك	أسلوب النقد اللاذع
35.53	23.80	25	52.63	21.42	66.66	%	
5	2	-	-	3	-	ك	أسلوب الشرح الموضوعي
4.13	9.52			10.71		%	
6	-	-	2	3	1	ك	أسلوب الحوار
4.95			10.52	10.71	4.76	%	
20	4	9	-	4	3	ك	أسلوب الاقضاء
16.52	19.04	28.12		14.28	14.28	%	
22	3	7	2	9	1	ك	أسلوب الاحتواء
18.18	14.28	21.87	10.52	32.14	4.76	%	
-	-	-	-	-	-	ك	أخرى تذكر
-	-	-	-	-	-	%	
121	21	32	19	28	21	ك	المجموع
100	100	100	100	100	100	%	

يعكس لنا الجدول أعلاه توزيع فئة الأسلوب اللغوي للاتصال انطلاقاً من التعليقات التي قمنا بتحليلها، وقد أسفرت النتائج الكمية عن أن الأسلوب الأكثر بروزاً في التعليقات عينة التحليل هو أسلوب "النقد اللاذع" والذي عبر عن تهجم من طرف المستخدمين على الآخر و أفكاره، واستخدام كثير من ألفاظ السب والشتم أو السخرية والاستهزاء، وقد وصلت نسبته إلى 35.53%،

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

وظهر هذا الأسلوب بصفة أكبر وبشكل أكثر بروزا في موضوع "الديانة الإبراهيمية" بما يعادل 14 تكرارا، ومن أمثلة هذا الأسلوب ما جاء في تعليق Azeddine:

«Ce projet est finalement la confirmation de la grande ignorance de ces bédouins »

"هذا المشروع هو في النهاية تأكيد على الجهل الكبير لهؤلاء البدو"

أما dzpatrioteziride djazairi فيقول:

"لذا إذا كنتم تعتقدون أيها الوثنيون الإماراتيون، يمكنكم تحدي الله سبحانه وإجبار الصحراويين على عبادة لملك المغرب، سنرى من أقوى الله سبحانه أو أموالكم ملعونة! عار عليكم.

إن هذا التعليق ذو السياق العربي الإسلامي كما يبدو من خلال الأسماء يعكس السخط الشديد على هذه الدولة أكثر من المشروع في حد ذاته، وهو على ما يبدو نتيجة السياسات التي تنتهجها الإمارات مؤخرا في كثير من القضايا التي تعارض فيها الرأي العام القومي العربي، كالتطبيع مع إسرائيل، والتراخي في خدمة القضية الفلسطينية...

رغم هذا التوجّه المفعم بالسخط الذي جمع بين اختلاف توجّهات على مستوى ثقافة واحدة، إلا أن استعمال هذا الأسلوب لن يجعل الآخر يتراجع عن قراره، وإنما سيزيدها تنافرا وتناحرا. والمسلمون مطالبون في الاتصال بالآخرين المخالفين لهم دينيا أو عقديا أو حتى فكريا فقط، أن يقتدوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وأن ينتهجوا نهجه ويسيروا على خطاه في أسلوب تعامله مع جميع الفئات التي عايشها في زمانه، والتي كانت ذات طابع لين حوارى اقناعي.

لقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم - وهو يدعو إلى الله - تحديات عديدة من قبل الكفار، اختار لمواجهتها جميعا أسلوب اللاعنّف وطريقة اللين، واعتبر الحوار قاعدة أساسية في دعوة الناس

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

إلى الإيمان بالله وعبادته، بهدف تدريب الإنسان على تحصيل القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق.¹

بعدها ظهر هذا الأسلوب الغليظ بدرجة ثاني في تعليقات فيديو "تعدد الزوجات" بـ10 تكرارات، والذين انتقدوا بشدة تعامل الدولة الفرنسية مع هذه القضية، مثل ما جاء على لسان أحدهم:

«Selam alikoum, Pourquoi s'étonner le diable est partout dans ce pays.»

أي: السلام عليكم ، لماذا عجب الشيطان في كل مكان في هذا البلد.

بل أضاف Rim Hd قائلاً:

«Tout ce qu'ils prônent est même contre la morale. je ne crois pas que même dans l'histoire des français, il y avait ce laisser-aller. A la limite c'est comme s'il invitaient à la débuche et vote les lois pour faciliter l'accès. aucune religions ou même les athées qui ont des valeurs n'accepte ce libertinage et ce genre de lois»

أي: كل ما يدافعون عنه هو ضد الأخلاق .لا أعتقد أنه حتى في تاريخ الفرنسيين كان هناك هذا الإهمال .في النهاية، يبدو الأمر كما لو كانوا يدعون الناس للحضور والتصويت على القوانين لتسهيل الوصول .لا توجد ديانات أو حتى ملحدين لديهم قيم يقبلون هذا الفجور وهذا النوع من القوانين.

كان هذا الأسلوب أقل ظهوراً في فيديو "الحجاب" بـ 5 تكرارات، أين ظهر في أبرز أشكاله في نقد الدولة الفرنسية التي مازالت تناقش مثل هذه المواضيع وهي تعاني من الكثير من المشاكل، ومن ذلك قول (CL)

«Ha la honte pour la France en 2019 on ce pose encore la question du voile. Honte au gouvernement et aux médias de couvrir d'un voile les vrais problèmes»

¹ - محمد زرمان، مرجع سابق، ص 143.

أي: يا عار على فرنسا في 2019 ما زلنا نسأل سؤال الحجاب .عار على الحكومة ووسائل الإعلام لتغطيتها على قضايا حقيقية.

إن هذا الوصف يعبر على السخط الكبير على فرنسا - كما ذكرنا سابقا- لاستمرار اتجاه الدولة الفرنسية اتجاه الحجاب على حاله، فرغم أن تاريخ هذا الفيديو يعود إلى سنة 2019 إلا أن القضية مازالت تستثار لحد اليوم، ومازلنا نسمع عبر الإعلام أو السوشيال ميديا أن هناك حدث ما تمّ فيه ظلم المحجبات.

ختاما يمكن أن نقول حول استخدام هذا الأسلوب في الاتصال أنه لن يسمح بالتقدم بالعلاقات نحو الفعالية والنجاح، نحن لا نشك أنه لا بد أن تعدد المصالح وتداخلها وتعارضها قد يضع البشر موضع التنداف والتنافس، وقد تزيغ بهم الأهواء إلى الصراع، فيتحول الإنسان من التواصل إلى القطيعة، ومن التعارف إلى التدابر، وما ذلك إلا لحضور المشاعر العدائية والأحكام الجاهزة وأساليب التخاطب العنيفة والتعبيرات الساخرة، وهي آفات لها آثارها البينية الواضحة وانعكاساتها السلبية الملحوظة على مقصد التواصل في الحوار. وأيا كان فترشيد الحوار ضمانا لحضور البعد التواصلية أصبح ضرورة لحفظ مصير الإنسانية من الهرج والمرج، ولا يتم ذلك إلا بتجاوز نوعين من العقبات: نفسية هي تلك المشاعر والقناعات السلبية التي تحد من القدرة على التبليغ عند المتكلم، وتعرقل الاستجابة عند المتلقي. وعقبات سلوكية متمثلة في التصرفات الفضة العنيفة المنفرة.¹ وهو ما يجب أن يتحلى به مستخدمو اليوتيوب بصفة خاصة وشبكات التواصل الاجتماعي بصفة عامة، مما يحقق بينهم توادلا بناء سهل عليهم وظيفة التقريب بين الثقافات وليس العكس، توادلا مبنيا على ديمقراطية تشاورية حوارية للخروج باتفاق حول القضايا الخلافية التي يناقشونها في هذا المجال العام.

✓ أما الأسلوب الثاني من حيث نسبة الظهور في التعليقات فكان "أسلوب المدح والشكر" والذي بلغ 20.66%، وقد ظهر هذا الأسلوب بصفة أكبر في فيديو "صورة العرب لدى الغرب"

¹ - عبد الحليم آيت أمجوض، مرجع سابق، ص 64.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

بـ8 تكرارا، حيث أشاد المستخدمون من خلال تعليقاتهم بصاحب هذا الفيديو وشكروه على الأفكار التي جاء بها، ومن بين التعليقات التي عبرت عن هذا الأسلوب قول Jean Peuplus:

«tu fais honneur à la France, en respectant tout le monde, merci!»

"أنت تشرف فرنسا، تحترم الجميع، شكرا لك!"

هذا الشكر تكرر بكثرة لصاحب هذا الفيديو الذي أعجب المستخدمون بأفكاره في عرض واقع يعكس حقيقة وصورة العرب لدى الغرب، وأسباب تلك الصورة.

بعدها ظهر هذا الأسلوب بدرجة موائية في فيديو "الحجاب" بـ7 تكرارات، أين كان هناك عدد من التعليقات التي تشيد بالشباب الفرنسي وتمدحه بسبب انفتاحه وأفكاره الموضوعية، ومن أمثلة ذلك قول Sabrina:

«Bravo à la jeunesse Française qui a tout compris. Merci d'exister»

أي: مبروك للشباب الفرنسي الذي فهم كل شيء. شكرا لوجودك".

مدح هذا المستخدم الشباب على تسامحه، فالشباب أصبح عنوانا للانفتاح في العصر الرقمي عكس كبار السن الذين عادة ما يتمسكون بأفكارهم القديمة ولا يقبلون التنازل عن قناعاتهم التي ساهم التاريخ كثيرا في ترسيخها.

كان هذا الأسلوب أقل ظهورا في فيديو "الديانة الإبراهيمية" بتكرارين فقط، وهو ما يتوافق مع اتجاهات المستخدمين هنا، والذين رفضوا هذه الديانة، ما عدا فئة قليلة جدا مدحت هذا المشروع، مثل قول Florence Neri:

«Trop beau pour être vrais tous ce si»

أي: من الجيد جدا أن يكون كل هذا صحيحا إذا كان.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

هذا المدح يعبر عن وجهة نظر توّدت التقارب مع الآخر، وخلق فضاء تواصلية واقعي يؤلف بين الأديان وبالتالي بين الشعوب، ولكنه يظهر من جانب آخر جهله بخطورة هذا الأمر وعاقبته الوخيمة خاصة على الدين الإسلام.

✓ جاء في مرتبة موالية "أسلوب الاحتواء" بنسبة 18.18%، وهو أسلوب يحمل قيم الانفتاح على الآخر، وقد ظهر بصفة أكبر في تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية" بـ9 تكرارات، حيث قال :abbane djamila

«Nous descendons tous d'Adam nous parlons probablement a l'origine la même langue qui s'est modifié selon les besoins de communication»،

أي: نحن جميعا ننحدر من آدم، ربما نتحدث في الأصل نفس اللغة التي تغيرت وفقا لاحتياجات التواصل.

تعكس صاحبة هذا التعليق قابلية احتواء مختلف الأجناس بمختلف لغاتهم، بل إنها تعتقد أن التواصل هو الذي غير اللغات التي هي من أصل واحد، وهو آدم عليه السلام، وهذا القول يعكس قيم قبول الآخر، وأن هذا الاختلاف لن يكون سببا في التباعد، وإنما يكفي أن يجمعهم الأصل.

كما وظهر أيضا هذا الأسلوب بـ7 تكرارات في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" حين قال أحدهم معبرا عن رأيه اتجاه العرب:

«Si j'ai, comme beaucoup, des réticences (qui se voudraient pourtant non-racistes) à l'égard des 'Arabes' et autres musulmans, tes réflexions me font tellement de bien et me rappellent que tous les peuples sont de la même souche et pas ennemis. Merci pour ta perspicacité et ta ténacité à vouloir aller au fond des choses. Merci car ton travail ne peut que nous aider à mieux comprendre et accueillir autrui»

أي: إذا كان لدي ، مثل العديد من التحفظات (التي أود مع ذلك أن أكون غير عنصريا) فيما يتعلق بـ "العرب" والمسلمين الآخرين ، فإن تأملاتك تفيدني كثيرا وتذكرني بأن جميع الشعوب من نفس الأصول. لا أعداء. شكرا لك على بصيرتك ومثابرتك على الرغبة في الوصول إلى جوهر

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الأشياء .شكرًا لك لأن عملك يمكن أن يساعدنا فقط في فهم الآخرين والترحيب بهم بشكل أفضل.

إن أسلوب الاحتواء يتطلب من الأفراد التعامل بموضوعية مع القضايا، ودفع الأحكام المسبقة جانبا، ودعوة الآخر للتفاعل، وهو ما عبّر عنه هذا التعليق الذي يرى بأنه غير اتجاهه نحو العرب بعد سماع الفيديو الذي حذّر من جهة أخرى من عاقبة الحكم المطلق والمعمم على الأشخاص العرب، وبالتالي خلق فيه دافع الاحتواء والذي يؤدي بدوره للقبول والانفتاح اللا مشروط، إذ يكفي أنهم من أصول واحدة كما قال.

كان هذا الأسلوب أقل تكرار في فيديو "الديانة الإبراهيمية" والتي حازت على تكرار واحد فقط، حين قال Ahmed El Morabiti:

«Salam a tousse il faut mètre tous les théologiens musulmans chrétien juifs dans un même cheroume et qu' ils argumente qui a raison ou pas et que de s deba jaisse la lumière»

أي: سلام ، يجب وضع جميع علماء الدين المسيحيين اليهود والمسلمين في نفس الشيروم، ثم يجادلون من هو على صواب أم لا وذلك الجدل سيسلط الضوء على الواقع.

إن هذا الاقتراح لاحتواء الأديان الثلاثة وخلق الحوار بينها من طرف شخصية عربية - كما يبدو من الاسم- هو دعوة للبحث عن الحقيقة بدل الصراعات الدائمة بين الأديان الثلاثة، وإن كان صاحب التعليق مسلما ففي ذلك رغبة ضمنية في تبيان مصداقية الإسلام وسلامة عقيدته لخروجه من ذلك الجدل منتصرا، عسى أن تخضع على إثر ذلك الديانات الأخرى، وهو ما لن يكون أبدا، مما يعني أن وجهة النظر هذه تعكس أمنية لا يمكن أن تتحقق، فمهما اتضح للآخر بطلان عقيدته فلن يعترف أو يتنازل، لأن تلك الأديان لا تبحث عن الحقيقة وإنما تبحث عن المصالح والأهواء.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

✓ جاء في مرتبة موالية أسلوب "الإقصاء"، و ظهر بنسبة بلغت 16.52%، وظهر بدرجة أكبر في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بعدد تكرارات بلغ 7 تكرارات، حين قال مثلا Chris Vendéen:

«Nous les français sommes les plus tolérants au monde. A partir du moment que l' on a à faire à quelqu'un de sympa , de respectueux on ne fait pas de différence. Le problème est que de moins en moins de personnes issues de l' immigration le sont et encore moins les personnes de confession musulmanes, c' est un constat récurant, plus qu' inquiétant. Ce sont eux le problème, pas nous»

أي: نحن الفرنسيون الأكثر تسامحا في العالم. من اللحظة التي يجب أن نتعامل فيها مع شخص لطيف ومحترم، فإننا لا نحدث فرق، المشكلة هي أن عددا أقل وأقل من الأشخاص من أصول مهاجرة، وحتى عدد أقل من المسلمين، إنها نتيجة متكررة، وليس نحن!".

في هذا السياق، يمكن ذكر إحدى المفارقات الغربية التي كشفت عنها دراسات باحثين غربيين معاصرين فحواها أن العقل الغربي عموما، بقدر ما يدعو إلى الاعتراف بالطابع الكوني لمفاهيم من بنات ثقافته وحدائته، مثل الحرية والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان، يسجن نفسه في خصوصيات الثقافية الضيقة، ويتمادى في إقصاء ثقافة الآخرين وتهميشها، إلى حد يبدو فيه أن هوية الغرب الثقافية بصفة عامة مسكونة بعقدة التفوق والاستعلاء على ما سواها من الهويات الثقافية الأخرى. فمن هذا الموقع الاستعلائي، نرى الدول الغربية المستحوذة على مقاليد الأمور في عالم اليوم تصرّ على مصادرة حق الآخرين في الاختلاف والاختيار.¹

✓ من الأساليب اللغوية أيضا في التواصل والتي كانت حاضرة في التعليقات عينة الدراسة "أسلوب الحوار" الذي بلغ نسبة 4.95% من مجموع النسب، والذي يعتمد على حسن القول واختيار الألفاظ المناسبة في إبداء الرأي، والجدال أو النقد بالحسنى، وقد ظهر ذلك في بعض تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية" بـ3 تكرارات، حين قال مثلا Adli Al-Hassy Al-Baraqouni:

¹ - عبد الرزاق الدواي، مرجع سابق، ص 107.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

« j'ai bien suivi la discussion mentionné, mais je pense qu'il existe des preuves linguistique beaucoup plus interessant que ce qui a ete dit ici sur le niveau de pédagogie des mots..»

أي: لقد تابعت المناقشة المذكورة، لكنني أعتقد أن هناك أدلة لغوية أكثر إثارة للاهتمام مما قيل هنا على مستوى أصول التدريس.. " .

إن هذا المستخدم قدم رأيه مع احترام الرأي الآخر، وعبر عن هذا الأسلوب في أرقى صورته، وهو ما نبحت عنه في هذا المجال العمومي الافتراضي، وما دعى له هيرماس من ضرورة توفر مجموعة من الشروط في الفعل التواصلي الحواري، في مقابل مجموعة من الأخلاقيات المتفق عليها لترشيد النقاشات بين مختلف الثقافات.

كان هذا الأسلوب أقل ظهوراً بما يعادل تكراراً واحداً في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" بقول Emmanuelle Bianchin:

« Théoriquement, c'est bien mais pratiquement ce ne l'est vraiment pas !»

"من الناحية النظرية ، إنه جيد ولكنه عملياً ليس كذلك!" .

عموماً يمكن القول أن اعتماد الحوار في التواصل بين الثقافتين من شأنه أن يوضح المعاني والمعلومات أكثر لدى المستخدم، "فالوجود الاجتماعي الإنساني لا يتحقق إلا بوجود الآخر المختلف، كما أن الإنسان لا يحقق ذاته الإنسانية ولا ينتج المعرفة إلا بالالتقاء والحوار مع الإنسان الآخر والتفاعل الخلاق معه، إذ به تتولد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم، وبه تتضح المعاني وتغنى المفاهيم، لأن الحوار في مستوياته العليا هو نوع من إنتاج المعرفة الراقية التي تتحاور مع كافة ضروب المعرفة الإنسانية"¹.

¹ - محمد زرمان، مرجع سابق، ص 129.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

✓ ظهر في مرتبة موائية "أسلوب الشرح الموضوعي" في تعليقات البعض كأساليب موضوعية تقدم معلومات، والتي بلغت نسبتها 4.13%، وقد ظهر بدرجة أولى في تعليقات فيديو مكانة اللغة العربية" ب 3 تكرارات، فيقول أحدهم:

«Les langues arabe et iranienne sont très mêlées . Le lien est bcp plus fort qu'entre le français et l'anglais (par ex) , car les mots sont carrément les mêmes , la seule différence est la prononciation ou 1 ah au lieu d'1 eh. 70 % des mots sont communs . * parfois on croit que c'est de l'arabe alors que c'est de l'iranien . Exemple : babouche»

"اللغتان العربية والإيرانية مختلطة للغاية . الارتباط أقوى بكثير من الرابط بين الفرنسية والإنجليزية (على سبيل المثال) ، لأن الكلمات متطابقة تمامًا ، والفرق الوحيد هو النطق أو 1 آه بدلاً من 1 إيه 70% من الكلمات شائعة.* يعتقد أحياناً أنها عربية عندما تكون إيرانية . مثال: شبشب من اللغة الإيرانية".

كما ظهر في موضوع "الحجاب" بعدد تكرارات قدر بتكرارين، حين قالت مثلاً Nadia :Amine

«Dans des pays arabes,de majorité musulmane, les chrétiens ne mettent pas le foulard comme les musulmans,et on ne leur pose pas des questions sur leurs habits, et personne n'en parle. Et cela depuis, le prophète Mohammed, et dans le Coran et les hadiths du prophète, liberté de croyance, et égalité, Allah dit dans le Coran : " Dis " o les athés (infidèles)"je n'adore pas ce que vous adorez" " et vous n'adorez pas ce que j'adore"....." Vous avez votre religion, et j'ai la mienne"(sourate : les infidèles, ou les athés). Et le prophète dit : " les gens sont égaux comme les dents de peigne. Aucune différence entre arabe et étranger. Blanc et noir"»

يشرح هنا صاحب التعليق المفارقة في التعامل بين البلدان العربية والبلدان الغربية، حيث أنه في البلاد العربية لا يطرح عليهم أسئلة حول ملابسهم، ولا أحد يتحدث عنها، وذلك منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء في القرآن والسنة من حرية العقيدة والمساواة، ثم ضرب مثلاً بسورة الكافرون التي تعبر عن ذلك

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

إن هذا التعليق يريد أن يبين الحقيقة للآخر الغربي بطريقة موضوعية استدلالية بعيدة عن التجريح أو السب أو مختلف أنواع الغلظة التي ظهرت في الكثير من التعليقات، لبيّن لهم أن الدول العربية لا تتدخل في لباسهم أو معتقداتهم الغربية، وحرية المعتقد مبدأ قرره الإسلام منذ عصور.

2-2- فئة نوع اسم المستخدم:

تهدف هذه الفئة الى التعرف على نوع اسم المستخدم من حيث كونه عربي، سواء كتب باللغة العربية أو الأجنبية، أو غير عربي كتب باللغة الأجنبية، أو ما تم إدراجه في فئة أخرى تذكر من أسماء مستعارة بكنيات أو رموز ..، وقد تم اعتماد هذا الفئة لمساعدتنا في التعرف على عدد تقريبي للعرب في التعليقات مقارنة بالأجانب، من خلال الأسماء فقط، إلا أن ذلك كان نسبياً، حيث لاحظنا أنه لا يمكن الجزم بأن كل من اسمه غير عربي هو بالضرورة غير عربي خاصة مع انتشار الكنيات والأسماء المستعارة وإخفاء الهويات الحقيقية، ومع ذلك فقد وضح البعض منهم في تعليقاتهم ذلك الانتماء، بل حتى الدين الذي ينتسبون إليه في كثير من الحالات حين يستدعي الطرح إبداء ذلك. والجدول الموالي يوضح لنا نسب وتوزيع هذه الأسماء.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

جدول رقم (33) يوضح فئة نوع اسم المستخدم

المواضيع	التكرارات والنسبة	الديانة الابراهيمية	مكانة اللغة العربية	تعدد الزوجات	صورة العرب لدى الغرب	الحجاب	المجموع	فئة اسم المستخدم
عربي	ك	3	11	9	2	9	34	
	%	17.64	57.89	45	11.76	50	37.36	
غير عربي	ك	10	7	8	9	6	40	
	%	58.82	36.84	40	52.94	33.33	43.95	
أخرى تذكّر	ك	4	1	3	6	3	17	
	%	23.52	5.26	15	35.29	16.66	18.68	
المجموع	ك	17	19	20	17	18	91	
	%	100	100	100	100	100	100	

يتضح لنا من الجدول أعلاه أن فئة "الأسماء غير العربية" نالت النسبة الأكبر و المتمثلة في 43.95%، مقارنة بـ "الأسماء العربية" التي جاءت في مرتبة مواءمة بنسبة 37.36%، وأخيراً "فئة أخرى تذكّر" بنسبة 18.68%.

إن هذه النسب تثبت أن المستخدمين المتفاعلين مع مقاطع الفيديو عينة الدراسة يستخدمون الأسماء غير العربية بصفة أكبر من غيرها، وهو ما يمكن أن يعبر ربما عن حجم المستخدمين الغربيين أو بالأحرى الفرنسيين المتفاعلين مع هذه القضايا أكثر من العرب نظراً لنوع اللغة الأكثر استعمالاً في التعليقات والتي كانت الفرنسية، أو يعكس التوجه الفرنكفوني للمستخدمين العرب، والذين نلاحظ من خلال تعليقاتهم حتى على الفيديوهات العربية أن أغلب الأسماء تكتب بلغات أجنبية،

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

وهو ما يمثل أحد ملامح الهوية الافتراضية، إذ لا يمكن في هذا الفضاء تحديد الانتماء الثقافي بدقة، نظرا لطغيان هذه الهويات وضعف آليات الكشف عن حقيقتها.

نقصد بالهوية الرقمية مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي، فيتفاعل ويتواصل على أساسها مع الآخرين، بحيث قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي.¹

يتيح الإنترنت عموما للأفراد فرصة تقديم أنفسهم للآخرين (Self - Presentation) بحرية كبيرة ودون قيود، وهذه الحرية تعطي بعض الأفراد مجالا رحبا لتقديم أنفسهم بطريقة تمكنهم من إخفاء بعض الخصائص والصفات غير المرغوبة لديهم، والتي لا يرغبون أن يعرفها الآخرون عنهم: كالعمر، والمهنة، والجنس، والطبقة، والإعاقة الجسدية، وبعض السمات الشخصية كالبدانة أو النحافة، أو الخجل... الخ، إذ قد تعمل هذه الصفات والخصائص على إحراج الفرد وخشيته من عدم تقبل الآخرين له في حالة تفاعله المباشر معهم، عكس اتصاله بالإنترنت الذي يمكنه من إخفاء هذه الصفات وعدم إبرازها إذا أراد، لذا لا يشعر بالقيود أو الضيق أو الحرج، لأن طبيعة الموقف الاتصالي هنا يتسم في كثير من الأحيان بالغموض، مما يجعل الفرد يشعر بحالة من اللاتعيين في شخصيته، وهذا يعني أنه شبه مجهول الهوية للآخر، مما يدفعه لإبراز جوانب كثيرة من شخصيته، لا يبرزها عادة في المواقف الاتصالية المباشرة وجها لوجه، وغالبا ما تكون هذه الجوانب مثالية.²

✓ ظهرت "الأسماء غير العربية" بصفة أكبر في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية" بتكرار 10 من 40، ومن أمثلة الأسماء غير العربية ما يلي: mathias Amuory - darles - simone - Diana، وهي كلها أسماء أجنبية في ظاهرها لكن لا تعكس حقيقة انتماء المستخدم هل هو عربي أم لا.

¹ - كلثوم ببيمون، مرجع سابق، 80.

² - حلمي ساري، مرجع سابق، ص 91.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

بداية لاحظنا أن "الأسماء غير العربية" التي جاءت بالتعليقات عينة الدراسة لا تعكس الانتماء العرقي أو الثقافي، وإنما فقط الانتماء الديني، مما يجعلنا نطرح السؤال هل هذا غربي أم عربي مسيحي؟، ومن ذلك قول Mathias Amoury:

«Nous sommes bel et bien a la fin des temps et la venue de L'antéchrist il y a qu'un seul et vrai chemin c'est jésus»

أي: نحن بخير وصدق في نهاية الزمان ومجيء المسيح الدجال ليس هناك سوى طريق واحد حقيقي، وهو المسيح.

هنا يظهر من خلال هذا التعليق أن هذا المستخدم غير مسلم، ولكن لا يمكن أن نجزم أنه غير عربي.

أما من أمثلة "الأسماء غير عربية" التي تعبر على مستخدمين عرب في هذا الفيديو مثلا قول patrioteziride أنه: "كعبد لله العظيم الضار، وسعيد قدر المستطاع. كجزائري،...*"، وقد ذكر تعليقه هنا باللغة العربية، وأكد من خلال قوله أنه عربي، مما يدعم ما قلناه سابقا.

يمكن أن نقرر من خلال استعمال الأسماء غير العربية من طرف مستخدمين عرب، أن هذا الواقع المتفشي بكثرة على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي عموما لا يتوافق مع اعتزاز المستخدمين في عيني المقابلة والاستبيان بهويتهم الثقافية في بعدها اللغوي، وهو ما يتيح لنا الاعتقاد -حسب رأبي- بأنها مجرد أقوال لا تجاربهما الأفعال، أين يعتبر التعبير باللغة العربية هنا من بين معالم ذلك الاعتزاز في الفضاء الافتراضي، ثم إن استخدام اللغة الأجنبية في التعريف بالهوية ينبؤ بتعدّد واضح من طرف العولمة على الهويات الافتراضية، والتمويه بأن استعمال اللغات الأجنبية دليل على التطور والازدهار، مما جعلها ظاهرة شبه معممة على المستخدمين لهذا المجال العام الافتراضي

*- إن هذا التعليق جاء بهذا الأسلوب اللغوي المختل، وهو ما يعكس ضعف المستوى في اللغة العربية، أو كتابة التعليق باللغة العربية ثم ترجمته. وهذا الخلل اللغوي لاحظناه في كثير من التعليقات، حتى التي جاءت بالفرنسية منها، مما يعكس الخلل عند المستخدمين في استعمال هذه اللغة أيضا، وهم الذين أصبحوا يفضلون اللغة الأنترنيتية.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

بمختلف ثقافتهم. خاصة وأن استعمال مثل هذه الأسماء يحقق للمستخدم هدف إخفاء هويته الحقيقية لإشباع رغبات خاصة به، مما يجعله أكثر تحمرا في التعليق بعيدا عن ضغوطات المجتمع والأسرة.

كما أن استعماله لمثل هذه الأسماء في هذا المجال العام الافتراضي أثناء التواصل مع الغربي يتيح له إخفاء انتمائه العرقي العربي إن كان ينجل منه أو يخشى أن يعرض الآخر عن التواصل معه نتيجة تلك الصورة التي يحملها عن العرب.

إن ما نقرره بشأن الهوية الافتراضية واستعمال اللغة الأجنبية في التعبير عنها يبقى أمرا نسبيا، قد يكون صحيحا وقد لا يكون، في ظل إمكانية تحكم عدة عوامل مختلفة في هذا السلوك التعبيري عن الهوية، والذي يجعلنا نخطئ بحصره في دافع بعينه.

في المقابل يعبر استخدام اللغة الأجنبية من طرف الغربيين في عرض هويتهم داخل شبكات التواصل الاجتماعي عن اعتزازهم بلغتهم والمحافظة عليها كجزء جوهري من ثقافتهم، في مقابل اغتراب العرب وابتعادهم عن لغتهم في التعبير عن هويتهم الافتراضية.

من جهة أخرى من حيث استعمال اللغة لاحظنا أن بعض المستخدمين اعتمد على التعليق باللغة العربية، ورغم ما لهذا من دلالة على الاعتزاز والتقدير لهذه اللغة، إلا أنه قد يذهب بالفائدة المرجوة من عرض الآراء في هذا الفضاء الافتراضي الذي تعدد اللغات المستعملة فيه، لتتقدم لغة على أخرى، واللغة العربية من بين اللغات المهمشة في هذا الفضاء بحثيا أو تواصليا، مما يجعلها غير مفهومة لدى الآخر الغربي، لذا فإن العربي في تفاعله مع المستخدم الغربي في شبكات التواصل الاجتماعي مجبر على استعمال اللغة الأجنبية التي يفهمها الآخر سواء كان تواملا شخصا أو جمعيا عن طريق التعليقات كما هو هنا، ليسبب استعماله للغة العربية هنا - في رأيي - عرقلة توصيل أفكاره إلى الآخر، مما يعني أن الهدف لن يتحقق.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أما الفيديو الثاني الذي ظهر فيه بكثرة هذ النوع من الأسماء في تعليقاته هو الفيديو الخاص "بصورة العرب لدى الغرب" حيث قدرت تكراراته بـ9 تكرارات، وقد أعطى هذا التواجد التوافق النسبي بين انتماءات عينة الدراسة وأسمائها، إذ نعتقد أن أغلب التعليقات -انطلاقاً من اتجاهاتها نحو الموضوع- كانت من طرف غير العرب، لأنها كانت تؤكد على الصورة السيئة التي يحظى بها العرب لدى الغرب، و هو ما انتبه إليه المستخدم ced بقوله:

« Salut Majid, bravo pour ta qualité de vidéo sans montage, incroyable. Dommage que peu "d'arabes" visionnent ta vidéo (d'après les commentaires). Bonne continuation à toi, ne lâche rien ! »

أي: مرحبا ماجد ، مبروك على جودة الفيديو الخاص بك، رائع، من المؤسف أن قلة من "العرب" يشاهدون الفيديو الخاص بك (حسب التعليقات). بالتوفيق لك، لا تستسلم!

من أمثلة هذه الأسماء غير العربية اسم (Chris Vendéen) وقوله:

« Nous les français sommes les plus tolérants au monde. A partir du moment que l' on a à faire à quelqu'un de sympa , de respectueux on ne fait pas de différence »

بمعنى: نحن الفرنسيون الأكثر تسامحاً في العالم. من اللحظة التي يجب أن نتعامل فيها مع شخص لطيف ومحترم، فإننا لا نحدث فرقا.

✓ أما بالنسبة "للأسماء العربية" فقد ظهرت بصفة أكبر في موضوع "مكانة اللغة العربية" بـ11 تكرارا، مما يعكس ربما الارتباط بين موضوع الفيديو و انتماءات المستخدمين، وهو ما عبرت عنه فعلا عينة التعليقات التي تحدثت في مجملها عن جمال اللغة العربية وحسن تركيبها، إلا أن هذه الأسماء لم تكتب بالحروف العربية* وإنما بالحروف الأجنبية، ومن أمثلة هذه الأسماء كل من : latifa Khalifa- Khemiri Abdelkader- Mohamed Essedik، حيث قال هذا الأخير مثلا:

« J'ai vraiment kifié ce sujet et surtout la façon de le présenter, sans subjectivité et avec de solides bases linguistiques Franchement bravo»

* - لم يعتد بما في فئات التحليل هذه نظرا لغيابها شبه الكلي عن عينة التعليقات.

أي: لقد أحببت هذا الموضوع حقا وخاصة طريقة تقديمه، بدون ذاتية وبأسس لغوية صلبة بصراحة برفو.

في المقابل عرض Nacer Seddik رأيه باللغة العربية قائلا: «قصيدة عن اللغة العربية أم اللغات: رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي... وناديت قومي فاحتسبت حياتي... رموني بعقم في الشباب وليتني... عقت فلم أجزع لقول عداتي... ولدت ولما لم أجد لعرائسي... رجلا وأكفاء وأدت بناتي»

إن تمثيل المستخدمين لهويتهم باسم عربي كتب بحروف أجنبية قد يعبر عن اللا تخفي والوضوح في إبراز الهوية الحقيقية إن كان يعكس اسمه الحقيقي، أما إن كان لا يعكس اسمه الحقيقي فهو ربما نوع من أنواع التستر على كل الأفعال التي لا يريد أن تعرف أنها من طرفه، أو أنه خجل من طبيعة أو قيمة الأفكار المعروضة من طرفه، ودائما يبقى السؤال مطروحا هنا حول مدى إضعاف هذا الاستخدام الهوياتي الأجنبي لقيمة الاعتزاز والتقدير للذات العربية الإسلامية في بعدها اللغوي.

في المقابل كان هناك اسم واحد عربي وكتب بالحروف العربية مع تعليقه باللغة العربية الفصحى، وهي شامة فرح التي قالت:

«عندما يكون الضيوف هم أصحاب الدار ويكون صاحب الدار هو الضيف يكون محرج و يشعر بعدم الثقة في النفس و يتلعثم في الكلام و الضيوف يفتخرون و يتناقشون فيما بينهم عن هذه اللغة العظيمة بكل طلاقة وكل افتخار لأنها لغة العز و الفخر و لغة القرآن الكريم الذي هو كلام الله» .

هنا يمكن أن نقول أنها جسدت هويتها العربية الإسلامية في مختلف أبعادها وبأحسن صورها.

أما المرتبة الثانية في الفيديوهات الذي ظهرت فيها تعليقات بأسماء عربية هي كل من فيديو "الحجاب" و "تعدد الزوجات" على التساوي وبـ 9 تكرارات، وهما أيضا يتوافقان مع طبيعة الموضوع الذي مسّ الطرف العربي بصفة أكثر وأبرز من الطرف الأجنبي الغربي، ومن أمثلة ذلك في الفيديو

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الأول الأسماء الآتية: Amal Karou-Saifi Samir-- Nadia Amine ، حيث قالت هذه الأخيرة
مثلا:

« C est bizarre il parle de liberté et elles veulent priver les femmes musulmanes de leurs liberté en portant le voile Contradiction??!!»

أي: غريب يتحدث عن الحرية ويريدون حرمان المرأة المسلمة من حريتها بارتداء الحجاب؟؟
!!!!تناقض.

مع ذلك هناك أسماء بالعربية في هذا الفيديو ولكنها تعبر عن رأي الآخر الغربي كقول Oum
:Anas

« On se concentre sur le voile et pendant ce temps là on s'en fout du chômage,des SDF,des personnes pauvres!!!! La liberté en France est accordée à la tête du client et c'est fort dommage,j'ai honte de mon pays»

أي " نحن نركز على الحجاب وفي نفس الوقت لا نهتم بالبطالة والمشردين والفقراء!!!! الحرية
في فرنسا ممنوحة لرئيس العميل، ومن المؤسف أن أشعر بالخجل من بلدي".

هذا الرأي يمكن أن يعكس تعدد الجنسيات لهذه المستخدمة، أو ديانة الإسلامية نظرا لأن اسمها
يحمل نوعا ما هذه الدلالة.

أما في فيديو "تعدد الزوجات" فمن بين الأسماء العربية التي ظهرت فيه ما يلي: - Malik
Nabil-Tahar-Zinou Zinou، وقد قال هذا الأخير مثلا وباللغة العربية: بارك الله فيك يا أختي
الكريمة ربي يحفظك يستروك* يا رب العالمين تصومو بصح وعافية يارب العالمين". ونشير هنا إلى أن
عددا معتبرا من التعليقات التي جاءت باللغة العربية كانت من طرف أسماء عربية، مما يعكس التوافق
إلى حد ما بين التوجهين في التعبير عن الهوية من جهة، وفي التعبير عن الرأي من جهة أخرى.

*- أحيانا نجد أخطاء لغوية سواء كان التعليق باللغة العربية أو الأجنبية، لكننا عمدنا على تركها كما هي دون تعديل، وهو
ما يعبر في كثير من الأحيان عن الضعف اللغوي في كتابة المستخدم.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

✓ أما الفئة الأقل ظهوراً في عينة التعليقات فهي التي تضمنتها فئة "أخرى تذكر" بنسبة 18.68%، وهي نسبة معتبرة، شملت الأسماء التي عبّر عنها المستخدمون بالرموز أو المختصرات. ظهرت تلك الأسماء المستعارة بمختلف أشكالها في كل فيديوهات عينة الدراسة، ولكن بدرجات متفاوتة، فكانت بدرجة أكبر من خلال تعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بما يمثل 6 تكرارات، ومن أمثلة تلك الألقاب التي عبرت عن "انتماء عربي" هو اسم (C S) الذي قال في تعليقه:

« Je suis arabe, et relativement typée. Ça se voit à ma tronche. La preuve la plus flagrante de 'racisme' que j'ai pu rencontrer, c'est les gens qui me demandent d'où je viens »

أي: أنا عربي نموذجي نسبياً يظهر في وجهي ذلك، أكثر دليل صارخ على "العنصرية" صادفته هو أن الناس يسألوني من أين أتيت".

هنا يبدو أن هذه العنصرية التي يعاني منها هذا المستخدم أو غيره جعلتهم يعبرون عن هويتهم الافتراضية بأسماء غير عربية أو كنيات أو رموز - كما ذكرنا سابقاً - ربما تخفياً من الآخر البعيد عن الموضوعية في أحكامه.

أما من أمثلة الأسماء المستعارة التي عبرت عن انتماء غير عربي في ذات الفيديو قول (Utilisateur inconnu):

« Merci Maghid pour ces explications qui rejoignent les travaux majeurs de psycho sociale sur la formation des stéréotypes et leur décomposition. Tu as une justesse et une honnêteté qui fait du bien. Malheureusement, qui regarde tes vidéos, certainement pas les principaux intéressés : »

أي: شكراً يا ماجد على هذه التفسيرات التي تنضم إلى الأعمال الكبرى لعلم النفس الاجتماعي حول تكوين الصور النمطية وتحللها. لديك العدل والصدق الذي يشعر بالرضا. لسوء الحظ، من يشاهد مقاطع الفيديو الخاصة بك بالتأكيد ليست الأطراف المعنية الرئيسية.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

هنا تدعيم آخر للقول السابق من أن أغلب أصحاب التعليقات في هذا الفيديو غير عرب.

بعدها ظهر هذا الشكل من الأسماء برتبة موالية وبـ4 تكرارات في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية"، و قد كان منها أيضا من يعبر عن توجه عربي أو العكس، فمن أمثلة التوجه غير العربي اسم (Heureux celui qui pleure) الذي قال:

«Jésus est l'unique chemin. Tout ceci n'est que belles paroles enrobant un mensonge»

أي: يسوع هو الطريق الوحيد . كل هذا مجرد كلام ملفوف حول كذبة."،

أما من أمثلة التوجه العربي قول Drôle de siècle:

"بسم الله الرحمن الرحيم: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. صدق الله العظيم".

هنا وإن لم نجزم بأنه عربي فعلى الأقل يمكن أن نجزم بأنه مسلم.

2-3- فئة أشكال التفاعل:

حاولنا من خلال هذه الفئة التعرف على مختلف الأشكال التي تعبر عن التفاعل الخاص فقط بالتعليقات دون النظر إلى الفيديو،¹ وقد قمنا بتقسيمها انطلاقا من العينة المختارة إلى: فئة التعبير عن المشاعر وفئة الردود، وقد كانت النتائج كما هو موضح في الجدول الآتي:

¹ - تم توصيف ذلك في خصائص عينة تحليل المضمون الخاصة بالفيديوهات المختارة، انظر ص ص 209-212.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

جدول رقم (34) يوضح فئة أشكال التفاعل

		المجموع	الحجاب	صورة العرب لدى الغرب	تعدد الزوجات	مكانة اللغة العربية	الديانة الابراهيمية	التكرارات والنسبة	المواضيع	فئة التفاعلية
86.84	7215	27	—	15	6	4	2	ك	حب	التعبير عن المشاعر
		0.37	—	0.61	5.3	0.31	0.85	%		
		12	—	4	4	4	—	ك	التصفيق	
		0.16	—	0.16	3.53	0.31	—	%		
		13	3	2	5	1	2	ك	الضحك	
		0.18	0.07	0.08	4.42	0.07	0.85	%		
		7146	3825	2089	70	980	182	ك	اعجاب	
		99.04	90.04	85.96	61.94	76.38	77.77	%		
		10	1	4	3	—	2	ك	غضب	
		0.13	0.02	0.16	2.65	—	0.85	%		
		7	2	3	—	1	1	ك	أخرى تذكر	
		0.09	0.04	0.12	—	0.07	0.42	%		
		1093	417	313	25	293	45	ك	الردود	
		13.15	9.81	1288	22.12	22.83	19.23	%		
		8308	4248	2430	113	1283	234	ك	المجموع	
		100	100	100	100	100	100	%		

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

يتبين لنا من خلال الجدول أن فئة "التعبير عن المشاعر" هي التي حازت على تكرارات أكبر بما يعادل نسبة 86.85%، لتكون بقية التكرارات "للردود" وهو ما يقابل نسبة 13.15%.

✓ إن اعتماد المستخدمين مختلف الرموز "للتعبير عن مشاعرهم" في التعليقات دليل على وعيهم بأهمية هذا الأسلوب في تحقيق التواصل مع الآخرين ونقل مشاعرهم إليهم، بما يتوافق مع لغة الفضاء الإلكتروني والسرعة في نقل المعلومات وكذا المشاعر.

كان ذلك باستخدام الإيموجي الذي يعتبر أداة تواصل مفيدة تجاوزت كل اللغات، وقد تمثل خبراً أو مشاعر، والإيموجي عبارة عن صورة صغيرة، إما ثابتة أو متحركة، تمثل تعبيراً لوجه أو مفهوماً ما في العالم الشبكي، وتتواجد أشكال الإيموجي على نطاق واسع في مواقع الشبكات الاجتماعية، وتطبيقات الهواتف الذكية، ومنصات المراسلة الأخرى. وهو يمثل رموزاً تعبيرية وصوراً توضيحية رقمية شائعة يمكن أن تظهر في الرسائل النصية بمختلف مواقعها. وتقوم هذه الرموز بعمل كبير للتأكيد على النغمة، وإدخال الفكاهة، وإعطاء الأفراد طريقة سريعة وفعالة لإضفاء بعض الألوان والشخصية إلى مساحات نصية أحادية اللون. ومع ذلك، فإن الرموز التعبيرية تفعل أكثر من ذلك، فهي شكل جديد من التعبير الإبداعي الذي يمكن أن ينوب عن الاتصال غير اللفظي.¹

لاستخدام الإيموجي فوائد عديدة تتركز أساساً في دمج الرسالة مع الصور الذي يمنح نوعاً من اللطف، ويوفر درجة عالية من الخيال، إضافة إلى أنه يكسر حاجز الملل في المحادثات الإلكترونية، ويساعد على التعبير عن الآراء وكذلك المشاعر بأقصر طريقة ممكنة وبأوفر مساحة كلامية.²

• نالت فئة "الإعجاب" التكرار الأكبر في التعبير عن المشاعر بالإيموجي والذي بلغ عدده 7146 من مجموع تكرارات فئة التعبير عن المشاعر والتي بلغت 7215، والملاحظ عموماً في التفاعل

¹ - أحمد عبد الكافي عبد الفتاح عبد الكافي، استخدام طلبة الجامعات للرموز التعبيرية (الإيموجي) بموقع التواصل

الاجتماعي فيسبوك وانعكاسه على إدراك جودة الصداقة الافتراضية، مجلة البحوث الإعلامية، ع 58، ج 4، القاهرة،

2021، ص1815 https://jsb.journals.ekb.eg/article_189173.html

² - أحمد عبد الكافي عبد الفتاح عبد الكافي، مرجع سابق، ص1816.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

الخاص بهذا الفضاء أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي يستعملون هذا الشكل التعبيري أكثر من غيره، ربما لكونه الأكثر سهولة في الاستخدام، إذ أن المستخدم يكفي فقط بالضغط على هذا الرمز الموجود ابتداءً، ولا يحتاج لأي جهد في البحث عنه أو اختياره من مجموعة أشكال تعبيرية أخرى كما هو الحال مع باقي الرموز.

حازت هذه الفئة على حضور أكبر في تعليقات فيديو "الحجاب" بما يعادل 3825 تكراراً، وقد كانت موزعة على مختلف التعليقات، إلا أن أكثرها كان في تعليق Amal Karou ، والذي بلغ تكرار إعجاباته 1,5 ألف إعجاباً، وكان محتوى هذا التعليق ما يلي:

« C est bizarre il parle de liberté et elles veulent priver les femmes musulmanes de leurs liberté en portant le voile Contradiction??!!!! » ،

أي "غريب يتحدث عن الحرية ويريدون حرمان المرأة المسلمة من حريتها بارتداء الحجاب؟؟
!!!!تناقض".

إن هذا العدد الكبير من الإعجابات يعبر عن النسبة الكبيرة التي توافق هذا الرأي، وترى فعلاً ذلك التناقض بين شعار الحرية الذي يرفعه بلد كفرنسا، وبين منع المرأة من لبس الحجاب باعتباره ومن وجهة نظر الكثيرين منهم أنه حرية شخصية لا تمس بالصالح العام..

ظهر بعدها في مرتبة موالية من حيث عدد الإعجابات في التعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب"، والتي بلغ عددها 2089 إعجاباً في التعليقات عينة الدراسة، وقد برزت هذه الفئة بصفة أكبر في تعليق صاحب الفيديو Majid Oukacha، حيث بلغ إعجاباً، والذي وضع فيه ما يلي:

« J'espère que cette vidéo vous a plu ! Je pense que je devais faire au moins une fois une vidéo sur ce genre de sujet. Comme à mon habitude, je profite de la zone des commentaires pour remercier tous les gens qui me soutiennent et soutiennent mon travail sur ma page Tipeee : <https://fr.tipeee.com/majid-oukacha>

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

(OU sur Paypal pour ceux qui préfèrent :
https://www.paypal.me/majidoukacha»

أي: أرجو أن تتمتع بهذا الفيديو! أعتقد أنه كان على أن أصور مقطع فيديو مرة واحدة على الأقل حول هذا النوع من الموضوعات. كالعادة، أستفيد من منطقة التعليقات لأشكر جميع الأشخاص الذين يدعمونني ويدعمون عملي...، ثم وضع لهم الصفحات الخاصة به.

إن هذا التفاعل الكبير يدل على إعجابهم بفكرة الفيديو الذي تم عرضه أو الروابط التي أحال إليها، كما أن هذا الإعجاب قد ظهر قولاً من خلال أغلب التعليقات، ليس التي قمنا بتحليلها فقط، بل حتى التي قمنا باستطلاعها، لهذا كان هو الأكثر حيابة على عدد الإعجابات.

أما التعليقات التي حازت على المرتبة الثالثة من حيث عدد الإعجابات فهي التي تتعلق بفيديو "مكانة اللغة العربية"، والتي بلغ عددها 980 إعجاباً، وقد تركزت بصفة أكبر في تعليق Lili-PSG، والذي بلغ عدد الإعجابات فيها 260 إعجاباً، وهذا مضمون تعليقها:

« Moi perso j'aime bien la langue française c'est une très belle langue mais l'arabe a un gout spécial quand on lit aux poèmes arabes ou le Coran en arabe c'est quelque chose qui ressemble à un rêve. »

أي: أنا شخصياً أحب اللغة الفرنسية، فهي لغة جميلة جداً، لكن اللغة العربية لها طعم خاص عندما تقرأ القصائد العربية أو القرآن باللغة العربية، فهذا يشبه الحلم.

يعكس هنا عدد الإعجابات لهذا التعليق الانتماء الديني الإسلامي بصفة أساسية للمستخدمين المتفاعلين.

جاءت في مرتبة موالية تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية"، والتي حازت على عدد تكرارات قدر بـ 182 إعجاباً، وقد كان التعليق الأكثر حيابة للإعجابات لـ Mathias Amoury، حيث نال 50 إعجاباً، وقد تضمن قوله:

« Nous sommes bel et bien a la fin des temps et la venue de L'antéchrist il y a qu'un seul et vrai chemin c'est jésus et ce genre d'invention montre l'esprit d'antechrist et le désir de détourner les gens de la vérité»،

أي: نحن بخير وصدق في نهاية الزمان ومجيء المسيح الدجال ليس هناك سوى طريق واحد حقيقي، وهو المسيح وهذا النوع من الاختراع يظهر روح المسيح الدجال والرغبة في تحويل أهل الحق.

هذا ما يعبر عن عدد معتبر من المسيحيين المتفاعلين مع هذه الصفحة.

أخيرا برز أقل عدد من الإعجابات بالنسبة للتعليقات عينة الدراسة في فيديو "تعدد الزوجات" والذي بلغ 70 إعجابا كأقل تكرار، مما يعني ضعف التفاعل في هذا الموضوع وقد ظهرت أغلبها في تعليق Danouni Lydia بمعدل 21 إعجابا:

« Je suis entièrement d'accord avec toi , j'ai quitté la France pour m'installer en Tunisie où je me sens très bien, les gens sont chaleureux, surtout pas égoïstes , très généreux même les plus pauvres, et je vis ma foi tranquillement, je m'abonne à ta chaîne avec grand plaisir, à bientôt ! » ،

أي: اتفق معك تمامًا، لقد غادرت فرنسا لأستقر في تونس حيث أشعر أنني بحالة جيدة جدا، فالناس هنا دافئون، وخاصة غير أنانيين، كريمون جدا حتى الأفقر، أنا أعيش إيماني بهدوء، أشترك في قناتك بسرور كبير، أراك قريباً!" وهو عدد مقبول مقارنة بالعدد الإجمالي للإعجابات.

● أما الفئة التي جاءت في المرتبة الموالية من حيث أشكال التعبير عن المشاعر هي فئة "الحب" التي عبّر عنها بشكل قلب، والتي برزت بصفة أساسية في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بتكرار بلغ 15، و التي تمثلت أساسا في تفاعل صاحب الفيديو مع التعليقات بالإشارة "قلب" مع صورته الشخصية الموجودة في البروفايل الخاص به، وقد كانت هذه التعليقات تمدح بشدة صاحب الفيديو (Majid Oukacha) ، وتشيد بالأفكار التي جاء بها، ومن أمثلة ما ظهر فيها هذا الشكل من التفاعل قول أحدهم:

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

« A mes yeux tu fais bien plus honneur à la France que certains Français !
Merci Majid d'être toi ! »

أي: في نظري أنك تشرف فرنسا أكثر بكثير من بعض الفرنسيين! شكرا لك ماجد لكونك أنت!".

كانت أيضا بقية التعليقات التي حازت على هذا التفاعل في نفس السياق، رغم أن هناك تعليقات كثيرة في هذا السياق ولكن لم يتفاعل معها صاحب الفيديو.

ظهر هذا الشكل التعبيري أيضا مع الصورة الشخصية للبروفابل في الفيديو الذي يتعلق بـ"تعدد الزوجات" الذي حاز على 6 تكرارات، وكان ذلك أيضا عندما مدح أصحاب التعليقات صاحبة الفيديو، لتتفاعل مع بعضها بهذا الشكل، ومن أمثلة تلك التعليقات قول أحدهم:

« Merci beaucoup pour ce partage , à bientôt portez vous bien »،

أي: شكراً جزيلاً لك على هذه المشاركة ، أراك في حالة جيدة قريباً.

برز هذا الشكل التفاعلي بصفة أخرى وذلك في مضامين بعض التعليقات، تعبيرا منهم عن الحب سواء للأشخاص أو للمواضيع، وقد برز أكثر في فيديو "مكانة اللغة العربية" أين وضع المستخدم في نهاية التعليق قلب والإيموجي الذي عيناه بشكل قلبين، وذلك بمعدل 4 تكرارات. ومن أمثلة استعماله في نهاية الحديث قول أحدهم في تعليقه:

« L'Arabe c'est trop beaux le sens de sens des mots sont tellement beaux c vraiment une très belle langue a écouté et a parlé. Meme les jeunes l on compris genre wech kiffer chouiya le seum salem et j en passe . » ،

أي: العربية جميلة جدا، معنى الكلمات جميل جدا، إنها حقاً لغة جميلة جداً للاستماع والتحدث. حتى الشباب فهموا الأمر مثل وش كفر شوية السوم سالم وأنا ماضيه. ثم وضع في الأخير إيموجي القلب الذي يعبر عن الحب للغة العربية أولاً، ثم لفئة الشباب ثانياً.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

بدرجة أقل ظهر هذا الشكل وبمعدل تكرارين فقط في فيديو "الديانة الابراهيمية" وذلك في تعليق أحدهم: « Jesus est le seigneur » أي: المسيح هو الرب.

في المقابل غاب تماما هذا الشكل التعبيري من تعليقات فيديو "الحجاب"، والتي عوضته كما يبدو أشكال أخرى.

• بعدها جاء الشكل التعبيري "الضحك" بـ 13 تكرارا، والذي ظهر أكثر في فيديو "تعدد الزوجات"، أين عبّر المستخدمون من خلال ذلك على السخرية والاستهزاء من الأفكار المعروضة للشخصيات الفرنسية حول هذا الموضوع، بل إنهم استعملوا الإيموجي الذي يعبر عن الضحك بالدموع، ومن أمثلة من استعملوا ذلك sofiane amar في قوله:

« la différence entre la polygamie et la/les maitresse/s, c'est que la 1iere a des droits, et la 2ieme n'est un jouet. » ،

أي: الفرق بين تعدد الزوجات والسيدة هو أن الأولى لها حقوق، والثانية هي لعبة. هنا عبر عن مشاعره بالضحك الشديد الذي عبر عن استهزائه بنظرتهم ومناقشتهم لحقوق الزوجتين الأولى والثاني.

كان يمكن لهذا المستخدم أن يعبر عن فكرة التعليق السابق من خلال تعبير الغضب مثلا، ولكنه أراد أن يظهر أسلوبه الاستهزائي للموضوع، مما يعني أن زوايا النظر مختلفة، والمشاعر اتجاه المواضيع أيضا مختلفة، وهذا يدل على الأهمية الكبيرة لهذه الأشكال التعبيرية في تحديد المشاعر بدقة، والتي تساعد على فهم توجهات المستخدمين حول المواضيع في تعليقاتهم.

في مرتبة مواءمة ظهر هذا الشكل في تعليقات فيديو "الحجاب" بمعدل 3 تكرارات، فمثلا ظهر ذلك في تعليق (S.H):

« On est dans un pays Catholique...» -NON il doit réviser ses cours par ce qu'en 1905 il y a eu une loi - celle de la séparation de l'Eglise et de l'Etat...»

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أي: نحن في بلد كاثوليكي... لا يجب أن يراجع دوراته لأنه كان هناك قانون في عام 1905 قانون فصل الكنيسة عن الدولة.

هنا يستهزئ المستخدم من صاحب هذا القول الذي عرض في الفيديو. كما ظهر هذا الشكل في تعليقين آخرين في سياق الاستهزاء بالدولة الفرنسية في قوانينها.

• يليها في مرتبة مواءمة الشكل التعبيري "التصفيق" على التساوي في الفيديوهات الثلاثة "مكانة اللغة العربية"، "تعدد الزوجات"، "صورة العرب لدى الغرب" بمعدل 4 تكرارات لكل واحدة منهم، ومن أمثلة ما جاء من التعليقات والذي يعبر عن هذا الشعور في هذا الفيديو الأخير قول أحدهم:

« Bonjour, une fois de plus, vous dites tout haut ce que beaucoup pense. Bravo, continuez, je regarde toujours avec plaisir vos vidéos. »

أي: مرحباً، مرة أخرى تقول بصوت عال ما يفكر فيه الكثيرون. أحسنت، استمر في ذلك، أنا دائماً أشاهد مقاطع الفيديو الخاصة بك بكل سرور.

هنا عبر المستخدم عن إعجابه بأفكار صاحب الفيديو عن طريق رمز التصفيق. وقد جاءت التعليقات في باقي الفيديوهات على هذا الأساس أيضاً.

• أما الشكل التعبيري الآخر فكان "الغضب" والذي بلغ عدد تكراراته في التعليقات 10 من 7215 شكلاً تعبيرياً، وقد برز بصفة أكبر في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" بـ 4 تكرارات، أين برزت في بعض التعليقات التي تتذمر من العرب و أفعالهم مثل قول أحدهم:

« Je sais très bien que c'est des cqs et qu'il existe des personnes qui peuvent être des migrants et ne pas être des déchets dans ce genre »

هنا يصفهم بالقمامة جراء السلوكات التي تصدر عنهم، ثم اختتم حديثه تعبيراً عن غضبه بهذا الإيموجي. وهو ذات السياق الذي ظهر فيه في باقي التعليقات الخاصة بالفيديوهات الأخرى.

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

• ثم جاءت فئة "أخرى تذكر" وهي التي تجمع أشكال التعبير عن المشاعر التي ظهرت مرة واحدة أو مرتين على الأكثر في كل التعليقات عينة الدراسة: (كالبكاء، الخوف، الدهشة، وردة...) وهي عموماً تدل على التنوع في التعبير عن مشاعر المستخدمين حول المواضيع، وقد بلغ تكرارها الإجمالي 7 تكرارات فقط في عينة التعليقات. ومن أمثلة تعبير الوردة مثلاً قول أحدهم في موضوع "الديانة الإبراهيمية":

« Enfin! TOUT le MONDE va S'AIMER »

أي: أخيراً! كل العالم سيحبون!.

هنا وضع شكل الوردة الذي يعبر على الحب والجمال الذي سيكون بسبب هذا السلام. وقد كان بإمكانه وضع الضحك الذي يدل على الاستهزاء بالفكرة، أو شكل الدهشة للتعجب من الفكرة، ولكنه اختار هذا الشكل تحديداً لنقل مشاعره لأن قوله يحتمل عدة تأويلات.

✓ أما فئة "الردود" فقد حازت على 1093 تكراراً من مجموع تكرارات أشكال التفاعل، وقد توزعت توزيعاً هذا العدد بتفاوت على مختلف تعليقات الفيديوها، فكانت النسبة الأكبر خاصة بتعليقات فيديو "الحجاب" والتي بلغت 417 تكراراً، وقد كانت أكثر ظهوراً في التعليق الذي حاز على أكبر عدد من الإعجابات، حين قالت صاحبتة:

« C est bizarre il parle de liberté et elles veulent priver les femmes musulmanes de leurs liberté en portant le voile ??!?! Contradiction »،

أي: غريب يتحدث عن الحرية ويريدون حرمان المرأة المسلمة من حريتها بارتداء الحجاب؟؟
!!!!تناقض"

اطلعنا على عشرين رداً الأولى كاستطلاع لها، أين لاحظنا أن هناك نقاشاً حول موضوع هذا التعليق يعبر في مجمله عن عدم تقبل الرأي الآخر وانتقاده بشدة، إذ أن خمسة تعليقات فقط عبرت بإيجابية وانفتاح على آرائها، بأسلوب محترم، أما البقية فاعتمدت على أساليب تهجمية أكثر منها تواصلية كقول (bouton d'or):

الفصل الرابع: محرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

« @MegaYankee12 arrête de parler tu m agresse les yeux j en peux plus de tes commentaires tu ne connais rien à la religion musulmane silence merci tu nous rendras un grand service en arrêtant de commenter » ، @megayankee12 ، "

أي: توقف عن الكلام، أنت تهاجم عيني ، لا يمكنني أخذ المزيد من تعليقاتك ، فأنت لا تعرف شيئاً عن صمت الدين الإسلامي، شكراً لك ، سوف تقدم لنا خدمة رائعة من خلال التوقف عن التعليق.

ثم يأتي رد الآخر عليه وهو MegaYankee12:

« @bouton d'or la religion.... je pense en avoir fait le tour en habitant au Maghreb, et si je parles c est que je connais ! La liberté d expression n existe pas dans certains pays musulmans, ou même encore la liberté du culte. Les gens comme toi, qui parles sans savoir, égratignent ces libertés et donc tu me trouveras toujours en commentaire !! Dsl » ،

أي: الدين أعتقد أنني كنت ألتف حوله أثناء عيشي في المغرب الكبير، وإذا تحدثت فهذا ما أعرفه! لا توجد حرية التعبير في بعض الدول الإسلامية، أو حتى حرية العبادة. أشخاص مثلك يتكلمون بدون علم يחדشون هذه الحريات وبالتالي ستجدوني دائماً في التعليقات.

هنا يتناقش هذان المستخدمان حول قضية حرية التعبير والعبادة في الدين الإسلامي، ويحاول كل منهما أن يبين للآخر أنه على حق، ليصل بهم الأمر إلى الخروج عن الحوار المحترم إلى استعمال الغلظة والتهجم على أفكار الآخر.

أيضاً عندما قال ALHi:

«allez vous racheter une éducation Mr au lieu de faire des commentaires débile sur internet,je sais pas qui est en faute vos parents ou vos neurones.point final pour moi»،

أي: اذهب واشتري لنفسك تعليماً سيدي بدلاً من الإدلاء بتعليقات غبية على الإنترنت ، لا أعرف من هو المخطئ في والديك أو خلاياك العصبية."

رد عليه Himo Tep :

« tes parents auraient mieux fait de t éloigner de la religion et te faire aller à l école perso ton éducation j aimerais bien savoir d où elle vient... Je serais bien curieux de connaître ton niveau de Qi... Il doit pas passer le 80»،

أي: كان من الأفضل لوالديك إبعادك عن الدين وجعلك تذهب إلى المدرسة الشخصية لتعليمك ، أود أن أعرف من أين أنت ... سأكون فضوليًا جدًا لمعرفة مستواك.....

إن هذه الردود تعكس غيابًا كبيرًا للتسامح مع الآخر أو احترام رأيه والتحاور معه بالحسنى، مما يدل أنها أكثر حدة من التعليقات بصفة عامة، لأنها تقود إلى الأخذ والرد المطول الذي يزيد من إصرار كل منهما على فكرته والدفاع عنها بمختلف الأساليب، ليصل بهم النقاش في أغلب الحالات إلى طريق مسدود، وهو حالنا حتى على المستوى الواقعي، فكيف به في العالم الافتراضي في ظل غياب المعرفة الشخصية بينهما.

رغم الردود الكثيرة التي كانت على شاكلة هذه الردود، كان هناك ردود احترمت الرأي الآخر وناقشت بالحسنى منها قول MonkeyTC:

«Mais vous parlez de liberté républicaine à des religieux, donc vous parlez de liberté à des gens qui sont des soumis à dieu.. Notre idée de la liberté ne pourra jamais être la même (je dis religieux pour inclure tous débats entre la république et les religions)»،

أي: لكنك تتحدث عن الحرية الجمهورية للأشخاص المتدينين، لذلك تتحدث عن الحرية للأشخاص الخاضعين لله. لا يمكن أبدًا أن تكون فكرتنا عن الحرية هي نفسها، أقول دينية لتشمل جميع المناقشات بين الجمهورية والدينية.

ليرد عليه Awwab_Chahirou:

«la liberté n'existe pas. Elle possède des limites»

أي: الحرية غير موجودة، لها حدود.

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

لاحظنا هنا احترام للرأي الآخر في النقاش، والذي كان قليلا فيما أطلعنا عليه من العينة الاستطلاعية.

أما الفيديو الآخر من حيث عدد الردود فكان المتعلق بـ"صورة العرب لدى الغرب" حيث بلغت الردود في تعليقاته 313 ردا، وكان أكثرها بروزا في التعليق الخاص أساسا بصاحب هذا الفيديو (Mjid Oukacha)، وهو نفس التعليق الذي تحصل أيضا على العدد الأكبر من الإعجابات، وقد كانت الردود هنا أقل حدة وفضاضة وأكثر تفتحا على الرأي الآخر مقارنة بالفيديو السابق، ومن أمثلة ذلك وهي كثيرة قول (Axel Bob):

« @Mel NOM Il s'agit d'une auto critique pourquoi ne peut on pas dénoncer des comportements déviants mais malheureusement qui se répètent partout ou cette communauté s'implante ? » ،

أي: هذا نقد ذاتي فلماذا لا نستنكر السلوك المنحرف، ولكن للأسف يتكرر في كل مكان يقوم فيه هذا المجتمع؟

ثم الرد عليه من الطرف الآخر Mel NOM:

«Axel Bob Je suis favorable à la critique évidemment, il n'y a d'ailleurs pas l'épaisseur d'un papier à cigarette entre l'auteur de la vidéo et moi. Je pense que la question de l'intégration est un sujet tout autre.»

أي: من الواضح أنني أؤيد النقد، وإلى جانب ذلك، لا توجد سماكة ورق السجائر بيني وبين مؤلف الفيديو. أعتقد أن مسألة الاندماج هي موضوع آخر بالكامل.

كما كان هناك بعض الردود لنقد صاحب هذا الفيديو وهي التي لم تظهر في عينة التعليقات

لدينا، حين قال RABIA BELKHENCHIR:

«Ah non cette vidéo ne me plaît pas du tout pas plus que vous je ne comprends pas que vous comportez comme ça vis-à-vis des musulmans et des Arabes parce que vous-même vous étiez musulman vous parce que vous pensez que vous êtes devenu chrétien vous êtes mieux que les musulmans mais

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

regardez-vous un peu redescendez sur terre ne faites pas le malin puisque vous l'êtes ce que franchement pour moi vous n'êtes pas intéressant du tout du tout du tout et c'est pas votre chaîne que je m'abonnerai franchement» ،

أي: آه لا هذا الفيديو لا يسعدني إطلاقاً أكثر منك، لا أفهم لماذا تتصرف بهذا الشكل اتجاه المسلمين والعرب لأنك أنت نفسك كنت مسلماً، لأنك تعتقد أنك أصبحت مسيحياً فأنت أفضل من المسلمين. لكن انظر إلى نفسك قليلاً، عد إلى الأرض، لا تكن ذكياً لأنك بصراحة بالنسبة لي أنت لست مثيراً للاهتمام على الإطلاق على الإطلاق وليست قناتك التي سأشترك فيها بصراحة.

هذا الرأي يعبر عن توجه عربي إسلامي بالدرجة الأولى، يرفض بعض الأفكار التي جاء بها صاحب الفيديو والتي تبرر في الكثير من النقاط سلوك الفرنسيين وصورتهم الذهنية نحو العرب، وهو ما أكسبهم هذه الشرعية، وجعلهم ينهالون عليه مدحا وشكرا، حتى أنهم اعتبروه يمثل فرنسا أحسن منهم.

أما الفيديو الثالث من حيث عدد الردود على التعليقات فهو "مكانة اللغة العربية" والتي بلغ عددها 293، و قد تركزت أساساً وبمعدل 260 رداً في تعليق Lilli-PSG:

«Moi perso j'aime bien la langue française c'est une très belle langue mais l'arabe a un gout spécial quand on lit aux poèmes arabes ou le Coran en arabe c'est quelque chose qui ressemble à un rêve»،

أي: أنا شخصياً أحب اللغة الفرنسية، فهي لغة جميلة جداً ، لكن اللغة العربية لها طعم خاص عندما تقرأ القصائد العربية أو القرآن باللغة العربية ، فهذا يشبه الحلم.

كانت الردود هنا أقل حدة بكثير مقارنة بردود الفيديوها السابقة، وغلب عليها طابع احترام الرأي الآخر والرد بالاستشهاد، ومن أبرز ما مثل ذلك قول Elvís špírít 2022:

« @Elias Moi je veux bien mais il se trouve que ça n a pas l air d etre si sur que ca ... Chacun son avis ceci dit» ،

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

أي: لا أمانع ولكن اتضح أنه لا يبدو أن الأمر متأكد من ذلك ... كل شخص لديه آرائه الخاصة.

وجاء الرد عليه من Elias:

« @Elvís špírít 2022 Pas grave t'en fais pas»،

أي: لا يهم ، لا تقلق.

مع ذلك كانت هناك ردود ذات طابع تهجمي كقول TAMIM TAHRI:

« @Elvís špírít 2022 Tu dis toujours n'importe quoi ! Tais toi c'est mieux»

أي: أنت دائما تقول أي شيء! احرص أفضل"

باطلاعنا على بعض ردود التعليقات الأخرى نجدها دائما تحوض في نفس موضوع التعليق، وغالبا ما نجد نفس الأسماء هي التي تتناقش مع بعضها البعض، وكلما طال النقاش وصعب الإقناع زادت التعليقات حدة.

أما الفيديو الذي جاء في مرتبة موالية فهو فيديو "الديانة الإبراهيمية" الذي بلغت ردود التعليقات فيه 45 ردا، وكانت النسبة الأكبر منها والتي بلغت 15 ردا في التعليق الآتي من شخص مسيحي كما صرح لاحقا وهو Frank Poupart:

«Je ne trouves pas que cela soit une mauvaise idée, plutôt bonne même. Mais je me demande comment les particularités de chaque religions vont être traduites? Par exemple quel branche du christianisme sera présente Orthodoxe-Catholique-protestants-Evangélistes..? Je ne sais pas si des sunnites et chiites peuvent partager une mosquée? Il y a t il des rites différents dans le judaïsme? Bonne idée dans le fond mais un casse tête. Ce lieu pourrait être une découverte des différents courants de chaque religion monothéiste. Ceux qui ragent et en appellent au diable etc... vous pouvez lire saint François d'assise ou le poète soufi le "saint kabir" avec une pointe de camomille tous les soirs.» ،

أي: لا أعتقد أن هذه فكرة سيئة، بل فكرة جيدة. لكنني أتساءل كيف ستترجم خصوصيات كل دين؟ على سبيل المثال أي فرع من المسيحية سيكون أرثوذكسياً - كاثوليكياً - بروتستانتياً - إنجيلياً...؟ لا أدري إن كان بإمكان السنة والشيعية الاشتراك في مسجد؟ هل توجد طقوس مختلفة في اليهودية؟ فكرة جيدة في النهاية لكن صداع. يمكن أن يكون هذا المكان اكتشافاً للتيارات المختلفة لكل دين توحيد. أولئك الذين يغضبون ويدعون الشيطان إلخ... يمكنك قراءة القديس فرنسيس الأسيزي أو الشاعر الصوفي "القديس كبير" مع لمسة من البانونج كل مساء.

دارت الحوارات هنا حول هذه الفكرة المثيرة للنقاش بين مسيحيين يدافعون عن المسيح ويعتبرون هذا الدين خدعه مدبرة ضدهم، وعليه كانت التعليقات متوازنة ومبنية على النقاش والأدلة حول صدق دينهم، مثل قول أحدهم

« @Frank Poupart Si tu es chrétienne tu devrais savoir que l'union religieuse est clairement un signe de la fin des temps »،

أي: إذا كنت مسيحياً فعليك أن تعلم أن الاتحاد الديني هو بوضوح علامة على نهاية الزمان. وقد جسد هذا التعليق حسن التواصل مع الآخر، وشرح فكرته حول نزول المسيح لتوحيد الأديان في النهاية، بمعنى أن هذا الفعل لن يكون على مستوى البشر والديانات أنفسهم.

أما فيديو "تعدد الزوجات" فقد كان أقلهم من حيث الردود والتي بلغت 25 رداً، وقد كان أغلبها في أحد التعليقات التي بلغ فيها 5 ردود فقط، وهو التعليق الذي جاء فيه قول Danouni :Lydia

«Je suis entièrement d'accord avec toi , j'ai quitté la France pour m'installer en Tunisie où je me sens très bien, les gens sont chaleureux, surtout pas égoïstes , très généreux même les plus pauvres, et je vis ma foi tranquillement, je m'abonne à ta chaîne avec grand plaisir, à bientôt !» ،

الفصل الرابع: عرض وتحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية والتحليلية

"أتفق معك تمامًا ، لقد غادرت فرنسا لأستقر في تونس حيث أشعر أنني بحالة جيدة جدًا ، فالناس دافئون ، خاصة غير أنانيين ، كريمون جدًا حتى الأفقر ، وأعيش إيماني بهدوء ، أشارك في قناتك بسرور كبير ، اراك قريباً!".

جاءت هنا الردود عموماً تمدح هذا القرار فمثلاً قول Georges BARNAY:

«Très sage décision, j invite tes frères et sœurs qui ont du mal à vivre leur foi en France et en Europe à faire exactement comme toi» ،

أي : قرار حكيم للغاية ، أَدعو إخوانك وأخواتك الذين يجدون صعوبة في عيش إيمانهم في فرنسا وأوروبا أن يفعلوا مثلك تمامًا.

خلاصة القول أنه كلما كان عدد الردود كثيراً كلما اختلفت الآراء وتناطحت، ووصل بها النقاش إلى طريق مغلق والعكس، حيث تقل هذه الحدة بقلة عددها، كما أن للفكرة أيضاً دور في ذلك، فكلما كانت الفكرة بسيطة في الطرح كان هناك اعتدال في النقاش، وكلما كانت مثيرة للجدل افرزت الكثير من الأنماط التواصلية غير المقبولة اجتماعياً وأخلاقياً.

إرضاء النتائج العامة للدراسة

1. عرض نتائج الدراسة على ضوء الأسئلة الفرعية

2. الاستنتاج العام للدراسة على ضوء المقاربة النظرية

رابعاً: عرض نتائج الدراسة والاستنتاج العام:

1- عرض نتائج الدراسة على ضوء الأسئلة الفرعية:

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي تتعلق بالأدوات البحثية المستعملة في الدراسة، والتي تجيب على أسئلتها الفرعية، ورغم انقسامها على هذا الأساس إلا أن هناك تكاملاً في بنائها حيث تدعم بعضها البعض لتعطينا صورة متكاملة شاملة - إلى حد ما - عن العلاقة الاتصالية بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية عبر الشبكات الاجتماعية، انطلاقاً من العينات البحثية المختارة.

ويمكن أن نعرض هذه النتائج من خلال التقسيمات الآتية:

1-1- نتائج تتعلق بالسياق الثقافي الذي يوجه الاتصال بين عينة الاستبيان والآخر الغربي عبر شبكات

التواصل الاجتماعي: تم عرض النتائج هنا انطلاقاً من التقسيمات التي تتعلق بالأبعاد والمؤشرات التي اعتمدنا عليها في بناء أداة الاستبيان بهدف الإجابة على السؤال الفرعي الأول، فكانت النتائج المتحصل عليها كالآتي:

1-1-1- أنماط استخدام عينة الاستبيان للشبكات الاجتماعية في التواصل مع الآخر الغربي: وقد

توصلنا إلى النتائج الآتية:

✓ بينت النتائج المتحصل عليها في هذا المحور أن موقع الفاييس بوك هو الموقع الأكثر استخداماً في التواصل مع الآخر الغربي بالنسبة لعينة الاستبيان، وهو نتيجة تتوافق مع اتساع استخدام هذا الموقع في الوطن العربي بصفة عامة، وخاصة الميزات التي يتوفر عليها تطبيقه "المسنجر"، يليه استخدام كل من الأنستغرام واليوتيوب الواتساب بنسب متقاربة تعكس تنوع الميولات والدوافع في استخدام تطبيق دون آخر، نظراً للميزات التي يقدمها كل واحد منها، دون أن نتجاهل دور الآخر الغربي أيضاً في المساهمة في اختيار التقنية التي تحقق فاعلية التواصل بينهما.

✓ أغلب عينة الدراسة تتواصل مع أقل من خمسة أشخاص من الثقافة الغربية، وهو عدد مقبول، أين يميل المستخدم بطبعه إلى التواصل عادة مع من يقاسمه نفس الثقافة. ولأن الثقافة الفرنسية كثيراً ما حدث التلاقي بينها وبين الثقافة العربية الإسلامية خاصة في المغرب العربي الذي يمثل أكثر مفردات العينة، بفعل عوامل تاريخية وجيو سياسية والذي من أبرز مخلفاته الثقافية اعتماد اللغة الفرنسية لغة ثانية، كان أصحابها هم أكثر من مثلوا الآخر الغربي الذي تتواصل معه عينة الاستبيان، حيث كان أساسهم الأول في اختياره هو

المهنة المشتركة بينهما والقائمة بدورها على المستوى التعليمي، مما يسمح بتحقيق أهداف كثيرة أبرزها اكتساب معارف وخبرات جديدة من شأنها رفع كفاءتهم المهنية، دون أن يمنعهم ذلك من رسم أهداف تتعلق أولاً بالتعرف على ثقافته، يليه الرغبة في التعريف بثقافتها لهذا الآخر، في ظل تعتم الرؤية اتجاهها، وضباية الصورة نحوها.

✓ صرح أغلب المبحوثين في الدراسة بأن مدة علاقتهم مع هذا الآخر تتراوح من سنة إلى خمس سنوات، وهو ما يدل على حداثة العلاقة هنا مقارنة بإجابات البقية، حيث لا يتواصلون معهم بصفة مستمرة، وإنما "أحياناً"، وذلك بدرجة أكبر في الفترة المسائية باعتبارها الأنسب في الاتصال لكلا الطرفين، أين يتصل كل واحد من مهامه اليومية. ثم إن أكثرهم يقضون أقل من ساعة في هذا التواصل، مما يعكس سطحية العلاقة وارتباطها بتحقيق أهداف محددة، دون ترك هذا الاتصال مفتوحاً لساعات، والذي تستغل فيه عدة وسائل تقنية لنقل المعلومات بأسرع وقت وأبسط شكل، وقد كان النص المكتوب هو الأكثر استعمالاً عند الأغلبية تحقيقاً للنقل المباشر والبسيط للمعلومات، ثم الكلام المنطوق الذي يوفر جهداً ووقتاً أكبر في ذلك، بل إنه يمكن أن يسمح بتجاوز الأخطاء الإملائية كتابية. ومع ذلك فهناك إقرار من العينة بالجمع بين أكثر من أسلوب، مما يوجد تقنيات تواصلية أخرى تتوفر على امتيازات أكثر في التبسيط والتعبير وتلخيص الأفكار كالفيديوهات والصور والروابط، لتوظف جميعاً في خدمة أهداف الاتصال بين العينة والآخر الغربي.

1-1-2- تجليات السياق الثقافي الديني الذي يوجّه العلاقة الاتصالية بين المبحوثين والآخر الغربي

عبر الشبكات الاجتماعية: وقد توصلنا من خلال هذا المحور إلى النتائج الآتية:

✓ تشير النتائج فيما يتعلق بديانة الآخر الغربي الذي تتواصل معه العينة بصفة أكبر بأنه مسيحي الديانة، مما يعكس التقبل لهذه الديانة انطلاقاً من سياق ديني إسلامي يقرّر أنها أكثر الديانات بدورها تسامحاً مع المسلمين فيما مضى وقبل أن يطلها التحريف وتتدخل العلمانية في فصلها عن الدولة، في مقابل الديانة اليهودية التي نالت النسبة الأضعف، أين يتدخل هنا مع السياق الديني الذي يصرح بعبادة اليهود للمسلمين، السياق التاريخي والجيو سياسي والذي لا زالت لم تنتهي تأثيراته بعد. كما كان هناك فئة معتبرة من هذا الآخر لا ديانة لها، بل إن منهم من هم مجهولو الديانة لدى العينة.

✓ بالنسبة لاتجاهات عينة الدراسة نحو مدى توافقها مع الآخر الغربي حول بعض القضايا الدينية، كانت

النتائج كما يلي:

● صرّح هنا أغلب المبحوثين باتفاقهم مع الآخر الغربي حول حرية ممارسة الشعائر الدينية بصفة عامة، بمستوى استجابة مرتفع، ورفضهم للإساءة لرموز الدين بمستوى استجابة مرتفع، ثم بتقبلهم للباس الذي يعبر عن الانتماء الديني سواء من طرفها أو من طرف الآخر الغربي، ولكن هنا بمستوى استجابة متوسط، وفي هذه المواضيع يحضر السياق الديني في تحديد اتجاهات العينة انطلاقاً من نصوص قرآنية وأحداث تاريخية تثبت تلك السماحة في التعامل مع الديانات الأخرى، في مقابل عدم تأثير هذا السياق على الآخر الغربي، وإنما برز تأثير -حسب رأينا- الاعتقاد بالحريات الشخصية واحترام الآخر، كمبادئ يسير عليها، تحقيقاً للتقارب مع العينة، لأن اعتماده على السياق الديني في بعده التاريخي أو السياسي أو الإعلامي والتأثر به يعني أنه لن يتقبل هاته المواضيع.

● كشف أغلب المبحوثين عن اختلافهم مع الآخر الغربي حول قضية تعدد الزوجات، وهو ما ظهر من خلال مستوى الاستجابة المنخفض، ثم اختلافهم النسبي معهم حول موضوع المساواة بين الرجل والمرأة، وبمستوى استجابة متوسط، أين يعكس هذا الاتجاه توجيهه وضبطه بالسياق الديني الإسلامي بمختلف نصوصه التشريعية وفي أبعاده التاريخية والاجتماعية، في حين يعكس الرأي المخالف للآخر تجاهله للسياق الديني المسيحي الذي أقر أيضاً بالتعدد، واعتماده على السياق الاجتماعي في الحكم على موضوع المساواة.

● بينت النتائج أن أغلب المبحوثين لم يتناقشوا في موضوعي بناء دور العبادة في بلاد الغير، وحق المثلية، وذلك بمستوى استجابة متوسط لكليهما، ربما لعدم وضوح الرؤية بشكل متكامل بالنسبة للموضوع الأول، وحسم القضية عند العينة بالنسبة للموضوع الثاني.

✓ بالنسبة للاستجابات التي يحققها التواصل بين العينة والآخر الغربي في سياق مناقشة مختلف المواضيع

الدينية من وجهة نظر المبحوثين: تمثلت نتائجها في ما يلي:

● أغلب عينة الاستبيان لا تبحث في النقاط المشتركة بين ديانتها وديانة الآخر الغربي، غير أن الأمر يختلف نسبياً عند هذا الأخير -حسب رأي العينة- الذي قسم إلى فئتين متقاربتين بين من لا يبحثون وبين من يبحثون في النقاط المشتركة بينهما، مما يعني أن الرغبة في التقارب الديني هنا تجسدت عند الآخر أكثر

من العينة. أما في التركيز على نقاط الاختلاف فكلا الطرفين لم يركزا عليها، وهو مؤشر إيجابي في السعي لتذليل صعوبات التواصل الناتجة عن الاختلاف بين الديانتين أو الثقافتين بصفة عامة.

● صرحت أغلب عينة الدراسة بأنها لا ترغب في التعرف على ديانة الآخر الغربي، وكذا هو الأمر كما تراه بالنسبة للآخر، إلا أن عددا معتبرا من هذا الأخير يرغب في التعرف على الإسلام، ليمثل بذلك الفئة الواعية بضرورة التعرف على الطرف الثاني في ديانتها أو ثقافتها أو تاريخها، وبغض النظر عن نوايا هذه الرغبة فإنها تسمح بتحقيق اتصال مبني على المعرفة لا الجهل، مما سيساعد كثيرا في تعديل صور ذهنية وتغيير أخرى في سبيل الحفاظ على العلاقات وفعاليتها للطرفين.

● كلا الطرفين وكما ترى العينة لا يسعيان لدعوة الطرف الآخر منهما لاعتناق ديانتها، وهو ما ينبئ بأن أهداف العلاقة علمية بحثية أكثر منهما تواصلية ثقافية، هذا من جهة، من جهة أخرى ينبئنا بعدم توجيه السياق الديني الإسلامي للعينة هنا في الدعوة إلى الإسلام وعظم هذه المهمة، في مقابل ربما سياقات أخرى من ذلك اجتماعية أو نفسية أو حتى شخصية.

● اتفق الطرفان من وجهة نظر العينة على عدم إثارة الشبهات حول ديانة الطرف الثاني، وفي هذا تجسيد لرغبة كليهما في احترام الآخر والحفاظ على العلاقة معه، لأن ذلك سيفتح باب اللا تسامح، ويؤجج نار العداوة بينهما، وإذا كان هذا الأمر واضحا بالنسبة للعينة، فإنه سهل الانتهاك بالنسبة للآخر انطلاقا من سياقات تاريخية وعلمية، إلا أنه كان أكثر وعي وحكمة واحتراما لآداب التواصل.

● تنفي الغالبية القصوى من عينة الاستبيان عن نفسها استصغار أهمية الدين في حياتها، وتثبتها بنسبة كبيرة للآخر الغربي، وهنا يظهر السياق الديني بقوة في توجيه حكم العينة هنا انطلاقا من أبعاد اجتماعية وتاريخية وسياسية كلها تثبت شمولية الإسلام لجميع نواحي الحياة. في حين غاب السياق الديني لينوب عنه السياسي العلماني في توجيه حكم الآخر هنا، حيث يعيش انفصالا تاما للدين عن الحياة، مما أدى به إلى استصغاره، بل وحتى التخلي عنه في كثير من الحالات.

✓ بالنسبة للاستجابات التي يحققها الانتماء الديني الإسلامي لعينة الاستبيان في سياق علاقتها بالآخر الغربي: وتتمثل نتائجه فيما يلي:

● حازت استجابة الحوار مع الآخر بالحسنى على مستوى استجابة مرتفع من طرف عينة الدراسة في سياق علاقتها بالآخر الغربي، مما يعكس ضبطه من خلال السياق الديني الذي بين ذلك ودعا له، وأعطى النماذج المختلفة لتمثل هذا السلوك.

● تفضل عينة الدراسة التواصل مع الغربي المسلم، أين كان مستوى الاستجابة مرتفعا، وهو ما يعني أن الدين هو الفيصل في العلاقات، وإذا ما اجتمع الطرفان على دين واحد، فيمكن أن تتلاشى في نظرهما كل الفروق الأخرى، التي تصبح ثانوية محدودة التأثير على سير العلاقة بين الثقافتين.

● أدى التواصل مع الآخر الغربي إلى حرص العينة على مراجعة معلوماتها الدينية الإسلامية، حيث كان مستوى الاستجابة مرتفع جدا، وفي هذا تحفيز في حدود السياق الإسلامي للتعرف الجيد على الذات الثقافية، والذي من شأنه تذليل صعوبات التواصل المبني على الوعي الذاتي.

● أجابت عينة الدراسة بدرجة استجابة متوسطة نحو دفع الإسلام لها للتعرف على ديانة الآخر الغربي، والذين يميلون في أغلبهم للموافق، مما يعني أيضا الوعي بالسياق الديني الإسلامي كفيل بأن يدفعه إلى التعرف على دين الآخر، ليس من أجل التعرف، وإنما لأجل خدمة أهداف أخرى تساعد في الحفاظ على دينها والدفاع عنه بل وحتى التعريف به.

3.1.1- تجليات السياق الثقافي القيمي الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر

العربي عبر الشبكات الاجتماعية: وقد أسفر لنا هذا المحور عن النتائج الآتية:

✓ بالنسبة لمدى تمثل بعض القيم الإنسانية في العلاقة الاتصالية بين عينة الدراسة والآخر الغربي: وتتمثل نتائجه فيما يلي:

● تقر جميع مفردات العينة بانفتاحها على الآخر الغربي، وهو ذات الأمر بالنسبة للغالبية القصوى من هذا الآخر الذي تتواصل معه، مما يعني أن هناك وعي بأهمية هذه القيمة في الحفاظ على ديمومة العلاقة بينهما، ومثلها في ذلك مثل كل من قيمتي "احترام الرأي الآخر" و"التسامح" اللتين جسدهما كل منهما في

تواصله مع الطرف الثاني حسب ما تراه العينة، وهو ما يعكس اتفاقهما على سياق قيمي موحد ومشارك يضبط العلاقة بينهما.

• صرحت أكثر من نصف العينة بأنها لا تقدم المصلحة المشتركة على المصلحة الشخصية، وهو ذات الأمر بالنسبة للآخر من وجهة نظرها، إلا أنه كاد أن يشمل الجميع في التخلي عن هذه الصفة، وهو الذي عرف أيضا بقيم الفردانية، مما يعني التوافق في قيمه، ثم إن غياب هذه القيمة عن كلا الطرفين لن يسمح بتطور هذه العلاقة وتبادل المنافع بينهما، إذ تنتهي المنفعة هنا بتحققها عند أحدهما، مما يصبح مصدر تهديد لهذه العلاقة التي غيّبت السياق القيمي هنا.

• ذكرت عينة الدراسة أنها تتحلى بقيمة الحرية دون المساس بالآخر في تواصلها مع هذا الآخر الذي يتحلى أيضا بنفس القيمة - حسب ما ترى-، وهنا يظهر الوعي بحدود العلاقة بينهما، والوعي بضرورة ترشيد الحرية للحفاظ على العلاقات، في حدود سياق قيمي ضبط ذلك بدقة.

• تصرح عينة الدراسة بتحليها بقيمة التناسح مع الآخر في تواصلها معه عبر الشبكات الاجتماعية، في حين لا يتحلى هذا الأخير في أغلبه بهذه القيمة، فالعينة هنا يوجهها سياق قيمي إسلامي دعا لذلك وحث عليه، أما الآخر فشعار الحرية الشخصية الذي يتغنى به يمنعه من التحلي بهذه القيمة.

• يتفق إلى حد كبير الآخر الغربي مع عينة الدراسة - حسب ما تراه في تحليهم بالموضوعية في عرض الآراء، هذه القيمة المشتركة التي من شأنها تجاوز الكثير من الأحكام والانطباعات والصور التي تغذيها الذاتية بفعل عوامل أخرى أيضا.

• يتحلى الآخر الغربي كما صرحت العينة بقيمة احترام الوقت أكثر منها نوعا ما، وهي من القيم التي اشتهر بها هذا الآخر، وعرف بحرصه على الالتزام بها، بل يمكن أن يكون الدافع وراء تحلي العينة بها، إذ أن التواصل من شأنه أن يدفع إلى التعلم، ويمكن أن يكون السياق القيمي التواصلية هنا محفزاً لذلك

• ساهم السياق القيمي هنا وفي بعده التاريخي في تحلي العينة بقيمة الأصالة والتمسك بالتراث أكثر من الآخر، الذي ربما لا يولي لها الأهمية الكافية لأنه يؤمن أكثر بالمعاصرة والحداثة، أما العينة فتدرك قيمتها كجزء أساسي من ثقافتها وهويتها، والتي تظهر مكانتها أكثر بالنسبة للذين يعيشون في الدول الغربية.

✓ بالنسبة لمدى تغيّر قيم عينة الدراسة نتيجة تواصلها مع الآخر الغربي أجابت النسبة الأكبر بـ "أبدا"، نفيًا منها لهذا التغيّر الذي قد يحدث شرحًا على مستوى الهوية الثقافية، يليها من أجابوا بـ "نوعًا ما" ليظهر هنا سياق ثقافي خاص بالآخر الغربي يعمل على توجيه وضبط عملية التغيير، فإن كان تغييرًا إيجابيًا سيعمل على تنمية الثقافة وقيمها، وإن كان سلبيًا فسوف ينحو بها إلى الذوبان والتفسخ.

✓ بالنسبة للاستجابات التي يحققها السياق القيمي لدى عينة الدراسة في تواصلها مع الآخر الغربي: توصلنا إلى النتائج الآتية:

- بمستوى استجابة مرتفع صرحت عينة الدراسة بحرصها على إبراز قيمها في التواصل مع الآخر الغربي، وذلك باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من هويتها وذاتيتها، ومن شأنها إذا ما أحسن توظيفها أن تساهم في تغيير تلك الصورة الذهنية السيئة عن الذات العربية الإسلامية.

- أكدت عينة الدراسة على عدم محاولة إقناع الآخر الغربي بقيمها الإسلامية، وهو ما عبر عنه مستوى الاستجابة المنخفض، والذي يميل إلى معارضة هذه العبارة، إذ أنه أولاً ليس الإقناع هو هدف هذه العلاقة المبنية على تبادل المعارف والخبرات، وثانياً ليس أحسن في الإقناع من أسلوب القدوة الذي ينوب عن آلاف الحجج.

- ترفض عينة الدراسة التخلي عن قيمها أو تغييرها حسب طبيعة الموقف، وهو اتجاه عبّر عن مستوى استجابة منخفض للعينة، ويتوافق مع ما ذكرناه سابقاً من أن التخلي عنها هو تخلي عن جزء من الهوية العربية الإسلامية، باعتبار القراءان والحديث هما المصدران الأولان لها.

- كان مستوى الاستجابة متوسطاً حول عبارة "رفض قيم الآخر كلياً"، مع ميل نسبي في إجابات العبارة نحو درجة الموافقة، وهو اتجاه يعكس عدم الانفتاح على الآخر أو التسامح معه، كما أنه رفض يعكس قلة وعي العينة بإمكانية الاستفادة من الثقافات الآخر في قيمها أو في غيرها من العناصر التي لا تضر بتبادلها، وإنما تنمو وتتطور أكثر.

- تصرّح عينة الاستبيان بمستوى استجابة مرتفع على تعرفها على قيمها أكثر من خلال علاقتها الاتصالية مع الآخر الغربي، وهي نتيجة حتمية إذ أن السياق القيمي في التواصل عموماً يساعد على استكشاف الذات أكثر من خلال مختلف المواقف التي يمر بها الفرد، والتي تجعله يظهر قيماً من خلال أفعاله وأقواله الصادرة منه، لم ينتبه لها قبل هذا.

• تعتقد عينة الدراسة بأفضلية قيمها مقارنة بقيم الآخر الغربي بمستوى استجابة مرتفع، وهي نتيجة لسياق قيمي يعطي مكانة خاصة لقيم المبحوثين كون منبعها الأصلي هو الدين الإسلامي، إلا أن تمثل هذا الاعتقاد أثناء التواصل مع الآخر الغربي سوف يجلب شفافية الرؤية لقيم هذا الآخر، التي تحتوي أيضا على الكثير من الإيجابيات الجديرة بالاستفادة منها.

4.1.1- تجليات السياق الثقافي اللغوي الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر

العربي عبر الشبكات الاجتماعية: ويمكن عرض نتائج هذا البعد من خلال المؤشرات الآتية:

✓ تتواصل عينة الدراسة مع الآخر الغربي باللغة الفرنسية بدرجة أولى لعدة اعتبارات تاريخية، وهو ما يتوافق أيضا مع البيانات السوسيوديمغرافية من حيث الانتماء الجغرافي للعينة واللغة الأكثر اتقانا لها، والتي كانت الفرنسية في أغلبها، ثم يتواصلون بدرجة ثانية باللغة الإنجليزية كلغة عالمية تتماشى مع جميع الثقافات، كما كان هناك حضور بارز في استعمال لغة الرموز (الإيموجي) ولغة المختصرات، مما يعني أن هناك سياقًا تواصليا لغويا ذو اتجاه غربي بصفة خاصة وكوئي بصفة عامة، مما جعله يلغي تمثل اللغة العربية الفصحى التي كادت أن تنعدم في التواصل مع الآخر.

✓ ما يقارب نصف عينة الدراسة لا تستعين أبدا بالترجمة أثناء التواصل مع الآخر الغربي، مما يعني أن هناك معرفة جيدة بلغة الآخر بالنسبة للمبحوثين، تعكس إمكانية السياق اللغوي هنا في ضبط العلاقة بين الثقافتين في حدود الإمكانيات المعرفية اللغوية للعينة من جهة، والإمكانيات التقنية للشبكات من جهة أخرى.

✓ أكثر من نصف عينة الاستبيان تصرّح بأن الآخر الغربي الذي تتواصل معه لا يفهم لغتها العربية، مما يعكس ضعف السياق اللغوي العربي في توجيه العلاقة الاتصالية بين الطرفين، وهو ضعف له آثاره العامة على المجالين العلمي والتواصلية، ليكون أحد لبنات بناء الصورة الذهنية عند الآخر الغربي عن المجتمع العربي الإسلامي بصفة عامة.

✓ بالنسبة لاتجاه الآخر الغربي نحو اللغة العربية من منظور عينة الدراسة: تمثلت نتائجه في النقاط الآتية:

● صرحت عينة الدراسة وبمستوى استجابة مرتفع جدا أن الآخر الغربي الذي تتواصل معه بيدي الاحترام للغتها العربية، وهو ما يعني رغبته في الحفاظ على علاقة يسودها أساسا الاحترام المتبادل، بغض النظر عن موقفه منها، ليجسد بذلك الاعتراف بحق الاختلاف بين اللغات.

● أجابت عينة الدراسة بمستوى استجابة مرتفع على رغبة الآخر الغربي في تعلم اللغة العربية، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على انفتاح على الآخر وسعيه لتبادل المنافع مع عينة الدراسة، وهو الذي يسعى دائما إلى البحث والعلم في كل المجالات، ولا بد أن اللغة من أهم المجالات الثقافية التي يجب التعرف عليه عند عقد نية التواصل مع أصحابها. كما أنه لم تأخذه العزة بلغته الأجنبية أن يرغب في التعرف على لغة جديدة.

● بمستوى استجابة مرتفع أيضا ترى عينة الدراسة بأن الآخر الغربي يعمل على البحث في نقاط التشابه بين لغته واللغة العربية، وهو طريق أيضا للتعلم وللانفتاح على المبحوثين هنا، بل إن هذا البحث قد يساهم في إثراء لغته في جزئية منها، أو استكشاف فائدة كانت غائبة عنه.

● أكدت عينة الدراسة وبمستوى استجابة متوسط على عبارة "يرى بأن اللغة العربية لا ترقى لأن تكون لغة اتصالية عصرية"، حيث أجاب أغلبهم بالحياد ثم بدرجة الموافقة، وهو رأي يتماشى مع الاتجاه العام حول ضعف اللغة العربية في هذا الجانب، ليتجسد هنا السياق القيمي اللغوي الأجنبي الذي يحكم على اللغة العربية من منطلق تطوره العلمي والتواصل.

● تحصلت عبارة "يرى بأنها صعبة" على مستوى استجابة ضعيف من عينة الدراسة اتجاه رأي الآخر الغربي الذي تتواصل معه في لغتها العربية، مما يعكس معارضتهم لذلك، فمعرفهم التي اخترقت كل المجالات، لا يمكن أن تعجزهم عن تعلم لغة مهما كان مستوى تركيبها.

● ترى عينة الدراسة وبمستوى استجابة متوسط بأن الآخر الغربي الذي تتواصل معه يركز على نقاط الاختلاف بينها وبين لغته، مما يعني إما وجود رغبة في التعرف على هذه اللغة عن طريق المقارنة، وهو الذي يبحث سابقا في نقاط التشابه، أو أنه اتجاه ثان لتبيان تمايز لغته عن هذه اللغة.

✓ الاستجابات التي تحققها اللغة العربية للمستخدم عينة الاستبيان أثناء تواصله مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية: وتتمثل نتائجها فيما يلي:

● صرحت عينة الدراسة بمستوى استجابة مرتفع على أن لغتهم الغربية تعيق فهمهم للغة الآخر الغربي، وذلك بسبب الاختلاف التركيبي الكبير بينها وبين اللغات الأجنبية، مما يعني أن التفكير بها ثم ترجمتها فكريا

لن يسمح بالوصول إلى المعنى المطلوب للرسالة، وهو ما يعكس هنا سياقاً لغوياً عربياً يعرقل عملية فهم الرسالة أثناء التواصل.

● تحصلت عبارة "تجعل الآخر الغربي يعرض عن التواصل معك" على مستوى استجابة مرتفع من طرف عينة الدراسة، وهو ما يمكن أن يكون نتيجة الصور الذهنية السيئة التي يحملها هذا الآخر عن العربي بصفة عامة، وعن لغته بصفة خاصة، كما أنه يمكن أن نرجع السبب إلى أن التوافق اللغوي بين الطرفين محفز للتواصل أكثر من العكس.

● أكدت عينة الدراسة بمستوى استجابة مرتفع أنها تفتخر بلغتها العربية رغم أنها لا تتواصل بها مع الآخر الغربي، وهو افتخار نابع عن تقدير الفرد لذاته الثقافية، وخاصة بالنسبة للذين يعيشون بالخارج، أين يشعرون بهذا الإحساس كثيراً، والذي يمكن أن ينبع أيضاً من سياق لغوي تاريخي يضبط توجهه نحو لغته، التي كانت في يوم من الأيام رمزا للحضارة والتقدم والعلوم.

● حازت عبارة "تريد أن تعلم الآخر لغتك العربية" على مستوى استجابة منخفض لدى عينة الدراسة، مما يعكس معارضتها لذلك، خاصة مع تعدد التقنيات والبرامج التي تتيح وتسهل التعلم، في مقابل -ربما- عدم توفر الرغبة لدى هذا الآخر في تعلمها، وعدم توفر الوقت المتاح والمهارات اللازمة لدى العينة للقيام بذلك.

● تفضل عينة الدراسة بمستوى استجابة مرتفع استخدام اللغة الأجنبية في التواصل مع الآخر الغربي، حتى لو كان هذا الآخر يفهم اللغة العربية، وهو ما يعكس طغيان السياق اللغوي الأجنبي على السياق العربي، في تأثيره هنا على اتجاه الباحثين الذي كان سلبي نحو لغتهم، وهو النابع أصلاً من سياق اجتماعي تاريخي فرض هذا الواقع.

● ترى عينة الدراسة أن اللغة العربية غير صالحة للتواصل مع الآخر، حيث كان مستوى الاستجابة مرتفع جداً، وهو أيضاً حكم موضوعي ناتج عن سياق واقعي لغوي ينقل ضعف اللغة العربية، على مستويات العلم ثم التواصل، وذلك بعد أن كانت الريادة لها في وقت من الأوقات.

1-2-2- نتائج تتعلق بالصور الذهنية التي يمتلكها مستخدمي الشبكات الاجتماعية عن ذاتهم العربية الإسلامية والآخر الغربي في حدود الاتصال بينهما

توصلنا من خلال المقابلة التي تسعى إلى الإجابة على السؤال الفرعي إلى مجموعة من النتائج، نعرضها في أربعة نقاط أساسية تمثل أبعادا للصورة الذهنية والتي كانت كالتالي:

1-2-1- الصورة الذهنية للذات الثقافية لدى عينة المقابلة من خلال اتصالها مع الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية: ويمكن ذكر نتائجها فيما يلي :

✓ تباينت آراء المشاركين في التعريف بذواتها، حيث تمحورت أساسا حول "العروبة والإسلام"، لكون هذين العنصرين من أهم مقومات الثقافة العربية الإسلامية، مما يعكس صورتهم الإيجابية عن ذاتهم الثقافية الحقيقية، والتي يمكن أن تعبر ضمنا عن ذاتهم المثالية التي يرغبون تمثّلها في أحسن صورة. كما كانت أيضا كل تصوراتهم نحو عناصر ثقافتهم العربية الإسلامية كانت إيجابية، تعكس عزهم وافتخارهم بها، وتشيد بأثرها في حياتهم، خاصة بالنسبة للذين يعيشون خارج وطنهم.

✓ تقرّ عينة المقابلة بأنها لا تملك المعرفة الكافية عن مختلف عناصر ثقافتها وتحتاج لتوسيعها أكثر، خاصة فيما يخص الدين الإسلامي، وبالنسبة أساسا للذين يعيشون خارج وطنهم، أين تعترضهم الكثير من المشاكل التي تحتاج للتخلي بالعلم والمعرفة في هذا المجال بمختلف مواضيعه، خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي الذي يطاله الكثير من التشويه.

✓ تؤكد عينة المقابلة أن ثقافتها العربية الإسلامية قادرة على تحقيق تواصل فعال من خلال مقومين أساسيين وهما الإسلامي أولا ثم التاريخ الإسلامي والحضاري، لما يملكانه من أحكام نظرية وتطبيقية ترشدتهم إلى الأساليب المثلى في التعامل مع هذا الآخر، ومن جهة أخرى تنقل للطرف الآخر الصورة الحقيقية لهضمتها وحضارتها التي استفادت منها أوروبا تدرجة كبيرة، وهنا يستدعي الأمر إلى إعادة قراءة هذا التاريخ جيدا من طرف العربي للتبصر أكثر والوعي بالذات، ومن طرف الآخر من باب الوعي بالطرف الثاني والذي يكسبها معرفة أوضح يمكن أن تساهم في تعديل الكثير من الصور الذهنية.

✓ يتواصل أغلب المشاركين عبر شبكات التواصل الاجتماعي مع الفرنسيين بدرجة أكبر من غيرهم، وقد كان ذلك انطلاقا من أسس متعددة ذكرها المشاركون نجملها فيما يلي: مستواهم اللغوي في الفرنسية، خبراتهم في تخصص الأدب، الهجرة والمكان الجغرافي المشترك، العلاقات الواقعية المهنية، وأخيرا العلاقات بين

الجامعات الجزائرية والفرنسية. ثم يليهم الأمريكيين في اختيار الأصدقاء والذي كان على أساس عالمية لغتهم وثقافتهم المنفتحة على الآخرين.

✓ ساعد الاتصال مع الآخر الغربي المشاركين في التعرف أكثر على ثقافتهم العربية الإسلامية، وذلك من خلال تمثلها أثناء العلاقة الاتصالية بينهما، وقد كانت هذه المعرفة تختص بالإسلام بدرجة أولى، أين أسفر ذلك التواصل على بروز قيم لم ينتبهوا لها من قبل، رغم أن القراءان أجاد وأفاد فيها، إضافة إلى التعرف على حقائق تاريخية في بعدها الإسلامي والحضاري لم يكن ليعرفوها لولا تلك المواقف الخاصة التي أثارت مثل هذه المواضيع ودفعت المشاركين للبحث فيها. وقد كان من بين الأساليب التي أغنت هذه المعرفة هو أسلوب المقارن بين الذات والآخر، ليتمكن بذلك من الوعي بذاته أولا، ثم الوعي بالآخر الغربي.

✓ سعى المشاركون في المقابلة لتعريف الآخر الغربي ببعض عناصر ثقافتهم العربية الإسلامية بداية بالدين لكونه الركيزة الأهم في هذه الثقافة، والرمز الأبرز في مرجعيتهم الثقافية، وذلك في سبيل إعطاء الصورة الحقيقية عن هذا الإسلام، مستخدمين في ذلك مختلف الأساليب المباشرة والضمنية، ومنها: الشواهد التاريخية، الحقائق العلمية النابعة منهم، الإحصاءات والأحداث الواقعية، وأخيرا القدوة باعتبارها الأسلوب الأبلغ في ذلك. كما لم يهملوا التعريف أيضا بعناصر ثقافتهم الأخرى كالعادات والتقاليد الجزائرية، والتاريخ الإسلامي والوطني، ثم الأدب كبعد أنثروبولوجي هام في الثقافة.

✓ تتعدد العوائق التي تحول دون تحقيق الثقافة العربية الإسلامية لتواصل فعال مع الآخر والغربي، والتي نحددها من خلال إجابات العينة بداية في ضعف الوعي بالذات الذي قد يصل إلى الشعور بالنقص، ثم تراجع التحلي بقيم الاتصال لدى المستخدمين، وعدم تفعيلها لا واقعيًا ولا افتراضيًا، خاصة منها قيم التسامح والتعايش، أو قيم الأصالة والمعاصرة. أيضا كان من العوائق تزعزع مكانة اللغة العربية في الفضاء الافتراضي بعد أن كانت لها الريادة سابقا، إضافة إلى مخلفات إظهار الانتماء السياسي في هذا التواصل، والذي يعتبر من أكثر المواضيع حساسية بين الطرفين. ولا يقل عنه خطورة على العلاقة استحضر العلاقات التاريخية بين الثقافتين وخاصة مع الفرنسية منها. كما أن تجاهل القواسم المشتركة وتعزيز نقاط الاختلاف أيضا لن يسمح بتقدم العلاقة، إلا أن عائق المكانتين الاقتصادية والاجتماعية كان أقل حدة عليها، إذ أن هذا الآخر قد تجده ينظر أحيانا إلى المكانة الاقتصادية، ولكنه في الغالب قد يغض الطرف عن الاجتماعية منها. وعلى اختلاف درجة وحدة كل عائق عن الآخر إلا أن كلها تحتاج إلى الوعي بها من طرف عينة المقابلة خصوصا

والمجتمع العربي عموما من أجل تذليلها خدمة للعلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي، وتحقيقا للتقارب بين الثقافتين.

1-2-2- الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى عينة المقابلة من خلال العلاقة الاتصالية بينهما عبر

الشبكات الاجتماعية: وتمثل نتائجه فيما يلي:

✓ حسب تصوّر واعتقاد المشاركين يبدى الآخر اعتزاز وتقديرا كبيرين لقيمه ثم للغة الأجنبية، بل إنه كثيرا ما يعتقد بالأفضلية بسببهما، مما جعله يشعر بالاستعلاء أحيانا على هذه العينة في تواصله الافتراضي معها. ثم إن الآخر الفرنسي كثيرا ما يفتخر بالثورة الفرنسية وقيمها في مقابل مداراة الحديث عن الاستعمار الفرنسي للجزائر، أما نظرتة لدينه فهي نظرة استصغار وتهميش كنتيجة حتمية لإفرازات العلمانية التي تفصل الدين عن جميع مناحي الحياة، لتوهم أهمله بأنه مسألة شخصية غير قابلة لتدخل الآخرين.

✓ يعتقد المشاركون أن صورة الآخر الغربي عنهم كجزء من المجتمع العربي تختلف بين نمطين من الاتصال الافتراضي: الشخصي والجمعي، أما في حالة الاتصال الجمعي فهو يملك صورة سلبية عنهم حول دينهم الإسلام من حيث قيمه وشرائعه، ثم من حيث أحداثه التاريخية، وهذه الصورة ليست أكثر من انعكاس لواقع ساهم في تشكيله تجارب شخصية وحملات إعلامية دفعت السلطات إلى سن قوانين ضد المهاجرين الذين تتهمهم بالتعدي على حقوقها وقوانينها واستقرار بلادها. أما الاتصال الشخصي فيظهر فيه هذا الغربي بأشكال عدّة بين من يخفي صورته، ومن يعبر عنها ضمينا، وبين من يتواصل بموضوعية، ليشكّل بذلك علاقة مع عينة المقابلة، علاقة قابلة للاستمرار في سبيل تعديل تلك الصور إذا ما توفرت نية طيبة وسعي دؤوب من الطرفين.

✓ تباينت آراء المشاركين حول نوع الأحكام المسبقة التي يملكونها عن الآخر الغربي، بين من يتجرد من تلك الأحكام ويتواصل معه بموضوعية، وبين من يملك أفكارا إيجابية عنه، ترسّخت أكثر بعد التواصل معه، ثم من يملك أحكاما سلبية ساهم أيضا كل من الإعلام والواقع والكتابات في ترسيخها، فتغيرت تلك الصور السلبية عند البعض بعد التواصل التي كانت تجربة ناجحة معه عدّلت من صورته السابقة، وترسّخت عند البعض الآخر ولكن نسبيا حسب طبيعة المواقف التي تجمعهم.

✓ تؤكد عينة المقابلة أنهما لا تعرف الكثير عن ثقافة الآخر الغربي، وحتى معرفتهم ببعض العناصر كانت حول العموميات، وخلافا للغة الأجنبية التي أولتها مكانة خاصة لأنه لا يقوم التواصل إلا بها، كانت هناك معرفة من مشارك عادات وتقاليد هذا الآخر، والمستمدة أساسا من الحياة الواقعية، ثم كان هناك اهتمام من أحدهم بقيم هذا الغربي التي نقلتهم إلى عالم الإبداع، أما ثالث فاهتم بمعرفة تاريخه كضرورة لفهم سلوكيات الحاضر التي ليست إلا امتدادا من الماضي، أما آخر فسعى للتعرف على المسيحية كدين لهم، من باب إثبات زيفها مقارنة بالإسلام. وعلى تعدد زوايا معارفهم فكلها كانت خدمة لمصالحهم أولا، وليس خدمة للعلاقة التواصلية بينهما.

✓ تعددت المعيقات التي تتوفر عليها ثقافة الغربي والتي تحول دون فاعلية التواصل مع عينة المقابلة، حيث ترى هذه الأخيرة بأن أكبر عائق يصادفها في هذا التواصل هو الصورة الذهنية السيئة عن المسلمين عموما والتي قد يبني عليها سلوكياته اتجاهها، ثم إن الجهل الذي يعتره حول الثقافة العربية الإسلامية هو السبب الأساسي وراء تلك الصورة، إضافة إلى أن الاستعلاء القيمي الذي يطبع تصرفاته في الكثير من المواقف يساهم بدوره في إحداث بعض النفور بينهما، وأما ما لا يمكن التسامح معه في هذه العلاقة - كما يصرح المشاركون - هو تعديده على الدين الإسلامي بسبب تجرده من الدين في الكثير من المواقف، والذي قد يجعله يسلك سلوكيات غير مقبولة على الإطلاق مما يعني توقف العلاقة بينهما.

1-2-3- توجهات عينة المقابلة نحو الشبكات الاجتماعية ودورها في تحقيق الاتصال مع الآخر الغربي:

وتتمثل نتائجه فيما يلي:

✓ بعد موقع الفاييس بوك الموقع الأكبر استعمالا في التواصل مع الآخر الغربي من خلال تقنية المسنجر، وليس استعماله هنا بصفة أكبر إلا من بات التعود عليه، لأنه في المقابل كل المواقع أخرى لا تقل أهمية وعي الأنستغرام ، الواتس آب، والتي تتوفر بدورها على ذات الوسائط والإمكانيات التقنية، بل قد تفوقها تطورا نظرا لحدائتها في الظهور، وعموما فأغلب المواقع تتيح الاتصال بنوعيه الشخصي والجمعي.

✓ استطاعت عينة الدراسة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي أن تعرف أشياء كثيرة عن بالدين الإسلامي باعتباره من أهم عناصر ثقافتها العربية الإسلامية، وذلك عن طريق مختلف الفيديوهات والمحاضرات الصوتية، كذلك كان ذلك بفضل مشاركة الأصدقاء لهذه المعلومات أو الانضمام للمجموعات، أو الاشتراك

في الصفحات الإسلامية المختلفة. أما بالنسبة للعناصر الثقافية الأخرى فقد اهتم أحدهم بالبحث في المجال التاريخي في حدود ثقافته، واهتمت مشاركة بالمجال الأدبي في البحث، مع الإشارة إلى أن المعرفة الرصينة والموثوقة لا تكون إلا عن طريق الكتاب.

✓ سعى المشاركون إلى التعريف بثقافتهم العربية الإسلامية للآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي وذلك في بعدها الديني بصفة أساسية ثم التاريخي ولكن بدرجة محدودة في كليهما، أين اكتفوا فقط بإرسال مقاطع فيديو وبعض النصوص المكتوبة والتي تعبر عن آراء علمائهم المنصفة، ولكن هذا كان مرتبطا بمواقف محددة، أو في حالة استفسار الآخر الغربي عن نقطة في هذا الدين. وقد صرح المشاركون أن هذه التبادلات في حالة الاتصال الشخصي فقط، أما في حالة التعليقات فإنهم يكتفون عادة بالتعبير عن آرائهم بنصوص قصيرة وبطريقة مباشرة.

✓ سمحت شبكات التواصل الاجتماعي لبعض المشاركين المهتمين بالوصول إلى المعلومات المختصرة عن ثقافة الآخر الغربي، خاصة فيما يخص: اللغة الأجنبية، القيم، التاريخ، وذلك عن طريق بعض الفيديوهات في ذات الموضوع، أو ما يرسله هذا الآخر لهم من روابط، مع عدم الثقة التامة بها، أما بالنسبة للبقية فكان تعرفهم عليها مرتبطا ببعض السياقات والمواقف فقط، وعموما فإن توفر الترجمة وتطورها في هذه المواقع ساهم كثيرا في التعرف على بعض قضاياها.

✓ أفرزت شبكات التواصل الاجتماعي في حدود العلاقة بين عينة المقابلة والآخر الغربي مجموعة من المعوقات تحول دون نجاح هذه العلاقة، والتي تتمثل في الشخصية والمعرفية والتقنية، حيث يرى المشاركون أنها تستنزف الكثير من الوقت الشخصي دون أن يشعروا به، كما أنها تسبب لهم الخوف من مدى مصداقية الهوية مما يجعل اتصاها مبنية على الشك والريبة، إضافة احتمال الوقوع في سوء الفهم لأفكار الطرف الثاني انطلاقا من خلفيات معينة في التواصل، أما المعوقات التقنية التي تتعلق بضعف الشبكة، إضافة إلى سهولة قطع العلاقة، فهي خارجة عن سيطرتهم ولا يمكن التحكم فيها مقارنة بالمعوقات السابقة.

1-2-4- توجهات عينة المقابلة نحو الرسالة في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي عبر الشبكات

الاجتماعية: وتتمثل النتائج المتعلقة بهذا البعد فيما يلي:

✓ تعتبر المواضيع العلمية ومجال البحث العلمي من أبرز المواضيع ظهورا في العلاقة الاتصالية بين المشاركين والآخر الغربي، وهي ما يوافق من جهة أخرى مستواهم التعليمي، حيث سمحت لهم بالتعرف على خبرات ومهارات هذا الغربي في هذا المجال، خاصة في المستحدث منها، ثم جاءت المواضيع الاجتماعية تليها المواضيع الدينية التي اقتصر على ما يختص بالإسلام دون ديانة الآخر، مما يعكس اهتماما من طرف هذا الأخير في التعرف على ثقافة المشاركين في بعدها الديني، وحرصا من طرف العينة في الحديث عن دينهم. أما بقية المواضيع فهي عرضية بحسب المواقف وسياقات الحديث.

✓ يسعى كل من المشاركون والآخر الغربي إلى تحقيق أهداف مختلفة من خلال التواصل بينهما عبر الشبكات الاجتماعية، وأولى هذه الأهداف هي تبادل الخبرات واكتساب المعلومات وتعلم المهارات المستحدثة في الجانب المهني لكليهما، يليه هدف تعلم اللغات الأجنبية تعلما عمليا لا نظريا، وهو هدف خاص بالمشاركين فقط، إضافة إلى تعريف الآخر بالثقافة العربية الإسلامية والتعرف على ثقافته، مع السعي إلى تعزيز العلاقات الواقعية لدى الطرفين. كما حرصت العينة على تعلم واكتساب قيم عملية وتواصلية من الآخر، نظرا لتمييزه الكبير في هذا الجانب، وقد كان أيضا من الأهداف البارزة تحسين الصور الذهنية لكلا الطرفين من خلال هذه العلاقة التواصلية. إن أغلب هذه الأهداف لا يمكن تحقيقها عادة إلا على المستوى الشخصي، أما ما تعلق بالمستوى الجمعي فتمثل في إبداء الرأي حول مختلف المواضيع والنقاش حولها، بما يعطي مساحة للدفاع عن الكثير من القضايا الخاصة.

✓ يصرح المشاركون بأن الرسائل المتبادلة بينهم وبين الآخر الغربي تتوفر على مجموعة خصائص تجعلها قادرة على توصيل المعنى لكلا الطرفين، وقد كانت أولى تلك الخصائص هي وضوح الأفكار وبساطتها بما يتوافق مع مجال تخصصهما ومستواهما العلمي، ثم سلامة اللغة التي كانت الطابع الغالب في رسائل الآخر أكثر من العينة، وهو أمر يتناسب مع كونه يتواصل بلغته الأم، كما امتازت رسائل هذا الآخر بالإيجاز وعدم التكرار والدقة في عرض الأفكار مقارنة برسائل العينة، أما بالنسبة لخصائص الانسجام وانتقاء الألفاظ وصدق المعلومات فقد ظهرت في رسائل المشاركين أكثر من رسائل الآخر الغربي، الذي تشهد رسائله ضعف تواجد

هذه الخصائص، إذا ما تعلق الأمر بمواضيع لا تحدم مصالحهم واتجاهاتهم، والتي على رأسها المواضيع الدينية الإسلامية بمختلف أبعادها، أما إذا تعلق الأمر بالمواضيع العلمية فلا أحد يتفوق عليهم في ذلك.

✓ يصرح المشاركون بأن الرسائل المتبادلة بينهم وبين الآخر الغربي تشهد الكثير من المعوقات، بعضها تسببه العينة، وبعضها يسببه الآخر الغربي، والبعض مشترك بينهما، أما بالنسبة للفئة الأولى فتتمثل أساسا في التذبذب في المستوى اللغوي، فمع إتقان بعضهم للغات الأجنبية، هناك منهم من هو حديث عهد بالتعلم، مما يتسبب في وقوعه في بعض الأخطاء التي قد تشوّه صورته أمام الآخر، الذي كثيرا ما يعتز بلغته ولا يرضى لها هكذا إهانة. أما ما يتعلق بالطرف الآخر فيتمثل العائق في توجيه الرسائل من منطلق استعلائي غير متكافئ، مما يجعله ينتقص من الطرف الثاني، ومختلف الأفكار التي تقدم عبر رسائله، أما العائق المشترك بينهما فهو خلل المنطلق الفكري في الرسالة صياغة أو قراءة، انطلاقا من صور ذهنية يمتلكها كل منهما عن الآخر، وأخيرا التفاوت الزمني كعائق خارج عن نطاق تحكمهما، عادة يتعلق بالبعد الجغرافي بين طرفي الاتصال، وهنا تقع المسؤولية على كليهما في تدليلها من خلال الاتفاق على وقت يتوافق مع كليهما، مع مراعاة الوقت العاطفي المناسب لكلا الطرفين.

1-3- نتائج تتعلق بكيفية ظهور الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية على مستويي

المضمون والشكل من خلال تعليقاتهم في موقع اليوتيوب:

تم عرض النتائج المتحصل عليها من خلال أداة تحليل المضمون التي تجيب على السؤال الفرعي الثالث في فئتين أساسيتين كالآتي:

1-3-1- النتائج التي تتعلق بفئات المضمون: وقد تم تقسيمها أيضا إلى مؤشرات على النحو الآتي:

❖ النتائج المتعلقة بفئة قيم الاتصال: وتتمثل فيما يلي:

✓ برز في عينة تعليقات مختلف الفيديوهات ميدان الدراسة عدم التحلي بالقيم بدرجة أكبر من التحلي قيم: وكانت نتائجه كالآتي:

• ظهر بدرجة أولى عدم التحلي بقيمة "التسامح مع الآخر" بنسبة أكبر من غيره، وذلك بدرجة أولى في تعليقات فيديو "تعدد الزوجات"، والتي أظهرت الكثير من العداة للآخر الفرنسي، والتهجم العنيف على

النظام الفرنسي في تعامله مع قضية تعدد الزوجات، ولا مساواته في تطبيق القانون فيها بين الفرنسيين والمهاجرين، وعليه فكل هذه السياقات التاريخية والسياسية ساهمت في عدم تحليهم بهذه القيمة.

● تحلي في مرتبة ثانية عدم التحلي بقيمة "الانفتاح على الآخر" من خلال اعتقاد المستخدمين بأفضلية ثقافتهم في بعدها الديني والوطني ثم في بعدها الثقافي بصفة عامة، وقد كان ذلك بصفة أكبر في فيديو "مكانة اللغة العربية"، والتي أظهرت تعليقاته الميول العربي الكبير في إظهار اللغة العربية كأفضل لغة تركيباً وصياغة وتناغماً، وهو ما يساهم في انغلاق هذه الذات الثقافية العربية على نفسها، في وقت هي أحوج ما تكون فيه منفتحة على العالم العربي ولغته التي سادت الكون.

● تجسد غياب قيمة "احترام الرأي الآخر" من خلال تشكيك المستخدمين في آراء الآخرين، بل وحتى تحطيمها، وقد كان ذلك بدرجة أكبر في فيديو "مكانة اللغة العربية" أيضاً، وهو ما لا يتماشى مع مقتضيات الحوار في المجال العام، والذي من شأنه إثراء المعارف وتبادلها وحتى تصحيحها، إن كانت بالأسلوب الأمثل.

● برز غياب قيمة "تقدير الذات" من خلال موضوعي "الحجاب" و"تعدد الزوجات"، وكان ذلك أساساً في بعده الوطني القومي، من خلال انتقاد بلدهم فرنسا لاهتمامها بموضوع الحجاب على حساب مواضيع أهم تفرضها سياقات اجتماعية خاصة، وفي هذا الرأي ازدراء للوطن الذي هو جزء لا يتجزأ من هوية الفرد وذاتيته بل وثقافته.

● لم تتحل نسبة قليلة من عينة التعليقات بقيمة "احترام الحرية الشخصية"، وقد ظهر ذلك أساساً من خلال فيديو "الحجاب"، حيث ظهرت دعوات للتخلي عن الحجاب في سبيل احترام البلد المضيف، متجاوزة بذلك شعار الحرية التي ترفعه الدولة الفرنسية، بشأن الحجاب الذي هو شريعة إسلامية من منطلق المسلمين، وحرية شخصية من منطلقهم.

✓ بالنسبة لفئة التحلي بالقيم: تمثلت نتائجها فيما يلي:

● احتلت قيمة "الانفتاح على الآخر" الصدارة في تحلي المستخدمين بها في تعليقاتهم من خلال فيديو "الحجاب"، حيث ظهرت عدة آراء تعبر على انفتاح الشباب الفرنسي على المسلمين المهاجرين أكثر كبار السن الذين يسعون دائماً للتشبث بآرائهم وأفكارهم القديمة.

● حصدت قيمة "التسامح مع الآخر" نسبة معتبرة ظهرت بصورة أكبر أيضاً من خلال تعليقات فيديو "الحجاب"، أين تحدثوا عن تسامح الشباب الفرنسي مع قضية الحجاب وانتشارها في بلدهم، وتقبل هذا السلوك منهم، وهو رأي يعكس اتجاهه هو في حد ذاته.

- ظهرت قيمة "تقدير الذات" بدرجة أكبر في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" من خلال التعليقات التي عبرت عن اعتزازهم وافتخارهم بثقافتهم وبلدهم فرنسا.
- فيديو "مكانة اللغة العربية" هو أكثر من جسد لنا في تعليقاته قيمة "احترام الرأي الآخر"، أين ظهر ذلك من خلال حسن نقد الأفكار بطريقة موضوعية وإبداء الأفكار الخاصة بدون تجريح.
- تحلى المستخدمون في تعليقاتهم بقيمة "التناصح مع الآخر"، والتي تمثلتها بصورة أكبر تعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب"، وذلك من خلال نصح المهاجرين للسفر إلى أي بلد عربي، تخلصا من انتهاك حقوقهم كمهاجرين.
- تحلى المستخدمون في تعليقاتهم بنسبة ضعيفة بقيمة "احترام الحرية الشخصية"، وقد ظهر ذلك جليا في فيديو "الحجاب" الذي اعتبروه حرية شخصية ولا يحق لأي أحد التدخل فيه، ورغم إيجابية هذه القيمة إلا أن لها سياقها الخاص بها، والمتمركز أولا في السياسي ثم الاجتماعي، أما استعمالها في السياق الديني فمقتصر فقط على مخاطبة الآخر الغربي بمنطق يفهمه ويؤمن به، أما مع المسلمين فالأمر يتعلق بشرائع وعقائد وأخلاق.
- تضمنت فئة "أخرى تذكر" قيمتين هامتين وهما "تقديم المصلحة العامة" و"العدل بين الناس" وقد ظهر أساسا من خلال تعليقات فيديو "الحجاب" و"صورة العرب لدى الغرب"، تعبيرا عن قيم ذات بعد جمعي عام، قبل أن يتحلى بها الأفراد يجب أن تلتزم بها الدولة.

1-2- النتائج المتعلقة بفئة نوع السياق: وتتلخص في النقاط الآتية:

- ✓ حاز السياق الديني على أكبر نسبة من حيث حضوره في التعليقات عينة الدراسة، وقد قسمت نتائجه كالتالي:
- السياق الديني الأكبر بروزا هو السياق الإسلامي، وذلك بين المدح أحيانا، والذم أحيانا أخرى، وقد ظهر هذا السياق بدرجة أكبر في تعليقات فيديو "تعدد الزوجات"، والتي تظهر في ذكر معاناة المسلمين المهاجرين من القوانين التي تسنها فرنسا اتجاههم.
- حاز السياق المسيحي على المرتبة الموالية من حيث الظهور كجزء من السياق الديني، وتمركز وجوده في تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية"، وهنا ظهر بقوة من خلال مدح المسيح وتبيان أحييته وأحقية دينه في الاتباع، والرفض التام لهذا المشروع.
- ظهر السياق غير المحدد الأديان ثم السياق اليهودي بنسب ضعيفة، وقد جاء السياق الأول مثلا في إطار عام للحديث، وذلك من خلال فيديو "الديانة الإبراهيمية" ثم "الحجاب" على التوالي، حيث تجسد من خلال الأول في التعليقات التي تشير إلى رفض الأديان ككل وهكذا مشروع توحيد يمكن أن يلغي

الخصوصيات، أما السياق الثاني فعبر عن تهكم من سياستهم التي لا تطبق إلا على المسلمين، في مقابل ترك مساحة حرية شاسعة لليهود.

✓ جاء السياق الاجتماعي في مرتبة ثانية وتجلي أساسا في موضوعي "صورة العرب لدى الغرب" و"الحجاب" على التساوي. حيث تجسد في الأول من خلال التعليقات التي يحكي أصحابها عن مواقفهم الاجتماعية مع بعض العرب، انطلاقا من واقع معاش عندهم. أما في الفيديو الثاني فأسفرت عنه مختلف التعليقات التي تعترف بوعي الشباب في هذا الموضوع، وموضوعيتهم في عرض وجهة نظرهم، كما برز هذا السياق في انتقاد الدولة الفرنسية التي تهتم بهذا الموضوع على حساب عن الكثير من المشاكل الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الفرنسي من بطالة وفقر وديون...

✓ ظهر السياق الثقافي في مرتبة مواءمة وبدرجة أكبر في موضوع "مكانة اللغة العربية"، وهو ما يوافق الصبغة الثقافية الكبيرة للموضوع، وذلك من خلال التعليقات التي تعطي رأيا حول مكونات اللغة العربية أو خصائصها أو علاقتها باللغات الأخرى وتأثيرا وتأثيرا، وذلك انطلاقا من النقاط التي تناولها الفيديو، وعموما فإن أغلب التعليقات قد أشادوا ببراء اللغة العربية وما قدمته للغات الأخرى.

✓ احتل السياق التاريخي مكانة ضعيفة في تعليقات المستخدمين، برزت أساسا من خلال فيديو "مكانة اللغة العربية" والذين أعطوا معلوماتهم عن أصول بعض الكلمات والقواميس التي تناولت ذلك، مما يجعل تعليقاتهم أكثر من رأي شخصي وذاتي، وإنما هي معلومات علمية جديرة بالاستفادة منها إذا ما تأكد القارئ من صدقها.

✓ جاء السياق السياسي في خاتمة قائمة السياقات، حيث برز بصفة أكبر ولكن بتكرار ضعيف في موضوع "الحجاب"، ومثل التعليقات التي تنتقد فرنسا وقوانينها التي تشيد بالحرية ولكن لا تطبقها، حيث تمارس مع المهاجرين مختلف أساليب الدكتاتورية والقمع واللامساواة في الحقوق - على حد قولهم -.

1-3- النتائج المتعلقة بفئة الاتجاه: ويمكن أن نجملها فيما يلي:

✓ الاتجاه السليبي هو الاتجاه الغالب على التعليقات عتية الدراسة، يليه الإيجابي ثم المحايد.

✓ برز الاتجاه السليبي بدرجة أكبر في موضوع "الديانة الإبراهيمية"، ومن أبرز صوره كانت تبني الأحكام المسبقة حول هذا المشروع، بل وحتى دولة الإمارات - كما صرحت التعليقات -، وبالتالي سينعكس ذلك

بالضرورة على عدم تقبله، وغياب الرغبة في التعرف عليه والبحث فيه جيدا، وإن كانت الموضوعية في الاتجاه تقتضي أن لا نحكم على الأشياء إلا بعد التعرف عليها جيدا، وهو ما يغيب عن التعليقات في هذا الفيديو، إذ لا يوجد منها من برر موقفه بسند علمي يميز ذلك الموقف، وإنما كانت مجرد مشاعر ومخاوف واستعلاءات لا أكثر.

- ✓ تجسد الاتجاه الإيجابي من الموافقة على المواضيع، ثم الموضوعية في عرض الآراء، وقد كان ذلك بدرجة أكبر في موضوع "مكانة اللغة العربية"، أين أبدى أغلب المستخدمين هنا آراءهم حول الموضوع بكل موضوعية وإعجاب للغة العربية من جهة، ولطريقة عرض الأفكار والتعامل مع الموضوع من جهة أخرى.
- ✓ برز الاتجاه المحايد أساسا من خلال تعليقات موضوع "الديانة الإبراهيمية"، حيث عرض بعضهم رأيه بعيدا عن توجيهه.

2) النتائج التي تتعلق بفئات الشكل: وقد تم تقسيمها كالاتي:

1-2- النتائج المتعلقة بفئة الأسلوب اللغوي للاتصال: وتتمثل نتائجها فيما يلي:

- ✓ حصد أسلوب "النقد اللاذع" النسبة الأكبر من مجموع الأساليب، وذلك من خلال تعليقات فيديو "الديانة الإبراهيمية"، والتي عبرت عن هذا الأسلوب بتهجم كبير على الآخر وأفكاره، واستخدام كثير من ألفاظ السب والشتم أو السخرية والاستهزاء، وهو ما يعبر عن عدم تسامحهم.
- ✓ نال أسلوب "المدح والشكر" مرتبة ثانية ظهرت في مختلف التعليقات في كل الفيديوهات، وخاصة في فيديو "صورة العرب لدى الغرب" أين برز بدرجة أكبر من غيرها من خلال مدح صاحب الفيديو على الأفكار التي عرضها.
- ✓ جاز أسلوب "الاحتواء" على نسبة معتبرة، حققها بدرجة أكبر من خلال تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية"، أين عرض من خلال بعض التعليقات آراء تذكر بأصل اللغات والتي يمكن أن تكون ذات أصل واحد وهي سيدنا آدم، وأن الواجب هو عدم التنافر بسبب الاختلاف اللغوي، و
- ✓ كان أسلوب "الإقصاء" من الأساليب الظاهرة في تعليقات عينة الدراسة، وخاصة من خلال فيديو "صورة العرب لدى الغرب"، أين برز بوضوح من خلال الحكم النهائي عليهم بأنهم السب وراء مواقفهم إزاءهم، وأنه لا يمكن التعايش والاحتكاك بهم.

- ✓ ظهر أسلوب "الحوار" مع الآخر بنسبة قليلة مثلته بصفة أكبر بعض تعليقات فيديو "مكانة اللغة العربية"، أين مثل هذا الأسلوب قيمة احترام الرأي الآخر والتسامح معه، وانتقاء الألفاظ في التعبير عن الرأي، والحوار هو أرقى الأساليب التواصلية التي يمكن أن تضبط هذا الفضاء.
- ✓ كان أسلوب "الشرح الموضوعي" حاضرا أيضا ولكن بنسبة ضعيفة انحصرت أساسا في موضوع "الحجاب"، وذلك عن طريق التعليق بطريقة موضوعية استدلالية بعيدة عن التجريح أو السب أو مختلف أنواع الغلظة التي ظهرت في الكثير من التعليقات .

2-2- النتائج المتعلقة بفئة نوع اسم المستخدم: وتظهر نتائجها فيما يلي:

- ✓ احتلت الأسماء غير العربية نسبة أكبر من الأسماء العربية، ثم جاءت فئة أخرى تذكر.
- ✓ ظهرت "الأسماء غير العربية" بصفة أكبر لدى المستخدمين الذي علقوا في فيديو "الديانة الإبراهيمية"، وكانت متوافقة مع طبيعة التعليقات التي عبرت عن انتماءاتهم للدين المسيحي.
- ✓ الأسماء غير العربية لا تعبر بالضرورة عن المستخدمين الغربيين، فقد ظهرت كثير من تلك الأسماء تعبر عن انتماءات عربية و إسلامية.
- ✓ تركزت "الأسماء العربية" بكثرة في تعليقات موضوع "مكانة اللغة العربية"، وهو ما توافق مع طبيعة الموضوع الذي يشيد بتأثير اللغة العربية على الفرنسية، وتوافق أيضا مع مضمون التعليقات التي عبرت عن افتخارها واعتزازها بلغتها التي هي لغة القراءان.
- ✓ تضمنت فئة "أخرى تذكر" مختلف الأسماء التي تعبر عن رموز أو أسماء مستعارة أو كنيات، وقد ظهرت بدرجة أكبر في تعليقات فيديو "صورة العرب لدى العرب"، وهو توجه جديد للمستخدمين في التعبير عن أنفسهم انطلاقا من اتجاهات نفسية ورغبات داخلية، فإن كانت تبدو للقارئ أنها بدون معنى، فهي بالنسبة للمستخدم تحمل دلالة رمزية كبيرة.

2-3- فئة أشكال التفاعل: وتتمثل نتائجها فيما يلي:

- ✓ ظهرت فئة "التعبير عن المشاعر" بنسبة أكبر من فئة "الردود" في التعليقات عينة الدراسة.
- ✓ بالنسبة لفئة التعبير عن المشاعر: أسفرت لنا عن النتائج الآتية:

- الاعجاب هو أكثر الأشكال التي ظهرت في عينة التعليقات، وكان ذلك بدرجة أكبر في فيديو "الحجاب"، مما يعبر عن العدد الكبير من المستخدمين الموافقين لاتجاهات التعليقات.
- الشكل التعبيري الذي عبر عن "الحب" حاز على تكرارات أقل من غيره في عينة التعليقات، وكان ذلك أساساً في فيديو "صورة العرب لدى الغرب"، من خلال تعبير صاحب الفيديو عن مشاعره بهذا الأيموجي للتعليقات التي مدحته وأشادت به.
- جاء في مرتبة موالية الشكل التعبيري "التصفيق"، والذي ظهر بصفة أكبر في تعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب" و"تعدد الزوجات" وذلك تعبيراً منهم عن إعجابهم بأصحاب الفيديو.
- ظهر الشكل التعبيري الذي يعبر عن "الغضب" بتكرار ضعيف جسده أساساً بعض تعليقات فيديو "صورة العرب لدى الغرب"، حيث عبّر أصحاب التعليقات من خلاله عن غضبهم من تصرفات العرب.
- ظهرت أشكال تعبيرية أخرى لكن بتكرارات محدودة جداً، تعبر في مجملها عن مشاعر خاصة في عرض آراء معينة، مثلاً الوردة للتعبير عن السعادة، والبكاء للتعبير عن الحزن.
- ✓ برزت فئة "الردود" بصفة أكبر من خلال تعليقات فيديو "الحجاب"، وقد طغى عليها الطابع التهجمي سواء في تعليقات هذا الفيديو أو في غيره، دون أن يلغى ذلك تماماً وجود ردود تمثل قيم التسامح والانفتاح على الآخر.

(2)- الاستنتاج العام للدراسة على ضوء المقاربة النظرية

استطعنا من خلال هذه الدراسة عن طريق النتائج التي تم عرضها على ضوء الأسئلة الفرعية الإجابة على السؤال الرئيسي: ما هو واقع الاتصال بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع الثقافي العربي الإسلامي والغربي؟، حيث مكنتنا من الكشف عن بعض زوايا واقع العلاقة الاتصالية عبر الشبكات الاجتماعية، بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية كنموذجين بارزين يعكسان تنوعا ثقافيا على مستوى الكثير من العناصر والتي كان من أبرزها: الدين، القيم، اللغة. وقد ساعدنا البحث في سياقات هذه العناصر الثلاثة على التعرف على مدى توجيهها للعلاقة الاتصالية بين الثقافتين، حيث توصلنا بداية إلى معرفة الأنماط التوافقية بينهما، ليتضح لنا تنوعها واختلافها حسب خصائص الباحثين وتوجهاتهم، إلا أنها لا تختلف كثيرا عن أنماطهم التوافقية مع المستخدمين عامة.

ثم ظهر لنا دور السياقات الثقافية المختلفة في ضبط العلاقة بين الثقافتين وتوجيهها، أين كان السياق الديني المتعلق بالثقافة العربية الإسلامية هو الموجه الأول لتلك العلاقة بين الطرفين، في مقابل السياق الثقافي اللغوي الأجنبي الذي ساهم بدوره في عملية التحكم في لغة التواصل بينهما لنقل الرسائل بمرور يمكن للطرفين فهمها، أما السياق القيمي فمثل في مجمله قيما إنسانية اشترك الطرفان كثيرا في التحلي بها أثناء التواصل حسب ما صرّحت عينة الاستبيان.

إن هذا السياق الذي يوجه العلاقة بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، يساهم بدوره في تشكيل الصور الذهنية لكل منهما عن الآخر، باعتبارها نسقا ثانيا يحدد بدوره نمط الاتصال بين الثقافتين، وقد كانت تلك الصورة - كما أثبتتها نتائج المقابلة- إيجابية عن الذات الثقافية في بعدها النظري أكثر من الممارساتي، تدفعها دائما إلى الشعور بالاعتزاز وتقدير الذات الذي يصل في بعض عناصره إلى الاعتقاد بالأفضلية. أما الصورة الذهنية التي يملكها المشاركون عن الآخر الغربي فكانت صورة ضبابية يصعب الحكم النهائي عليها لكونها تتراوح بين الإيجاب والسلب حسب تنوع السياقات والمواقف أيضا، ولكنها عند الأغلب سرعان ما تغيرت معالمها بعد التواصل الافتراضي لتسير بالعلاقة نحو الأفضل.

ينظر المشاركون إلى شبكات التواصل الاجتماعي نظرة تفاؤل في إمكاناتها كوسيلة تقريبية بين الثقافات تزيل الكثير من المعوقات التي تخلقها الأنساق الأخرى، وإنما المطلوب فقط هو حسن توظيف هذا المجال العام الافتراضي الشخصي في خلق مساحات حوارية تحتمل لسلطة العقل التواصلية. أما الرسائل التبادلية بينهما

وما تتضمنه من رموز ومعاني فتوفرت على كثير من الشروط التي بإمكانها الوصول بالعلاقة الاتصالية بين الثقافتين إلى فهم عقلائي مشترك حول القضايا الخلافية بينهما، وهو ما كان شبه مغيب في الفضاء العمومي الافتراضي الجمعي كما أثبتته نتائج تحليل مضامين التعليقات.

من هنا يمكن القول أنّ النتائج الخاصة بالدراسة الميدانية قد أثبتت لنا أن الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية بين الثقافتين في ظل الأنساق السالفة الذكر وفي حدود نسق الاتصال الشخصي استطاع أن يحقق إلى حد ما مساحة واسعة من تقبل الآخر والرغبة المزدوجة في التعارف وتبادل الخبرات، ونية صادقة في التشارك الفعّال لتذليل صعوبات التواصل المختلفة.

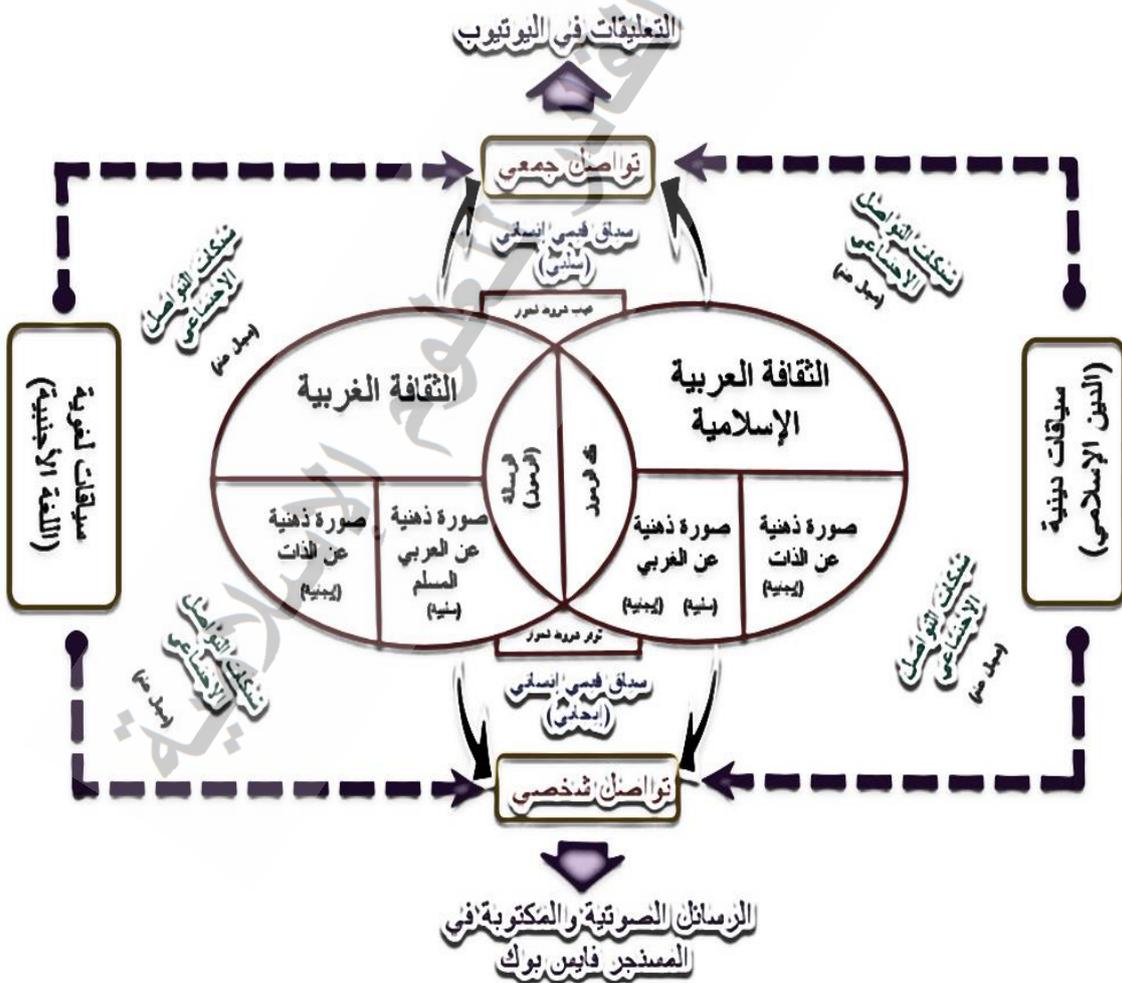
أما التعليقات التي ظهرت لنا عبر موقع اليوتيوب فقدمت لنا نتائج تتعارض نسبيا في الكثير من مؤشراتنا مع ما توصلنا إليه باستخدام أداتي الاستبيان والمقابلة، ليثبت لنا تحليل مضامينها أن الفعل التواصل القائم بين الثقافتين في نسقه الجمعي وبسياقاته المختلفة لا يعكس تقبل الآخر والانفتاح عليه بنفس الدرجة السابقة، حيث اختل النظام التواصل هنا بدرجة أولى على مستوى السياق القيمي الذي يعكس غيابا كبيرا لشروط الحوار التي يدعو لها هابرماس، لتظهر هنا الكثير من صور الهيمنة والتسلط وضعف الحجاجية العقلية وغياب النقد الموضوعي والتمركز على الذات وظهور العنف بمختلف أشكاله، وغيرها من التمثّلات السلبية التي لا تتوافق مع أخلاقيات التواصل، لتؤكد لنا حقيقة الفشل النسبي لشبكات التواصل الاجتماعي كفضاء عام في تحقيق التفاهم والتقارب بين الثقافات على المستوى الجمعي، ثم لتطرح لما مزيدا من الإشكالات التي تدعو للبحث عن النسق الذي يحدث هذا الخلل التواصل ويحول دون دمج المستخدمين من الثقافتين في علاقة مبنية على حوارات ونقاشات نقدية موضوعية عقلانية، حول اهتمامات مشتركة لخدمة الصالح العام الكوني العالمي، بهدف الوصول إلى فهم مشترك حول القضايا الخلافية بينهما، في سبيل تأسيس ديمقراطية تشاورية - كما دعى لها هابرماس - تمنح المساواة والتكافؤ والحق للجميع في المناقشة الحجاجية المنطقية.

إن غياب المعرفة الشخصية بين المستخدمين ذوو الثقافتين العربية الإسلامية والغربية يمكن أن يكون من الأنساق المعيقة لعملية التواصل، أين يكون المستخدمون أكثر تحمرا في التعبير عن الرأي، خاصة مع إمكانية التفلّت من الضوابط القيمية والدينية أو حتى اللغوية التي يفرضها العالم الواقعي، ويعجز عن التحكم فيها العالم الافتراضي، بسبب صعوبة أو استحالة التعرف على الهويّات الحقيقية في هذا العالم الافتراضي.

أكدت لنا النتائج عموماً بشقيها الميداني والتحليلي أن شبكات التواصل الاجتماعي ساهمت فعلاً في التقريب بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وفي مد أواصل التعارف بينهما على المستوى الشخصي، مما ساهم إلى حد ما في تعديل الصورة الذهنية عن الآخر بعد عملية التواصل، والتي كثيراً ما شوهت تاريخياً ثم إعلامياً، إلا أنها مازالت غير قادرة على المستوى الجمعي من تحقيق ذلك التقريب الثقافي الذي تصبو إليه، والذي يرجع ولا بد إلى أنساق أخرى تسبب ذلك الشرخ وتنحو بالعلاقات نحو الاتجاه السلبي، سواء على مستوى التحلي بالقيم أو الأساليب التواصلية المستعملة أو حتى ردود التفاعل التي كانت ذات طابع تهجمي أكثر منه تساهجي مع الآخر المختلف.

قد حاولنا تلخيص النتائج المتحصّل عليها في النموذج الآتي:

شكل رقم (9) يمثل نموذج تلخيصي لنتائج الدراسة



الحدائق

جامعة الأمير عبد القادر
مركز الدراسات والبحوث
الاسلامية

تعكس لنا نتائج الدراسة في شقيها الميداني والتحليلي واقعا اتصاليا لا يمكن تحديد معالمه بدقة، بين ثقافتين مثيرتين للجدل كنموذجين للتنوع الثقافي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وهما كل من الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، فمن جهة أسفرت لنا النتائج عن إمكانية التقريب بين الثقافتين في جو من العلاقات الانفتاحية يسودها التسامح والاحترام إلى حد كبير، يوجهه سياق ديني إسلامي ولغوي أجنبي ثم قيمي عالمي، ومن جهة أخرى بيّنت لنا صعوبة ذلك التقريب الثقافي خارج حدود الاتصال الشخصي، أين يظهر ذلك جليًا من خلال التعليقات عبر موقع اليوتيوب كشكل من أشكال الاتصال الجمعي، وهنا يستدعي الأمر إلى تكثيف جهود البحث في مجالي الاتصال الشخصي والجمعي بين الثقافات عبر الشبكات الاجتماعية كنسقين بارزين من شأنهما تبيان مكان قوة وضعف هذه العلاقة، خاصة وأن هذه الدراسة لم تستطع تحليل العلاقة التواصلية بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية في بعدها الشخصي نظرا لخصوصيتها بين الأفراد، حيث لا يسمح المستخدم عادة باطلاع الآخرين على رسائله الخاصة، وهو ما يثير الفضول للتعرف عليها إن وجد الباحثون طريقا لذلك، لما لها من دلالات قوية تساعد في الحكم الموضوعي على اتجاه هذه العلاقة وخصائصها.

إن نتائج هذه الدراسة التي أثبتت أهمية السياق الديني الإسلامي ثم السياق اللغوي الأجنبي وأخيرا السياق القيمي الإنساني، كأنساق لها دورها في توجيه التواصل، لا يعني تجاهل أهمية السياقات الثقافية الأخرى وضرورة التعرف على مدى توجيهها للعلاقة الاتصالية بين الثقافتين، مثل: التاريخ، العادات والتقاليد، المكانة الاجتماعية، الجوانب الجيوسياسية...، دونما التغاضي على خصوصية السياقات السوسولوجية أو السيكلوجية التي أشار لها نموذج التل الجليدي في بعض جزئياته، كعوامل لا تقل أهمية عن سابقتها.

إن البحث في التواصل بين الثقافتين يمثل مشكلة أعمق من حلّها على مستوى نسق واحد أو نسقين فقط وبمعزل عن الأنساق الأخرى، وعلى أهمية مختلف تلك الأنساق يمكن أن يعتبر النسق السياسي الفيصل في سيرورة هذه العلاقات ومنحائها، فالسياسة التي مازالت تنخر العلاقات وتشكل التصورات وتشوّه الحقائق التاريخية والواقعية وتجنّد الإعلام لخدمة مصالحها يمكن أن تكون المتهم الأول في قصور شبكات التواصل الاجتماعي عن تحقيق فضاء عام يحتكم للأخلاقيات التواصلية، فهذه الشبكات لن تتمكن رغم إمكاناتها التواصلية الهائلة من إدماج الثقافتين العربية الإسلامية والغربية في بوتقة التعارف والانفتاح والتسامح ما لم تكن هناك محاولات سياسية جادة وبنية سليمة في تبنى نهج شامل متعدد الأبعاد يأخذ بمعطيات الواقع في مختلف

مجالاته من جهة وخصوصية هذا المجال العام من جهة أخرى لتفعيل التقارب الثقافي وتعزيز التنوع وخلق فرص متساوية للمشاركة وإدارة الاختلاف الذي تعمل العولمة على طمسه بدعوى الكونية والعالمية.

من الأنساق الهامة أيضا والتي لا يستهان بها في توجيه العلاقة بين الثقافات عموما نسق تشكّل الصور الذهنية، فدراستنا التي بحثت في نوع الصور الذهنية التي تتراوح بين الإيجاب والسلب لدى المستخدمين العربي والغربي تنبّه الباحثين إلى زاوية بحث أهم وهي مصادر تشكّل تلك الصور، والسبيل إلى ترشيدها حتى تعطينا صورة أقرب إلى الواقع عن الطرف الثاني، ونحن وإن كنا لا يمكن أن نغيّر أو نتحكم في التاريخ الذي قال كلمته، يمكن أن نرشد الواقع الذي مازال يكتبها ليضعها في أرشيف التاريخ، لهذا يجب التنقيب جيدا في تفاصيل هذا الواقع الذي تعرضه وسائل الإعلام وتقبله العقول كما هو، بهدف السعي إلى إكساب الثقافات المختلفة الروح النقدية الواعية التي تحلل وتناقش وتستقصي الحقائق كاملة قبل أن تصدر حكمها على الآخر. لا يلغي اختيارنا لموقع اليوتيوب كميدان للتحليل وباللغة الفرنسية وفق اعتبارات معينة، ضرورة البحث في واقع هذه العلاقة التواصلية في مواقع الشبكات الاجتماعية الأخرى وبلغات أخرى خاصة الإنجليزية، لاستكشاف حدود العلاقات بين المستخدمين ذوو التوجه الأنجلوسكسوني والذين يمكن أن تكون لهم توجهات مخالفة في التعامل مع مختلفي الثقافات معهم.

قامت هذه الدراسة بالتعرف على واقع العلاقة التواصلية بين الثقافتين في بعديها السياق الثقافي والصورة الذهنية ولكن من وجهة نظر المستخدم العربي عموما، والسؤال المطروح هنا: ما هو منظور المستخدم الغربي نحو علاقته بالعربي في ظل الأبعاد السابقة في الفضاء الافتراضي؟ وما مدى توافقها مع نظرة الطرف الثاني؟ ليكون هذا السؤال دافعا للباحثين لاستكشاف هذه الزاوية التي لا تقل أهمية عن زاوية بحثنا، إن لم تفقها أهمية.

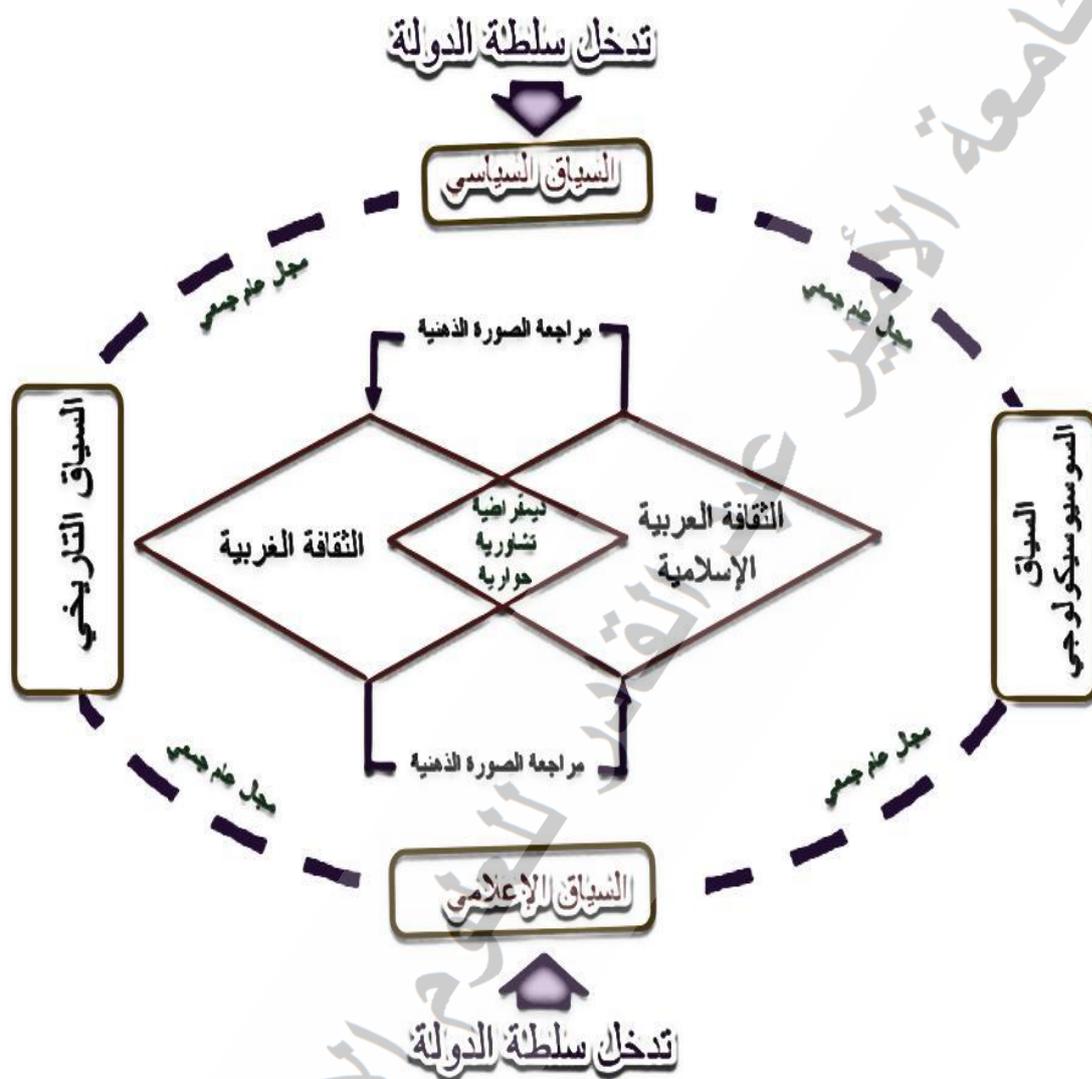
ركزت دراستنا على نموذجين من الثقافات المثيرة لجدل العلاقة بينهما وهما الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، ولكن هذا لا يمنع من السعي للبحث في التنوع الثقافي في شبكات التواصل الاجتماعي على مستوى العلاقات بين الثقافات الأخرى منها مثلا: العلاقة بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الآسيوية أو الثقافات الآسيوية والثقافات الغربية أو حتى بين الثقافات العربية فيما بينها، مما يوسع البحث في هذا المجال لاستكشاف مدى التقارب أو التباعد عموما.

إن الإشكالات السابقة التي لم تستطع دراستنا تغطيتها لاعتبارات الخصوصية البحثية والإمكانات المتاحة يمكن أن تفتح آفاقا بحثية مثيرة للقلق العلمي حول العلاقة الاتصالية بين الثقافات في الفضاء الافتراضي، لإثراء هذا المجال الذي لا يمكن أن نجزم أنه حديث عهد بالبحث، ولكن يمكن أن نجزم بأنه على قدر كبير من الأهمية المتجددة باستمرار في عالم يعيش مرحلة عنونها فضاء الاتصال الرقمي.

في الختام يمكن أن نقول أن حل مسألة التواصل بين الثقافات في بعدها الحوارية التقاربي الذي لا طالما تعالت أصوات للدعوة لها، وحررت كتابات للتأصيل فيها، لا يمكن أن تتم على المستوى الفردي فقط، ما لم تتدخل سلطة الدولة لتقديم مختلف الضمانات التي تعبد لها الطريق بديناميكية مرنة تسمح بتوليد وبث قرارات مدروسة بمبادرات حقيقية تسعى لخلق التبادل الثقافي البناء الذي يعود بالفائدة عليها قبل ما عداها، باستغلال الامتيازات التواصلية التي تتيحها الشبكات الاجتماعية لتحقيق عالم انفتاحي متسامح كما لم يكن من قبل، وكما كانت تسعى له جهود الكثيرين التي عجزت عن تجسيده واقعا. إن هذا الواقع الافتراضي الذي يطرح الكثير من المفارقات والمتناقضات من جهة، ويقدم الكثير من التسهيلات من جهة ثانية يفرض تظافر الجهود الفردية والجماعية والدولية بل وحتى البحثية لإيجاد الصيغ المناسبة لتمثيله تمثيلا كفيلا بالانتقال بالعالم من مرحلة العولمة الكونية النمطية المهيمنة إلى عولمة - إن صح التعبير - تشاورية تشاركية تعطي الحق للجميع في إبداع أفكارها وتطبيقاتها العملية.

لقد حاولنا تلخيص آفاق الدراسة من خلال النموذج التلخيصي الآتي:

شكل رقم (10) يمثل نموذج تلخيصي لآفاق الدراسة.



قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير
علي بن
القادر
للعلوم
الإسلامية

أولاً: المصادر:

1. القرآن الكريم

ثانياً: المعاجم والقواميس:

2. ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار الصادر، بيروت، 1968.
3. بن الشيخ، جمال ، قاموس البدر، ط1، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
4. حجاب، محمد منير ، المعجم الإعلامي، ط1، دار الفجر، القاهرة، 2004.
5. الخليفة، طارق قاسي أحمد ، معجم مصطلحات الاعلام إنجليزي-عربي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الإسكندرية، 2008.
6. دورتيه، جان فرونسوا ، معجم العلوم الإنسانية، تر: جورج كتورة، ط1، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2009
7. عبد الرحمان، محمد وآخرون، المعجم الشامل لترجمة مصطلحات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، عربي-إنجليزي-فرنساوي، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، 2013.
8. وهبة، مراد ، المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء، القاهرة، 1998.

ثالثاً: الكتب:

9. إبراهيم، عبد الله ، المطابقة والاختلاف - بحث في نقد المركزية الثقافية-، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
10. أبو الحمام، عزام ، الإعلام الثقافي - جدليات وتحديات-، دار أسامة، عمان، 2010.
11. أبو السعود، عطيات ، حصاد فلسفة للقرن العشرين وبحوث فلسفية اخرى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021.
12. أبو حسنية، إبراهيم حسن ، التواصل في القراءان الكريم، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2013.
13. أغازي، إيفاندو ، أخلاق التسامح وحق الاختلاف، سلسلة شراع، ع 21، مركز الإدارة، طنجة، 1997.
14. آلبيرن، كاترين ، وجان كلود روانو بوربالان ، الهوية والهويات "الفرد - الزمرة - المجتمع"، تر: إياس حسن، (جزء من الكتاب: في سبيل تعايش ثقافي مقابلة مع دزمينيك وولتون)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق 2010.

15. الإمارة، أسعد شريف ، جدل الإنسان -قراءات نفسية اجتماعية-، ط 1، دار المنهجية، عمان، 2016.
16. أجوض، عبد الحليم آيت ، الحوار في الواقع المعاصر المفهوم، المشروعية، والأبعاد التواصلية والحجاجية، ط1، مطبعة تامونت، أكادير، المغرب، 2009.
17. أنجرس، مورييس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية -تدريبات عملية-، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2006.
18. أوزي، محمد ، تحليل مضمون ومنهجية البحث، المغربية للنشر والتوزيع، الرباط، 1993.
19. أومليل، علي ، سؤال الثقافة والثقافة العربية في عالم متحول، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2005.
20. بايوسف، مسعودة ، دور الأسرة في توجيه استخدام الطفل للإنترنت -دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة وأولياهم بورقلة-، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2018/2017.
21. البدوي، ثريا أحمد ، مستخدم الأنترنت -قراءة في نظريات الإعلام الجديد ومناهجه-، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2015.
22. بركات، حلیم ، المجتمع العربي المعاصر-بحث استطلاعي اجتماعي-، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006.
23. بركات، سليم ، المجتمع العربي في العرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
24. بركات، علي أسعد ، علم الاجتماع، ددن، جامعة الشام، 2019.
25. بريسول، أحمد وعبد الرزاق تورابي، اللغة والتواصل، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2007.
26. بن عثمان، حاتم ، العولمة والثقافة، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، 1999.
27. بن نبي، مالك ، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986.
28. بن نعمان، أحمد ، هذه هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر، د ت ن.

29. بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري وآخرون، ددن، دم ن، دس ن
30. بوحوش، عمار ، محمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحوث، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، 2007.
31. بوعباني، إدريس ، التنوع الثقافي المغربي،-بين المحلية والكونية-، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطبعة آنفو- برانت، فاس، المغرب، 2018.
32. بوفتا، بشرى ، إشكالية التنوع الثقافي دراسة تحليلية لنظم وأسس تدير التربية على التعدد الثقافي بالمغرب، (أعمال الندوة الدولية " التربية على التنوع الثقافي بالمغرب 8،9 ومايو 2007)، مكتبة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.
33. بوكوس، أحمد ، الهيمنة والاختلاف في تدير التنوع الثقافي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016.
34. التيجاني، ثريا ، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.
35. جلبي، علي عبد الرازق ، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2003.
36. جلبي، علي عبد الرازق وآخرون، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة، الأزاريطة، 2005.
37. حالو، أحمد عبد المنعم ، بشرى أحمد حالو، التنوع البشري في القراءان والسنة، ط1، دار الكنوز، عمان، 2015، ص ص 20، 21.
38. حدّية، مصطفى ، التنشئة الاجتماعية والهوي -دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتمدرس-، تر: محمد بن الشيخ، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996.
39. الحسن، إحسان محمد ، النظريات الاجتماعية المعاصرة -دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة-، ط 3، دار وائل، عمان، 2005.
40. الحسن، إحسان محمد ، موسوعة علم الاجتماع، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999.
41. حسنين، جمال مجدي ، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة، الأزاريطة، 2005.
42. حسين، سمير محمد ، بحوث الإعلام، عالم الكتب، القاهرة، 1995.

- 43.
44. حمادة، مصطفى عمر ، الأنثروبولوجيا وثقافات الشعوب، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2008.
45. حمداوي، جميل ، نظريات علم الاجتماع، ط1، الشاملة الذهبية، دم ن، 2015، من الرابط: <http://shamela.ws/index.php/book/96834>.
46. الخطيب، حسام ، الثقافة والإبداع من زاوية البعد الجماهيري، في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الثقافة والإبداع، تونس، 1992.
47. دشلي، كمال ، منهجية البحث العلمي ، منشورات جامعة حمادة ،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دم ن، دس ن.
48. الدليمي، ناهد عبد زيد ، أسس وقواعد البحث العلمي، ط1، دار صفاء، عمان.
49. الدواي، عبد الرزاق ، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات -حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
50. الزبيدي، محمد مرتضي بن محمد حسين ، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 12، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
51. زرمان، محمد ، ثقافة الحوار في مرجعيتنا الدينية والفكرية، (من مؤتمر: الحوار مع الذات، أوراق المؤتمر العلمي الثامن لكلية الآداب والفنون 28 - 30 تموز (يوليو) 2004.
52. ساري، حلمي ، التواصل الاجتماعي، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
53. ساري، حلمي ، التواصل الاجتماعي، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
54. السباعي، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر، ط1، بيروت، 1999، ص 60.
55. السباعي، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون، ط4، دار السلام، القاهرة، 2010.
56. سليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

57. سليمان، سناء محمد ، أدوات جمع البيانات التقنية والتربوية، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 2010.
58. السيد، إبراهيم جابر ، الاعلام والمجتمع، ط1، بار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2015.
59. السيد، السيد عبد العاطي ، البيئة والمجتمع، دار المعرفة، الأزاريطة، 2007.
60. الشاعر، عبد الرحمن بن إبراهيم ، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني، ط1، دار صفاء، عمان، 2015، ص183.
61. الشال، انشراح ، دراسات في علم الاجتماع الاعلامي-مدخل الى علم الاجتماع الاعلامي-مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، القاهرة، 1985.
62. شفيق، محمد ، البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية- ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1998.
63. صالح، أسى نوري ، القيم السائدة في الدراما التركية والمصرية، دار غيداء، عمان، 2015.
64. الصفار، حسن بن موسى ، التسامح وثقافة الاختلاف-رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات-، ط2، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، دار أطياف، المملكة العربية السعودية، 2011.
65. الضامن، منذر ، أساسيات البحث العلمي، ط1، دار مسيرة، عمان، 2007.
66. طاهر، علاء ، مدرسو فرانكفورت، من هوركهايمر إلى هابرماس، بيروت، منشورات مركز الإنماء القومي، د.ت ن.
67. عبد الحكيم أحمين، مرجع سابق، ص 102.
68. عبد الحميد، محمد ، البحث العلمي في تكنولوجيا التعليم ، ط1، عالم الكتب لنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، 2005.
69. عبد الحميد، محمد ، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار ومكتبة الهلال، دار الشروق، بيروت، 2009.
70. عبد الرحمن، طه ، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت-لبنان، 2014.

71. عبد الرحمن، طه ، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ط3، المركز الثقافي العربي،
الدار البيضاء- المغرب، بيروت-لبنان، 2014.
72. عبد الرحمن، عزي ، حفريات في الفكر الاعلامي القيمي -مالك بن نبي، النورسي،
الورتلاني، صن تسو-، ط1، الدار المتوسطة، تونس، 2011، ص171.
73. عبد الرحمن، عزي ، منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، ط1، الدار المتوسطة للنشر،
تونس، 201 3.
74. عبد الغني، أمين سعيد ، الثقافة العربية والفضائيات -رؤية إعلامية من منظور منهجية
التحليل الثقافي-، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، 2003.
75. العبد القادر، عبد الرحمن بن عبد الله ، الصورة الذهنية وعلاقتها بالاتصال الثقافي، ط1،
دار الكتاب الحديث، الرياض، 2012.
76. عوجة، علي ، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1983.
77. عزوز، أحمد ، الاتصال ومهاراته - مدخل الى تقنيات فن التبليغ والحوار والكتابة- ،
منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، وهران، 2016.
78. عقيل، عقيل حسين ، عز الدين حسين أبو التمن، التصنيف القيمي للعمولة، منشورات
ELGA، فاليتا، مالطا، 2001.
79. عقيل، عقيل حسين ، منطق الحوار بين الأنا ولآخر-من حوار الأفراد إلى حوار أهل
الحضارات والأديان-، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص ص 51، 52.
80. علوان، عبد الله ناصح ، تعدد الزوجات في الإسلام والحكمة من تعدد زواج النبي،
ط1، دار السلام، القاهرة.
81. عماد، عبد الغني ، سوسيولوجيا الثقافة، -المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى
العمولة-، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
82. العوفي، عبد اللطيف بن ديبان ، المهارات الأساسية في الاتصال والتواصل، النشر
العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2011.
83. غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، تع: عادل العوا، دار عويدات، بيروت- لبنان،
دس ن.

84. غريب، عبد الكريم ، التواصل والتنشيط - الأساليب والتقنيات -، ط1، منشورات عالم التربية، 2008.
85. غليون، برهان ، اغتيال العقل - محبة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.
86. غيث، محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2006.
87. غيدنز، أنتوني ، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، 2005.
88. فهمي، نورهان منير حسن ، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 144.
89. قادري، حليلة ، التواصل الاجتماعي، ط1، الدار المنهجية، عمان، 2016.
90. كريب، إيان ، النظرية الاجتماعية - من بارسونز إلى هابرماس -، تر: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، 1999.
91. لبيب، الطاهر ، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
92. لبيب، الطاهر ، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
93. .
94. محمد، محمد علي ، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
95. الماهرة، منال هلال ، منهجية البحث و تقنياته في العلوم الاجتماعية، ط1، المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية و السياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2014.
96. مصطفى، فاروق أحمد ، محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة، الأزاريطة، 2007.
97. المعوش، سالم ، القيم والاتصال - السيكولوجيا والمنهج -، مؤسسه الرحاب الحديثة بيروت، لبنان، 2017.

98. منصور، عبد المالك ، مكانة الحوار الثقافي ودوره في بناء الحضارة المشتركة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الحوار الثقافي العربي الإيبيروأمريكي -الاسهامات المشتركة والتأثير المتبادل-، تونس، 2003.
99. موقع social media stats / gs.statcounter.com
100. مؤيد نصيف جاسم المعدي، الوظيفة الاتصالية لموقع التواصل الاجتماعي -دراسة في موقع الفايسبوك-؛ ط1، ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2016.
101. وولتون، دومينيك ، العولمة- البعد الآخر-، تر: جورج شرف، الدار اللبنانية، دم ن، دس ن.
102. يفوت، سالم ، الديمقراطية سبيل حماية التنوع الثقافي (من كتاب: التنوع الثقافي و أسئلة التعبير و التدبير، تنسيق: حسن أوريد وحسن حافظي علوي، ط1، مركز طارق بن زياد، دم ن، 2010)، ص5.
103. يورجين، هابرماس: القول الفلسفي للحدث، تر: فاطمة الجوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995.
- رابعا: الدراسات السابقة:
- خامسا: المقالات:
104. بكوش، فاطمة الزهراء ، مليكة عطوي، المقابلة والاستبيان في البيئة الرقمية، مجلة السياسة العالمية، مج 6، ع 1، 2022،
105. اعبابو، محمد ، أثر التواصل بين الثقافات على السلوك الديني -دراسة ميدانية-، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس- المغرب، ع 12، 2001، من موقع: <https://search.mandumah.com/record/420888>
106. بوعلي، عبد الناصر ، أين تقع اللغة العربية في الألفية الثالثة، مجلة اللغة العربية، ع 36، 2016، من موقع دار المنظومة.
107. بومعيزة، السعيد ، الحوار السوسيو-ثقافية في الاتصال الشخصي، المجلة الجزائرية للاتصال، ع 20، الجزائر، 2008.

108. جمال الدين، نادية يوسف ، القيم الإنسانية والتربية البشرية لعالم واحد معدد الثقافات، هل من سبيل للخصوصية؟، مجلة مستقبل التربية العربية، مج 12، ع 42، من موقع دار المنظومة.
109. الحلبي، أحمد بن عبد العزيز ، الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي، مجلة جامعة الملك سعود- العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج19، ع1، 2006.
110. حمدي، محمد عبد الفتاح ، استخدام الشباب الجزائري لوسائل الاتصال والاعلام الحديثة وانعكاساتها على قيمهم الثقافية والاجتماعية، مجلة المستقبل العربي، ع 398، 2012.
111. خلاص، دحمان ، أهمية الاتصال الشخصي والتعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري، المجلة الجزائرية للاتصال، ع 25، جامعة الجزائر 3، 2016.
112. الديسي، عبد الكريم عبد ، زهير ياسين الطاهات، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي. مجلة الاتصال والتنمية. ع6، دار النهضة، 2012.
113. الدسوقي، شيرين سلامة السعيد ، العوامل الاتصالية المؤثرة على التفاعلية لدى مستخدمي موقع فيس بوك -دراسة ميدانية على عينة من الجمهور المصري-، مجلة بحوث الصحافة، د م ن، 2018.
114. دليو، فضيل ، اختيار العينات عبر الأنترنت في البحوث الاجتماعية، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج 06، ع 02، 2023، ص03. من موقع <https://www.researchgate.net/publication/370830861> ، تاريخ الدخول 2023/06/05 على الساعة 00:00.
115. دليو، فوضيل ، اختيار العينة في البحوث الكيفية، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، مج 3 / ع3، 2022، ص9. من موقع <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/778/3/3/201551> ، تاريخ الدخول 2023/05/05 على الساعة 00:30.
116. رابح، الصادق ، قراءة في رهانات الثقافية والاجتماعية للتكنولوجيات الرقمية الحديثة، مجلة الإذاعات العربية، ع1، اتحاد إذاعات الدول العربية، 2006.
117. رضوان بوجمعة، التكنولوجيات الجديدة للاتصال وعولمة الثقافة: الهوية شرط في الاتصال، مجلة فكر ومجتمع، تصدر عن طاكسيج. كوم للدراسات والنشر والتوزيع، العدد الأول، يناير 2008.

118. السعدي، طارق ، التنوع الثقافي فرصتنا الثمينة للإقلاع عن التخلف، مجلة الإعلام وتغطية التنوع في المجتمع المغربي، مركز حرية العلام في الشرق الاوسط زشمال افريقيا، دم ن، دس ن.
119. سكور، إيمان ، التنوع الثقافي وانعكاساته على اللسان الجزائري في مواقع التواصل الاجتماعي -دراسة مسحية على عينة من الشباب الجزائري مستخدمي موقع الفاييس بوك-، مجلة معالم، مج 13، عدد خاص، 2021.
120. سوالمية، نورية ، كلثوم صدراي، محددات العيش المشترك في ظل مواقع التواصل الاجتماعي - دراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعيين-، مجلة العلوم الإنسانية، مج 10، ع1، جامعة وهران01، 2021.
1. الصقلاوي، سعيد ، مفاهيم في الثقافة المعاصرة، مجلة تواصل ع1، 2005، ص75. دار المنظومة
2. عبد الرحمن، عزي، "ثقافة الطلبة والوعي الحضاري ووسائل الاتصال، مجلة المستقبل العربي، ع164، 1992.
3. عبد الكافي، أحمد عبد الكافي عبد الفتاح ، استخدام طلبة الجامعات للرموز التعبيرية (الايموجي) بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وانعكاسه على إدراك جودة الصداقة الافتراضية، مجلة البحوث الإعلامية، ع 58، ج 4، القاهرة، 2021.
121. العبري، محمد بن عبد الله ، تشجيعا للحوار الثقافي بين الأمم والشعوب، مجلة تواصل، عمان، ع 7، 2007.
122. العياضي، نصر الدين ، الصورة في الأخبار التلفزيونية العربية: رهانات النظر، مجلة المستقبل الغربي، ع 392، س34، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011.
123. الغياثية ،يوسف بن ، مناقشات في الفصل بين الدين والتنوع الثقافي، مجلة عمران للعلوم الانسانية، مج 1، ع 6، 2012.
124. القباج، محمد مصطفى ، المتقف العربي والتنوع الثقافي-رؤية مستقبلية-، مجلة آفاق، ع 75، المغرب، 2007.
125. مارك، إدموند ، مدرسة بالو الطو: مدرسة التواصل، تر: عبد العزيز السراج، مجلة علوم التربية، ع 37، المغرب، 2008.
126. مالك، حسن ، شبكات التواصل الاجتماعي وأزمة الهوية اللغوية في العالم العربي، مجلة باحثون، ع1، مطبعة وراقة بلال، المملكة المغربية، 2017

127. ملوكي، جميلة ، الغالي بن لباد، أركيولوجيا الدين -حفريات من الذاكرة البشرية-، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ع6، برلين، ألمانيا، أبريل 2019.
128. النجار، جمال عبد الحي عمر ، عولمة صناعة الاتصال والغزو الثقافي، مجلة تكنولوجيا التعليم، مج 10، ع3، مصر.
129. النجار، جمال عبد الحي عمر ، عولمة صناعة الاتصال والغزو الثقافي، مجلة تكنولوجيا التعليم مصر ، مج 10، ك 3.
130. سعد البازعي، ثقافة الاختلاف: نحو تأصيل المفهوم، مجلة العربي، ع59، 2008، من موقع:
<https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/6729> تاريخ الدخول 2023/01/08 على الساعة 08:30
131. عبد العزيز اميرات، في شرعية الاختلاف الحضاري والتعددية الثقافية، مجلة التفاهم، مج 16، ع 62، نشر من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2018، من موقع
<https://tafahom.mara.gov.om> تاريخ الدخول 2023/01/08 على الساعة 09:30
132. مرتضى معاش، الانفتاح والتواصل ومنحنيات الإصلاح والتجديد، مجلة النبأ، ع 56، 1422-2001، من موقع: <https://annabaa.org/nba56/inftah.htm> ، تاريخ الدخول: 2021-09-28، على الساعة: 00:15.
133. أحمد عبد الكافي عبد الفتاح عبد الكافي، استخدام طلبة الجامعات للرموز التعبيرية (الايوجي) بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وانعكاسه على إدراك جودة الصداقة الافتراضية، مجلة البحوث الإعلامية، ع 58، ج 4، القاهرة، 2021، ص1815
https://jsb.journals.ekb.eg/article_189173.html

المراجع باللغة الأجنبية:

134. Albert Kientz, Pour analyser les media-Analyse de contenu, 2eme Ed, Maison Mame France, 1971,
135. Ankur Joshi and auther. Likert Scale: Explored and Explained. British Journal of Applied Science & Technology. 2015.

136. Barmeyer, C. **Management interculturel et styles d'apprentissage**. Etudiants et dirigeants en France, en Allemagne et au Québec. Québec: Les Presses de l'Université Laval, 2007.
137. Berry, J. W. **Acculturation and Adaptation in a New Society**. International Migration. 1992.
138. Cambien Aurore , **Une introduction à l'approche systémique**. Centre d'études sur les réseaux, les transports, l'urbanisme. France: Certu . 2007.
139. Chomsky, Noam . **L'unicité culturelle**. Dans **Linguistique et l'impact de la culture**, 2006.
140. Claire Chaplier. **COMMUNICATION INTERCULTURELLE Exemples de rhétorique et de pragmatique culturelles**. Educação, Sociedade & Culturas, n° 35, 2012, p150.
141. Dan zarella , **the social media marketing book** , OReilly Media , canada , 2010 ,p83
142. Denzin, N. **The research act: A theoretical introduction to sociological methods**, New York: McGraw-Hill. 1978.
143. Donnadiou Gérard et autres **L'Approche systémique : de quoi s'agit-il ?** Synthèse des travaux du Groupe AFSCET" Diffusion /de la pensée systémique , 2003. .
144. Donnadiou Gérard et autres, **L'Approche systémique : de quoi s'agit-il ?** Synthèse des travaux du Groupe AFSCET" Diffusion /de la pensée systémique , 2003.
145. Gérard Marandon, "**Toupictionnaire**" le dictionnaire de politique, Consulté le 30 mars, 2015, sur <http://www.toupie.org/Dictionnaire/Interculturalite.htm> . Date: 07-06-2023 .H: 16:22.
146. Gudykunst, W. B., & Kim, Y. Y. **Communicating with strangers: An approach to intercultural communication**. McGraw-Hill. 3ed. 2003.
147. Hofstede, Geert **L'unicité culturelle : Comment la pensée culturelle influence les individus et les sociétés**. New York: Presses de l'Université de New York. 2010.p
148. Holsti, Geert and Goodman, John . **Culture et intégration sociale** . Dans Société et nouvelle culture, 2013.
149. Houda ZARRAD. **La négociation interculturelle : Proposition d'un cadre conceptuel de l'impact de la culture sur la négociation**, Faure et Rubin, Newbury Park, California, SAGE, 1993.
150. <https://www.asjp.cerist.dz/en/presentationrevue/16>
151. Jean-Curt Keller. **Le paradoxe dans la communication : implications épistémologiques et usages thérapeutiques**. Philosophie. Université Paul Verlaine - Metz, 2006.
152. Jens Allwood, **Intercultural Communication**. in the book "Papers in Anthropological Linguistics 12" published by the Department of Linguistics at the University of Göteborg .

153. Jürgen Habermas ;**théorie de l'agir communicationnel** tl,tra/jean louis Schlegel Ed fayard, paris, 1987.
154. Jürgen Habermas, **morale et communication**, tra, par Christian bouchindhome, ed cerf .paris. 1991.
155. KISMIYATI EL KARIMAH ‘ILHAM GEMIHARTO, **The Impact of Social Media on Intercultural Communication in Indonesia**, Faculty of Communication Science, Padjadjaran. University, Indonesian. ACCOMAC .Juli, 2017.
156. Madeleine Grawit, **Méthodes des sciences sociales**, 11eme Ed, Dalloz ,Paris, 2001, p606.
157. Meier, O. **Management interculturel :stratégie -organisation-performance. Dunod** ,Paris ,2016.
158. Ming Xie1 & Chin-Chung Chao. **Assessing intercultural communication competence as a relational construct using social network analysis**. Journal of Intercultural Communication, 22(2), 2022 .
159. Murat Seyfi. Deniz Güven. **Influence of new media on intercultural communication: an example of an Erasmus student**. INFORMACIJOS MOKSLAI. 2016 .
160. NACIRA BOUBNIDER , **L'ENSEIGNEMENT DES LANGUES ET DES CULTURES D'ORIGINE EN France,Aspects socio-linguistiques, psycho-sociologiques, socio-politiques, institutionnels et pédagogiques** Le cas de l'Arabe enseigné aux enfants issus de l'immigration algérienne), THESE DOCTORAT, UNIVERSITE PARIS VIII SCIENCES DE L'EDUCATION, Année 1990
161. Olsen, W. **Triangulation in social research: qualitative and quantitative methods can really be mixed**, *Developments in sociology*, 20, 2004.
162. OUALID Habib, **Les outils de la communication digitale- 10 clés pour maîtriser le web marketing**, Edition Eyrolles, Paris, 2013.
163. Phillip M. Ayoub and auther. **Triangulation in Social Movement Research. Methodological**. Practices in Social Movement Research. Oxford University Press. September 2014.
164. Raja Zainal Hassan, R. R., Hassan, N. A., Sallehuddin, I. S., & Abdul Aziz, N. **Facebook for intercultural communication: The foreign students' experience**. Journal of International Studies, 16, 2020 .
165. Rios-Rodriguez, Alma D, **How People Handle Intercultural Conflict via Social Media vs. in Person** . Communication Studies. Undergraduate Publications, Presentations and Projects. 2016.
166. S. Shariff and auther. **User Perception of Information Credibility of News on Twitter**. 36th European Conference on IR Research, Amsterdam, April 13–16, 2014 .

167. **Winda Monika¹, Arbi Haza Nasution, Salhazan Nasution. The Role of Social Media on Intercultural Communication Competences. The Second International Conference on Social, Economy, Education, and Humanity. (ICoSEEH 2019) - Sustainable Development in Developing Country for Facing Industrial. Revolution 4.0.**

المواقع الالكترونية

168. الصين يحقق نجاح كبير غير مسبوق في الولايات المتحدة الأمريكية!!، عن الموقع: [www.arabtoday.com/2018/11/tik tok](http://www.arabtoday.com/2018/11/tik-tok)، تاريخ الدخول 11/07/2023 على الساعة: 11:44 .
169. ياسر سعد الدين، الإساءة للإسلام ومواقف عربية رسمية، على الموقع: <https://aljazeera-net.cdn.ampproject.org>، تاريخ الإطلاع: 2022/11/11، على الساعة: 17:00 .
170. إبراهيم الدويري، خلفاء بنوا كنائس وخلفاء حموها والصلبيون يدشنون عهد تنصير المساجد... الصراع على دور العبادة في التاريخ الإسلامي من موقع www.aljazeera.net تاريخ الدخول 2023/01/05 م على الساعة 13:30 .
171. محمد خير موسى، المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام، سؤال التوصيف والأفضلية: <https://mubasher.aljazeera.net>، تاريخ الدخول: 2022/11/13، على الساعة: 11:36 .
172. عمار كاظم، ثقافة التواصل والحوار والانفتاح من موقع <https://www.balagh.com/article>، تاريخ الدخول: 2021-09-12 على الساعة 01:00 .
173. روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تع: عادل العوا، دار عويدات، بيروت- لبنان، ص 40 .
174. جيلالي بشلاغم، العلاقات الجزائرية الفرنسية في ظل سياسات اليمين المتطرف 2010/2002، مذكرة ماجستير (منشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2010، ص 199 من موقع: <http://dspace.univ-tlemcen.dz/handle/112/3119> تاريخ الدخول : 2023/06/20 على الساعة: 11:22 .
175. كلثوم بيبيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية، العددان 33 و 34، جوان 2016، من موقع

https://www.researchgate.net/publication/308695437 ، تاريخ الدخول

2023/07/13 ، على الساعة: 18:00.

178. أحمد إبراهيم خضر، انفتاح الإسلام على ثقافة الآخر دعوة لتميع الإسلام وإزالة

أصالته، موقع الألوكة 2023/07/12 17:45 https://www.alukah.net/personal_

179. سليمان صالح، معايير مزدوجة وتزييف للتاريخ.. كيف سيطرت فرنسا على حرية الرأي

والتعبير؟ موقع الجزيرة الإخبارية، 2021/4/11 <https://www.aljazeera.net/opinions/2021/4/11> - تاريخ

الدخول 2023/07/12 على الساعة: 21:14

180. وكالات، الاسلام يغزو أوروبا .. والأوروبيون قلقون، 2012، الموقع: النهار

،online <https://nhar.tv/7nUjf> تاريخ الدخول: 2023/07/12 ، على الساعة 17:35

181. سناء الخوري، المسلمون في فرنسا: كراهية ممنهجة أم سوء فهم؟ من موقع: بي بي سي

عربي، 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020 <https://www.bbc.com/arabic/world-55102301>

، تاريخ الدخول 2023/07/12 ، على الساعة: 20:23

182. سناء الدويكات، ما هو التسامح من موقع: <https://mawdoo3.com> :تاريخ الدخول:

2021-09-28 ، على الساعة 00:30.

183. شريهان حوامدة، السياق الاجتماعي للمشاكل الاجتماعية، من موقع:

<https://e3arabi.com/sociology> ، تاريخ الدخول: 2023/07/13 على الساعة:

13:23 .

184. سناء الخوري وألمى حسون، الحجاب: نقاش لا ينتهي في فرنسا، بي بي سي نيوز

عربي، 12 مايو/ أيار 2021 ، <https://www.bbc.com/arabic/world-56836097> ،

تاريخ الدخول 2023/07/12 على الساعة 18:51

185. سليمان صالح، معايير مزدوجة وتزييف للتاريخ.. كيف سيطرت فرنسا على حرية الرأي والتعبير؟ موقع الجزيرة الإخبارية، <https://www.aljazeera.net/opinions/2021/4/11> تاريخ الدخول 2023/07/12 ، 21:14
186. ليبراسيون، الفرنسيون يتكلمون العربية أكثر من لغة أجدادهم، موقع الجزيرة الثقافية <https://www.aljazeera.net/culture/2018/10/28> ، الدخول 2023/07/12 ، 18:51
187. حسين مسكين، الثقافة في زمن العولمة، من موقع : www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n73_02.zenadin.html تاريخ الدخول: 12-3-2017 على الساعة 12:34
188. سعيد بقطين، ثقافة المشاركة، من موقع: <https://www.alquds.co.uk/> ، بتاريخ 2019-09-19 على الساعة 00:42 .
189. سعد النفيعي، أساليب التقويم - الاستبانة وأسلوب ليكرت - تقويم تربوي، ددن، الرياض، السعودية، 14هـ16 .
- 125 asjp.cerist.dz/en/downArticle/455/6/1/191546 ، تاريخ الدخول 2023/07/10 على الساعة 22:00 .
190. Shanen Ma. Breaking News: Twitter is more powerful than Facebook at breaking news. Telstra Exchange. 2012
- رابط الموقع: <https://exchange.telstra.com.au/twitter-is-more-powerful-than-facebook-at-breaking-news>**
- تاريخ الدخول 2023/07/20 ، على الساعة: 00:14 .191

الهدايا حقيق

جامعة الأمير عبد
الملك بن عبد العزيز
العلم للعلوم الإسلامية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

قسم : الدعوة والاعلام والاتصال
تخصص : إعلام ثقافي



كلية أصول الدين
الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:

الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية في ظل التنوع الثقافي

-دراسة تحليلية وميدانية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصص : . إعلام ثقافي

إشراف الأستاذة

نصيرة بونيدر.

إعداد الطالب

سهام ذيب.

ملاحظة هامة: يشترط فيمن يجب على الاستبيان أن يكون عربيا مسلما وأن يتواصل مع
شخص غربي غير مسلم

السنة الجامعية 1443/1444 هـ - 2022 / 2023 م

ملحق (1): استمارة الاستبيان

البيانات السوسيوديموغرافية

	ذكر	1- الجنس
	أنثى	
	أقل من 18 سنة	2- السن
	[27-18]	
	[37-28]	
	[47-38]	
	48 سنة فما فوق	
	ابتدائي	3- المستوى التعليمي
	متوسط	
	ثانوي	
	جامعي	
	دراسات عليا	

4- إلى أي مجال جغرافي تنتمي؟

أعيش في وطن أجنبي	أعيش في وطن عربي آخر	أعيش في وطني	
			المشرق العربي
			المغرب العربي

5- كيف تقيم مستواك في اللغة؟

ضعيف	متوسط	حسن	جيد	
				العربية
				الفرنسية
				الانجليزية
				اخرى تذكر

المحور الأول: أنماط المستخدم العربي عينة الدراسة في الاتصال بالآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

6- ما هو الموقع الأكثر استخداما في التواصل مع الآخر الغربي؟

- الفاييس بوك ✓
- التويتر ✓
- اليوتيوب ✓
- الأنستغرام ✓
- التيك توك ✓

✓ أخرى تذكر

7- كم عدد الآخرين الغربيين الذين تتواصل معهم؟

- أقل من 5 أشخاص ✓
- [5-10] أشخاص ✓
- أكثر من 10 أشخاص ✓

8- ما هي جنسية الآخر الغربي الذي تتواصل معه اتصالا شخصيا أكثر من غيره؟

- أمريكية ✓
- ألمانية ✓
- فرنسية ✓
- بريطانية ✓
- اسبانية ✓

✓ أخرى تذكر

9- ما هي أسس اختيارك في التواصل مع هذا الآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية؟

- الجنس المشترك ✓
- المستوى التعليمي المشترك ✓
- السن المشترك ✓
- الاهتمام المشترك ✓
- المهنة المشتركة ✓

✓ أخرى تذكر

10- ما هي دوافعك للاتصال الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

- ✓ الاستفادة من خبرات ومعارف الآخر
- ✓ تضييع الوقت
- ✓ التعرف على ثقافة الآخر المختلف
- ✓ التعريف بثقافتك للآخر
- ✓ إشباع رغبات عاطفية
- ✓ بناء صداقة جديدة
- ✓ مساعدتك في الهجرة إلى بلده

✓ أخرى تذكر.....

11- منذ متى وأنت تتواصل مع هذا الآخر الغربي؟

- ✓ أقل من سنة
- ✓ من سنة إلى خمس سنوات
- ✓ من خمس سنوات إلى عشر سنوات
- ✓ أكثر من عشر سنوات

12- هل تتصل بالآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية؟

- ✓ -دائما
- ✓ -غالبا
- ✓ -أحيانا
- ✓ -نادرا

13- ما هي الفترة المفضلة لديك في التواصل معه؟

- ✓ -صباحا
- ✓ -ظهيرة
- ✓ -مساء
- ✓ -ليلا

1. كم المدة التي تقضيها في اتصالك بالآخر الغربي؟

- ✓ أقل من ساعة

3-1] ساعات ✓

3 ساعات فأكثر ✓

14- ما هي وسائلك المعتمدة في التواصل مع الآخر الغربي؟

الأخر الغربي	أنت العربي			
				الصورة
				النص المكتوب
				الكلام المنطوق
				الفيديو
				الروابط
				الجمع بين أكثر من أسلوب

المحور الثاني: تجليات السياق الثقافي الديني الذي يوجه العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.

15- ما هي الديانة التي يدين بها الآخر الغربي الذي تتواصل معه؟

اليهودية ✓

المسيحية ✓

لا دين له ✓

لا أعرف ✓

✓ أخرى تذكر.....

16- ما مدى توافق عينة الدراسة مع الآخر الغربي حول المواضيع الثقافية الدينية الآتية؟

المواضيع الثقافية الدينية المناقشة مع الطرف الآخر	تتفقان حول الموضوع	تختلفان حول الموضوع	عدم مناقشة الموضوع
أ. حرية ممارسة الشعائر الدينية			
ب. اللباس الذي يعبر عن الانتماء الديني			
ت. رفض الإساءة لرموز الدين			
ث. بناء دور العبادة في بلاد الغير			
ج. تعدد الزوجات			

ح.	وجوب المساواة بين الرجل والمرأة		
خ.	حق المثلية		

17- هل أدى الاتصال بينك وبين الآخر الغربي حول بعض القضايا الدينية إلى الاستجابات الآتية؟

الأخر الغربي		أنت العربي		الاستجابات
لا	نعم	لا	نعم	
				البحث في النقاط المشتركة بين الديانتين
				الرغبة في التعرف على ديانة الطرف الآخر
				دعوة الطرف الثاني إلى اعتناق الديانة
				التركيز على نقاط الاختلاف بين الديانتين
				اثارة الشبهات حول ديانة الطرف الثاني والتشكيك فيها
				استصغار أهمية الدين في الحياة

18- هل انتماؤك الثقافي الديني يدفعك إلى الاستجابات الآتية في اتصالك بالآخر الغربي؟

العبارات	الدرجات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
الحوار معه بالحسنى						
تفضيل الأجنبي المسلم على غيره						
الحرص على مراجعة معلوماتك الإسلامية						
التعرف على تعاليم ديانة الآخر						

المحور الثالث: تجليات السياق الثقافي القيمي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية.

19- ما مدى تمثّل القيم الإنسانية الآتية في العلاقة الاتصالية بينك وبين الآخر الغربي؟

الآخر الغربي		انت العربي		مدى حضور القيم
لا	نعم	لا	نعم	
				الانفتاح على الآخر
				تقديم المصلحة المشتركة على المصلحة الشخصية
				التناصح مع الآخر

				الحرية دون المساس بالآخر
				احترام الوقت
				الأصالة والتمسك بالعادات والتقاليد
				احترام الرأي الآخر
				الموضوعية في عرض الآراء
				التسامح مع الآخر

20- هل ترى بأن اتصالك مع الآخر عبر الشبكات الاجتماعية ساهم في تغيير قيمك؟

- كثيرا نوعا ما قليلا أبدا

21- هل ترى بأن سياقك القيمي في تواصلك مع الآخر الغربي يدفعك إلى الاستجابات الآتية؟

العبارات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
الحرص على إبرازها في التواصل					
محاولة اقناع الآخر بما					
تغييرها أحيانا حسب طبيعة الموقف					
التخلي عن بعضها إذا لم تر فاعليتها					
رفض قيم الآخر كليا					
التعرف عليها أكثر من خلال التواصل مع الآخر					
الاعتقاد بأفضليتها مقارنة بغير الآخر					

المحور الرابع: تجليات السياق الثقافي اللغوي الذي يضبط العلاقة الاتصالية بين المستخدم العربي والآخر الغربي عبر الشبكات الاجتماعية:

22- ماهي اللغة التي تتواصل بها مع الآخر عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

- ✓ العربية الفصيحة
- ✓ لغة الآخر
- ✓ اللغة الإنجليزية كلغة عالمية
- ✓ لغة الرموز والمختصرات
- ✓ أخرى تذكر.....

23- هل سبق وأن استعنت بالترجمة لفهم كلامه؟

- دائما غالبا أحيانا نادرا أبدا

24- هل يفهم الآخر الذي تتواصل معه لغتك العربية؟

نعم نوعا ما لا

25- ما هي الآخر الغربي نحو لغتك العربية؟

العبارات	الاستجابات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
ييدي الاحترام لها						
يرغب في تعلمها						
يبحث في النقاط المشتركة بين لغته ولغتك						
يرى بأنها لا ترقى لأن تكون لغة تواصل عصرية						
يرى بأنها صعبة						
يركز على نقاط الاختلاف مع لغته						

26- الاستجابات التي تحققها اللغة العربية لعينة الدراسة في التواصل مع الآخر الغربي؟

العبارات	الاستجابات	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
تعيق فهمك للغة الآخر						
تجعل الآخر يعرض عن التواصل معك						
تفتخر بلغتك رغم أنك لا تتواصل بها مع الآخر						
تريد أن تعلم الآخر لغتك العربية						
تفضل استعمال لغة الآخر حتى لو كان هذا الآخر يفهم العربية						
ترى بأنها غير صالحة للتواصل مع الآخر						

ملحق رقم (2) : دليل المقابلة

1-السؤال الأول: فيم تتمثل الصورة الذهنية للذات الثقافية لعينة الدراسة من خلال تواصلها مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟.

الهدف من السؤال: التعرف على الصورة الذهنية للذات الثقافية لعينة الدراسة من خلال تواصلها مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

2-السؤال الثاني: فيم تتمثل الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى عينة المقابلة من خلال العلاقة الاتصالية بينهما عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

الهدف من السؤال: التعرف على الصورة الذهنية للآخر الغربي لدى عينة المقابلة من خلال العلاقة الاتصالية بينهما عبر شبكات التواصل الاجتماعي

3-السؤال الثالث: فيم تتمثل توجهات عينة المقابلة نحو شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق الاتصال مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

الهدف من السؤال: التعرف على توجهات عينة المقابلة نحو شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق الاتصال مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

4- السؤال الرابع: فيم تتمثل توجهات عينة المقابلة نحو الرسائل الاتصالية في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

الهدف من السؤال: التعرف على توجهات عينة المقابلة نحو الرسائل الاتصالية في العلاقة الاتصالية مع الآخر الغربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

ملحق رقم (3) : استمارة تحليل المضمون

أولاً - بيانات أولية لميدان الدراسة:

- 1- عنوان الفيديو
- 2- رابط الفيديو
- 3- قناة الفيديو
- 4- تاريخ النشر

ثانياً - فئات الاستمارة التي تتعلق بالتعليقات :

• فئات المضمون التي تجيب على السؤال: ماذا قيل؟

- 5- فئة قيم الاتصال:
 - احترام الرأي الآخر ✓
 - الانفتاح على الآخر ✓
 - تقدير الذات ✓
 - احترام الحرية الشخصية ✓
 - التسامح مع الآخر ✓
 - التناصح مع الآخر ✓
 - أخرى تذكر ✓

6- فئة نوع السياق:

- ديني ✓
- إسلامي ✓
- مسيحي ✓
- يهودي ✓
- غير محدد ✓
- اجتماعي ✓
- تاريخي ✓
- سياسي ✓

ثقافي ✓

أخرى تذكر ✓

7- فئة الاتجاه:

إيجابي ✓

محايد ✓

سلبي ✓

8. أسلوب التواصل اللغوي

أسلوب المدح والتقدير ✓

أسلوب النقد اللاذع ✓

أسلوب الشرح الموضوعي ✓

أسلوب الحوار ✓

أسلوب الاقضاء ✓

أسلوب الاحتواء ✓

أخرى تذكر ✓

9- فئة نوع اسم المستخدم:

عربي ✓

غير عربي ✓

أخرى تذكر ✓

10- فئة أشكال التفاعل:

التعبير عن المشاعر ✓

الحب ✓

التصفيق ✓

الضحك ✓

- الإعجاب ✓
- الغضب ✓
- أخرى تذكر ✓
- الردود ✓

تصميم الإستمارة

أولا - بيانات أولية

- 1- عنوان الفيديو . 1 2 3 4 5
- 2- رابط الفيديو . 5 7 8 9 10
- 3- قناة الفيديو . 11 12 13 14 15

ثانيا - فئات المضمون:

- 4- فئة القيم 16 17 18 19 20 21 22

- 5- فئة نوع السياق: 23 24 25 26 27 28 29

- 1/23 2/23 3/23 4/23

- 6- فئة الاتجاه: 30 31 32

- 7- فئة أسلوب التواصل اللغوي: 33 34 35 36 37 38

- 39 40 41

8- فئة نوع اسم المستخدم:

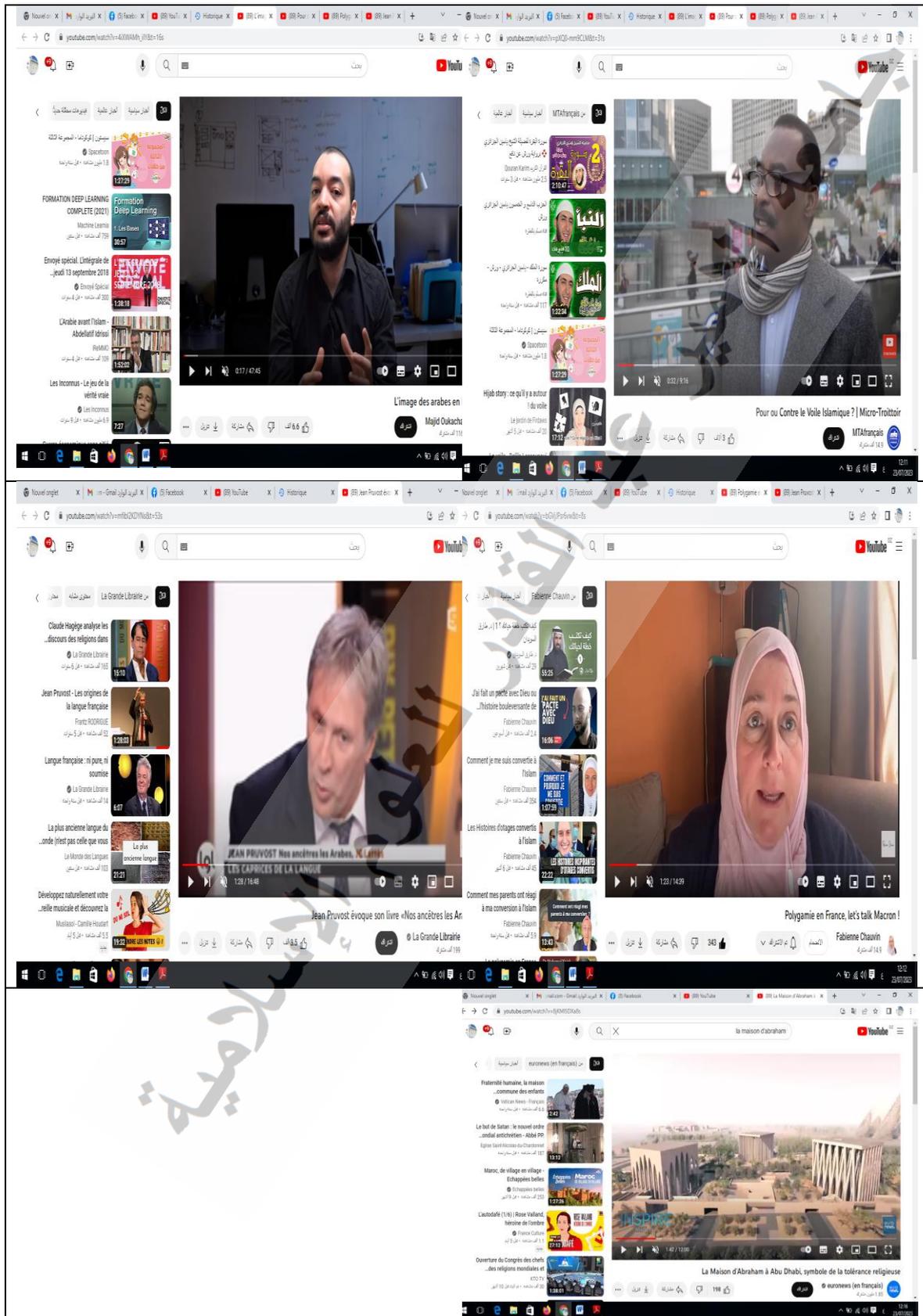
				43	42
6/42	5/42	4/42	3/42	2/42	1/42

9- فئة أشكال التفاعل:

دليل الاستمارة

- المربعات من 1 إلى 5 تمثل عناوين الفيديوهات ميدان الدراسة وهي كالاتي:
- المربعات من 6 إلى 10 تمثل روابط الفيديوهات ميدان الدراسة وهي كالاتي:
- المربعات من 11 إلى 15 تمثل أسماء القنوات ميدان الدراسة وهي كالاتي:
- المربعان 16 و 22 يمثلان فئة القيم: قيم التواصل - احترام الرأي الآخر - الانفتاح على الآخر - تقدير الذات - احترام الحرية الشخصية - التسامح مع الآخر - تقديم النصح للآخر - أخرى تذكر تقديم المصلحة العامة.
- المربعات 23 و 29 يمثلان فئة نوع السياق وهي: ديني - اجتماعي - تاريخي - سياسي - علمي - ثقافي - أخرى تذكر
- ✓ المربعات 1/23 و 4/23 تمثل نوع السياق الديني وتشمل: إسلامي - مسيحي - يهودي - غير محدد
- المربعات من 30 إلى 32 تعبر عن فئة الاتجاه: إيجابي - محايد - سلبي.
- المربعات من 33 إلى 38 تعبر عن فئة أسلوب التواصل اللغوي: أسلوب المدح والتقدير - أسلوب النقد اللاذع - أسلوب الشرح الموضوعي - أسلوب الحوار - أسلوب الاقضاء - أسلوب الاحتواء - أخرى تذكر .
- المربعات من 39 إلى 41 يمثلان نوع اسم المستخدم: عربي - غير عربي - أخرى تذكر.
- المربعان 42 و 43 يمثلان فئة أشكال التفاعل: التعبير عن المشاعر - الردود.
- ✓ المربعان 1/42 إلى 6/42 يمثلان التعبير عن المشاعر ويشمل: الحب - التصفيق - الضحك - الاعجاب - الغضب - أخرى تذكر.

ملحق رقم (4): يمثل صور ثابتة للفيديوهات عينة الدراسة.



People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences Constantine



Faculty of THEOLOY

Department Of

Ordinal Number.....

Specialty : Cultural media

Identification Number.....

**Communication through Social
Networks in the Context of
Cultural Diversity
- An Analytical and Field Study**

Thesis submitted for academic doctoral sciences

in: Specialty: Cultural media

Elaborated by the student

Supervised by Doctor.

Sihem Dib

NACIRA BOUBNIDER

The discussion jury members

Name and First Name	Function	Scientific Rang	Original University
Laila Filali	President	Professor of Higher Education	Prince Abdelkader University of Islamic Sciences - Constantine-
Nasira Boubnider	Supervisor and Rapporteur	Professor of Higher Education	Badji Mokhtar University – Annaba
Al-Tayeb Sid	Member	Professor of Higher Education	Mohamed Al-Sharif Musadieuh University - Souk Ahras -
Fodil Deliu	Member	Professor of Higher Education	Salah Boubenider University - Constantine-
Naima Hilali	Member	Professor, Lecturer - A-	Prince Abdelkader University of Islamic Sciences - Constantine-
Warda Boudjellal	Member	Professor, Lecturer - A-	Prince Abdelkader University of Islamic Sciences - Constantine-

University year: 1443 -1444h / 2022-2023